الفلسطيني

العدد ٤٠ آب «أغسطس» ١٩٧٨

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب الفلسطيني

العدد ٤٠ آب «أغسطس» ١٩٧٨

تصدر مرة كل شهرين
عن
الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

المكتب
29 -03- 1993
library
UNIVERSITY

المواد التي تنشر تعبر عن
وجهات نظر اصحابها

الاشتراكات السنوية

٣٠ ل ٠ ل ٠ في لبنان وسوريا
٦٠ ل ٠ ل ٠ في بقية الاقطار العربية
١٠٠ ل ٠ ل في اقطار العالم
١٥٠ ل ٠ ل ٠ للمؤسسات

رئيس التحرير
ناجي علوش

نائب رئيس التحرير
رشاد ابو شاور

امانة التحرير
حنا مقبل
يحي يخلف
هاني مندس
جميل هلال
عبد القادر ياسين

المشرف الفني
حسيب الجاسم

المستشارون
عبد الكريم الكرمي
د ٠ احسان عباس
محمود درويش
معين بسيسو
بسام ابو شرف
ناصيف عواد
علي اسحق
خالد ابو خالد
د ٠ سعيد حمود
معن بشور

Digitized by Birzeit University Library

المحتويات

مقالات ودراسات سياسية

٤ الأفتتاحية ـــــــــــــــ جميل هلال

٨ الاساس الطبقي للحركة السياسية في الضفة الغربية المحتلة ـــــــــــــــ عبد القادر ياسين

٢٠ السياسة العربية ـــــــــــــــ عبد الرحمن غنيم

٢٤ الخلاف الصيني السوفياتي ـــــــــــــــ جورج حداد

٣٣ الاممية الثالثة وعروبة فلسطين ـــــــــــــــ أحمد فرحات

٤٢ نظرة في خريطة اسرائيل الحزبية ـــــــــــــــ صبحي طه

٦٩ المقاومة الفلسطينية وحركات التحرر الوطني العربية ـــــــــــــــ عدنان عبد الرحيم

٩٠ قضايا وكالة الغوث ـــــــــــــــ يونس الكتري

٩٧ حول خصوصية النموذج العربي للاشتراكية ـــــــــــــــ حيدر حيدر

١٢٢ القمع الساداتي « للديمقراطية » في مصر ـــــــــــــــ عزّة إمام

مقالات ودراسات أدبية وفنية

١٣٧ التمايز الطبقي في فلسطين من خلال المثل الشعبي الفلسطيني ـــــــــــــــ سمير أيوب

١٥١ التقاطع والافتراق بين بهلول جنين وأبله خانيونس علي حسين خلف

١٥٨ عن الحلم والشعر والثورة ـــــــــــــــ سيد خميس

Digitized by Birzeit University Library

١٦٩ بندلي الجوزي ـــــــــــــــ نصري الجوزي
١٧٨ غسان كنفاني : صحافي يبحث عن فلسطين ـــــــ الياس سحاب
١٨٤ ذكريات عن غسان ـــــــــــــــ علي الجندي
١٩٠ اشارات سريعة حول نتاج غسان التشكيلي ـــــ ناصر السومي

الشعر

١٩٤ ابو محجن الثقفي ـــــــــــــــ خالد أبو خالد
٢٠٠ سيرة العمر ـــــــــــــــ غسان خليل رقطان
٢٠٦ الجبل ـــــــــــــــ أمجد ناصر

القصة والمسرحية

٢١٢ الصرصار ـــــــــــــــ ياسين رفاعية
٢١٧ وقائع الدقائق الاخيرة ـــــــــــــــ أحمد عمر شاهين
٢٣١ النهر المقدس ـــــــــــــــ محمود أحمد شاهين

الكتب

٢٥٤ شبهات حول الثورة الفلسطينية ـــــــــــــــ حسن الباش
٢٥٩ الماركسية والدين ـــــــــــــــ ربعي المدهون

التقارير

٢٦٣ بيانات وتقارير عن نشاط الامانة العامة وفروع الاتحاد

Digitized by Birzeit University Library

كلمة الكاتب

الحوار الديمقراطي درع الثورة الواقي

الاحداث التي شهدتها الساحة الفلسطينية ، خلال شهر تموز الماضي ، أثارت موجه واسعه من الاستنكار والتنديد في مخيمات الشعب الفلسطيني . ومن قبل مجمل قواه الوطنية والتقدمية ، كما أثارت قلقا حقيقيا لدى القوى الوطنية الديمقراطية العربية والقوى التقدمية في العالم . هذا الاستنكار والقلق تعبير عن احساس عميق بأن ما جرى خطير ، فيما يحمل من مدلولات وأبعاد، وشديد الخطورة ان استمر في نفس الاتجاه، وعلى ذات خط السير .

فالممارسات التي شهدها جنوب لبنان خلال الاسبوع الثالث من شهر تموز الماضي ، وما رافقها وتبعها من اجواء وتبريرات ، كشفت للجميع ، وبشكل لا يسمح بالشك او التردد ، بان هنالك خللا فادحا في اسلوب معالجة قضايا الخلاف بين فصائل الثورة . كما اكدت هذه الاحداث استمرار بعض قيادات اليمين الفلسطيني على ذات النهج ، الذي كان الاصرار على المضي فيه سبب تفاقم الخلاف السياسي داخل الثورة ومنظمة التحرير .

ولعل اكثر ما يثير من مخاوف ، وما يحمل من مخاطر تلك الممارسات الجديدة والصارخة في تعاكسها مع تقاليد الحركة الوطنية الفلسطينية وتقاليد شعبنا الثورية ، وما تتضمنه هذه من هجرة لاسلوب الحوار الديمقراطي في حل الخلافات ، وتقريب وجهات النظر ، واستبدال هذا بأسلوب مغاير في الشكل والمضمون : اسلوب يعتمد السلاح وسيلة لحسم الخلاف ، ويدفع باتجاه تهيئة الاجواء للاقتتال بين رفاق السلاح ، بين ابناء الثورة الواحدة ، بين مقاتلين وطنيين ومناضلين حقيقيين جل مبرر انتمائهم للثورة كان ولا يزال محاربة العدو الوطني ، والحفاظ على مكتسبات الشعب الفلسطيني وحقوقه لا اقامة الحواجز ، ومهاجمة المكاتب ، والتعدي على

Digitized by Birzeit University Library

رفاقهم فـــي السلاح ٠

ان هذه الظاهرة ، وما رافقها وتبعها ، من ممارسات وحملات تعبئـــة وتحريض ضد قوى ديمقراطية وتقدميه داخل الثورة ومضايقات وازعاجـات لها من قبل البعض في المقاومة ، بحاجة الى وقفة جدية ومراجعة جادة من قبل كل الوطنيين والديمقراطيين الفلسطينيين ، تنظيمات ، وهيئات وافراد ، لاستخلاص الدروس والنتائج ٠ وحتى لا تمر مثل هذه الظواهر والممارسات، وفي هذه المرحلة الصعبة بالذات ، دون تدقيق ومحاسبة ودون تحديد للمهمات العاجلة والملحة لمجابهة الاخطار الداهمة ، التي لا يزيدها الاقتتال الداخلـي خطورة فحسب ، بل يعمل ، لما يخلقه من بلبلة ولما قد يولده من ردود فعـــل غير مدروسة ، على حجب هذه الاخطار وطرق مجابهتها ٠

ان هذا يعني وضع الاحداث الاخيرة على ارضية الخلاف السياســـي القائم في الساحة الفلسطينية ٠ خلاف انعكس ، ولا يـزال ، علـى جـوانب عديدة من العلاقات بين فصائل الثورة ، وعلى أسلوب حل الخلافات بينها ٠ والخلاف السياسي أساسه صراع بين اتجاهين أساسيين : اتجاه يعتقـــد ، بحكم ما يمثله من مصالح وسمات طبقية ، ومن علاقات وارتباطـات عربيـة محددة ، بـان هناك دورا لمنظمة التحرير في مشاريع التسوية الامريكية ـ الصهيونية ـ العربية الرجعية ، وان عليها حتى تستقبل لهذا الدور ان تبدي « الاعتدال » المطلوب ، وأول شروط هـذا « الاعتدال » وضع حـد لوجـود وفعالية القوى الديمقراطية والتقدمية داخل منظمة التحرير والثورة الفلسطينية ٠

ان هذا ما يفسر ظواهر وممارسات عدة بدأت بسياسة التخريب تجاه الجبهة الوطنية الفلسطينية وتشجيع الانشقاقات في النقابات في الارض المحتلة ودعم

Digitized by Birzeit University Library

العناصر اليمينية والمعزولة في هذه المناطق ، وباشكال متعددة ، عبر استعدادات التكيف مع الوضع العربي الرسمي الراهن والاستجابة لضغوطات الرجعية العربية واغراءاتها الزائفة. وما نتج عن هذا، على سبيل المثال لا الحصر ، من صمت كامل في البداية من قيادة هذا الاتجاه اليميني ، عن زيارة السادات الاستسلامية للقدس المحتلة والاحجام عن شن نضال حقيقي ، وعلى مختلف المستويات ، ضد هذه الزيارة ونتائجها ، وابقاء العلاقات مع النظام المصري ...

وما يفسر ايضا حملات التعبئة ضد القوى الديمقراطية والتقدمية ، وتزايد الاستعداد لدى بعض قيادة هذا الاتجاه الى حسم الخلافات السياسية هذه بالسلاح ، وعبر التوتير العسكري .

هذا الوهم السياسي يفسر ، كذلك ، نزعة هذا الاتجاه نحو الهيمنة والاستئثار والتفرد ، سواء بالقرارات السياسية او بمؤسسات ومقدرات منظمة التحرير ، ومحاولاته فرض الهيمنة ، ايضا ، على الاتحادات الشعبية الفلسطينية . فهو يسعى ويريد ان يكون ، الاتجاه المهيمن في الساحة ، وان يفرض هذا بكل الوسائل ، دون الوسائل الديمقراطية ، وان يحتكم الى كل الاساليب ، بعيدا عن اسلوب الحوار الديمقراطي ، وبناء العلاقات الجبهوية .

الاتجاه الآخر ينطلق ، في تحديده للمهام الوطنية ، من ضرورة تركيز وتجميع وتكتيل كل القوى لمجابهة مشاريع الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية ، وعلى ضرورة نبذ كل الاوهام التي يحاول اليمين والرجعية العربيين زرعها ليس من قبيل التمسك بحقوق الشعب الفلسطيني ، بل لزرع الخلاف داخل الثورة والدفع بها نحو الاقتتال ، وخلق البلبلة والتشتت في صفوف الشعب الفلسطيني .

وفي الحالة هذه تصبح المهام المطروحة على الثورة ، وفصائلها المختلفة ، واضحة ، ومتعاكسة مع توجهات بعض قوى اليمين الفلسطيني : فاول هذا المهام ، في ظل الاوضاع العربية الرسمية المتردية ، ومحاولات للقوى الانعزالية اللبنانية ـ والصهيونية ، بدفع وتشجيع ودعم من الامبريالية

Digitized by Birzeit University Library

وتواطؤ من الرجعية واليمين العربي ، انهاء الوجود الفلسطيني المسلح والشعبي في لبنان ، لتسهيل طرق الاستسلام في المنطقة ، وفي ظل اصرار دولة العدو الصهيوني على الاستمرار في الاحتلال والضم الزاحف والقمع والتنكر لحقوق شعبنا عبر مشروع « الحكم الذاتي » ·· الخ ·

ان اول هذه المهام هو رص الصفوف بين جميع القوى الوطنية والديمقراطية والجذرية الفلسطينية والعربية لصد الهجوم ومراكمة القوى لشن الهجوم المعاكس · وعلى الصعيد الفلسطيني تقضي الوحدة الوطنية المنشودة ، وقبل كل شيء ، صيانة الخط السياسي لمنظمة التحرير كما اقر في وثائق ومؤتمرات هذه المنظمة ، وحماية هذه الوحدة في اطار منظمة التحرير ، ضد سياسات الانفراد والاستئثار ، وزرع الشقاق بين القوى الوطنية ، وبلبلة جماهير الثورة · بهذا نكون قد انجزنا خطوات هامة وحاسمة لاحباط دور الرجعية واليمين العربي داخل منظمة التحرير الفلسطينية ·

ان الخط السياسي الواضح ، في مجابهة مشاريع الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية ، وارساء الوحدة الوطنية على اسس جبهوية ديمقراطية ـ حيث يتحول الصراع الى عملية لتعميق الوحدة، وليس كما يفهم اليمين الى اقتتال دموي ـ هما الشرطان الاساسيان لتثبيت وترسيخ منظمة التحرير ، كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني · وهو ما يمكن من تطوير مختلف اشكال النضال ضد مخططات الاعداء ، وما يعمق من دعم القوى الوطنية والديمقراطية العربية ، وتعزيز مساعدة القوى الثورية والاشتراكية في العالم ·

بخط سياسي واضح ، متعاكس مع مخططات ومصالح الامبريالية ، وادواتها ، وحلفائها في المنطقة ، وبعلاقات ديمقراطية بين فصائل الثورة ، تحول منظمة التحرير الى جبهة وطنية فلسطينية متحدة ، تستقطب ، وتستنهض كافة طبقات وفئات الشعب الفلسطيني الوطنية في مواجهة مشاريع الاستسلام والتصفية ·

جميل هلال

Digitized by Birzeit University Library

الاساس الطبقي للحركة السياسية في الضفة الغربية المحتلة

عبد القادر ياسين

تلقت الضفة الغربية الاحتلال الاسرائيلي (حزيران ١٩٦٧) وهي اسيرة ظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية وفكرية بالغة السوء ، مما اضعف واخر قيام مقاومة منظمة وشاملة للاحتلال الاسرائيلي في هذه المنطقة من فلسطين المحتلة ·

فالاقتصاد متخلف وطفيلي ، في جوهره ، **يرتكن الى الانفاق الحكومي الاستهلاكي، الممول من المصادر الخارجية** · مما افقده اسباب الصمود في وجه الاقتصاد الاسرائيلي القوي ، نسبيا · فعلى سبيل المثال كان نحو ثلثي اليد العاملة ، عشية حرب حزيران ١٩٦٧ ـ وهي التي يشكلها اللاجئون ـ عاطلة عن العمل (١) ·

اما على الصعيد السياسي ، فكانت القوى الوطنية في الضفة الغربية منهكة ، والحركة الجماهيرية مقصومة الظهر ، بعد تعرضهما لضربات شرسة متلاحقة من النظام الاردني ·

لذا ، كان تاثير الاحتلال الاسرائيلي سلبيا وشديدا في المجالين الاقتصادي والاجتماعي للضفة الغربية · حتى غدت هذه الضفة ـ بحق ـ مستعمرة اسرائيلية · بعد ان الحق اقتصادها بالاقتصاد الاسرائيلي ، ليخدم الاول احتياجات الاقتصاد الثاني، **وبعد ان اخذ العجز في الميزان التجاري ، بين الضفة الغربية واسرائيل ، يتضاعف بشكل ملفت للنظر ، لصالح اسرائيل** · (من ٣ر٤١ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٧١ الى ٢ر٢٠٢ مليون ليرة عام ١٩٧٢) · وتعددت اشكال الاستغلال الاسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة ، معا : من **استغلال مالي** ، بالضرائب الباهظة ، والرسوم الجمركية العالية، والفوائد الربوية الفاحشة على القروض ، الى **استغلال تجاري** ، بالتبادل غير المتكافىء بين اسرائيل والضفة الغربية ، واخيرا **باستغلال الايدي العاملة العربية** (٢) ·

Digitized by Birzeit University Library

وارتكزت سياسة الاحتلال الاسرائيلي على الركائز الثلاث التالية (٣) :

اولا ـ الاستغلال الكولونيالي :

أ) **تكييف اقتصاد الضفة الغربية والحاقه بالاقتصاد الاسرائيلي** ، حيث يتضح تزايد الضفة المضطرد على المنتجات الاسرائيلية · اذ شكلت صادرات اسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة (عدا القدس العربية *) الى مجمل صادراتها الصناعية والزراعية (عدا الماس) نحو ٩ر١٤ ٪ لعام ١٩٧١ (٩٧ مليون دولار) ، و ٨ر١٦ ٪ لعام ١٩٧٢ (١٢١ مليون دولار) ·

في حين لم تشكل واردات اسرائيل من الضفة الغربية وقطاع غزة ، معا (عدا القدس العربية) اكثر من ١ر٨ ٪ من مجمل وارداتها لعام ١٩٧٢ (١ر٣٤١ مليون ليرة اسرائيلية ـ نحو ٨٥ مليون دولار ـ) ·

وبذا تكون الضفة الغربية والقطاع قد احتلتا ، معا ، المركز الثاني ، بعد الولايات المتحدة ، في الاقطار المستوردة من اسرائيل ·

ويتضح ، من طبيعة المواد المتبادلة بين اسرائيل والضفة الغربية ، **اضطراد الحاق صناعة الضفة الغربية بالاقتصاد الاسرائيلي** · اذ تتكون غالبية واردات اسرائيل من الضفة الغربية وقطاع غزة من منتجات صناعية خفيفة ، في حين تتكون اغلب صادرات اسرائيل الى هاتين المنطقتين من المواد الصناعية الاستهلاكية ·

وفي اطار تقسيم العمل الامبريالي العالمي ، فان اسرائيل تستورد من المناطق المحتلة ـ بأسعار متدنية ـ بضائع ذات محتوى تصنيعي ضئيل ، وتبيع لهذه المناطق منتجات مصنعة استهلاكية ، باسعار مرتفعة · فاخذت عدة صناعات في الضفة توجه انتاجها لتلبية طلبات رجال الاعمال الاسرائيليين ، وخاصة فيما يتعلق بمواد البناء والملابس والمفروشات والجلود والحلويات ·

وهكذا ، فان أصحاب رؤوس الاموال الاسرائيليين يجنون ارباحا مضاعفة ، اذ هم يؤمنون ايد عاملة اقل كلفة من الايدي العاملة الاسرائيلية ، ويخلقون ـ في الوقت نفسه ـ قوة شرائية ملائمة لتصريف منتجاتهم في الضفة الغربية وقطاع غزة ، في آن ·

كما يتم **الحاق زراعة الضفة بالاقتصاد الاسرائيلي** ، حيث ضيقت الحكومة الاسرائيلية الخناق على تصدير المنتوجات الزراعية الى اسرائيل من المناطق المحتلة ، خشية منافسة هذه المنتوجات لمثيلاتها الاسرائيلية ، ومن اجل الضغط على المزارعين في الضفة الغربية ، لزراعة المحاصيل التي تحتاجها اسرائيل · وما تضاعف كمية المحاصيل الزراعية المصدرة من الضفة الغربية الى اسرائيل الا مؤشر على نجاح

Digitized by Birzeit University Library

اسرائيل في تكييف زراعة المناطق المحتلة ، لسد احتياجات اسواقها · وقد ساعدت **المجالس الزراعية** – التي انشأتها سلطات الاحتلال في الضفة من كبار الزراع وبعض المسؤولين الاسرائيليين – على هذا النجاح . كما تم تشجيعها بواسطة « **المزارع التجريبية** » · ولتعزيز الارتباط بين الزراعة في الضفة الغربية والسلطات الاسرائيلية ، منحت السلطات قروضا للمزارعين في الضفة الغربية (اكثر من الف مزارع عام ١٩٧٠) كما اقامت **مكتبا للاشراف على التسويق** ·

ب) **سياسة الجسور المفتوحة** ، التي اتاحت نمو علاقات اقتصادية ، ساعدت على تكريس الهيمنة الاسرائيلية على اسواق الضفة والقطاع من جهة ، وعلى توسيع عملية الاستغلال والاستعمار من جهة اخرى · والمنتوجات التي تذهب عبر الجسور الى الضفة الشرقية لنهر الاردن هي ، بالدرجة الاولى ، منتوجات الضفة الغربية وقطاع غزة التي لا ترغب اسرائيل ، لسبب او لآخر ، في تصريفها في اسواق اسرائيل · كما ان هذه الجسور تسمح بتسرب البضائع والمنتوجات الزراعية والصناعية الاسرائيلية الى الاسواق العربية ·

وقد ارتفعت قيمة صادرات الضفة والقطاع ، عبر الجسور ، عام ١٩٧٢ (١ر١٢١ مليون ليرة اسرائيلية) الى اكثر من الضعف ، عما كانت عليه عام ١٩٦٨ (٣ر٥٤ مليون ليرة) · وكان نحو ثلثي قيمة هذه الصادرات من حصة المحصولات الزراعية ·

اما واردات المناطق المحتلة الصناعية ، عبر الجسور ، والتي لم تتجاوز ١٠ر١٥ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٧٢ ، فيغلب عليها طابع الانتاج الصناعي الخفيف (الزيتون ، الالبان ، والمنسوجات) وبعض المواد الخام اللازمة للصناعة في الضفة الغربية ، والتي يستورد بعضها من خارج الاردن ·

وتشجع اسرائيل التصدير من المناطق المحتلة عبر الجسور ، لتحقيق جملة اهداف، لعل اهمها :

(١) **افراغ الضفة الغربية من منتوجاتها** الزراعية والصناعية بما يفسح المجال امام السلع والمنتوجات الاسرائيلية ·

(٢) ساهمت عمليات التصدير في **تامين مبالغ كبيرة من النقد الاردني** في البنوك **الاسرائيلية** ·

(٣) خلق علاقة يومية اعتيادية بين الاقتصاد الاردني والاقتصاد الاسرائيلي ،

Digitized by Birzeit University Library

(٤) **تخفيف حدة التوتر العسكري** ، بين اسرائيل والدول العربية عموما ،

(٥) **جني المزيد من الاموال بالرسوم الجمركية** المفروضة على الواردات والصادرات بالاضافة الى ما يرسله المغتربون من أبناء الضفة الغربية الى ذويهم هناك ، والى ما يصرفه « زوار الصيف * » خلال اجازاتهم التي يقضونها في الضفة ·

(ج) **استغلال العمل العربي** ، ففي داخل الطبقة الاسرائيلية الحاكمة ، نجح التيار الداعي الى تشغيل العمال العرب في المصالح والمشاريع الاسرائيلية ـ وهو التيار الذي قاده موشيه دايان ـ نجح في تغليب وجهة نظره · فتم السماح لعمال الضفة الغربية بالعمل داخل الكيان الصهيوني منذ اواخر ١٩٦٨ ، بعد اشتداد حاجة الاقتصاد الصهيوني للمزيد من الايدي العاملة ·

واخذ عدد العمال العرب من ابناء الضفة والقطاع العاملين في (اسرائيل) يتزايد ، في اضطراد · حيث قفز من نحو عشرة الاف عامل في ايلول (سبتمبر) ١٩٦٩ ، الى نحو ٦٩ الفا في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٣ · اي اكثر من ثلث مجموع القوة العاملة في الضفة الغربية وقطاع غزة · هذا عدا الذين ارتبطوا منهم في اعمال خارج نطاق مكاتب العمل التابعة للهستدروت ، وهم كثيرون ، وعدا نحو عشرين الفا آخرين عملوا في مشاريع عربية داخل المناطق المحتلة قديما (منذ ١٩٤٨) · مما يجعل نحو نصف القوة العاملة العربية في الضفة والقطاع تعمل داخل الكيان الصهيوني، وهي نسبة أخذت في الازدياد ·

ولا بد من ملاحظة ان نقمة هؤلاء العمال ضد اسرائيل لم تنته · وقد اتضح ذلك عندما اعربوا عن سخطهم على الكيان الصهيوني ، بأساليب شتى ، خلال حرب تشرين (اكتوبر) ١٩٧٣ ، وخلال الغارات الاسرائيلية المتكررة على المخيمات الفلسطينية في لبنان ·

ثانيا ـ الاستيطان والضم التدريجي : بالمصادرة ، وبناء المستوطنات ، وتصفية مخيمات اللاجئين ، ومصادرة الاراضي ·

ثالثا ـ سياسة التبديد القومي تجاه اهالي الضفة الغربية : من اخماد وقمع اشكال مقاومة الاحتلال ، وطمس الهوية القومية للشعب الفلسطيني ، بتدمير بعض القوى ورفض عود النازحين ، ودفع السكان الى الهجرة ، بالضغط الاقتصادي والارهاب ·

* اطلق هذا المصطلح على الذين يدخلون الاراضي المحتلة بهدف زيارة ذويهم · ولما كانت غالبيتهم تقوم بهذه الزيارات أثناء العطلات الدراسية ـ لكونهم طلبة جامعيين ومدرسون في دول الجزيرة العربية في معظمهم ـ فقد جاءت زياراتهم خلال الصيف ·

Digitized by Birzeit University Library

الآثار الاجتماعية للاحتلال :

عشية حرب ١٩٦٧ ، كان تعداد الفلسطينيين في شتى المناطق والاقطار ، حوالي ٢ر٣٥٠ر٠٠٠ نسمة ، موزعين على النحو التقريبي التالي :

١ ـ لاجئون ينالون أو لا ينالون اعاشة	١ر٣٤٥ر٠٠٠
٢ ـ سكان الضفة الغربية غير اللاجئين	٤٧٥ر٠٠٠
٣ ـ سكان قطاع غزة اللاجئين	١٣٠ر٠٠٠
٤ ـ سكان قطاع غزة غير اللاجئين	١٠٠ر٠٠٠
٥ ـ اشخاص لم يسجلوا اطلاقا كلاجئين ، ويعيشون خارج الاردن وقطاع غزة	٣٠٠ر٠٠٠
المجمـــوع	٢ر٣٥٠ر٠٠٠

وهذا يعني ان ٥٧ ٪ من الفلسطينيين كانوا لاجئين عشية الحرب المذكور ، وهؤلاء « لاجئون ينالون أو لا ينالون اعاشة » ، اي انهم يعيشون معتمدين على مساعدة وكالة الغوث وعلى مجهودهم العملي فقط · كذلك فان ٢٦ ٪ من الفلسطينيين كانوا من سكان الضفة الغربية (٢٠ ٪) وقطاع غزة (٦ ٪) غير لاجئين · اي من الفلاحين في غالبيتهم، وبنسبة اقل من الطبقات الوسطى والبرجوازية الصغيرة ، بالاضافة الى نسبة اقل من الرأسمالية وبقايا الاقطاع · وخارج الضفة الغربية وقطاع غزة كان حوالي ٤ ٪ من الفلسطينيين ممن لم يسجلوا اطلاقا كلاجئين · وهؤلاء من الرأسماليين والطبقات الوسطى والمغامرين ، الذين ارتبطت غالبيتهم بالفعالية الاقتصادية للطبقات السائدة في الدول العربية ونشاطها الرأسمالي ، من بنوك ومقاولات وتجارة داخلية وخارجية كبيرة وملكيات عقارية ، وبنسبة اقل وسائل انتاج صناعي وزراعي · اما في اسرائيل فكان حوالي ١٣ ٪ من الفلسطينيين تحت الحكم العسكري الى ما قبل حرب ١٩٦٧ بفترة وجيزة · وغالبيتهم من الفلاحين ، او عمال البناء والخدمات والصناعات صغيرة * ، واقليتهم من بقايا الاقطاع في فلسطين او من الطبقات الوسطى الموجودة على هامش الرأسمالية اليهودية في فلسطين (٥) .

الآثار الجغرافية والبشرية :

وتركت حرب ١٩٦٧ مجموعة لا يمكن تجاهلها من الآثار الجغرافية والبشرية والاجتماعية على بقية الضفة الغربية .

فجغرافيا اصبحت الضفة الغربية وقطاع غزة ـ اضافة الى الجولان وسيناء ـ خاضعتين للسلطات الاسرائيلية .

Digitized by Birzeit University Library

وبشريا ، نزح نحو ٤١٠ر٠٠٠ لاجيء فلسطيني من الضفة الغربية وقطاع غزة معا ، الى شرقي الاردن ، منهم حوالي عشرين الف نزحوا اثناء الحرب نفسها (٦) · وبانتهاء الحرب المذكورة ارتفعت نسبة الفلسطينيين الخاضعين للحكم الاسرائيلي من ١٢ ٪ الى ٦٥ ٪ (نحو ١ر٥٦٥ر٠٠٠ نسمة) ·

واجتماعيا ، حدث تحول ملحوظ في المواقف الاجتماعية للطبقات المختلفة في الضفة والقطاع (٧) :

١ ـ فثمة طبقة صغيرة الحجم من **بقايا الاقطاع والبرجوازية الكومبرادورية** . وتعمل هذه الطبقة ـ بحكم مصالحها ـ بالتعاون مع العدو الاسرائيلي ·

٢ ـ **البرجوازية الوطنية** ، التي تعتمد على التجارة والخدمات والملكيات العقارية وبعض الصناعات المحلية · وهي طبقة تتناقض مصالحها مع الرأسمالية الاسرائيلية ، في كثير من الاحيان ، ولكنها ـ بحكم مصالحها ايضا ـ تتوجه الى سلطات الاحتلال « مناشدة » اياها رفع القيود عنها ، او « محتجة » على امر يحد من حريتها في الحركة الاقتصادية · وامكانية مساهمة قطاع كبير من هذه الطبقة في الحركة الوطنية امر وارد ، وان حملت هذه الامكانية في احشائها احتمال ان تقود هذه الطبقة الحركة الوطنية في طريق المساومة مع اسرائيل ، في حالة سيادة فكر هذه الطبقة ومنهجها في الحركة الوطنية ·

ولا تميل هذه الطبقة ، كثيرا ، الى اقامة مشاريع صناعية ، ربما بسبب كون معظم فئاتها غير مثقفة ، مما يجعل حركتها محكومة ـ الى حد بعيد ـ بالرغبة في الادخار ، وليس الاستثمار ، بسبب انعدام الاستقرار السياسي في الضفة الغربية والقطاع · والميل الضعيف هذا يفسر ـ الى حد ما ـ تدفق العمال العرب الى اسرائيل من جهة ، والتوسع في البناء والتشييد قبل الاحتلال الاسرائيلي ، من جهة اخرى ·

وضعف البرجوازية الوطنية هذا اوقعها اسيرة الاقتصاد الاسرائيلي ، ونزع عنها ـ شيئا فشيئا ـ الوجه الوطني ، وطفقت تتعاون مع الرأسمال الاسرائيلي ، في انشاء مشاريع مشتركة ، اسرائيلية ـ عربية ·

اما عدم استقرار البرجوازية الاقتصادي فربما كان بسبب اعتمادها ـ بصورة اساسية ـ على الانفاق الحكومي غير المستقر ، والممول من مصادر غير مضمونة · في حين يعود سبب عدم استقرار الانفاق الحكومي الى تفاوت احجام المساعدات الخارجية ، من سنة الى اخرى · مما زاد وضع هذه الطبقة صعوبة ، واوقف كثيرا من مؤسساتها ونشاطاتها ، وضاقت السوق المحلية عن استيعاب منتجاتها او خدماتها ، على قلتها ·

Digitized by Birzeit University Library

وفي محاولتها لتلافي هذا العجز ، كانت الحكومة الاردنية تشمل هذه الطبقة باجراءاتها الادارية والمالية ·

وتتاثر هذه الطبقة ـ بحكم دخلها المحدود ـ بارتفاع الاسعار ، وبالضرائب غير المباشرة ، اكثر من تأثر الفئات الاعلى منها · كما ان واقع ارتباطها الشديد بالقضية الوطنية جعلها ـ بوجه عام ـ معادية للامبريالية ، التي تدعم اسرائيل ، وتحمي عدوانها ·

وفي سبيل دفع هذه البرجوازية الى الافلاس ، لجأت الرأسمالية الاسرائيلية ، مثلا ، الى اعطاء الضفة الغربية السلع نفسها باسعار عدة ، مما يخلق بلبلة في صفوف هؤلاء التجار، ويعمق أزمة الثقة في السوق المحلية، ويساعد على افلاس التاجر المحلي ، ويضطره للتحول الى تابع وذيل لشركات الاسرائيلية ·

وواجهت **البرجوازية الصناعية** في الضفة ـ تحت الاحتلال الاسرائيلي ـ مشاكل كان لها أثر بالغ على مسار وتطور هذه الفئة ، اولا بسبب ضعف هذه البرجوازية الشديد ، وثانيا لعجزها عن منافسة الصناعة الاسرائيلية ، وثالثا لاعتمادها على مواد اولية مستوردة ، واخيرا بسبب تعرضها لاغراءات من اصحاب المصانع والمشاغل لتصدير صناعاتهم الى الدول العربية · على ان هذا لم يمنع بعض الصناعات الخفيفة من ان تقوم ، بسبب الرغبة في مواجهة البضائع الاسرائيلية اولا ، واستجابة للتخصص الذي فرضته اسرائيل على الضفة ثانيا ·

اما **البرجوازية التجارية الكبيرة** فقد نشطت ، خلال سنوات الاحتلال ، وجنت أرباحا هائلة ، مما جعل هذه الفئة اشد مهادنة للاحتلال الاسرائيلي من غيرها من الطبقات والقطاعات والفئات · على ان **التجار الصغار والمتوسطين** تضرروا من الاحتلال ، بسبب ضيق دخلهم ، وتأثرهم بارتفاع الاسعار ، ولوقوعهم تحت ضغط التجار الاسرائيليين وكبار تجار الضفة ، واخيرا بسبب الضرائب الباهظة التي فرضها الاحتلال الاسرائيلي عليهم ·

ولعل اكثر الفئات البرجوازية المتوسطة والكبيرة تأثرا بالاحتلال ، **البرجوازية الزراعية** ، اولا بسبب مصادرة حكومة اسرائيل لمساحات شاسعة من الاراضي ، وثانيا بسبب تقلص حجم العمال الزراعيين وارتفاع اجورهم بالتالي ، وثالثا لفرض قيود على تصدير المنتجات الزراعية ، واغراق الضفة بالمنتجات الزراعية الاسرائيلية · كما ان هذا كله اجبر بعض البرجوازيين الزراعيين على الاسراع في ميكنة الزراعة بالضفة الغربية * ،خاصة وان ١١ ٪ من الملاك هم من الزراعيين الكبار (مائة دونم فما فوق) في الضفة يملكون حوالي ٥٠ ٪ من الاراضي الزراعية بالضفة · وفي هذا ما يفسر الاتساع الملموس في حجم المنتجات الزراعية للضفة الغربية ·

Digitized by Birzeit University Library

ومن هـذا كله ، يتضح **ان البرجوازية ، بمختلف فئاتها ، تتعارض مصالحها مع الاحتلال الاسرائيلي** ، على الرغم من ازدياد ارباحها في ظله · اذ تولد التناقض من جراء عدم استقرار اسواق هذه البرجوازية عبر الجسور المفتوحة ، **والفزع من توقع** ضرب السلطات الاسرائيلية للمرتكزات الاقتصادية لبرجوازية الضفة ، **مستقبلا** ، **لتنهيها نهاية مثيلتها العربية في الوطن المحتل قديما** (١٩٤٨) ·

٣ ـ **البرجوازية الصغيرة** ، التي تشكل بحرا واسعا ، يضم اصحاب الحرف ، وصغار التجار ، والمقاولين الصغار ، واصحاب المحلات ··· الخ ، **وهي طبقة غير** متجانسة ، لا في وضعها الطبقي ، ولا موقفها السياسي · على ان غالبيتها تتضرر من عدم الاستقرار ، ومن انخفاض حركة الخدمات والتسويق الاستهلاكي ، الذي يشكل مورد معيشتها الاساسي · وهي لا تستطيع ـ في غالبيتها ـ ان تنافس او تفيد كثيرا من نشاط الرأسمالية (الاسرائيلية) ·

وفي عام ١٩٧٢ ، كانت غالبية البرجوازية الصغيرة في الضفة الغربية تتكون من الفلاحين الصغار (٢٨ر٧٠٠ نسمة) ، بما يوازي ٥٣ر٧ ٪ من الحجم الكلي للطبقة · اذ امتلك ٧١ر٥ ٪ من الملاك الزراعين ، عام ١٩٧٠ ، في الضفة ، حيازات زراعية يقل حجم كل منها عن خمسين دونما ، وشكلت ـ في مجموعها ـ ٢٨ ٪ من الاراضي الزراعية في الضفة ، والتي تبلغ مساحتها ٢ر١ مليون دونم ·

ويشكل الفلاحون المتوسطون (٥٠ ـ ١٠٠ دونم) نحو ١٧ر٢ ٪ من مجموع الملاك الزراعيين ، يملكون ـ في مجموعهم ـ نحو ٢٢ ٪ من الاراضي الزراعية في الضفة الغربية ·

وضمت فئة اصحاب المتاجر والمشاغل الحرفية الصغيرة نحو ١٦ر٧٠٠ شخصا ، اي نحو ٣١ر٣ ٪ من اجمالي حجم الطبقة · وحافظ **العاملون لحسابهم في قطاع التجارة على حجمهم** ، مع زيادة طفيفة · حيث كانوا ، عام ١٩٦٩ ، نحو ١٠ر٨٠٠ ، **فاصبحوا** عام ١٩٧٢ ، نحو احد عشر الفا · فأتت **البرجوازية الصغيرة التجارية** ـ من حيث الحجم ـ في المرتبة الثانية بعد **البرجوازية الصغيرة الريفية** ، ويليها **البرجوازية الصغيرة الحرفية** ، التي بلغ حجمها ، عام ١٩٦٩ ، نحو ٩٠٠ر٥ شخصا ، هبط الى نحو ٧٠٠ر٥ شخصا ، في عام ١٩٧٢ ·

وبلغ حجم **الموظفين** ، عام ١٩٧٢ ، نحو ١٢ر٧٠٠ شخصا · اما **اصحاب الشهادات والمؤهلات** العلمية التي تعمل لحسابها فبلغ عددها ، عام ١٩٧٢ ، نحو ١ر٢٠٠ **شخصا** فقط ، اغلبهم من الاطباء والصيادلة والمهندسين والمحاسبين · والاصح **اعتبارهم برجوازية متوسطة** ، بسبب تمكنهم من جمع مبالغ من المال ، **واستثمارها** ·

Digitized by Birzeit University Library

٤ ـ **طبقة العمال** ، التي تضم الافا متزايدة من العمال العرب ، استوعبت الصناعات (الاسرائيلية) اكثر من نصفهم · كما تشمل العمال الزراعيين ، والعمـــال الموسميين والمياومين ، وعمال البناء ··· الخ ، في الضفة والقطاع · ويلاحظ ان العمال العرب قد تم استيعابهم في مجالات العمل زهيدة الاجر ، وفي مجالات العمل غير الماهر · وهم مستغلون الى الحد الاقصى ، ومحرومون من الحقوق المهنية والاجتماعية ·

وبالنسبة **للعمال الزراعيين** فقد تقلص حجمهم في الضفة الى نحو ثمن (١/٨) ما كان عليه قبيل حرب ١٩٦٧ · كما بدأت ـ مع تشغيل العمال العرب ـ هجرة واسعة من العمل الزراعي الى اعمال اخرى ، خاصة اعمال البناء · وغدت الطبقـــة العاملة في الضفة الغربية تشكل نحو نصف مجمـــوع السكان العاملين · كما شكل العمال المهرة وشبه المهرة نحو ثلث الطبقة العاملة فقط · في الوقت الذي استوعب قطاع الزراعة في الضفة ، عام ١٩٧٢ ، نحو ١٨٫٥ الفا ، او ما يعادل ٣٠٫٨ ٪ من القـوة العاملة ، فان مجموع عدد العمـــال الزراعيين لم يتجاوز ٩٫٧٠٠ شخصا ، او نحو ٧٫٧ ٪ فقط من مجموع السكان العاملين · اي ان **التحـول كان في تقلص حجم عمال الزراعة العددي والنسبي ، وانتفاخ حجم العاملين في البناء ، بشكل خاص** · فتقلص عـدد العاملين في الزراعة بما لا يقل عن احد عشر الفا ، في المدة من عام ١٩٦٩ الى ١٩٧٢ · في حين زاد عدد العاملين في البناء ، من اهالي الريف ، في المدة نفسها ، الى نحو ١٠٫٤٠٠ شخصا · وصاحب هذا تقلص في عدد الفلاحين الفقـــراء ، بسبب امتصاص العمل المأجور في (اسرائيل) لهم ، فانخفض عددهم ـ في المـــدة نفسها ـ بمعدل ٢٫٠٧٥ شخصا ، سنويا ·

على ان هذا التطور الكمي للطبقة العاملة لم يرافقه تطور كيفي ، نقابي وسياسي ، ربما بسبب امتصاص العمل الاسرائيلي لاكثر مـــن نصف عمال الضفة ، مما ابعد هذه النسبة عن المساهمة في تطوير اقتصاد الضفة ، وعرض هذه النسبة ، ايضا ، للبطـالة الواسعة المفاجئة ، كما ان عمل الغالبية جاء في مجال البنـــاء ، حيث مستوى الترابط وتقسيم العمل للفئات العاملة ادنى منه في المؤسسات الصناعية المتوسطة والكبيرة ·

وعموما ، **فالطبقة العاملة هنا اصيلة المصلحة في التحرر الوطني وانهاء الاحتلال الاسرائيلي** ، وان كان صغر حجمها ، وارتباطاتها الحميمة بالريف ، وعمل اغلبها في المشاريع الصناعية (الاسرائيلية) غير المتقدمة ، وضعف وعيها النقابي والسياسي ، هذا كله اعاق حشدها في الكفاح ضد الاحتلال الصهيوني ·

٥ ـ **الفلاحون** ، الذين عانوا ـ وما زالوا ـ من اساليب القمع الصهيونيـة ، كما انهم يشكلون المصدر الاساسي للنازحين ولطبقة العمال التي تنمو في المدن والضواحي ·

وقد انتقل فلاح الضفة الغربية ـ بعد الاحتلال ـ الى نمط الانتـــاج الرأسمالي ،

Digitized by Birzeit University Library

بخطى أسرع منها تحت الحكم الاردني · وسحب هذا النمط نفسه على العمل والانتاج الزراعي ، فتناقصت رقعة الارض المستغلة ، الى حد كبير ، بسبب ضعف مردود اجزاء كثيرة من الاراضي ، بما لا يشجع مالكها على العمل الزراعي ، في الوقت الذي يدر العمل المأجور في (اسرائيل) اجورا أعلى · على ان **دخل الفلاحين من العمل داخل (اسرائيل) هو بلا اساس انتاجي ·**

ويحمل انتقال الفلاحين هذا في احشائه تحطيما لموضوعة الالتحام بالارض · وحيث تم افراغ الارض النسبي أمكن الحاقها بالاقتصاد (الاسرائيلي) ، الاكثر تطورا، وتنوعا ، وتخطيطا · هذا على الرغم من ان بعض مجالات الزراعة المحلية توسعت رأسيا ، وان تقلصت افقيا ·

ويرى **أريئيه برجمان** ـ في كتابه «النمو الاقتصادي في المناطق المحتلة من ١٩٦٨ ـ ١٩٧٣ » ـ **ان الزراعة في المناطق المحتلة « قد كيفت نفسها للسوق الاسرائيلية »** ، حيث تحسنت وسائل زراعة الخضار ، وتزايد انتاجها الى خمسة اضعاف حجم الانتاج السابق على الاحتلال الاسرائيلي · والسبب هو ان حكومة (اسرائيل) تشجع زراعة الخضار ، بسبب حاجة (اسرائيل) الشديدة لها ، في حين تضرب زراعة البطيخ ، حيث لا تعول على الافادة منها ·

وتلعب دوائر الزراعة الاسرائيلية دورا كبيرا في اغراء المزارع العربي **كي** يزرع المنتجات المناسبة لحاجة السوق (الاسرائيلية) · حيث تقدم لهذا المزارع مكافآت مالية او سلعية في حالة استجابته لطلباتها في هذا الصدد ·

ودخل عدد كبير من نساء القرية الى سوق العمل الصناعي في مصانع الاحتلال ، وبذلك تحققت تطورات جديدة ، ايضا ، على مساحة العمل الزراعي ، حيث لم تعد المرأة تشارك زوجها في العمل الزراعي · مما غير من طبيعة علاقتها بزوجها او بوالديها ، ان لم تكن متزوجة · وتعزز مركزها الاجتماعي ، بحكم الموقع الاقتصادي الجديد الذي احتلته ، وليس بحكم القناعة الفكرية لاسرتها · وقد عززت طبيعة العمل هذه كيفية عمل المرأة في البيت ، اذ ـ غالبا ـ ما اعفيت من اعمال المطبخ ، وتجهيز الخبز بيتيا ·· الخ·

٦ ـ **اللاجئون** ، الذين تضمهم تجمعات بشرية ضخمة ، هي المخيمات (٢٠ مخيما) ، يجمعها الفقر ، ويختلط فيها العمال المهرة والاجراء والفلاحون المشردون وبعض عناصر البرجوازية الصغيرة · وتكمن اهمية اللاجئين بالنسبة للحركة السياسية ، في تجمعاتهم من جهة ، مما يسهل حشدهم ضد الاحتلال ، وفي تردي احوالهم المعيشية من جهة اخرى · بما يخلق عندهم اساسا قويا لعدائهم للاحتلال (الاسرائيلي) ·

وتشير نتائج احدى الدراسات الاسرائيلية الميدانية ، عن احد مخيمات الضفة

Digitized by Birzeit University Library

الغربية * ، الـى ان ما تقدمه **الاونروا** من مساعدات لا تزيد نسبته عن ٢ر١١ ٪ من دخل العائلة العادية في المخيم ، وترتفع هذه النسبة الى ٢٧ ٪ بالنسبة للعائلات الـتي تعيش ظروفا معيشية قاسية ، كما هو الحال في العائلات التي فقدت معيليها · وتقـدر نسبة الموارد العامة التي تقدمها الاونروا لسكان هذا المخيم بحوالي ربع (¼) المـوارد المتوفرة · واذا ما ضيف الى هذه النسبة ما يكسبه العاملون مـع الاونروا ، كأجور ورواتب ، يصبح مجموع ما تقدمه الاونروا الى موارد المخيم نحو ثلث الموارد المتوفرة ، ويأتي الباقي من العمل الاعتيادي المأجور ، او عن طريق المشاريع الصغيرة التي يملكها ويديرها اهالي المخيم · وتشير الدراسة الى ان حوالي ثلاثة ارباع العاملين في المخيم كانوا يعملون في المدن ·

وهذا المخيم يكاد يكون صورة طبق الاصل لاغلبية مخيمات الضفة الغربية ·

ويشير التوزيع المهني في هذا المخيم الى ان ٢٢ ٪ مـن السكان العاملين عملوا لحسابهم الخاص ، وان ٤٨ ٪ عملوا كموظفين (على اساس شهري او اسبوعي) ، في حين عمل ٣١ ٪ عمال مياومين · والفارق الرئيسي بين سكان المخيمـات وبين سكان الريف في الضفة الغربية هو الملكية العقارية والزراعية · حيث يفتقد سكان المخيمات هذه الملكية : وان كانت نسبة محدودة جدا من اللاجئين تمتلـك بعض المشاغل البسيطة والقليل جدا من التركتورات · ويشير الاحصاء الاسرائيلي لعام ١٩٦٧ الى ان حـوالي ٩ر٧ ٪ من العائلات الموجودة في مخيمات الضفة الغربية كلهـا كانت تمتلك او تدير حيازات زراعية ، اغلبها صغير المساحة ·

وعمقت سلطات الاحتلال الاسرائيلي من تأثير مجمل هـذه العوامل الاقتصادية والاجتماعية والبشرية والجغرافية على بنية الضفة الغربية ، بعرقلتها التطور الفكري للضفة · وفي هذا المجال شهد الدكتور **حنا ناصر** ـ مدير كلية بيرزيت (اعلى مؤسسة تعليمية في الارض المحتلة) ـ امام احدى اللجان الدولية ، بان السلطات الاسرائيلية تتدخل في شؤون التعليم العالي ، وتمارس اعمال مضايقة في هذا الشان · وذكر ان هذا التدخل والمضايقة قد اعاقا عملية التطور الفكري وتكوين افـراد مستقلين ومؤهلين اكاديميا في الاراضي المحتلة ، بفرض ضرائب عالية على الكلية ، وخطـر توسعها ، وفرض شروط مستحيلة على قبول العاملين المؤهلين ، وتقييد حرية التعبير داخل الكلية، واخيرا المضايقات المستمرة ، كاغلاق الكلية دون ما **مبرر**(٨) ·

وبعـد ،

فلعل في هذا العرض المؤصل ، المقتضب ، ما يلقي الضوء الكافي عـلى الاساس الطبقي للحركة السياسية في الضفة الغربية تحت الاحتلال الاسرائيلي ، وموقف كل طبقة اجتماعية على حدة ، وامكاناتها ، وافاق الحركة السياسية في الضفة ، كجزء مـن الحركة السياسية الفلسطينية ·

Digitized by Birzeit University Library

حواشي

(١)الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين · **حول العفويـــــة والنظرية في العمل الفدائي الفلسطيني** · د · ت · ، ص ٧٠

(٢) جميل هلال · **الضفة الغربية ـ التركيب الاقتصادي الاجتماعـــي** ، ١٩٤٨ ـ ١٩٧٤ · منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، ١٩٧٥ ، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ·

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٠٧ ـ ٢٢٣ ، ٢٣٤ ـ ٢٣٥ ـ ٢٣٧ ـ ٢٥٨ ـ ٢٧٤ ·

* تستثني الاحصاءات الاسرائيلية القدس العربية من الاراضي المحتلة ، بعد أن ضمتها ، رسميا الى (اسرائيل) ·

** في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٤ كان الدولار الامريكي = ٤ ليرات اسرائيلية ·

(٤) الجبهة الشعبية الديمقراطية ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٦٦ ·

* قلما يوجد عمال عرب في الصناعات الثقيلة (الاسرائيلية) ، ذلك لاسباب تاريخية ، تتعلق **بالنمو الاقتصادي (الاسرائيلي) ، وفعالية المستدروت ، وهجرة العرب من الريـف الـى المدن** وضواحيها ، وضعف خبراتهم الفنية ·

الجبهة الديمقراطية ، ص ٦٨

(٥) الجبهة الشعبية الديمقراطية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٦ ·

(٦) سامي هداوي · **ملف القضية الفلسطينية** · بيروت ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، ١٩٦٨ ، ص ٧٢ ·

(٧) **المصدر نفسه** ، ص ٧٥ ـ ٧٩ + عادل سماره · **اقتصاد المناطق المحتلة ـ الالحاق يعمق التخلف** · القدس ، دار صلاح الديـــن ، ص ١٥ ، ٢٩ ـ ٣٠ ، ١٠٤ ـ ١٠٨ ، ١٤٢ + هـــلال ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ ، ٢٨٨ ـ ٣٠٢ + يساري أردني ، **بعض ملامـــح الصراع الاجتماعي في الاردن** · بيروت ، دار الفارابي ، ١٩٧٢ ، ص ١٢٥ ـ ١٢٦ ·

* ارتفع عدد التراكتورات من ٤٥٩ عام ١٩٧٠ الى ٨٦١ أواخر ١٩٧٣ ·

هلال ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٢٩٩ ·

* **مخيم الجلزون** ، الذي يقع على بعد ٥ كم شمالي مدينة رام الله ـ البيرة ·

(٨) الامم المتحدة ، الجمعية العامة · **تقرير اللجنة الخاصة المعنية بالتحقيق في الممارسـات الاسرائيلية التي تمس حقوق الانسان لسكان الاراضي المحتلة** · اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٥ ، ص ٢٢ ـ ٢٣ ·

Digitized by Birzeit University Library

السياسة العربية بين مشكلة المصير القومي ومشكلة الاوضاع الاجتماعية

عبد الرحمن غنيم

لعل الوطن العربي لم يمر بفترة من الفوضى واختلال المفاهيم السياسية مثلما هو حاله اليـــوم ..

ومن المؤكد أن السبب الاساسي لهذه الفوضى ولهذا الاختلال في المفاهيم ، يعود الى عدم القدرة على التوفيق بين متطلبات مشكلة المصير القومي ومتطلبات مشكلة الاوضاع الاجتماعية ، وهو التوفيق الذي ساد سياســة التضامن العربي لبعض الوقت ، ثم ما لبث ان انهار وتهاوى .. وهذا الاختلال لم يجيء بطبيعة الحال بحكم الصدفة .. لقد كان وليد النمو الخيالي للثروة العربية ، الناجمة عن ارتفاع أسعار النفط وتمركز هذه الثروة في عدد محدود من الاقطار العربية .. كما كان وليد ازدياد اهمية النفط بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية ، مثلما كان نتيجة تطور حجم التحدي الذي يشكله الصراع العربي ــ الصهيوني ، بحيث باتت الحرب العربية ــ الاسرائيلية ، بالضرورة ، حربا من النوع الذي تستخدم فيه قوى كبيرة ، وتتعرض فيه مساحات كبيرة للدمار ، وتختصر فيه المسافات البعيدة ، ليصبح الوطن العربي ، بمجمله ، ساحة حرب ..

فهذه التطورات ، قادت الى نقل ادارة الصراع العربي ــ الصهيوني من زاوية التضامن القومي مع اقطار المجابهة الى زاوية لاهتمام القطري لكل الاقطار ، بحيث اختفى ذلك الستار الرقيق الذي كان يفصل بين اقطار المجابهة واقطار المساندة ، على صعيد تحديد الادوار . وفي ضوء عدم قدرة معظم الاقطار العربية ــ وخاصة تحت تأثير دور النفط والتراكم النقدي لديها ــ على ايجاد تصور للعلاقة بين مشكلة المصير القومي والمشكلة الاجتماعية ، بما يضمن تغليب مشكلة المصير القومي ، في هذه المرحلة ، على المشكلة الاجتماعيـــة ، فان تعميم الاهتمـــام القطري بالصراع العربي ــ الصهيوني ، او الشعور القطري بالمسؤولية المباشرة في هذا الصراع ،

Digitized by Birzeit University Library

اسقط سياسة التضامن العربي التقليدية ، ولم يهتد الى سياسة تضامن قومي بديلة .

وهكذا وقع الاختلال ، وتعمق ، وما زال يتعمق . ان المحور الاساسي الذي يدور حوله هذا الاختلال هو محور الاقدام والفرار !

فالساحة العربية منقسمة ، الان ، بين من يواصلون اداء مهمتهم القومية في مجابهة الغزو الصهيوني — الامبريالي ، وبين من يفرون من هذه المجابهة ، ويهمهم ان يؤكدوا فرارهم منها ، لاعتبارات تتصل بحسابات المشكلة الاجتماعية . وبينما تمثل جبهة الصمود والتصدي قطب الاستقطاب للذين يصرون على سياسة الاقدام والتصدي ، فان موقف نظام **السادات** وحلفائه يمثل قطب الاستقطاب للذين يصرون على سياسة الفرار . **فالسادات** ، في سياسته ، ليس قطبا معزولا في عالم السياسة العربية الراهنة .

لنتوقف قليلا عند سياسة قطب الفرار في السياسة العربية ، لمحاولة فهم الكيفية التي يفكر بها اصحاب هذه السياسة ، واين يتجهون .

تقول **آني كريجيل** في صحيفة « **الفيغارو** » الفرنسية (١٧ تموز ١٩٧٨) في تفسير سياسة هذا الاتجاه :

« ان هنالك معطيتان لا بد من اخذهما بعين الاعتبار . اولاهما ، واكثرهما حسما ، تتعلق بالتغير الجذري الذي طرأ على الاوضاع في الشرق الادنى بكامله : وهي ان العالم العربي المعتدل ، الذي كان يظن انه يتفوق على اسرائيل ، من حيث عامل الزمن ومروره ، هذا العالم ، بالذات ، قد فقد هذه الميزة ، التي كانت له على اسرائيل . بل ان هذا العالم قد اصبح اكثر قلقا من اسرائيل . وطالما انه لا يستطيع ان يزيح هذا العبء الاسرائيلي عن كاهله ، عن طريق الحرب والقتال ، فلا بأس ان يتعود عليها ويألف وجودها ، عن طريق الصلح والسلام . بعد ان اضطر الى ان يدخل على تفكيره ومحاكمته ، في الاشهر الاخيرة ، بديهيتين جديدتين : احداهما ان الولايات المتحدة لا تستطيع ان تذهب بعيدا جدا ، الا اذا اقدمت على ارتكاب الخطأ الذي لا يمكن اصلاحه ، أي على محاولة خلق توازن جديد ، بين عالم عربي ضخم جدا ودولة يهودية ضئيلة جدا ، علما بأن على راس الولايات المتحدة الان رجالا غير متحمسين جدا في موالاتهم للصهيونية ، مثل الرئيس **كارتر** ومستشاره **برزنسكي** . اما البديهية الثانية ، فهي ان ثمة تمهيدا ضخما وجبارا ، وهو بشكل الكماشة ، ويقترب من القلب العربي ، او من قلب العرب ، آتيا من الشرق ، ومن الغرب ، ومن الجنوب : الافغانستان والحبشة واليمن الجنوبي . فالاتحاد السوفياتي قد اقتنع ، بعدما مني به من فشل متكرر ، بأنه لا يستطيع ان يضمن لنفسه ، من الداخل ، سيطرة اكيدة ودائمة على قطعة ما من الاسلام العربي ، اللهم الا تلك القطع الهامشية القليلة الاهمية . فلما تم لديه هذا الاقتناع ، رأى ان يعالج الاشياء من بعيد ، لا من الداخل . وبالطبع ، فلا يزال على الاتحاد السوفياتي ان يتم عمليتين اثنتين : الاولى بعث الحركة الكردية ، لخلق بؤرة لعدم الاستقرار في شمالي المنطقة . والثانية اقامة اتحاد زائف بين ارتيريا واثيوبيا تحت جناح السوفييت . تلك هي المعطاة الاولى ، اما الثانية فتتعلق بتطور الافكار والآراء والمشاعر في نفوس الاطراف المعنيين بالامور بشكل مباشر » .

ان هذا التصوير لسياسة « القرار » — وان كانت تنقصه بعض المعطيات بشكل متعمد — الا انه يبدو لنا قريبا جدا من نمط التفكير الذي يسود قطب « الاعتدال » : « اسرائيل بوجود الولايات المتحدة هي مجرد ثعلب يمكن تحييده

Digitized by Birzeit University Library

والتعايش معه ، اما الدب الروسي ، الذي يهدد اسلوبه في الدعوة والعمل مواقع الفئات « المعتدلة » الحاكمة ، فخطره اكيد .. ومن ثم ، فمن الاجدى الفرار من مكافحة الثعلب الى مكافحة الدب » !. ولكن ، حيث ان هجوم الدب على القلب ليس سوى وهم ابتكرته عقلية الخوف من مجابهة اسرائيل ، فان فلسفة السياسة الكامنة وراء هذا الموقف تصبح ، بجملها ، سياسة تبرير للفرار ..

ولكي نفهم جوهر المسألة ، يتوجب علينا ان نعود الى تفسير نقطة البداية : لماذا يشعر « العالم العربي المعتدل » ، الذي كان يظن انه يتفوق على اسرائيل من حيث عامل الزمن ومروره ، انه قد فقد هذه الميزة ؟ » . ما الذي جد ليسود هذا الشعور ؟

لم يجر بين العرب واسرائيل اختبار للقوة بعد حرب تشرين وحرب الجولان وجبل الشيخ لنقول ان هذه الحرب كانت سببا لسقوط « الظن » الذي كان سائدا يوم كان التضامن العربي التقليدي في مواجهة اسرائيل سائدا .

فمن اين جاء هذا الاعتقاد ، اذن ؟

لقد جاء هذا الاعتقاد من عوامل جديدة طرات على الموقف ، واكدت ان مساحة الحرب العربية ــ الاسرائيلية القادمة اذا نشبت لن تقتصر على دول المجابهة واسرائيل ، بعد ان باتت اسرائيل والولايات المتحدة تعتبر كل شبه الجزيرة العربية ساحة حرب ، بسبب دور البترول ، ودور باب المندب ، وضرورة شل السلاح الغربي ، الموجود في ايدي دول المساندة ، عن المشاركة في الحرب ، بعد أن بات الدور الذي يمكن ان يقوم به ليس هامشيا .

ولكن ليس هذا هو السبب الوحيد ...

فالخوف من الحرب التي يصل دمارها الى ارجاء الوطن ، يرافقه الخوف على النفط ، والخوف على الارصدة المالية المرتهنة لدى الولايات المتحدة واوروبا الغربية ، والخوف من الاضطرار للاعتماد على السلاح السوفياتي ، والخوف حتى من انتصار عربي في الحرب ، لان العامل الحاسم في صنع مثل هذا الانتصار سيكون للتقدميين اصدقاء السوفييت ، ولان الدور الذي يمكن ان تلعبه اميركا في الحرب لن يترك مبررا لصداقتها في الوطن العربي ..

وهكذا ، فان سلسلة المخاوف تقود الى تغليب المشكلة الاجتماعية ، مشكلة الخوف على اوضاع الطبقات الحاكمة ، على مشكلة المصير القومي .. وتصبح التضحية بفلسطين ممكنة ، ويصبح ابقاء سوريا في حالة شلل دائم ، نتيجة وقوفها الدائم بمواجهة الخطر الصهيوني رحمة على اصحاب سياسة الفرار ، بل يصبح اشغالها عن مجابهة العدو ضرورة ، لانها ، على هذا النحو ، لا تحرجهم باقدامها .. فمن يؤثر الفرار يتحرج من رؤية سواه يختار الاقدام .. وفي هذا ما يفسر دور عصابات **الكتائب والتسمعونيين** في لبنان الان .

لكن اصحاب سياسة الفرار هذه ، وهم يسيرون على هذا النهج ، ينسون حقائق اساسية :

اولها ، واكثرها اهمية ، ان تجميد الصراع العربي ــ الصهيوني ، بفعل عوامل الضغط والتطويق التي تمارس على قطب الاقدام ، ستكون بمثابة سهم مرتد تجاه قطب الفرار .. فانهيار سياسة التضامن العربي التقليدية ، وامعان بعض الانظمة بالفرار وفقدان الامل من مشاركتها باداء اي دور في مواجهة العدو الصهيوني ، لن يحمل قطب الاقدام على التقوقع بانتظار تدميره ، وانما يحرره من التزامه بتأجيل الصراع الاجتماعي على الصعيد القومي لصالح الصراع الاساسي

Digitized by Birzeit University Library

مع العدو الصهيوني ، ويدفعه الى المساهمة النشيطة والفعالة ضد قطب الفرار . وبقدر ما يلجأ قطب الفرار الى الاعتماد على الولايات المتحدة واسرائيل ، بمواجهة بمواجهة قطب الفرار .. واذا كانت كوبا تشكل شاغلا لاميركا وعامل تخويف لقطب الفرار ، واذا كانت المواقع اليسارية الهامشية بمواجهة قطب الفرار .. واذا كانت كوبا تشكل شاغلا لاميركا اليسارية الهامشية على الاطراف تثير ذعر قطب الفرار ، لانها تتكلم بصراحة عن المشكلة الاجتماعية ، فان السهم المرتد سيكون من القلب ، وسيكون عربيا قوميا ، وسيكون تعبيرا عن ارادة التحرر القومي ، ومن ثم ، فان قطب الفرار يدمر ذاته بالهروب من المعركة المصيرية ، وسيجد ان الخطر الوهمي ، الذي يبرر به فراره ، قد تحول الى خطر حقيقي .

ان فلسطين — وليست آبار النفط ولا ودائع الاموال العربية في اميركا واوروبا الغربية او موائد القمار — ستبقى هي المحرك الاساسي للضمير العربي .. فمن هرب من مواجهة مسؤوليته في معركة تحرير فلسطين طاردته فلسطين وهزمته ، ولن تنفعه ارصدته المالية ومظاهر ثرائه ، بل ان هذه الارصدة ومظاهر الثراء هي التي ستعرضه للكارثة ، التي تنتظره على طريق الفرار .. ذلك انه من الممكن ، دائما ، تجميد الصراع الاجتماعي لصالح مشكلة المصير القومي ، باعتبار الاخيرة تمثل التناقض الرئيسي ، الذي تعتبر الاولى ، في حالة وجوده ، تناقضا ثانويا ، ولكنه يستحيل القبول بمنطق أثارة الصراع الاجتماعي الثانوي على حساب الصراع المصيري الرئيسي ، وفي عكس ارادة الجماهير العربية وتطلعاتها الوطنية .. وفلسطين كانت وستبقى ساحة الاختبار .

آفـاق

مجلة اتحاد كتاب المغـرب

تنشر الانتاج الفكري والادبي الذي يشكل الطليعة الثقافية الفاعلة بالمغرب .

يساهم في تحريرها اعضاء اتحاد كتاب المغرب

عنوان المجلة : **زنقة سوسه — الرباط ٥ المغـرب**

Digitized by Birzeit University Library

الخلاف الصيني ـ السوفياتي وضرورة الخط العربي الاممي

جورج حداد

تعالج هذه المقالة مسألة الخلاف الصيني ـ السوفياتي ، وانعكاساته على القضايا العربية ، والموقف العربي والثوري منه · وهذه قضية معقدة وحساسة ، من الضروري مناقشتها · مع أننا نعرف أن مناقشتها ستثير حساسية قوى مختلفة ، أكثرها في معسكر الاصدقاء والحلفاء ·

وأننا لننشر هذه المقالة لفتح باب المناقشة حول هذه المسألة . وللمساعدة على جلاء جوانبها المختلفة · ونعتبر ذلك ضروريا لاغناء حركتنا الثورية العربية ، ولتنمية روحها الاستقلالية ·

(الكاتب الفلسطيني)

يحتل الخلاف الصيني ـ السوفياتي مرتبة اولى من الاهمية ، في الحركة الشيوعية والتقدمية والوطنية العالمية ، كما في السياسة الدولية ، على السواء ·

★ ★ ★

فالسياسة الصينية تعلن بجلاء ان العدو الدولي الاخطر ، في مفهومها ، لم يعد الامبريالية الاميركية الشائخة ، بل ما تسميه « الامبريالية الاشتراكية » السوفياتية الصاعدة · وقد سارت في الخلاف الى حدوده القصوى ، بتبني وتطبيق المعادلة التي اصبحت ملازمة لها ، ودخلت لهذا السبب في الحساب السياسي الدولي كاحد معطياته الشرطية ، وهي : **معارضة كل ما يؤيده السوفيات ، وتاييد كل ما يعارضونه** ·

وانطلاقا من هذه المعادلة ، نشطت السياسة الصينية بالحاح لخلق جبهة عالمية معادية للسوفيات ، على مختلف المستويات الرسمية والشعبية ، خصوصا في البلدان النامية ، التي لم يصلب عودها بعد ، والتي هي في حاجة ماسة لشتى اشكال الدعم والمساندة ، لتثبيت استقلالها الناشىء والتغلب على التخلف الاقتصادي والحضاري ، اكثر من حاجتها لاستعداء الاصدقاء الفعليين او المحتملين .

Digitized by Birzeit University Library

وحتى نهاية الحصار الاميركي للثورة الصينية وانعكاساتها العالمية ، الذي كان على طرفي نقيض مع مستجرات سياسة التعايش السلمي مع الامبريالية ، السياسة التي رفعت لواءها القيادة السوفياتية فوق ـ الستالينية ، كانت المعادلة الصينية تفعل فعلها في اتجاهين متعاكسين ظاهرا :

١ ـ اتجاه دعم التطرف في معاداة الامبريالية والرجعية ، وتاييد ومساندة القوى الوطنية والتقدمية المستقلة ، حيث يكون ذلك الوسيلة الوحيدة لتضييق دائرة « الوجود » السوفياتي ·

٢ ـ اتجاه تاييد سحق الحركات الوطنية والتقدمية ، ودعم الرجعية والفاشية ، حيث يكون ذلك هو الوسيلة الوحيدة الى « اخراج » السوفيات ·

ولكن مع بداية عهد سياسة « البينغ بونغ » الاميركية ـ الصينية ، اخذ مفعول الاتجاه الاول يتضاءل تدريجيا ، وبدأت المعادلة الصينية تفعل في اتجاه رئيسي واحد هو : **منازعة السوفيات على التقرب من الاميركان ·**

وشيئا فشيئا تحولت القضايا المصيرية للشعوب والجماهير الشعبية المناضلة ، في السياسة الصينية ، الى **مواضيع في جدول اعمال المنازعة الدولية الشوفينية الموسومة بالطابع « الاشتراكي » ·**

★ ★ ★

وفي الجهة المقابلة ، يبدو جليا ان « **العقدة الصينية** » تكمن في صلب الخط السياسي للقيادة السوفياتية ، حتى ولو لم يعلن ذلك صراحة دائما ، خصوصا وان الدولة السوفياتية ، التي سبق لها ان انضمت متأخرة الى نادي حصار الصين الشعبية، اصبحت فيما بعد العضو الوحيد في هذا النادي من بين الدول الكبرى جميعا·

فلا يكاد يحتاج الى برهان ان معادلة « الوفاق الدولي » ، التي اخذت القيادة السوفياتية تعمل بموجبها ، بوصفها المظهر الرئيسي والشكل الاعلى لخط التعايش السلمي السوفياتي مع الامبريالية ، تعني على وجه التحديد : « **الوفاق** » **بين الدولتين الكبريين** ، الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، في ما يخص **جميع الشؤون الدولية** ، بما في ذلك **الشؤون الداخلية الرئيسية لجميع الدول** على الاطلاق ، اي من ضمنها « حلفاء » الدولتين الكبريين ، وذلك بمعزل عن الدول الكبرى الاخرى ، التي تصبح جميعا في مرتبة ادنى من الاهمية في تقرير مجريات السياسة الدولية ·

ولم تكن القيادة السوفياتية لتقبل بتدشين دبلوماسية غلاسبورو ، اي دبلوماسية

Digitized by Birzeit University Library

الثنائي الدولي الاميركي ـ السوفياتي ، الا تحت ضغط « العقدة الصينية » · فقبل فك الحصار الامبريالي عن الصين ، كانت القيادة السوفياتية تنتهج الخط الافضل لها ، وهو خط التعامل مع مختلف الدول الامبريالية الكبرى على قدم المساواة ، والعمل على اضعاف والغاء المركز الخاص للولايات المتحدة ، وتشجيع شتى الدول الراسمالية والامبريالية على الخروج من تحت الهيمنة الاميركية ، اي **خط تحجيم القدرة الاميركيه عن طريق استغلال التناقضات بين الدول الامبرياليه** ·

ولكن ظروف الانفتاح الامبريالي على الصين ، وحتمية معاملتها كدولة كبرى اشتراكية ، ندا للاتحاد السوفياتي كدولة كبرى ، اشتراكية ، وكذلك حتمية قيام الولايات المتحدة بالرد على استغلال السوفيات للتناقضات بين الدول الامبرياليةالكبرى، عن طريق استغلال مصاعب السوفيات الصينية ، فان النتائج الانعكاسية للاستمرار في تطبيق الخط السوفياتي السابق ، كانت ستؤدي الى **افقاد الاتحاد السوفياتي الركن الاول لمكانته الخاصة السابقة** ، في المعسكر الاشتراكي وفي الساحة الدولية على السواء ، من دون سائر الدول الاشتراكية ، والناتجة عن **انه كان الدولة الاشتراكية الوحيدة المعترف بها كدولة كبرى** ·

ولذلك كان لا بد للقيادة السوفياتية ، ان تعمد الى تغيير هذا الخط ، من اجل تضييق دائرة تحرك الصين ، في الحلبة الدولية كما في المعسكر الاشتراكي · فاتجهت الى اعتماد خط « الوفاق الدولي » ، اي خط التفاهم الثنائي مع الولايات المتحدة ، **الذي يقوم على الاعتراف لها بمركز الدولة « الغربية » الاولى ، التي يحق لها وحدها النيابة عن باقي الدول « الغربية » ، مقابل اعترافها للاتحاد السوفياتي بانه الدولة « الشرقية » الاولى ، التي يحق لها وحدها النيابة عن باقي الدول الاشتراكية ، وعلى تشارك الدولتين في « حق » التقرير في جميع القضايا المصيرية لكافة الدول والشعوب ، وخصوصا الدول النامية ، التي لم تكد بعد تتخلص من شتى اشكال الاستعمار والوصاية والتبعية** ·

وحمل خط الوفاق الدولي مع الولايات المتحدة اضرارا بالغة الى الاتحاد السوفياتي ، اقلها هو اتهامه بالتواطؤ مع الامبريالية الاميركية على تقاسم المصالح ومناطق النفوذ الدولية · واهم هذه الاضرار هي :

اولا ـ لجم العلاقات بين الاتحاد السوفياتي والدول الراسمالية المتطورة ، غير الولايات المتحدة · وقد سبق لهذه العلاقات ان اتخذت ، قبل لقاء غلاسبورو ، زخما شديدا كان من شانه المساهمة في دفع المحاور الدولية العديدة التي يضعف وجودها المكانة الدولية للولايات المتحدة ·

ثانيا ـ التخلي عن سياسة شق الحلف الاطلسي ، والتعامل معه من ضمن مبدا

Digitized by Birzeit University Library

« احترام » زعامة الولايات المتحدة لهذا الحلف ، مقابل « احترام » الولايات المتحدة لزعامة الاتحاد السوفياتي لحلف فرصوفيا ·

ثالثا ـ المخاطرة الدائمة بوضع الولايات المتحدة على حافة الاغراء الدائم لها بالتفرد في اتخاذ الحلول والقرارات المتعلقة بالقضايا الدولية ، بما يضمن مصالحها ومصالح المعسكر الامبريالي ، دون كبير حساب لردود الفعل السوفياتية · ذلك ان الولايات المتحدة هي اقوى موقفا من الاتحاد السوفياتي ، في ثنائية الوفاق الدولي ، لانها تستطيع الحصول على دعم حلفائها الغربيين لمبادراتها المتفردة ، بل **والحصول في الكثير من الحالات على الدعم الضمني او المكشوف ، وعلى الاقل الحياد من قبل الصين الشعبية** في حين ان الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية ، الاشتراكيين ، لا يستطيعان التفاهم لا على اتخاذ المبادرات ، ولا على رد المبادرات الاميركية المتفردة · وهذا ما يبدو جليا في « نزاع الشرق الاوسط » ، حيث يضطر السوفيات للتقيد بالمراهنة على مضمار مؤتمر جنيف ، المتفق عليه مع الاميركان ، بينما يعمد الاميركيون الى الانفراد في اطلاق خيولهم العربية في القدس المحتلة ، وخيولهم الاسرائيلية في القاهرة المغلوبة على امرها ·

وبالرغم من ذلك ، فان القيادة السوفياتية لها من **الاعتبارات الخاصة** ما يجعلها تعتقد ، ان منح الولايات المتحدة المكانة الاستثنائية التي تضعها فيها آلية الوفاق الدولي ، هو اهون على تلك القيادة من ترك الصين الشعبية تحتل مكانتها الطبيعية في مسرح السياسة الدولية ·

ومن المهم الملاحظة هنا ان بعض مظاهر « التصلب » ، في الاونة الاخيرة ، في السياسة الدولية السوفياتية ، التي استنتج منها بعض المراقبين تغييرا اساسيا غير موجود في تلك السياسة ، انما تعود الى سببين :

الاول ـ الرد على التقارب الصيني ـ « الغربي » ، وافهام الدول الامبريالية ، وخصوصا اميركا ، ضرورة ان تأخذ في الحساب ان الدور « الاشتراكي » الاول هو للاتحاد السوفياتي ، وان اي تفاهم يجب ان يكون معه اولا ·

والثاني ـ الرد على التفرد الاميركي ، الذي يقود اليه منطق الوفاق الدولي ، وتذكير مهندسي السياسة الاميركية ، بأن القيادة السوفياتية ، اذا لم يكن في يدها مياراتهم في مبادراتهم ، فبامكانها وضع العراقيل امامهم ·

والهدف من هذا « التصلب » ، في كلا الحالين ، ليس مجابهة السياسة الاميركية والامبريالية المعادية للشعوب ، والعمل لخلق جبهة عالمية رسمية وشعبية مناهضة لها ، بقدر ما هو ذاته الهدف الرئيسي لسياسة الوفاق الدولي ، أي : **منازعة الصينيين على التقرب من الاميركان ·**

★ ★ ★

Digitized by Birzeit University Library

كان لا بد لنا من عرض الخطوط الرئيسية لصورة الخلاف الصيني ـ السوفياتي ، كشرط ضروري لفهم تحققاته العملية · وننتقل الى النظر المباشر في علاقة الخلاف بالاوضاع العربية ·

ان اول ما يجب التنبيه اليه، في هذا الصدد ، هو ان الخلاف الصيني ـ السوفياتي **له نتائج عربية** بالغة الخطورة ، انما ليست له اطلاقا اية **اسباب عربية** · وهذا التنبيه ، في النظر التقدمي القومي ، هو في منتهى الاهمية · ذلك ان النتائج العربية للخلاف ، تفسح المجال واسعا للخطأ في التقدير ، كما للتضليل ، البالغي الخطورة ·

فبصرف النظر عن مواقف كل من الطرفين ، من اية قضية عربية ، يجب التأكيد بوضوح ان اية من موضوعات الثورة العربية ، بما فيها القضية الفلسطينية ، واية من المسائل الحيوية للمجتمع العربي ، بما فيها مسألة النفط ، لا تدخل ابدا في اسباب الخلاف · واذا ما اخذنا القضية الفلسطينية مثالا، لوجدنا ان القيادة الصينية تؤيد عهد ستالين ، علما بأنه اول من طعن العرب ، « اشتراكيا » ، باعترافه باسرائيل · في حين ان القيادة السوفياتية تنتقد ستالين،ولكنها تسيرمجتهدة على خطاهفي المسألةالفلسطينية كما في غيرها ·وعلى العموم،نجد ان الذبذبة وتبادل الانحرافات المتشابهة هماالسمةالتي تطبع تعامل القيادتين الصينية والسوفياتية مع القضايا العربية ، مما يؤكد ليس فقط **ان الاعتبارات العربية لا شأن لها في الخلاف الصيني ـ السوفياتي ،بل وان الاعتبارات « الصينية » و « السوفياتية » ، التي تقود هذا الخلاف ، هي التي تتحكم في مواقف القيادتين الصينية والسوفياتية من المسائل العربية ذاتها ·**

وبصرف النظر عن وجود خلافات فكرية وسياسية عميقة ، بين الحركة الوطنية والتقدمية العربية ، من جهة ، وبين الخط السوفياتي ، الستاليني وفوق ـ الستاليني ، وكذلك خط «البينغ بونغ» الصيني، من جهة ثانية ، فان نظرة على تاريخ هذه الخلافات، ونظرة اخرى على تاريخ الخلافات الصينية ـ السوفياتية ، تبينان بمنتهى الوضوح ان الخلافات العربية ـ السوفياتية والعربية ـ الصينية ، مهما كان من اهميتها بالنسبة لمسار الثورة العربية ، ومصير الامة العربية ، لم يكن ممكنا لها بأية حال ان تكون سببا ولو ثانويا في الخلافات الصينية ـ السوفياتية · ذلك ان الخلافات العربية ـ السوفياتية والعربية ـ الصينية ، هي كلها بلا استثناء حول مواضيع ومسائل عربية ، وبكلمات اكثر تحديدا : **حول المواقف السوفياتية والصينية من القضايا العربية** · ولا يوجد بالمقابل اي خلاف حول **مواقف عربية من قضايا سوفياتية او قضايا صينية** · اما الخلافات الصينية ـ السوفياتية فهي تدور حول القضايا والمواقف والمصالح السوفياتية والصينية بالذات، الداخلية والخارجية · ويتبين من ذلك **ان الحركة الوطنية والتقدمية العربية لم يكن لها الى الآن اي دور خاص في الخلاف الصيني ـ السوفياتي ، لانه ليس لهما اصلا اي موقف خاص ، عربي ، من القضايا والمسائل السوفياتية والصينية ، الخاصة ·**

Digitized by Birzeit University Library

وهذا التنبيه هو ضروري من اجل :

اولا ـ دحض اي تبرير للتبعية ، التي تربط بعض فصائل الحركة الوطنية والتقدمية العربية ، باحدى الدولتين الاشتراكيتين الكبريين · فالدولتان لا تختلفان في ما بينهما حول اي قضية عربية ، بذاتهـــا · كما ان اياً منهما لا تؤيد وتدعم اي موقف عربي وطني وثوري ، بذاته ، بل لها موقفها الخاص ، الصيني او السوفياتي ، مـن القضايا العربية ، حتى ولو تعارض هذا الموقف مع موقف اصحاب العلاقة العرب بالذات ، بدءا بفلسطين وانتهاء باريتريا واوغادين · وبالتالي فان التبعية المسبقة لا يقتصر ضررها على شق صفوف الحركة الوطنية والتقدمية العربية ، حول مواقف وقضايا غير عربية ، بل انها تقود ايضا الى ضرر افدح ، هو التخلي عن الموقف الوطني والتقدمي العربي ، من القضايا العربية ، وتبني المواقف غير العربيـــة ، المتقبلة بتقلب الظروف الخاصة باصحابها ، من القضايا العربية ·

ثانيا ـ قطع الطريق علـى الابتزاز السياسي ، وخصوصا الابتزاز « الثوري » و « الامعي » و « الاشتراكـي » ، دي المستوى العالمـــي الشعبـــي والرسمـــي · وهو الابتزاز الذي يعمل على « بيعنا » صداقة دولة اشتراكية ، بعداوة دولة اشتراكيه اخرى · فان افق تطور الحركة الوطنية والتقدمية العربية ، والمصلحة التاريخية للامة العربية ، المكافحة من اجل تحررها الوطني والاجتماعي ووحدتها القوميـة ، تتطلبان التلاحم الكفاحي والتفاعل الحضاري مع جميع قوى التقدم والحرية في العـــالم ، وخصوصا شعوب البلدان الاشتراكية · وحتى في حـــال الخلاف بيننا وبين اي دولة اشتراكية ، فمن الواجب حصر هذا الخلاف ثنائيا ، في القضايا التي تعنينا وتعني هذه الدولة الاشتراكية بالذات · واذا كان من حقنا ـ مثلما مـــن حق من قد نختلف معه ـ الدفاع عن وجهة نظرنا امام كل القوى الصديقة الاخرى ، فليس من حقنـــا ـ ولا من حق من قد نختلف معه ـ استخدام النفوذ الحزبي والسياسي والامكانيات المادية لاستعداء أي من هذه القوى على الطرف المختلف معه · وبالتالي فليس مـــن حـــق لا الاتحـــاد السوفياتي ، ولا الصين الشعبية ، لا مباشرة ولا بواسطة اتباعهما العرب ، تحـــريض واستعداء القوى العربية ، مـــع احدهما ضد الآخر ، في خلافاتهما التي لم نكن طرفا مسببا فيهـــا ·

ثالثا ـ فضح الوطنية والتقدمية المزيفة ، للقوى الرجعيـــة العربية القديمـــة والجديدة ، التي تلعب على تناقضات البلدان الاشتراكية ، وخصوصا للنزاع الصيني السوفياتي ، وتتلطى خلفها ، وتستغل ما ينتج عنها مـــن مزايدات ومناقصات ، لابداء « صحة موقفها » الاصلي او المستجد ، في معـــاداة البلدان الاشتراكية او في التمسيـــح بصداقتها · فان التمسيح « بالصداقة الطويلة الامد » بين مصر والاتحاد السوفياتي لم يعط النظام المصري شهادة وطنية في موافقته على القرار ٢٤٢ ، وفي مشاركته بذبح الشيوعيين والتقدميين السودانيين سنة ١٩٧١ · ولا يعطيه مثل هـــذه الشهادة طرد

Digitized by Birzeit University Library

السوفيات . وبالطبع ان التمسيح بالصداقة الصينية لا يمحو خيانة الانبطاح لاسرائيل. **فمقياس الوطنيـــة والتقدمية العربية ليس ابدا مقياسا صينيـــا او ضد ـ صيني ، سوفياتيا او ضد ـ سوفياتي ، بل هو اولا واخيرا مقياس عربي ، تحدده قوانين تطور الثورة العربية التي تجسد المصالح التاريخية للامة العربية .**

★★★

واذا كان من السهل نسبيا تبيان عدم وجود اية اسباب عربية للنزاع الصيني ـ السوفياتي ، وبالتالي كشف الاضرار المباشرة الفادحـــة ، الناجمة عـــن استغلال الامبريالية والصهيونية والانظمة الرجعية والفاشية العربية لهـــذا النزاع ، كما عن التبعية « السوفياتية » او « الصينية » لبعض فصائل الحركة الوطنية والتقدمية العربية، فانه يستحيل ـ الآن كما في المستقبل المنظور ـ تحديد ابعـــاد ومضاعفات الضرر الاساسي ، الذي يجره هذا النزاع على القضية العربية ، ومن خلالها عـــلى قضيه التحرر والاشتراكية في العالم باسره ، كنتيجة حتمية من نتائج الهدنة الفعلية (اذا تم نقل الوفاق والتقارب) بين الدولتين الاشتراكيتين الرئيسيتين، من جهة ، وبين الامبرياليه عامة والامبريالية الاميركية خاصة ، من جهة ثانية ، وعـــلى العموم كنتيجة حتمية للتشويه الذي تجاوز كل حـــدود التحريف ، الـــذي اصاب لا النظريـــة والممارسة الاشتراكيتين فقط ، بل والتركيبة البنيوية للمنظمات والانظمة الاشتراكية ، القائمـــة في الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية وغيرهما مـــن البلدان الاشتراكية والاحزاب الشيوعية والعمالية ، مما جعل هذه التركيبة البنيوية غير قادرة ذاتيا عـــلى تصويب الاخطاء والانحرافات النظرية والتطبيقية ، لانها هي نفسها اصبحت بحاجة الى التقويم. وهذا الضرر الاساسي هو : **احباط حركة الثورة العربية ، وتأخير تقدمهـــا نحو التحرر والاشتراكية والوحدة ، وفرض استمرار وجود شبكة العلاقات الامبريالية ، مهما تبدلت اشكالها ، على الوطن العربي .**

ذلك ان الظروف التاريخية ، الموضوعية والذاتية ، للثـــورة العربية في طورها المعاصر ، تجعلهـــا تتميـــز بخصوصية فريدة ، وهي : **الاهمية الاستثنائية للعـــامل الخارجي ، في معركة التحرر الوطني والاجتماعي والوحدة القومية .**

فالمهمات التاريخية للثورة العربية ، التي تتلخص في تحقيـــق المجتمع العربـــي الاشتراكي الموحد، هي، في ابعادها الستراتيجية: الجغرافية ـ الاقتصادية ـ السياسية ـ العسكرية ، كما في ابعادها الحضارية ، **مسألة العصـــر الاممية الاولـــى** ، الراهنة والمباشرة ، بنفس القوة والاهمية التي هي فيها مسألة قومية . ذلك انه اذا امكن حتـــى الان ، او يمكن بعد الان ، للامبريالية كنظام عالمي ، ان « تسمح » راغمة بوجود المعسكر الاشتراكي قاطبة ، او اية دولة اشتراكية صغيرة او كبيرة على حدة ، بموازاة وجـــود

Digitized by Birzeit University Library

الامبريالية في باقي اجزاء العالم ، فان **قيام الدولة العربية الاشتراكية الموحدة الكبرى، في هذه المنطقة التي تعتبر العمود الفقري لوجود الامبريالية والراسمالية عالميا** . هـــو مسالة ممنوعة من الصرف اطلاقا في قواعد الستراتيجية الدوليـة للامبرياليـــة ، لان مرادفها المباشر هو : **القضاء التام والكلي على الامبريالية ، كنظام عالمي** ، وهذا بدوره هو الشرط الاول للقضاء على النظـــام الراسمالي فـــي جميـــع البلدان الراسمالية الكلاسيكية ذاتها · لانه ، بنزع الصفة المتروبولية عن تلـك البلدان ، وبانتزاع الارباح والاحتياطات الاسطورية ومبررات الوجود السياسية والحضارية ، التي يوفرها العالم الثالث لبورجوازية تلك البلدان ، مما يمكنها الى الان من رشوة وتضليل القطاع الاوسع من الجماهير « داخل بيتها » ، تعود تلك البورجوازية الى حجمها القومي « الطبيعي » ، كي تواجه جماهيرها الثائرة بعد ان تحرم من الامتيازات المادية والمعنوية التي توفرهـا لها فتات النهب وايديولوجية التفوق ، الاستعماريتين ·

ان هذا الواقع للثورة العربية يحتم عليها المواجهة المباشرة الشاملة مع الامبريالية العالمية ، التي يتقرر فيها الوضع الدولي برمته ، وليس فقـط وضع المنطقة العـــربية · وبالتالي فان الثورة العربية غير قادرة على تحقيق النصر الحقيقي وانجـاز مهماتهـــا التاريخية في الاطار القومي ، بالتعامل فقط مع تقرير المصير العربي ، لان هذا التعامل يشترط التعامل المباشر مع المصير العالمي برمته ·

وهذه الخصوصية لا تقلل من شان العامل الداخلي في الثورة العربيـة ، بل هي على العكس تضاعف مسؤولية القوى الثورية العربية ، **لانها ترتب عليها مهمات امنية مباشرة خاصة ـ لم تستطع الى الآن مجرد الاقتراب منها ـ كنتيجه الزاميه للابعـــاد العالمية الخاصة للثورة العربية** · وفي راس هذه المهمات :

ـ **تصفية** خط المهادنة والتفاهم والتعاون مع الامبريالية ، واستبدال النضال ضدها بالنزاع في ما بين الدول والقوى الاشتراكية والتقدمية والوطنية ذاتهـــا ، وهو الخط الذي يظهر النزاع الصيني ـ السوفياتي كاسوأ تطبيقاته العمليـــة · **فالنتائج السلبية الفادحة لهذا الخط ، عربيا وعالميا ، تجعل منـــه شانا عربيا وعالميا ، وليس فقط شانا داخليا ، خاصا بالقيادتين السوفياتية والصينية او غيرهما** ·

ـ فضح القوى الاجتماعية التي تقف خلف هذا الخط ، والتي اكتسبت موضوعيا ـ وعن جدارة تامة ـ صفة **الاحتياطي الرئيسي للنظام الامبريالي العالمي ، داخل صفوف المعسكر الاشتراكي والحركة الشيوعية والتقدمية والوطنية العالمية** ·

★ ★ ★

ومع ذلك فان القوى الثورية العربية لا تزال تقف ، بصورة رئيسية ، موقفا سلبيا

Digitized by Birzeit University Library

من النزاع الصيني ـ السوفياتي · فاذا اسقطنا من الحساب مواقف التبعية تجاه قيادتي كلا البلدين ، فان باقي المواقف العربية لا تكاد تتعدى ـ في أحسن الحالات ـ النقد الخجول والضيق النطاق للمواقف الصينية والسوفياتية ، من القضايا العربيه ، وليس لطبيعة النظامين الصيني والسوفياتي . اللذين تصدر عنهما هذه المواقف · وفي الغالب ، فان القوى الثورية العربية لا تكاد تتجاوز دائرة الانتظار المنزعج ، لانهاء دورة النزاع القائم ، وكأن لا دور لها سوى الانفعال بتطورات الاوضاع الدولية ، وخصوصا اوضاع البلدان الاشتراكية والحركة التقدمية العالمية ، من دون الفعل فيها · وهذا أحد ابرز مظاهر القصور التاريخي للطليعة الثورية العربية ، التي لن تستطيع انجاز الاهداف القومية التاريخية للثورة العربية ، دون الارتفاع الى مستوى مهماتها الاممية ، التي تقتضي العمل لخلق خط عربي داخل الحركة الشيوعية والتقدمية والوطنية العالمية ، بما في ذلك داخل البلدان الاشتراكية جميعا ، وخصوصا الدولتين الاشتراكيتين الكبيرتين المتنازعتين ، باعتبارهما ـ مبدئيا ـ اكبر واقوى قاعدتين للجبهة العالمية المعادية للامبريالية ، مما يجعل شلل كلمنهما او كلاهما معا يعكس نتائجه السلبية الفادحة على هذه الجبهة قاطبة ، وبالاخص قطاعاتها البالغة الاهمية كالمنطقة العربية ·

وكخطوة ضرورية نحو هذا الهدف من المهم جدا للطليعة الثورية العربية الاطلاع على الادبيات الاصلية للمناقشة بين « الماركسية الصينية » و « الماركسية السوفياتية» ، والمشاركة في هذه المناقشة · ولكن الاهم هو ان تدخل في المناقشة ، كمشارك اصيل انطلاقا من واقعها العربي الخاص ، وبوجهات نظرها الخاصة ، وان تشمل دائرة المناقشة لا القضايا العربية فقط ، بل وجميع القضايا الاساسية للنظامين الصيني والسوفياتي ، كما لقضايا الحركة التقدمية والوطنية العالمية · ذلك ان طرفي النزاع الصيني ـ السوفياتي يطرحان علينا موضوعيا ، ودون ان يقصدا ، المسألة البالغة الخطورة :

ان الرد التاريخي على تبعية البلدان العربية الرجعية والمتخلفة ، للنظام الامبريالي العالمي ، لا يتمثل بالاستسلام لتبعية ـ نقيضة ، تدخل القوى الثورية العربية ككتلة منفعلة في اطار التوازنات الدولية ، بل يتمثل في التخلص من كل تبعية ، وخلق الخط الثوري العربي الاممي المستقل ، كشرط حتمي لانتصار الثورة العربية ·

نيسان ١٩٧٨

Digitized by Birzeit University Library

الاممية الثالثة وعروبة فلسطين

احمد فرحان

منذ سنوات غير قليلة انهمك عدد كبير من الكتاب والمؤرخين بدراسة تاريخ فلسطين ، وصدرت عشرات الكتب والمقالات في هذا الصدد ، ويعود سبب ذلك الاهتمام الخاص الى كون قضية فلسطين شكلت ، ومنذ نهاية القرن الماضي ، الحلقة المركزية للصراع في المنطقة العربية ، بكل ما نتج عنها من تشابك وتداخل ، وما افرزته من احداث سياسية واجتماعية كان لها الاثر الاكبر في تحديد المسار الذي آلت اليه الاوضاع الراهنة · وقد اعترت تلك الكتابات العديد من التشويهات وعمليات التزوير المقصودة ، حيث لا يمكن كتابة التاريخ بمعزل عن الفكر السائد ، وبعيدا عن مصالح الطبقات المهيمنة على حركة المجتمع ، في كل مرحلة من المراحل · ومن هنا نجد ان التاريخ الفلسطيني الحديث ، في غالبية ما صدر حوله ، كان مكتوبا بأقلام اليمين العربي · واخيرا جرت محاولات ايجابية من قبل بعض الكتاب التقدميين والشيوعيين الذين عاصروا التجربة ، وخاضوها محاولين توضيح بعض الحقائق المطموسة من تاريخ فلسطين ·

وليس هذا هو مجال الحديث المفصل عن تاريخ شعب فلسطين ، بكافة جوانبه ، لكني هنا سأحاول المساهمة مع من سبقني بتوضيح مواقف الحركة الشيوعية العالمية ، ومواكبتها لتاريخ شعبنا ·

ان اول اهتمام عالمي لحركات سياسية قبل انبثاق **الاممية الثالثة** بخصوص الحركة الصهيونية واهدافها كان من قبل « **البوند** » . حيث عارض صراحة ، في مؤتمره الرابع ، المنعقد في سنة ١٩٠١ ، الحل الصهيوني للمشكلة اليهودية · ورأي ان « في الصهيونية ردة فعل الطبقات البرجوازية تجاه اللاسامية والوضع الشاذ (للشعب) اليهودي » . واعتبر المؤتمر « الهدف السياسي النهائي للصهيونية التي تطمح في الحصول على وطن لليهود كهدف غير ذي اهمية ، اذا لم يستطع هذا الوطن ايواء اكثر من اقلية ضئيلة من هذا (الشعب) ، وذلك لانه لن يشكل حلا

Digitized by Birzeit University Library

نهائيا (للمسألة اليهودية) . أما اذا ضعت الصهيونية نصب عينيها استيعاب غالبية (الشعب) اليهودي في ذلك الوطن ، فان المؤتمر يرى في ذلك حلم يقظة طوباوي . كما وينظر المؤتمر بعين القلق الى الشعور القومي الذي تنميه الدعاية الصهيونية في اوساط (الشعب) اليهودي باعتباره عائقا أمام تطور الوعي الطبقي لهذا الشعب » . وتتبنى البوند نظرية الاستقلال الذاتي القومي — الثقافي (١) .

ولم تكن قضية فلسطين تحتل حيزا محددا في اهتمامات **الاممية الشيوعية ، في** بداية عهدها ، ذلك ان الاهتمام الاول لها كان منصبا على الاوروبيتين الشرقية والغربية . ثم ان الصراع في منطقتنا لم يكن قد اخذ ابعادا واسعة على الصعيد المحلي بعد ، لذلك فان الحركة الشيوعية العالمية قد وقفت أمام (المسألة اليهودية) وادانت التفسير الصهيوني لها ، كما ورد في كل ما كتبه ماركس وانجلز حول الموضوع . حيث اعتبرت حل « المسألة اليهودية » مرهون بحل المشكلة المركزية لكل مجتمع من المجتمعات ، ومن خلال انهيار الانظمة الرأسمالية واقامة المجتمعات الاشتراكية ، التي من خلالها تحل كل المشاكل ، بما فيها مشاكل (الاديان) وامتدادا لها (المسألة اليهودية) . ومنذ انتصار ثورة اكتوبر الروسية ، ١٩١٧ ، بدأت الاهتمامات الشيوعية بمشاكل العالم تزداد تدريجيا ، ولعب « الكومنتيرن » دورا حاسما في دفع الحركة الشيوعية في جميع انحاء العالم ، ومنها فلسطين ، نحو الالتزام الكامل بالماركسية اللينينية ، وقد اعطى **الكومنتيرن** وزنا معينا للقضية العربية ، منذ ان كانت مستعمرة . على ان الوثائق المتوفرة لدينا تبدأ منذ ١٩٢٠ ، وهي المرحلة التي واكبت مسار الحركة الشيوعية في فلسطين .

ان اول اشارة واضحة لقضية فلسطين والحركة الصهيونية جاءت في **المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية الثالثة ((الكومنتيرن))** المنعقد في تموز ١٩٢٠ ، حيث شن كل من **أستير فروكلين** ، وهي زعيمة شيوعية يهودية **وميرزين** ، هجوما عنيفا على الصهيونية ، باعتبارها « اكذوبة لا مثيل لها في التاريخ » (٢) .

ويذكر — سليمان بشير في كتابه المشرق العربي في النظرية والممارسة الشيوعية — ايضا « ان اول من طرح قضية الشرق هي استير فروكلين ، عضوة البوند سابقا ، ومندوبة الفرع اليهودي للحزب الشيوعي الروسي ، حيث تمت اضافة الفقرة الآتية للاطروحة رقم ١١ البند السادس — تشكل المسألة الفلسطينية مثالا قاطعا للخداع

---

(١) د. سليمان بشير ، **المشرق العربي في النظرية والممارسة الشيوعية ١٩١٨ — ١٩٢٨** . القدس دار القرامطة ، ١٩٧٧ ، ص ٨٨ .

(٢) عبد القادر ياسين ، **كفاح الشعب الفلسطيني حتى عام ١٩٤٨** . بيروت ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، ١٩٧٥ ، ص ٤٥ (عن دالت لاكور . **الاتحاد السوفياتي والشرق الاوسط** ، المكتب التجاري ، بيروت ، ١٩٥٩)

Digitized by Birzeit University Library

الذي تتعرض له البلدان المستعمرة من قبل برجوازياتها عن ناحية والتحالف الامبريالي من الناحية الاخرى ، هنا على الرغم من كون اليهود اقلية لا تذكر ، يؤدي النشاط الصهيوني الى استغلال انكلترا للعاملين العرب المحليين ، عن طريق اقامة دولة يهودية ، وذلك على الرغم من ان اليهود لا يشكلون سوى اقلية ضئيلة » (٣) .

وبذلك شخص **الكومنترن** ، لاول مرة ، تشخيصا صحيحا ، اهداف ومرامي الحركة الصهيونية في فلسطين ، وعلاقاتها المتداخلة مع الاستعمار البريطاني . ثم حظيت قضية **فلسطين في المؤتمر الاول لشعوب الشرق** ، المنعقد في **باكو** من ١ ــ ٨ ايلول ١٩٢١ ، باهتمام الحركة الشيوعية العالمية ، حيث قدمت حولها ثلاثة نصوص من اطراف يهودية معادية للصهيونية « تركت اثرها على النداء الذي صدر عن المؤتمر . حيث ادانت **الاممية الشيوعية** الحركة الصهيونية (كونها مشروعا استعماريا قائما بذاته ــ الاستعمار الاستيطاني لفلسطين ــ وحركة في خدمة الاستعمار البريطاني ، يستخدمها لقمع العرب وايجاد متنفس لهم » (٤) .

واستمرت **الاممية الشيوعية** على موقفها هذا ، رافضة كل المحاولات التي قام بها (**يسار**) **عمال صهيون** لتغيير موقف الكومنترن ، واقناعه بتبني وجهة النظر القائلة بامكانية بناء (بروليتاريا صهيونية) .

وفي آب ١٩٢١ اصدرت **اللجنة التنفيذية للكومنترن** بيانا بعد تحديد الخلافات مع (**يسار**) **عمال صهيون** حول مسألة فلسطين ، قالت فيه « ان فكرة تجميع جماهير العمال اليهود في فلسطين ، بهدف خلق الاساس اللازم لتحريرهم المادي والاجتماعي ، هي فكرة طوباوية ، واصلاحية ، ستؤدي ، في النهاية ، الى نتائج مضادة للثورة ، وذلك بسبب المشروع الكولونيالي ، الذي تهدف الى تحقيقه ، والذي سيساعد على تقوية مواقع الامبريالية البريطانية في فلسطين » (٥) .

وبعد ان حدد **الكومنترن** كل ذلك ، دعى ، في أواخر ١٩٢١ ، **حزب العمال الثوري** الى ارسال مندوب عنه الى **المؤتمر الثالث للكومنترن** ، بصفة مراقب لفتح حوار مباشر من خلاله مع (يسار) عمال صهيون .

وبعد أن جرت المناقشات داخل المؤتمر الثالث ، وفي أواخر عام ١٩٢١، طرحت **اللجنة التنفيذية للكومنترن** رأيها بعنوان ــ **الحركة العمالية اليهودية** ــ جاء فيه :

---

(٣) د. بشير ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٤٤ .

(٤) **المؤتمر الاول لشعوب الشرق** . ترجمة فواز طرابلسي ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٧٢ ، ص ٧ .

(٥) د. بشير ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٠٣ .

Digitized by Birzeit University Library

« ان شيوعيي (يسار) **عمال صهيون** توجهوا بطلب انتساب الى **الاممية الشيوعية**، وكان جواب اللجنة التنفيذية ان اشترطت على الاتحاد العالمي للعمال اليهود **(عمال صهيون)** القيام **بحل نفسه** ، وذلك في مؤتمر يدعو لعقده من أجل تلك الغاية ، في مدة لا تزيد على شهرين من انتهاء ذلك المؤتمر ، والتوجه الى اعضائه بالانتساب الى **الفروع المختلفة للاممية الشيوعية** . اما شروط الانتساب الاخرى ، فكانت المصادقة الفورية على اطروحات المؤتمرين الثاني والثالث **للاممية الشيوعية** ، **وقطع العلاقات** بالميول والنظريات الصهيونية بشكل نهائي . وعلى الرفاق اليهود ان يعلنوا ، ايضا ، انهم يعارضون النشاط الكولونيالي ـ الاستيطاني ـ اليهودي في فلسطين ، الذي يساعد على المحافظة على مصالح الامبريالية البريطانية هناك » . (٦) .

وقد رفض عمال صهيون شروط الكومنترين تلك ، في مؤتمرهم المنعقد في فيينا ، بأغلبية كبيرة . ولم يؤيد الالتزام بها سوى اقلية بسيطة . وكان موقف **الكومنترن** هو الداعم لتلك الاقلية الملتزمة بشروطه . ففي ١٩٢٢/٧/٢٥ اصدر الكومنترن بيانا جاء فيه : « تعتبر **الاممية الشيوعية** ان من واجب فروعها تقديم الدعم الكامل والفعال لفئة الاقلية داخل يسار **عمال صهيون** في صراعها مع الاكثرية، وذلك في حال قبول تلك الاقلية شروط الانتساب للكومنترن » (٧) .

لقد ادى فشل المفاوضات مع الكومنترن والانشقاق الذي حصل **داخل يسار عمال صهيون** الى اعادة التشكيل من جديد لعناصر الاقلية ، تحت اسم **الحزب الشيوعي اليهودي** ، الذي لم يعمر طويلا في فلسطين . حيث انقسم في مؤتمره ، المنعقد في ايلول ١٩٢٢ ، وقامت فئة يسارية بتشكيل **الحزب الشيوعي في فلسطين، متهمة الفريق الاخر بمساومة الصهيونية** . ثم حضر اورباخ كمندوب عن الشيوعيين اليهود في فلسطين الى قادة الكومنترن ، حيث قدم طلب الانضمام اليه ، وقد رفض ذلك الطلب لعدم توفر كامل الشروط . ويقول أورباخ في هذا الصدد : « انهم اعتبروا ان اعترافهم بالحزب الفلسطيني ـ يقصد الحزب الشيوعي ـ يشكل اعترافا غير مباشر بوعد بلفور ، الذي يعترف هو الآخر بالاقلية اليهودية ، ونسبوا عدم وجود شيوعيين عرب في الحزب الى اهمالنا وشعورنا القومي » (٨) .

ويبدو ، من خلال ملاحظات **أورباخ** ، بأن **الاممية الشيوعية** قد رفضت عضويتهم بسبب عدم اعترافها بكون اليهود في فلسطين يشكلون قومية او شعبا له الحق في تقرير المصير ، كما جاء بوعد بلفور ويعتبرون العرب هم اصحاب فلسطين

---

(٦) مجلة المراسلات الامنية ، ١٩٢١ ، عن د. سليمان بشير ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٠٣ .
(٧) ـ عن مجلة المراسلات الامنية . د. سليمان بشير ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٠٤ .
(٨) رسالة الى الحزب في ٩ـ٣ـ١٩٢٤ ، عن د. سليمان بشير ، ص ١١٠ .

Digitized by Birzeit University Library

واليهود ، اقلية محدودة ، وطالبوا بأن يكون **الحزب الشيوعي الفلسطيني** حزبا عربيا في محتواه وسياسته والتزامه .

وبعد ان تطورت الانقسامات داخل **الحزب الشيوعي اليهودي** ، ثم اندماج مجموعاته في حزب واحد ، واعلانها الالتزام بكل شروط الكومنتيرن نظريا ، وتقديمها طلبا جديدا للانضمام اصدرت اللجنة التنفيذية **للكومنتيرن** تقريرا ، في ايار ١٩٢٤ . جاء فيه : ان المجموعات الشيوعية كانت قد توحدت في حزب شيوعي واحد في اواخر ١٩٢٣ . وقد قامت **اللجنة التنفيذية للكومنتيرن** بتشكيل لجنة خاصة لدراسة المسالة الفلسطينية ، وبعد التحريات المطلوبة قدمت توصياتها لقبول **الحزب الشيوعي الفلسطيني** فرعا في **الاممية الثالثة** ... واشارت اللجنة التنفيذية على الحزب الجديد بوجوب اقامة صلات وثيقة مع الجماهير العربية العريضة ، وذلك من اجل تحويله (اي الحزب) من تنظيم خاص بالعمال اليهود الى حزب اقليمي (اي فلسطيني) . كما انها دعت الحزب الى وجوب دعم نضال الحركة الوطنية العربية ، من اجل حرية المواطنين العرب ، وضد الاحتلال الصهيوني — البرطاني (٩) .

لقد استمرت **الاممية الثالثة** في موقفها المبدئي بعدم قبول طلبات الانضمام اليها من قبل الشيوعيون اليهود قبل استيفاء كامل الشروط لغاية ١٩٢٤ ، والتي يمكن تلخيصها بقضيتين : اولاهما الالتزام النظري الماركسي بضرورة رفض الايديولوجية الصهيونية ، فكرا وممارسة ، وثانيهما ضرورة ان يكون الحزب الشيوعي في فلسطين حزبا شيوعيا عربيا وليس تجمعا لعناصر يهودية . ويبدو لي ان بداية الخطأ في الموقف الاممي المراهن على امكانية تشكيل حزب شيوعي فلسطيني كانت كامنة في عدم توفر الشرط الثاني من شروط **الكومنتيرن** . فاعتبار **الكومنتيرن** ان قبول توصياته للحزب بضرورة تعريبه كانت كافية ، شكل بداية الخطأ الفادح الذي اكتشفه **الكومنتيرن** ، عمليا ، بعد ١٩٢٩ ، كما سنرى .

ورغما عن قبول الحزب عضوا في الكومنتيرن فقد بقي **الكومنتيرن** يراقب نشاطات الحزب في فلسطين ، محاولا دفعه بتدخلات متعددة نحو تنفيذ سياسة **الكومنتيرن** المحددة . وعندما لاحظ **الكومنتيرن** ان العمال اليهود تحركهم الحركة الصهيونية لتحقيق اهدافها بالاستيلاء على اراضي الفلاحين العرب وتجندهم في مؤسساتها العسكرية الارهابية ، دفع الحزب للتصدي لهذه السياسات ، واصدر **الكومنتيرن** ، في شباط ١٩٢٥ ، بيانا بعنوان (يسقط الارهاب الابيض في فلسطين)، اكد فيه على ان **الحزب الشيوعي الفلسطيني** يناضل ضد الحزب الاشتراكي ، المخادع — **أحدوت هعفودا** — وضد القيادة الصفراء لاتحاد **الهستدروت** ، التي تعمل

(٩) د. بشير ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١١٠ .

Digitized by Birzeit University Library

في خدمة الصهاينة ، مقدمة لهم يد العون في استغلالهم للعمال العرب واليهود ... ويهدف الحزب الى تنظيم جميع العمال في فلسطين ، عربا ويهودا — دون تفرقة قومية والى اقامة اتحادات نقابية واعية سياسيا وطبقيا ، ويناضل الحزب باخلاص وتضحية ضد نشوء فئة عمالية صهيونية مميزة ، تستغل لاضطهاد العمال والفلاحين العرب ، الذين لا يملكون امكانات الدفاع عن انفسهم (١٠) .

لقد كانت هناك مواقف مميزة للشيوعيين اليهود ، في تحريضهم للعمال اليهود على عدم الانصياع لاوامر قادة الحركة الصهيونية ، وتنفيذ برامجها الاستيطانية ، ولعبوا دورا تحريضيا بارزا في احداث (العفولة) . لكن نشاطهم وتأثيرهم كان محدودا ، وفي اطار التجمع اليهودي فقط ، حيث بادر الحزب . كما اعترف به **اورباخ** ، في مقاله المنشور بمجلة **المراسلات الاممية** ، في ١٩٢٩/٦/١ ، حيث قال : لا تزال الحركة العمالية في فلسطين حتى الان يهودية صرفة .

ولم تكتف **الاممية الثالثة** بنشاطها المضاد للحركة الصهيونية في فلسطين فقط ، بل بدأت تمارسه في العديد من اقطار العالم ، حيث كرست صحفها وكتابها لهذا الاتجاه ، ففي ١٠-٩-١٩٢٥ كتب الشيوعي البولندي **كارولسكي** ، في مجلة **المراسلات الاممية** ، جاء فيه : ان الصهيونية تشكل في الشرق الادنى رديفا للاستعمار الانكليزي ، مهمته استبعاد وقمع حركة التحرر الوطني العربية . وفي المجلة نفسها كتب . ب كيتا **يعودوسكي** ، في ١٩٢٥/٩/١٧ ، يقول : تشكل البورجوازية اليهودية المطرزة بايديولوجية المنظمة الصهيونية قوة رجعية مضاعفة ، وذلك لكونها حليفا لحكومات بولندا ورومانيا ، حيث تسكن اعداد كبيرة من اليهود ... وعدوا لحركة الجماهير الكادحة في فلسطين ... ونجحت البرجوازية اليهودية باقناع اليهود البولنديين والرومانيين ، ان لا جدوى من النضال في المهجر ، حيث يكون اليهودي غريبا ، وان توجه كافة القوى لبناء المستقبل الافضل في ارض (الميعاد) (١١) .

وامام اتساع موجة الهجرة الصهيونية والاستيطان في فلسطين ، توضحت خطورة ابعاد ، ومرامي ، واهداف الحركة الصهيونية ، كما توضحت ، في الوقت نفسه ، عدم قدرة الشيوعيين من الوقوف الجدي والمؤثر امام هذا المخطط ، وقد قامت مجموعات شيوعية بفتح شركة في تل ابيب للنقل ، سنة ١٩٢٦ ، تدعو الى توطين اليهود في الاتحاد السوفياتي ، بدلا من فلسطين . وفي آب ١٩٢٧ «قرر حوالي ٥٠-٦٠ عضوا من جناح الفيلق اليساري ، بزعامة **مناحم الكند** ، ترك فلسطين ، حيث هاجروا ، فعلا ، الى الاتحاد السوفييتي ، وجرى توطينهم في تعاونية زراعية في شبه جزيرة القرم » (١٢) .

---

(١٠) **أفيجدور** . الحركة العمالية في فلسطين . نقله د. بشير ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٧٤ .
(١١) د. بشير ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٢٦٨ .
(١٢) **المصدر السابق** ، ص ١٦٢ .

Digitized by Birzeit University Library

ثم استمر هذا التطور حيث رفعت بعض المجموعات الشيوعية شعارا ، في المؤتمر الثالث ، للحزب الشيوعي الفلسطيني (كانون اول ١٩٢٨) وطالبت المؤتمر باقراره وهو « ان وطن اليهودي هو حيث يولد ... وان فلسطين هي للعرب » (١٣) .

وفي الوقت الذي ظهرت فيه بوضوح ازمة تركيب وتكوين **الحزب الشيوعي الفلسطيني** ، خلال احداث ثورة ١٩٢٩ ، وانعكاس التشكيل اليهودي للحزب على سياسته وقصوره ، اتخذ **الكومنترن** الموقف المبدئي الصحيح في تقييمه لتلك الثورة، وللحزب ايضا ، فقرر وجوب وضع زمام قيادة الحزب في ايدي العرب ، كما توصل الى ضرورة ابعاد العناصر اليهوديه ، (على ان يصبح الرفاق اليهود مجرد مساعدين لهم) ،ويقول جوزيف بيرجر بهذا الصدد ان **الكومنترن** قد توصل الى قناعة بان مشكلة الحركة الشيوعية في فلسطين تكمن في تركيبتها القومية (اليهودية) ... وانه لمن المستحيل التغلغل داخل الجماهير العربية طالما بقيت الشيوعية هناك ظاهرة يهودية (١٤) .

واصدر **الكومنترن** وثيقة ، في ١٦ تشرين اول ١٩٢٩ ، قيم فيها موقف الحزب الشيوعي الفلسطيني ازاء ثورة ١٩٢٩ ، وأهم ما جاء فيها (١٥) .

١ ــ ان الانتفاضة فاجأت الحزب على حين غرة ، لانه مكون أساسا من العناصر اليهودية ، ويفتقد الى صلات وثيقة مع الجماهير العربية عموما ، ومع الفلاحين بصورة خاصة .

٢ ــ عدم السير جديا بمسألة تعريب الحزب الموصى بها ، لمرات عديدة ، من قبل الكومنترن ، ولذا فان المهمة الرئيسية هي التوجه ، بتصميم وجراة ، باتجاه تعريب الحزب من القاعدة الى القمة .

٣ ــ المطالبة باقامة اتحاد للاحزاب الشيوعية في البلدان العربية .

٤ ــ نطالب فروع الاممية الثالثة ومنظماتها الجماهيرية بالقيام بحملة حازمة لنصرة الحركة القومية العربية ، وضد نظام (الرعب الابيض) في فلسطين ، وضد دعاية المذابح التي تحث عليها الامبريالية البريطانية ، والبرجوازية الصهيونية ، والاممية الثانية .

وفي كتاب مفتوح ، صادر عن **اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية الثالثة**

.....

(١٣) المصدر السابق ، ص ١١٧ .
(١٤) المصدر السابق ، ص ٢٧٦ .
(١٥) ماهر الشريف . الحزب الشيوعي الفلسطيني وهبة البراق . **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٦١ ، كانون الاول ١٩٧٦ ، ص ٢١٦ ــ ٢٤٥ .

Digitized by Birzeit University Library

(**الكومينترن**) ، في ٢٦ نوفمبر ١٩٣٠ ، جاء ان « الصهيونية هي تعبير عن الجهود الاستثمارية والاضطهادية للبرجوازية اليهودية التي تستغل اضطهاد الاقليات القومية اليهودية في شرق اوروبا لفرض السياسة الامبريالية ، الرامية الى تأمين سيطرتها » .

بعد التقييم الذي صدر عن الكومينترن لثورة ١٩٢٩ ، والتزام **الحزب الشيوعي الفلسطيني به** ، اهتم الكومنتيرن ، مباشرة ، في اعادة تركيب وتشكيل الحزب وتعريبه . ويقول موسى خليل (١٦) . ان **الكومنتيرن** ارسل مندوبا خاصا عنه لتنفيذ ذلك ، وعندما عارض زعيم الحزب انذاك ، اورباخ ، ذلك استدعي الى موسكو ، وحل محله **جوزيف بيرجر** .

ولم يكن **الكومنتيرن** راضيا عن السرعة التي تم فيها تعريب الحزب ، رغم ما حصل من تغييرات ، فشكل لجنة مركزية ، في تشرين الاول ١٩٣٠ ، مؤلفة في غالبيتها من العرب (٣ عرب + ٢ يهود) ، مهدت لعقد المؤتمر السابع للحزب . في كانون اول ١٩٣٠ ، حيث اقر هذا المؤتمر اجراءات الكومنتيرن . وانتخب اللجنة المركزية نفسها ، التي عينها **الكومنتيرن** . وعندما اعتقل العرب الثلاثة في اللجنة المركزية ، وقدموا للمحاكمة ، عاد **الكومنتيرن** للتدخل ، حيث شكلت لجنة مركزية حوفظ فيها على الاغلبية العربية .

واستمرت محاولات **الكومنتيرن** للتعريب بعد ذلك ، رغم كل التجنحات والانقسامات التي حدثت في الحزب ، حتى وجد الحزب نفسه في مأزق جديد بعد ثورة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ ، حيث تم حل **الاممية الشيوعية الثالثة** عام ١٩٤٣ ، وبعدها شكل الشيوعيون العرب وبعض التقدميين الثوريين « **عصبة التحرر الوطني** » .

ان النتيجة المباشرة لاستعراض هذه المسيرة يمكن تحديدها بما يلي :

١ — **ان الاممية الشيوعية الثالثة « الكومنتيرن » قد اتخذت موقفا مبدئيا ، صحيحا ، ومتصلا** ، منذ انبثاقها حتى تم حلها ، رافضا قيام كيان صهيوني على أرض فلسطين ، وقد تصدت الاممية الثالثة للحركة الصهيونية ، كأيديولوجية رجعية استعمارية .

٢ — **اتخذت الاممية الشيوعية الثالثة مواقف متعددة من اجل قيام حزب**

---

(١٦) موسى خليل . الحزب الشيوعي الفلسطيني ١٩١٩ — ١٩٤٨ . **شؤون فلسطينية** ، العدد ٣٩ ، تشرين الثاني ١٩٧٤ ، ص ١١ — ١٤٢ .

Digitized by Birzeit University Library

شيوعي عربي فلسطيني ، يتصدر النضال الوطني في فلسطين ، من اجل التحرر والحرية .

٣ ــ اثبتت الوقائع انه لا يمكن بناء حزب شيوعي فلسطيني في وسط التجمع اليهودي في فلسطين . حيث ان الوضع اللاطبيعي لهذا التجمع . ومعاكسة وجوده لمنطق التاريخ قد فرضت مجموعة من العوامل المعرقلة لاحداث فرز طبقي حقيقي داخله . مما جعل العمال اليهود في ذلك التجمع . وحتى الشيوعيين منهم . يقفون امام خيارين : اما الانعزال عن التأثير في ذلك التجمع . او الانجرار لخدمة اهداف ومرامي الحركة الصهيونية ، وهذا يفسر الذبذبة المستمرة بين الموقعين للحزب الشيوعي الفلسطيني طيلة فترة الصراع المعنية في مقالنا هذا .

٤ ــ ان كل الاكاذيب والتشويهات التي نشرها اليمين العربي ، والزعامة بان الشيوعية انعالمية كانت تراهن على كون التجمع الصهيوني في فلسطين سيشكل ، مستقبلا ، مركز اشعاع حضاري في المنطقة ، لا تعدو كونها مزاعم ليس لها اي اساس من الصحة ، بل العكس هو الصحيح تماما .

٥ ــ ان المواقف الخاطئة التي اتخذتها قوى دولية ومحلية مؤيدة لقيام الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨ ليس لها علاقة ، اطلاقا بالتراث الماركسي ــ اللينيني ، ومعاكسة . تماما . للنهج العام الذي حددته الحركة الشيوعية العالمية تجاه القضية الفلسطينية .

الجمهورية العراقية
وزارة الاعلام

صدر حديثا
ديوان الشعر الحديث
دقات فوق الليل
الدكتور عبده بدوي
يصرخ الشاعر من بطون الزمن المعتق بالكرامة والمقاومة
وهو يعلن رفضه لكل ألوان الذل والخنوع والقهر
توزيع / الدار الوطنية

Digitized by Birzeit University Library

نظرة في خريطة اسرائيل الحزبية

صبحي طه

مدخل عام

من بين السمات الرئيسية التي تميز بها الكيان الصهيوني ، تعدد الاحزاب فيه ، وشدة صراعها وخلافاتها العقائدية والسياسية · فثمة خصوصية للحياة الحزبية في « اسرائيل » انفردت بها عن باقي الدول الرأسمالية وحتى عن الانظمة العنصرية الاخرى* · وبالرغم من ان ثمة تعددية مفرطة في الاحزاب الاسرائيلية ، الا انها تمتعت بخصائص مشتركة . سواء على صعيد الايديولوجيا او الوظيفة ، جعلتها اقرب الى الحزب الواحد ، اذا نظرنا الى الجوهر واهملنا الشكل · فقد نشأت الغالبية العظمى لهذه الاحزاب في كنف المجتمعات الاوروبية ، وفي اطار التيارات الفكرية والسياسية التي شهدتها تلك المجتمعات ، كما انها نمت وترعرعت في ظل الايديولوجيات الاستعمارية والقومية والفاشية التي شهدتها اوروبا في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين · وليس من قبيل الصدف ان تحدد تلك الاحزاب معتقداتها واهدافها وبرامجها مع ولادة الحركة الصهيونية وتطورها · ولا شك ان قوة تأثير الظروف التاريخية دفع تلك الاحزاب ، لتشكل الاداة التنفيذية للمشروع الاستعماري الصهيوني في فلسطين · وهكذا ، شكلت الاحزاب الصهيونية (منذ ولادتها) ردة رجعية عن التيارات الدينية اليهودية الاصلاحية والتي اتجهت باليهود قبل نشوء الحركة

---

* لم تشهد الانظمة العنصرية في افريقيا عددا كبيرا من الاحزاب مثل تلك الموجودة في اسرائيل ، واذا كانت ثمة ظاهرة انقسامات في احزاب تلك الانظمة فهي تعتبر وليدة العهد ، وتشكلت في ظل الانهيار الذي بدأت تشهده الانظمة العنصرية حديثا .

Digitized by Birzeit University Library

الصهيونية نحو الاصلاح والتمثل والاندماج في المجتمعات الموجودة فيها · كما انها ، من الناحية الاخرى ، انحرفت عن الفهم الصحيح « للمسألة اليهودية » ، وطرق حلها ، من خلال طمس البعد الاقتصادي لهذه المسألة ، وابراز المفاهيم « القومية » ، والتركيز على اختراع مسألة « الامة » اليهودية ، كأساس تستند اليه بتحقيق اهدافها الاستعمارية ، بوحي من الاتجاهات العنصرية والفاشية ·

ترجع جذور الاحزاب الاسرائيلية الى تيارات فكرية متعددة ، واذا كانت الحركة الصهيونية قد استوعبت تلك التيارات ضمن اهدافها لانشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، الا انها لم تستطع الحد ـ بشكل كبير ـ من نمو الخلافات والانقسامات التي سادت وتسود الاحزاب الاسرائيلية ، في اطار من الصراعات الايديولوجية والسياسية القائمة في صفوفها · ان تفسير هذه الصراعات انما يرجع الى مأزق الصهيونية كحركة عنصرية رجعية ، ولا يعود ـ كما يظن البعض ـ الى بداية تخلي بعض الاحزاب عن الصهيونية ، او ظهور تيارات تنادي بتقزيم الاطماع الصهيونية ، او التكيف مع الظروف الجديدة المعطاة ·· الخ · فالغالبية العظمى للاحزاب تعتنق الصهيونية كمذهب سياسي ، وبالرغم من ان هناك ظاهرة التعددية في الاحزاب ، الا ان اغلبيتها مجتمعة على هدف صهيوني واستعماري واحد · ولا شك ان ذلك يضعنا امام مشكلة تصنيف تلك الاحزاب · فالتصنيف العقائدي يبدو لنا مفتقرا الى الموضوعية· ما دامت تلك الاحزاب (على اختلاف تياراتها السياسية) متمسكة بالصهيونية كمذهب وعقيدة · وعلى ذلك فان تصنيفنا للاحزاب الاسرائيلية يأتي على سبيل التبسيط ووسيلة للفهم ، ولا ينطوي على تصنيف عقائدي ، لتجنب الاخطاء التي وقع بها البعض عندما عمدوا الى تصنيف العقائد في الحركة الصهيونية ، أدت بهم في النهاية الى اقصاء قضية الصهيونية او اللاصهيونية عن الاحزاب الاسرائيلية (١) ·

وقبل عرض واقع الخريطة الحزبية في اسرائيل فانه من الاهمية بمكان الاشارة الى السمات المشتركة التي تجمع الاحزاب الاسرائيلية ، ويمكن تلخيصها بالاتي :

١ ـ ان تلك الاحزاب فريدة من نوعها ، ولا تماثل ، في نشأتها أو طبيعة تركيبها أو اهدافها ، اي من الاحزاب في اي دولة من الدول ، فقد نشأت ـ معظمها ـ قبل قيام الكيان الصهيوني ، وفي وضع لم تتبلور فيه أية بنية طبقية أو اجتماعية للتجمعات اليهودية · كما أنها نمت في ظل مجتمعات غريبة عن المجتمع العربي في فلسطين · فهي جمعت شتات اليهود على مختلف ميولهم واتجاهاتهم في البلدان المختلفة ، وضمن الفروق في التركيبة الاجتماعية والاقتصادية والحياتية التي تواجدوا فيها (٢) ·

٢ ـ ان اغلبية الاحزاب بدأت كحركات طائفية (دينية ام سياسية) متعصبة وطبعت نفسها بطابع الطوباوية والمثالية والتعصب العقائدي (٣) ·

Digitized by Birzeit University Library

٣ ـ ان الاحزاب السياسية ليست من النمط الذي شهدته اوروبا الشرقية او الغربية ، وان كانت متأثرة بهما (٤) . فهي لم تتبن فكرة عقائدية فقط ، بل تجاوزت ذلك كي تقوم بنشاطات استعمارية اعتمدت فيها على ارضية الايديولوجية الصهيونية ، فقد شملت نشاطاتها مختلف الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والاستيطانية ، كما كونت لها مؤسسات خاصة بها ، من مصارف ومسارح وصحف ونواد .. الخ . اذ تولى الحزب مهمة اقامة هذه المؤسسات (٥) .

٤ ـ ان نظام التمثيل النسبي في اسرائيل* يفسح المجال امام جميع الاحزاب ، مهما كانت ضعيفة ، ان تتمثل في البرلمان (الكنيست) الصهيوني (٦) . كما ان الحكومة الاسرائيلية تخصص مبالغ للاحزاب الاسرائيلية حسب عدد المقاعد التي تحتلها في الكنيست .

استندت الاحزاب الصهيونية في ايديولوجيتها واهدافها على تيارين اساسيين :

الاول ـ **التيار الديني القومي** ، الذي تبلور مع ولادة الحركة الصهيونية ، حين ارتدت الجماعات الدينية عن جوهر الديانة اليهودية ، وتخلت عن شعاراتها السابقة (لفصل الدين عن السياسة ، وان تتمثل اليهودية كدين ، مع متطلبات العصر ، والنظر الى فلسطين كمهد للديانة اليهودية) لقبول دعوى القومية اليهودية (الصهيونية) الحديثة . لقد شكل هذا التيار الاساس العقائدي للاحزاب الدينية الاسرائيلية .

الثاني ـ **التيار القومي الصهيوني « العلماني »** (عكس الديني) ، وقد تباينت اتجاهاته وبرامجه السياسية ، بفعل اختلاف النشأة التاريخية والفكرية . وان كان مستندا الى الحركة الصهيونية . فبعضه ذو نزعة قومية اشتراكية وبعضه الاخر صهيوني عام ، ذو نزعة محافظة . وشكل ذلك الاساس العقائدي للاحزاب العمالية الصهيونية والاحزاب اليمينية الصهيونية ، على السواء .

تلك هي بعض الجوانب الهامة في الارضية العامة التي قامت عليها الاحزاب الصهيونية .. وسنتناول ، بشيء من التفصيل ، الخلفية التاريخية والسياسية للاحزاب ، لعلنا بذلك نساهم في فهم الخريطة الحزبية للكيان الصهيوني .

.....

* تقوم عملية التمثيل النسبي على الاسس التالية :
١ ـ يتم الترشيح من قبل الاحزاب .
٢ ـ يقسم عدد ومجموع الاصوات الصالحة التي رميت في صناديق الاقتراع في جميع انحاء اسرائيل على عدد المقاعد في الكنيست (اي ١٢٠) زائد واحد فيكون الناتج العدد الذي يجب ان يحصل عليه اي حزب ليتمثل بمقعد واحد .
٣ ـ يقسم عدد ومجموع الاصوات التي نالها الحزب الواحد على الناتج اعلاه (اي العدد اللازم لاحراز مقعد واحد) فيكون الحاصل عدد المقاعد التي نالها الحزب .

Digitized by Birzeit University Library

الاحزاب الدينيـة :

انتشرت في اوروبا (خلال القرن التاسع عشر) حركات دينية ، وظهرت جماعات يهودية ، تزعمتها ارستقراطية « الجيتو » الدينية في شرق اوروبا ، وقد اعتبرت تلك الحركات ان الواجب الاساسي لعلاج المسالة اليهودية هو ايجاد حلول للمشاكل الروحية لليهود (وليس مشاكلهم الاقتصادية التي نادت بها جماعات سياسية آنذاك) · ومع بداية ظهور الحركة الصهيونية بدات تلك الجماعات في بلورة تيارات خاصة بها ، لتشارك الدعوة في الهجرة الى فلسطين ، وان كانت تنظر الى ضرورة تحول فلسطين الى مركز روحي (وليس دولة او كيان قومي) لليهود تحفظ اليهودية نفسها من خطر الاندماج في المجتمعات الاوروبية · وقد ساد تياران يهوديان في الحركة الدينية . هما : **حركة المزراحي** المحافظة وحركة **اغودات اسرائيل** الارثوذكسية · وكانت **حركة المزراحي** اقرب الى قبول فكرة القومية وصبغها بالصبغة الدينية . في حين قاومت حركة **اغودات اسرائيل** هذه الفكرة في البداية ، ثم مـا لبثت هذه المقاومة ان خضعت لكي تلتحق بالحركـة الصهيونية ، وتسـاهم في النشاطات الاستيطانية التي مارستها الاحزاب الاخرى ·

لقد كان تأثير الحركة الصهيونية قويا على التيارات الدينية ، الامر الذي اسرع بتلك التيارات لتشكيل احزابها الخاصة ، ولتساهم في العمل السياسي ، مـن خلال انضمامها للمؤسسات الصهيونية ، وبلورة برامجها السياسية في فلسطين منذ عام ١٩١٨ ، وان اتخذت من الدين والتوراة شعارا يحدد لها طبيعة الاستيطان · وقـد ازدادت قوة تلك التيارات بعد ان تحولت الى احزاب تنافس الاحزاب العمالية الاخرى ، وتوسع من دائرة نشاطها في القطاعات العمالية ، لاخذ زمـام البادرة في الحركات الصهيونية العمالية ، بل وتزايد عليها في اشتراكيتها على طريقتها الخاصة (٧) ·

اتخذت الاحزاب الدينية مواقعها بمقاومة الحركة العلمانية الصهيونية ، وتركيز نشاطها على الاستعمار الديني ، مولية اهتماما بارزا لبناء المدارس ، ونشر افكارها ـ وثقافاتها اليهودية ، وتعميـم اللغـة العبرية ، والتمسك بالقيـم والتقاليد الدينية ، المستوحاة من التوراة ·

ويشكل عدد اليهود المنتمين للاحزاب الدينية نسبة كبيرة من السكان ، ويعود سبب ارتفاع نسبتهم ليس فقط الى التعصب الديني ، وانما ايضا للامتيازات المتعددة التي يحصل عليها عضو الحزب ، اكانت مادية او خاصة ، منها الاعفاء من التجنيد لتلاميذ المدارس الدينية ، والمكانة الخاصة التي يتمتع بها عضو الحزب ، اذا قورنت بالاحزاب الاخرى ·

Digitized by Birzeit University Library

وبالرغم من ان ثمة انتقادات عدة للاحزاب الدينية ، والدور الذي تقوم به ، الا انها استطاعت تكريس مطالبها الخاصة ، والحفاظ على مواقعها لدرجة ان القيادات الصهيونية وصفت نشاطات الاحزاب الدينية بانها « دولة داخل دولة » . وقد جمعت الاحزاب الدينية اهدافا مشتركة ، وهي الحفاظ على الطابع الديني القومي والاستئثار بحقائب وزارية ، تساعدها على تحقيق هذه الغاية (وزارة الشؤون الدينية والاجتماعية ، وايضا وزارة الداخلية) . كما انها تولي اهتماما كبيرا لزيادة عدد المدارس الدينية ، والحفاظ على نمط تعليمي مستقل لهذه المدارس عن المدارس الحكومية ، ومن جهة اخرى ، استطاعت الاحزاب الدينية فرض ارائها على الحكومات المتعاقبة فيما يتعلق بالقوانين المدنية (الزواج ، الطلاق ... الخ) كما استطاعت فرض بعض الطقوس الدينية (مثل حرمة يوم السبت ، ومنع اكل بعض اللحوم ، وقضايا اخرى متعلقة بالاعياد اليهودية) ..

تحتل الاحزاب الدينية مكانة هامة في الحياة الاجتماعية والسياسية للكيان الصهيوني ، ويرجع ذلك الى الدور الذي تعوله عليها الاحزاب الحاكمة (رغم التعارض بينها وبين الاحزاب الدينية) في تكريس فكرة الدين والقومية واللغة ضمن تقدير الاحزاب انعمالية للاحزاب الدينية ، باعتبارها الجهة الاكثر فعالية في الابقاء على الطابع اليهودي « للدولة » .

ونظرا لقوة هذه الاحزاب الانتخابية ، فان اية حكومة لا تستطيع ، عمليا ، الحفاظ على قوتها واستمراريتها ، بدون تأييد الاحزاب الدينية ، والتي اعتبرت بمثابة بيضة الميزان في نجاح الوزارة او فشلها ، الامر الذي جعل الاحزاب الدينية في وضع تستطيع من خلاله ، استغلال مكانتها السياسية لتحقيق مطالب خاصة بها ، من جهة ، وجعل الاحزاب الاخرى غير قادرة على التأثير في مكانة تلك الاحزاب ، من جهة اخرى .

تشكيلات الاحزاب الدينية

١ - **حزب المزراحي** : تعود افكار هذا الحزب الى جماعات دينية ، انشأت ، قبل ولادة الحركة الصهيونية ، مركزا سمي « بالمركز الروحي » ، وهو اسم الحزب . وبعد ظهور الحركة الصهيونية تحول هذا المركز ، عام ١٩٠٤ ، الى حركة قائمة بذاتها ، ثم حزب صهيوني داخل المنظمة الصهيونية العالمية ، الذي بدأ يمارس مهمته كحزب سياسي في فلسطين ، منذ عام ١٩١٨ . وينطلق **المزراحي** في دعوته بان الشعب اليهودي لا يمكنه الاستمرار دون التوراة ، ولكن مع هذا لا يمكن لوحدة الشعب اليهودي ان تأخذ شكلها الكامل الا بان تلتحم بعناصر المثالوث اليهودي :

Digitized by Birzeit University Library

ولحزب المزراحي فروع في كل الدول التي تتواجد فيها تجمعات يهودية ، كما ان له تنظيما نسائيا واخر شبابيا ، وله العديد من **الكيبوتسات والموشاف** · ويتركز نشاط الحزب على الامور التربوية والثقافية والمدارس التلمودية ، كما اسس **جامعة بار ايلان** ويمتلك دارا للنشر . ولـه عدة مشروعات اقتصادية منهـا بعض البنوك وشركات للبناء · ضم هذا الحزب الطبقة المتوسطة في المدن واليهود الصهيونيين وبعض يهود البلاد العربية المتدينون ·

٢ ـ حزب عمال المزراحي (هابوعيل مزراحي) Hapoel Ha Mizrahi

وهو الجناح العمالي **للمزراحي** تأسس عام ١٩٢٢ . ضمن اتجاهات الاحزاب الدينية ، لاخذ زمام المبادرة في الحركات الصهيونية العمالية · يحافظ الحزب على صلاته بالحزب الام ، لاغراض دينية وتربوية ، ولكنه يقوم بتطوير برنامج مستقل ، وخصوصا في مجال الاستيطان الزراعي والنشاط النقابي · وقد رفع الحزب شعار « التوراة والعمل » . واستطاع كسب الكثير من المهاجرين القادمين من شمال افريقيا والبلدان الاوروبية الشرقية ·

ولعمال المزراحي تنظيما نشيطا للشباب ، الى جانب شبكة مـــن المؤسسات المالية ، بحيث اضحى اقوى الاحزاب الدينية في الكيان الصهيوني · وتعتبر صحيفة « **هاتسوفيه** » الناطقة باسم **حزب عمال المزراحي** · وقد شارك في جميع الائتلافات الحكومية* ، سواء بشكل مستقل ، او من خلال الائتلاف الذي ضمه مع **حزب المزراحي** « **المفدال** » ، الذي تأسس عام ١٩٥٦ ، والذي لا زال حتى الوقت الحاضر ·

٣ ـ حزب اغودات اسرائيل Agudat Israel

تأسس الحزب عام ١٩١٢ ، في بولونيا ، بهدف الوقوف امام الحركة الصهيونية العلمانية ، التي سادت يهود اوروبا الشرقية والوسطى ، آنذاك · وقـد دعا الى ضرورة حل مشكلات اليهود ، وفقا لتعاليم التوراة ، ومبادئها · وقد اتخذ ، في بداية الامر ، موقفا معارضا لاقامة المستعمرات اليهودية في فلسطين « ما لم تلتزم بالشريعة اليهودية » · وقد ظل مترددا حيال الاشتراك في انتخابات المجالس والهيئات اليهودية ، لفترة سبع سنوات ، غير انه تراجع عـن مواقفه ، ليشارك في النشـاط

---

* انسحب حزب عمال المزراحي بعد الائتلاف الحكومي لفترة قصيرة ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ اثـر الخلاف الذي حصل انذاك حول قضية من هو اليهودي ؟!··

Digitized by Birzeit University Library

الاسنيطاني بفلسطين وفقا لروح التوراة وبالتعاون مع الحركة الصهيونية . وبعد انشاء الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨ شارك الحزب في اول حكومة اسرائيلية ، وقد تجددت قوة **اغودات اسرائيل** بالمهاجرين الذين قدموا من شمال افريقيا والبلدان العربية . وعلى غرار **حزب المزراحي** ، ركز نشاطه على الاستعمار الديني ، واولى اهتماما لبناء المدارس ونشر الثقافة اليهودية ، ولكنه تميز بتعصب اكبر ازاء الحركة العلمانية الصهيونية . فهو لا يعترف الا بسيادة التوراة ، التي يعتبرها ـ لوحدها ـ بمثابة القانون الشامل للبلاد .

٤ ـ حزب عمال اغودات اسرائيل Poalel Agudat Israel

تأسس عام ١٩٢٢ ، في بولونيا ، بهدف تعزيز الشعور الديني في اوساط العمال ، ومدافعا عن اوضاع اليهود الارثوذكس العاملين في الصناعة . ولم يتميز الحزب عن اغودات اسرائيل ، اذ قام على نفس القاعدة الدينية ، وان ساهم ، بشكل اكبر ، في النشاط الاستيطاني ، تحت شعار التمسك بالديانة اليهودية ، كدين ونظام .

مواقع الاحزاب الدينية وصراعاتها :

يدين معظم اليهود المتدينين بالولاء الى حزب **المزراحي وعمال المزراحي** (**المفدال**) ، بالدرجة الاولى ، ثم حزب **اغودات اسرائيل وعمال اغودات اسرائيل** ، بالدرجة الثانية .

اما الخلافات القائمة بينها ، فهي ترجع الى المغالاة والتطرف ضمن الخط العام الذي يجمعها ويعتبر البعض ان الاتجاهات السياسية والميول العقائدية لحزب **المزراحي** وجناحه **العمالي** اقل تطرفا ومغالاة وتعصبا من حزب **اغودات اسرائيل** . ففي حين يدعو **المزراحي** الى ضرورة الاخذ بالاعتبار الظروف الدولية المحيطة بالكيان الصهيوني ، وتاكيد علاقة هذا الكيان مع الامبريالية العالمية ، وانتهاج « المرونة التكتيكية » في التعامل مع الواقع السياسي ، او الاشتراك في الحكم ، فهو يتشدد في معارضة « **المفدال** » لسياسات الاحزاب العمالية تبقى في اطار ضرورة المشاركة في الحكم ، وانتزاع ما يمكن انتزاعه من الاحزاب الحاكمة . وفي هذا الاطار بقي **المزراحي** وجناحه العمالي محافظا على مواقفه المعارضة للاشتراكية والجماعية في المجال الاقتصادي ويميل الى انتهاج سياسة الحرية الاقتصادية وتقوية الطبقة المتوسطة ، معارضا ، بذلك ، الدور الذي يلعبه **الهستدروت كوسيط اقتصادي** .

اما حزب **اغودات اسرائيل** وجناحه **العمالي** ، فهو اكثر تطرفا ومغالاة ، سواء

Digitized by Birzeit University Library

بالنسبة الى التعاون مع الاحزاب العمالية الحاكمة ، او ازاء مطالبه الخاصة · فهو يعارض ايجاد دستور موحد للكيان الصهيوني ، ويتمسك بشروطه فيما يتعلق بتعريف من هو اليهودي ، ويحتفظ بمواقف متصلبة ازاء التعامل مع البلدان الشيوعية (الملحدة) ، والممانعة في اقامة علاقات مع المانيا ، ومحاربة تجنيد النساء في الخدمة العسكرية ··· الخ ·

شهدت الاحزاب الدينية خلافات قوية ، وتركزت الخلافات على العديد من المسائل ، الا انها لم تمس جوهر المعتقدات الصهيونية الدينية · فقد نشأ خلاف حول مسائل الاشتراك في الحكم ، كذلك احتدمت الصراعات حول تعريف من هو اليهودي ؟ وحول قضايا اخرى ، مثل الزواج المدني ، وتشريع الجثث ، والزواج من مطلقة ، وبعض الطقوس ، مثل بعض اللحوم ، وحرمة يوم السبت · كما ظهرت وجهات نظر ، تراوحت في صلابتها ، ازاء السياسة التعليمية ، وخاصة حول قضايا التجنيد الاجباري للطلاب في المدارس الدينية ، ومدة خدمة النساء العسكرية ·

شكلت تلك الخلافات اساس التراوح المستمر لهذه الاحزاب ، وانتقلت عدوى الانقسام والانشقاق الى صفوفها · فقد انشق حزب **اغودات اسرائيل** عن **المنظمة الصهيونية العالمية** ، الا انه تراجع عن ذلك ، بعد فترة · كما انفرطت **الجبهة الدينية المتحدة** التي ضمت مختلف الاحزاب الدينية بعد عام واحد من تأسيسها* · واذا كان **المزراحي** وجناحه العمالي قد شكلا **الحزب القومي الديني** « **المفدال** » ، عام ١٩٥٦ ، الا ان ذلك لم يلغ الخلافات القائمة بينهما · ونرى ، ايضا ، ان الحزب الواحد قد شهد انقسامات داخل صفوفه · ففرع حزب **عمال اغودات اسرائيل** في القدس لا يعترف بحزب **عمال اغودات اسرائيل** في تل ابيب ·

موقع الاحزاب الدينية في الكنيست :

باستثناء الدورة الاولى لانتخابات الكنيست (عام ١٩٤٩) ، لم تجتمع الاحزاب الدينية في جبهة واحدة ، اذ خاض (**المزراحي وعمال المزراحي**) و (**اغودات اسرائيل وعمال اغودات اسرائيل**) بشكل مستقل ، انتخابات الكنيست اللاحقة · فلم يكتب « **للجبهة الدينية المتحدة** »* النجاح ، اذ ما لبثت ان انشقت عام ١٩٥١ الى اربع جماعات ، نالت في انتخابات الكنيست الثاني ١١٪ من مجموع الاصوات · وقد برز

* تشكلت هذه الجبهة بعد عام ١٩٤٨ من **اغودات اسرائيل** وجناحها العمالي **والمزراحي** وجناحه العمالي وخاضت انتخابات الكنيست الاول عام ١٩٤٩ ، وحصلت على ١٦ مقعدا ، كما انها شاركت في اول حكومة اسرائيلية ، بزعامة حزب **الماباي** ·

Digitized by Birzeit University Library

حزب **عمال المزراحي** كاقوى الاحزاب الدينية ، اذ حصل على ثمانية مقاعد ، بمفرده . وفي انتخابات الكنيست الثالث عام ١٩٥٥ ، انفصل جناحا **المزراحي** ، لكنهما تقدما بقائمة واحدة حصلت على ٩ر١٣٪ من مجموع الاصوات ، حيث تقدم **المزراحي** للانتخابات تحت اسم « **الجبهة التوراتية الدينية** » ، فيما خاضت **اغودات اسرائيل** ، وجناحها العمالي الانتخابات تحت اسم « **جبهة التوراة الدينية** » . وفي انتخابات الكنيست الرابع عام ١٩٥٩ ، برز **المزراحي** بجناحيه تحت اسم « **الحزب الديني القومي** (**المفدال**) » ، فاحتل المرتبة الثالثة بين الاحزاب المتنافسة ، ثم هبط الى المرتبة الرابعة ، في انتخابات الكنيست الخامس عام ١٩٦١ . واسترجع مكانته الثالثة في الكنيست السادس والسابع والثامن والتاسع .

اما حزب **اغودات اسرائيل** وجناحه العمالي ، فقد ظل يحتل ٥ ـ ٦ مقاعد ، خلال دورات الكنيست التسع . ويتضح من نتائج انتخابات الكنيست ان عدد المقاعد التي نالتها الاحزاب الدينية حافظ على قدر واضح من الثبات والاستقرار ، كما يتبين لنا من خلال الجدول الاتي :

عدد المقاعد التي احتلتها الاحزاب الدينية في الكنيست

اسم الحزب	عدد المقاعد								
	الاول ١٩٤٩	الثاني ١٩٥١	الثالث ١٩٥٥	الرابع ١٩٥٩	الخامس ١٩٦١	السادس ١٩٦٥	السابع ١٩٦٩	الثامن ١٩٧٣	التاسع ١٩٧٧
الجبهة الدينية المتحدة	١٦	—	—	—	—	—	—	—	—
جبهة التوراتية الدينية	—	١٠	١١	—	—	—	—	—	—
جبهة التوراة الدينية	—	٥	٦	—	—	—	—	—	—
المفدال	—	—	—	١٢	١٢	١١	١٢	١٠	١٢
اغودات اسرائيل									
عمال اغودات اسرائيل	—	—	—	٦	٦	٦	٦	٦	٥
المجموع	١٦	١٥	١٧	١٨	١٨	١٧	١٨	١٦	١٧

Digitized by Birzeit University Library

الاحزاب العمـالية :

شكلت الحركة الصهيونية ردة رجعية للتيارات الاصلاحية التي سبقت ولادتها · فالى جـانب استغلال الصهيونية الحركات الدينية ، وحملها عـلى القبول الضمني والعلني بفكرة الدولة القومية ، فقد ظهرت حركات صهيونية اعتنقت المبادىء الاشتراكية والماركسية ، بقصد طبع صهيونيتها بطابع التقدمية والتحرر والديمقراطية ، محاولة اعتبار نفسها من الاحزاب اليسارية والاشتراكية ·· بيد ان ثمة تماثل كبير للصهيونية مع العقائد القومية ـ الاشتراكية (الفاشية والنازية) · فالصهيونية ، كما هي الحال مع الفاشية ، حركة بورجوازية صغيرة مستلبة ، تحاول عكس هذا الاستلاب عن طريق الالتصاق بفكرة ازلية ملازمة لصاحبها وجاذبة له بشكل كلي · فاليسار الصهيوني ـ برغم كونه يسارا ـ فهو صهيوني تهيمن على ذهنه سيطرة الفكرة الصهيونية ، وما الاشتراكية الا النزعة الفكرية الصادرة عن وضع العامل الصهيوني ، هذا الوضع الذي لم يتمكن من استيعابه (٨) · (ومن الملاحظ ان الصهيونيين الغربيين نادرا مـا كانوا اشتراكيين ، اذ لم يكونوا في وضع عمالي كما في اوروبا الشرقية) ·

وهكذا فان **اليسار الصهيوني جزء من النشاط الصهيوني ككل** · ففي الوقت الذي اعتبر نفسه العامل الرئيسي في تحقيـق الظاهرة الصهيونية ، نراه في حالة حرب دائمة مع الاتجاهات الراديكالية في اوساط اليهود ، التي ساهمت وتساهم مع الحركات الثورية لمواجهة الامبريالية والعنصرية · لذا ، يمكن فهم اهتمام الصهيونيين بكسب الحركة البروليتارية اليهودية ، التي كانت تنافسهم على الصعيد الايديولوجي فـي اوروبا الشرقية ، فالدعوة الى القومية والسيادة تتعارض مـع الاممية والصراع الطبقي ، مما دفع الى احتدام الصراعات بين التيارين (٩) ·

من الناحية التاريخية ، فان ولادة الاحزاب « العمالية » تعود الى نشوء الحركة الصهيونية في كنف الامبريالية العالمية ، وان تاثرت بالافكار والمعتقدات الماركسية ، الا انها طبعت هذه المعتقدات بنزعة عنصرية استعمارية ، ممـا يجعلها على نقيض كامل مع الحركات الثورية ·

ولفهم الارضية الايديولوجية لهذه الاحزاب ، لا بد لنا من عرض سريع للتيارات الفكرية التي استندت اليها الاحزاب الصهيونية العمالية · وهي (١٠) :

١ ـ حركة هاشومير هاتزعير (الحارس الفتي) :

ظهرت ، بين ١٩١٣ ـ ١٩١٩ ، في اوروبا الشرقية ، وعلى وجـه التحديد في بولونيا والنمسا · وامتدت في انحاء كثيرة من العالم · اهتمت بتنظيم حركة هجرة

Digitized by Birzeit University Library

يهودية عالمية الى فلسطين ، وركزت على انشاء مزارع جماعية (**كيبوتسات**) في فلسطين ، كخطوة اولى نحو بناء الوطن القومي اليهودي ، المستند الى التعاونيات الاشتراكية ، كمقدمة لانشاء دولة تقوم على التعاون بين العرب واليهود · رفضت الحركة ، قبل ١٩٤٨ ، ان تشكل حزبا سياسيا واصرت على ان تبقى حركة تمثل « الاتجاه الثوري الماركسي الصحيح » ، على اعتبار ان المزارعين في الكيبوتس سيقودون الدولة الى الاشتراكية ! ··

نشأت حركة الحارس الفتي كحركة صهيونية ، فقد استمدت محتواها الاجتماعي من الماركسية ، وتنظيمها من الفاشستية ، ويعتبر **بيار بورخوف** (١٨٤٢ ـ ١٩١٥) الاب الفكري لهذه الحركة ، فهو لم يكن مفكرا اشتراكيا بقدر ما كان مقلدا ، اذ اقتصرت جهوده العلمية على استعارة الديالكتيكية الماركسية وتطبيقها على اليهود ، من اجل حل « المشكلة اليهودية » (١١) ·

وليس مستبعدا ان تكون الحركة الصهيونية وراء انشاء **هاشومير هاتزعير** · وقد وضعت الحركة برنامج من ثلاث نقاط (١٢) هي : (١) هجرة البرجوازية الصغيرة التي تتحول الى بروليتاريا الى فلطسين · (ب) تركيز الهجرة اليهودية · (ج) الضبط المنظم للهجرة ·

٢ ـ احدوت معفودا (العمل الموحد) :

كانت اكثر نشاطا وتطرفا في القطاع العمالي اليهودي ، ومدعاة لتمثيل الاشتراكية الدولية · وقد تبنت النظام الاشتراكي ، بمعناه الواسع ، مركزة على اهمية المستوطنات ، باعتبارها اللبنة الاساسية لبناء الدولة اليهودية الاشتراكية !·· وفي عام ١٩٢٩ عندما تالف حزب **المباي** ، ليضم الحركات الاشتراكية الصهيونية المختلفة ، وافقت **احدوت معفودا** (عكس **هاشومير هاتزعير**) على دعوة **المباي** ، حيث شكلت مع **هابوعيل هاتزعير** (العامل الفتي) حزب **المباي** (١٣) · وفي عام ١٩٤٢ بدت بوادر انشقاق **احدوت معفودا** عن **المباي** ، بسبب قرار **المنظمة الصهيونية** المتضمن تاييدها قيام دولة صهيونية في فلسطين ، وكان من اسباب الانشقاق شعور **احدوت معفودا** بمساومة **المباي** مع الدول الرأسمالية ، لدرجة لم يعد معها حزبا اشتراكيا · وفي عام ١٩٤٥ انشقت حركة **احدوت معفودا** ، وغدت حركة مستقلة · وتعتبر نفسها ممثلة للوسط بين **المباي وهاشومير هاتزعير** ، حتى عام ١٩٤٨ ، وهو العام الذي شهد اندماجا بين الجناح اليساري **لحركة عمال صهيون وهاشومير هاتزعير** ليشكلا معا حزب **المبام** (١٤) ·

Digitized by Birzeit University Library

٣ ـ بوعلي زيون (حركة عمال صهيون)

اعتنقت الحركة ، مع بداية ولادتها ، الماركسية ولكنها رفضت الشيوعية · على انه في عام ١٩١٧ ، انشقت جماعة عنها عرفت باسم الجناح اليساري ، ويعود سبب انشقاقها انها طالبت بانشاء روابط اكثر متانة مع الاتحاد السوفياتي ، هذا الطلب الذي رفض من قبل اكثرية اعضاء الحركة · ومن مبادىء الحركة تعميم اللغة **اليديشية** Yiddish على جميع اليهود ، حتى في فلسطين · وقد ظلت الحركة تعمل في فلسطين حتى عام ١٩٤٨ ، عندما اندمجت مع **هاشومير هاتزعير واحدوت معفودا** ، مشكلة حزب **مابام** (١٥)·

٤ ـ هابوعيل هاتزعير (العامل الفتي) : Ha Poal Ha -- Tzair

عارضت الحركة كل الشعارات البروليتارية والصراع الطبقي ، بالرغم من ان برنامجها ، كان ينص على الملكية الجماعية للارض ، ويتضمن الكثير من المبادىء « الاشتراكية » ، رفضت الحركة الانضمام الى حركة العمال العالمية (على عكس عمال صهيون) · تميزت الحركة بتفكيرها العملي ، معتبرة ان الاشتراكية جزء من الحركة القومية ·

ان الحركات السياسية السابقة هي التي كونت ، بالاندماج والانشقاق ، الاحزاب العمالية الرئيسية (**المباي** ، **المابام** ،**احدوت معفودا** ، **رافي** ···) ، كما انها تعتبر الاساس العقائدي للاحزاب العمالية الحالية ، بتياراتها المختلفة · ومن الظواهر البارزة في تشكيلات تلك الاحزاب انها لم تشهد حالة من الاستقرار ، بل تميزت بالعديد من الانقسامات ، الامر الذي اثر على بنية هذه الاحزاب وعلى برامجها السياسية والعملية وتسبب في احداث تغييرات في خريطة تحالفاتها وتكتيلاتها · فحزب **المباي** ، الذي جمع مختلف التيارات الفكرية « العمالية » ، سيطر ، الى فترة طويلة ، على مختلف المؤسسات الصهيونية ، كما تسلم السلطة لسنوات طويلة ، وتربع على قيادة الاجهزة الحكومية ··· بيد ان هذا الحزب شهد انقسامات وانشقاقات ، اثرت على مكانته ·

ولعل بداية الانشقاقات التي شهدها **المباي** كانت في عام ١٩٤٤ ، عندما انشقت حركة **بوعلي تسيون** (حركة عمال صهيون) مشكلة حركة مستقلة ، اعلن عنها عام ١٩٤٨ ، وانضمت اليه ، فيما بعد حركة **هاشومير هتسعير** ليشكلا ، معا ، حزب **المابام** · ثم تلا ذلك انشقاق **أحدوت معفودا** (حركة العمل الموحد) عن حزب **المابام** ، عام ١٩٥٤ ، مكونا حزبه الخاص · وفي عام ١٩٦٤ خرج جناح **بن غوريون** عن حزب **المباي** ، مكونا حزب **رافي** ، الذي خاض بقائمة مستقلة انتخابات الكنيست السادس ،

Digitized by Birzeit University Library

عام (١٩٦٥) . وفي اواخر عام ١٩٦٨ تم ائتلاف ثلاثة احزاب رئيسية (**المباي ، رافي ، احدوت معفودا**) لتشكيل حزب **العمل** الاسرائيلي ، والذي تحالف مع **المابام** ، تحت اسم كتلة **المعراخ** ، التي ما زالت قائمة حتى الوقت الحاضر .

وبعد حرب تشرين ١٩٧٣ ، شهد **حزب العمل** سلسلة من الانقسامات ، اثرت على مكانته السياسية ، وساهمت في تدهور اوضاعه ، فقد انسحبت قيادات عديدة من **حزب العمل** لتشكل حركات خاصة بها (مثل انشقاق **اربيه الياف** وتشكيل حركة « **الاشتراكيين المستقلين**) كذلك خروج « **سكوبيت الوني** » ، وتشكيل « **حركة حقوق المواطن المدنية** » ، وائتلاف تلك القوى مع قوى اخرى لتشكيل روابط وحركات اخرى ، منها **المجلس الاسرائيلي من اجل سلام اسرائيل ـ فلسطين** . وقد ضعف حزب **المباي** بفعل حرب تشرين ، مما ترتب عليه سقوط **غولدا مائير** ، وتولى **اسحق رابين** (**المباي**) مهام الحكم ، بيد ان اشتداد الصراعات وانتشار سلسلة الفضائح ادت الى صعود جناح **رافي** لاول مرة حين تولى **شمعون بيرس** مهام قيادة **حزب العمل** ، وتسلم رئاسة الوزارة الانتقالية ، قبل خوض انتخابات الكنيست التاسع ، في ايار عام ١٩٧٧ .

اضافة الى ذلك ، ظهرت حركات سياسية جديدة ، بعد حرب تشرين لاول مرة على المسرح السياسي ، وجاءت اغلبيةقيادتها من الاعضاء الذين كانوا في **حزب العمل** ، مثل **حركة شينوى** « **التغيير** » ، بزعامة **امنون روبنشتاين** ، والذي انضم اليها ، فيما بعد « **المركز الحر** » . ثم ظهرت الحركة الديمقراطية بزعامة **ايغال يادين**، التي اسست حركتها الخاصة ، في اواخر عام ١٩٧٦ ، وانضمت اليها حركة **شينوي** لتشكل حركة باسم « **الحركة الديمقراطية للتغيير** » (**داش**) .

لقد طرحت **داش** نفسها باعتبارها قوة اشتراكية راديكالية ، ودعت الى ضرورة احداث تغيير في القيادات العمالية ، وطالبت باصلاحات جذرية منها القضايا المتعلقة بقانون الانتخابات والتمثيل النسبي وانتهاج سياسة ديمقراطية في عملية الانتخابات .

ان الانقسامات والخلافات التي سادت الاحزاب العمالية شكلت احد الاسباب القوية لتراجع مواقع وقوة **حزب العمل** . تجلى ذلك من خلال الانخفاض المستمر في عدد المقاعد التي تحتلها الاحزاب « العمالية » في الكنيست ، كما ان ذلك ساهم في

Digitized by Birzeit University Library

ازدياد قوة الاحزاب اليمينية ، التي استطاعت ان تتسلم الحكم ، لاول مرة ، في انتخابات الكنيست التاسع ٠

من جهة اخرى ، فان التطورات التي طرأت على الاحزاب « العمالية » افسحت المجال امام بعض القيادات العمالية ، منها « **الحركة الديمقراطية للتغيير (داش)** » ، للاشتراك في الحكم تحت قيادة الاحزاب اليمينية ، وميل بعض القيادات التاريخية للاحزاب العمالية (**مثل موشي دايان** ٠٠) للانسحاب من الاحزاب ٠ ان تلك التطورات دفعت الى حدوث تغييرات ملموسة في الخارطة الحزبية داخل الكيان الصهيوني من جهة ، كما انه يعتبر مؤشرا على ازدياد حدة الصراعات والانقسامات داخل تلك الاحزاب من جهة اخرى ٠

مواقع الاحزاب العمالية في الكنيست :

شكلت الاحزاب « العمالية » اقوى الاحزاب الاسرائيلية ، سواء داخل الكنيست الصهيوني او في مؤسسات الحركة الصهيونية ٠ واذا كانت الظروف السياسية التي سادت قبل ولادة الكيان الصهيوني دفعت الاحزاب « العمالية » للائتلاف تحت زعامة **الماباي** ، ودعمه في السيطرة على المؤسسات الصهيونية لتحقيق المشروع الصهيوني بانشاء دولة « اسرائيل » ، الا ان هذا التأييد ما لبث ان فتر ، وضعف ، بعد قيام الدولة الصهيونية عام ١٩٤٨ ، عندما بدأت الانقسامات والصراعات تسود صفوف الحزب ، وقد بدأ ضعف **الماباي** عام ١٩٥٥ ، عندما خاضت **احدوت هعفودا** انتخابات الكنيست الثالث ، حيث حصلت على عشرة مقاعد في الكنيست ٠ وفي عام ١٩٦٤ شهد الحزب انقساما اخر ، عندما اعلن قائده **بن غوريون** ، استقالته من الحزب ، وتشكيل كتلة خاصة به باسم **رافي** ، التي خاضت انتخابات الكنيست السادس (١٩٦٥) لوحدها وحصلت على (١٠) مقاعد ٠ وعندما ائتلف **رافي** مع **الماباي واحدوت هعفودا** ، تحت اسم **حزب العمل** انشقت مجموعة من **رافي** ، تحت اسم **القائمة الرسمية** وشكلت حزبا خاصا بها ، وائتلفت مع الاحزاب اليمينية المعارضة لحزب **العمل** الحاكم ٠

وفيما يلي جدولا يوضح عدد المقاعد التي احتلتها الاحزاب العمالية خلال دورات الكنيست التسع (١٦) :

Digitized by Birzeit University Library

عدد المقاعد في الكنيست

اسم الحزب	الاول ١٩٤٩	الثاني ١٩٥١	الثالث ١٩٥٥	الرابع ١٩٥٩	الخامس ١٩٦١	السادس ١٩٦٥	السابع ١٩٦٩	الثامن ١٩٧٣	التاسع ١٩٧٧
المـــاباي	٤٦	٤٥	٤٠	٤٧	٤٢	—	—	—	—
احدوث هعفودا	—	—	١٠	٧	٨	—	—	—	—
رافي	—	—	—	—	—	١٠	—	—	—
مابام	١٩	١٥	٩	٩	٩	٨	—	—	—
المعراخ	—	—	—	—	—	—	٥٦	٥١	٣٢
الحركة الديمقراطية للتغيير (داش)	—	—	—	—	—	—	—	—	١٥

الاحزاب الصهيونية « اليمينية » :

بعد نشوء الحركة الصهيونية تبلورت تيارات يمينية صهيونية ، فاصبح هناك يمين صهيوني ديني ويمين صهيوني عمالي ، بيد ان ثمة صهيونية ظلت في الوسط ، مكونة نوعا من الصهيونية فوق الاحزاب ، تؤمن بالمصلحة القومية ، بغض النظر عن الانتماء الطبقي . وقد سمي هذا التيار **بالصهيونيين العموميين** ، فهو تيار ليبرالي بورجوازي ، مثل كبار الممولين اليهود في الخارج ، وضم الصناعيين والتجار وملاك الاراضي والمنتجين الزراعيين في الداخل (اي الكيان الصهيوني) . وامام اتساع النفوذ السياسي للاحزاب العمالية ، اتجه هذا التيار الى بلورة نفسه كحزب ، ليحد من النفوذ العمالي في العملية الاستيطانية ، لذا عارض **الهستدروت** ومزارع **الكيبوتس** والتنظيمات العمالية ، في البداية ، ثم ما لبث ان غير مواقفه ، بعد ان اتضح له ان الاهداف الصهيونية للحركات العمالية تتطابق مع مواقفه في توطيد الاستعمار الاستيطاني الاحلالي .

ترجع جذور « **الصهيونيين العموميين** » الى ايام **المنظمة الصهيونية العالمية** . فالصهيوني العام هو : كل من انتمى الى المنظمة ، وسدد رسوم العضوية ، ودفع الضريبة الصهيونية ، واعلن تقبله لبرنامج المؤتمر الصهيوني الاول (عام ١٨٩٧) ، دون الالتفات الى معتقده السياسي العملي ، فيما يتعلق بالوسائل الكفيلة لتحقيق الاهداف الصهيونية (١٧) .

Digitized by Birzeit University Library

لقد مثل هذا التيار الاستعمار الصهيوني في اوضح مظاهره ، فهو يعتبر صورة طبق الاصل عن الاستعمار الاوروبي ، منذ خرج الى العالم يبحث عن الاسواق ، بقصد توسيع التجارة وتصريف المنتوجات . اي انهم التطبيق الامثل للاستعمار في صبغته الكلاسيكية المعهودة ، وفي تصميمه على الاستيلاء على مقدرات البلاد المستعمرة (١٨) .

ضمن هذا التيار تكون فريقان :

فريق (أ) ـ مثل مصالح المهاجرين من المانيا ورومانيا ، وهم اساسا صهيونيون ومثقفون لا يمانعون في اقامة منظمات استيطانية ذات طابع جماعي .

فريق (ب) ـ مثل مصالح الطبقة المتوسطة (التي شكلت جماعة الهجرة الجديدة) الذين عارضوا الهستدروت والمؤسسات العمالية .

مثل الفريق (أ) الحزب التقدمي ، في حين مثل الفريق (ب) حزب الصهيونيون العموميين . ثم اندمج هذان الحزبان عام ١٩٦١ ، ليشكلا الحزب الليبرالي (الاحرار) .. وفي عام ١٩٦٥ اشتد الصراع في صفوف هذا الحزب ، فانقسم الى قسمين : الاول الصهيونيون العموميون (وهم القسم الاكبر) ، الذي انضم الى حزب حيروت وكون كتلة جاحال ، والثاني مثله التقدميون وكونوا حزب الاحرار المستقلين . وفي عام ١٩٦٧ شهد حزب حيروت انشقاقا ، ترتب عليه انشاء «المركز الحر» ، اثر الخلاف بين صموئيل تامير ومناحيم بيغن ، ادى الى انفصال ثلاثة ممثلين عن حيروت في الكنيست ، وتكوين حزب « المركز الحر » .

وفيما يلي عرض موجز للاحزاب اليمينية في الكيان الصهيوني :

١ ـ حـزب حيروت :

يعتبر جابوتنسكي ابا الحزب ، وتعود جذور حيروت الى جماعة التصحيحيين التي نمت باطراد منـذ نشـوء الحركـة الصهيونيـة ، وبشكل خـاص بعـد ان قاطعت المؤتمـر التـاسع عشـر للحركة الصهيونية ، عام ١٩٣٥ ، وشكلت مـا اسمته « المنظمـة الصهيونية الجديدة » لتكون بديـلا للمنظمة الصهيونية العالمية . واعلـن التصحيحيون مبادءهم في جعل فلسطين وشرق الاردن وطنا للدولة اليهودية ، وتجميع يهود الشتات وبناء حضارة يهودية ،لغتها العبرية ، وروحها التوراة ، ونظامها الحرية والعدالة الاجتماعية (١٩) .

ولد حزب حيروت عن منظمة «الارغون تزفاي لئومي (المنظمة العسكرية القومية) »

Digitized by Birzeit University Library

الذي يعتبر **مناحيم بيغن** – زعيم الحزب – العماد الذي اتكأت عليه منظمة **الارغون**، التي كونت حزب **حيروت** عام ١٩٤٨، وانضم – فيما بعد – الى التصحيحيين ٠

يمتلك **حيروت** اربع صحف، تصدر باربع لغات، واسوة بغيره من الاحزاب يتصدى معركة الانتخابات الى بناء المستعمرات الزراعية والمشاريع الصناعية وتأسيس المدارس والمستوطنات. وقد تبوأ **حيروت** منذ الكنيست الثالث (١٩٥٥) مركز الحزب الثاني بعد **الماباي**، وقد تزايدت قوته الانتخابية ٠ فبعد ان حصل في الكنيست الاول على ١٤ مقعدا، انخفض في الكنيست الثاني الى ٨ مقاعد، وكان ترتيبه في هذين المجلسين الحزب الرابع، وفي الكنيست الثالث قفز الى المركز الثاني بحصوله على ١٥ مقعدا، وحصل في الرابع والخامس على ١٧ مقعدا، وفي السادس على ٢٧ مقعدا (٢٠) ٠

يعتبر الحزب يمينيا، وان كان يضم عمالا وعناصر من الطبقات الدنيا، ومن اليهود الشرقيين ٠ واكثر ما يربط هذه الجماعات المختلفة الى بعضها، هي حماسة الحزب واندفاعه القومي ٠ وعلى الصعيد الاقتصادي ينادي **حيروت** بنظام اقتصادي حر الى ابعد الحدود، ويحارب الاشتراكية والاستثمار الصغير، وينادي بتجريد **الهستدروت** من مشاريعه الاقتصادية ٠ وعلى صعيد السياسة الداخلية ينادي بنظام الانتخاب النسبي، ويصر على وضع دستور للدولة ٠ اما في السياسة الخارجية فهو يرفض مبدأ الحياد ويحمل راية العداء للاتحاد السوفياتي والشيوعية ٠ اما سياسته التوسعية فهي واضحة في اتجاهه لضم الضفة الغربية وقطاع غزه ٠

٢ – الحزب الليبرالي (الاحرار) Liberal Party

تشكل الحزب نتيجة لاندماج **الصهيونيين العموميين والتقدميين**، عام ١٩٦١ ٠ وتعود جذور حزب **الصهيونيين العموميين** الى اوائل القرن العشرين، غير انه اكتسب قوته الحقيقية بهجرة بعض الاثرياء الالمان عام ١٩٣٣، اذ مثل مصالح اصحاب العمل وملاك الاراضي والطبقة المتوسطة، والحزب عضو في **المنظمة الصهيونية العالمية**، الا انه يختلف مع الاحزاب العمالية، فهو يطالب بالحد من قوة الهستدروت وعدم تدخل الحكومة لصالحه بل وكان يرفض مجرد الاشتراك فيه (وكانت هذه هي النقطة التي سببت الشقاق داخله) ٠

اما حزب التقدميين فقد تأسس عام ١٩٤٨، وهو يضم المهنيين والمثقفين المهاجرين من وسط اوروبا ٠ يطالب الحزب بالتعاون بين الطبقات، وبضمان مكانة للقطاع الخاص في الاقتصاد الاسرائيلي ٠٠ كما يدعو الى تحرير مكتب العمل والتوظيف من سيطرة الاحزاب ٠ ونتيجة قبول التقدميين النسبي للهستدروت انفصلوا عن

Digitized by Birzeit University Library

الصهيونيين العموميين ، عام ١٩٤٨ . ويدافع الحزب ، ايضا ، عن تحرير النظام التعليمي من رقابة الاحزاب السياسية ، ويطالب بالحد من نشاط الاحزاب الدينية في الحياة الاسرائيلية .

يتبنى الحزب الليبرالي مصالح الرأسمالية الاسرائيلية ، كما يهتم بمصالح الطبقة المتوسطة والمهنيين ويطالب بدستور مكتوب للدولة ، وضمان الحريات الفردية ، ويعارض الاحزاب الدينية في كثير من مواقفها المتشددة .

حصل الحزب في انتخابات الكنيست عام ١٩٦١ ، على ١٧ مقعدا ، وشكل مع حزب **حيروت** ، المعارضة .

اتحد **الاحرار** مع **حيروت** تحت اسم **كتلة جاحال** ، عام ١٩٦٥ ، حيث تقدم الحزبان بقائمة انتخابية مشتركة في انتخابات **الهستدروت** والبلدية والكنيست . وعلى عادة الاحزاب الاسرائيلية ، يحتفظ الليبراليون بشيء من استقلالهم داخل تحالف **جاحال** ، ثم **ليكود** .

٣ ـ المركز الحر Free Centre

انشيء **المركز الحر** كحزب سياسي يميني رأسمالي ، عام ١٩٦٧ ، نتيجة انشقاق داخل حركة **حيروت** . اثر خلافات بين **مناحيم بيغن** ، زعيم **حيروت** ، **وشموئيل تامير** ، زعيم **المركز الحر** . ونتج عن الانشقاق انفصال ثلاثة ممثلين **لحيروت** في الكنيست ، وتكوينهم حزب خاص بهم . يتبنى حزب **المركز الحر** خطا ايديولوجيا يمينيا ، لا يختلف عن خط الحزب الام . وفي عام ١٩٧٣ اتحد الحزب مع **الحزب الليبرالي وحيروت** ليكونوا جبهة انتخابية تحت اسم **الليكود** . على انه ما لبث ان انسحب من الكتلة ، عام ١٩٧٦ ، وانضم الى **الحركة الديمقراطية للتغيير** (داش) .

٤ ـ القائمة الرسمية او قائمة الدولة State List

انشقت مجموعة من **رافي** . اثر انضمام حزب **رافي** الى **احدوت هاعفودا والماباي** ليشكلوا **حزب العمل** الاسرائيلي . وقد تراس هذه المجموعة **دافيد بن غوريون** ـ الاب الروحي لهـا . تحت اسم « **قائمة الدولة** » او « **القائمة الرسمية** » . خاضت **القائمة** انتخابات الكنيست السابع (١٩٦٩) منفردة وحصلت على ثلاثة مقاعد . وقد انضمت **القائمة الرسمية** لكل من **جاحال والمركز الحر وحركة ارض اسرائيل الكاملة** ، ليشكلوا عشية انتخابات الكنيست الثامن ، **كتلة الليكود** . وتتشابه سياسة **القائمة الرسمية** الخارجية مع مواقف **مناحيم بيغن وعيزر وايزمان** ، وسائر قادة **ليكود** .

Digitized by Birzeit University Library

٥ ـ الاحرار المستقلون Independent Liberal Party

تأسس الحزب عام ١٩٦٥ ، حين انقسم **الحزب الليبرالي** الى قسمين ، فانضم القسم الاكبر (**الصهيونيون العموميون**) الى **حيروت** ، وكونوا كتلة **جاحال** ، اما القسم الاصغر **التقدميون** ، فكونوا **حزب الاحرار المستقلين** · وقد طرأت خلافات في صفوف زعامة الحزب ، حين انشق **هليل زايدل** ، لينضم الى **حزب الاحرار** · وبقي **موشي كول** زعيما للحزب ·

مواقع الاحزاب اليمينية في الكنيست :

بقيت الاحزاب اليمنية في صفوف المعارضة ، ولكنها شهدت ، في الاونة الاخيرة ، تزايدا مطردا في قوتها ، كان من اهم اسبابه الانقسامات الحادة التي طرأت على الاحزاب « العمالية » · وتجدر الاشارة الى ان قوة الاحزاب اليمينية في الكنيست قد بدأت بالتزايد بعد نشوء الكيان الصهيوني · ففي انتخابات الكنيست الثانية ، عام ١٩٥١ ، ارتفعت قوة **الصهيونيين العموميين** بنسبة ٣٠٠٪ (من ٧ مقاعد الى ٢٠ مقعدا) ، واذا كانت هذه النسبة قد توقفت في الاعوام التي تلتها ، الا انها بدأت بالارتفاع عام ١٩٦٩ (٢١) اثر ائتلاف الاحزاب اليمينية الرئيسية (**الاحرار وحيروت**) من جهة ، والضعف الذي ساد كتلة **المعراخ** ، من جهة اخرى · ثم تضاعفت قوة الاحزاب اليمينية اثر حرب تشرين ، عندما قامت كتلة **الليكود** ، لتوسع من دائرة تحالفاتها ، حيث ضمت كتلة **جاحال** (**حيروت وحزب الاحرار**) وكتلة **لاعام** (ضمت **المركز الحر والقائمة الرسمية وحركة العمل من اجل ارض اسرائيل الكاملة**) ·

وبالرغم من ان ثمة خلافات وصراعات مختلفة بين الاحزاب اليمينية ، الا انها لم تكن في مستوى الخلافات والانقسامات الحادة التي شهدتها الاحزاب « العمالية » · ففي تموز ١٩٧٤ شهد **حزب الاحرار** خلافات قوية ، ترتب عنها خروج **اريك شارون** من الحزب ، وتشكيل حركة مستقلة باسم « **حركة شلوم تسيون** » التي خاضت انتخابات الكنيست التاسع بمفردها ، وحصلت على مقعدين · كما ظهرت خلافات داخل **القائمة الرسمية** بين فريقين احدهما قريب من حزب **حيروت** بزعامة (**بنائيل هوروفيتش وامنون لين**) والاخر قريب من حزب **الاحرار** بزعامة (**زلمان شوفال ويتسحاق بيرتس**) ·

ولعل اهم التطورات التي طرأت على الاحزاب اليمينية هو انسحاب **المركز الحر** من **الليكود** ، وانضمامه الى **الحركة الديمقراطية للتغيير** (**داش**) · وبنفس الوقت جرى اعادة ترتيب مواقع بعض الحركات الاخرى حيث عاد **شارون** الى مواقعه في كتلة **الليكود** ، ثم جاء **هليل زايدل** من حزب **الاحرار المستقلين** ، لينضم الى **حزب الاحرار** ،

Digitized by Birzeit University Library

اليسار الصهيوني ، حيث تدور جميع القوى اليسارية الاخرى في فلكه ، ولا تتجاوز الجوهر الايديولوجي والسياسي الذي يتبناه الحزب · فقد حاولت القوى الاخرى ـ كما هو الحال في **مابام** ـ الجمع بين الاشتراكية والصهيونية ، وان كانت اوضح منه في الدعوة الى الصراع الطبقي . والقضاء على الرأسمالية ، والملكية الفردية ، وسيطرة الطبقة العاملة والمطالبة بانشاء دولة ثنائية القومية ، وبالمساواة بين العرب واليهود ، وبجعل « اسرائيل » دولة محايدة · واذا كانت تلك القوى تنتقد **المابام** ، فبسبب رفعه شعارات تختلف تماما ، عن السياسة الفعلية التي يمارسها · لذا ، نجد ان الاحزاب اليسارية الصغيرة تنطلق من نفس المنطلقات التي دعا اليها **مابام** . بل انها جاءت نتيجة انشقاق بعض التيارات عن حزب **مابام** ، فقد جاء معظم اعضاء حركة **سياح** من صفوف **المابام** ، كما ان حزب **ماكي** ، وخاصة **موشيه سنيه** ، زعيم الحزب ، جاؤوا من **مابام** . بعد خروجه من حزب **الصهيونيين العموميين** ، اليميني ·

من هنا نجد ان القيادات اليسارية انبثقت عن الاحزاب الصهيونية ، ورغم خلافاتها مع تلك الاحزاب ، الا انها ظلت امينة لمنطلقاتها الصهيونية ، وان كانت تحاول ان تضفي صيغة « تقدمية » او « اصلاحية » على احزابها · فنجد **يوري افنيري** ، رئيس « **قوة جديدة** » ، كان عضوا في منظمة **الارغون** الارهابية ، وحارب في صفوف **الهاغناه** . قبل انشقاقه عنها · فهو يرى الصهيونية « ثورة فريدة لا نظير لها في التاريخ ، الا في الحروب الصليبية ، والهجرة البيوريتانية » · كما يرى ان خطأ الصهيونية هو تجاهلها للواقع العربي والوجود الفلسطيني ، وان الحل للصراع العربي ـ الصهيوني هو ايجاد « اسرائيل بدون صهيونية ! » ، وقيام دولتين فلسطينية واسرائيلية ·

ان **انبثاق قوى** يسارية انما يعكس احد جوانب المأزق الذي تعيشه الحركة الصهيونية · ورغم اهمية ذلك التطور في مجرى الحياة السياسية داخل الكيان الصهيوني ، الا انه يبقى ان نشير ان تأثير تلك التيارات محدود ، خاصة وانه تحكمها صراعات قوية ، لدرجة عدم وجود حد مشترك يجمعها ، في وقت تسودها صراعات سياسية وشخصية ذات صبغة برلمانية واضحة ·

وفيما يلي عرض موجز لاهم الحركات « اليسارية » الصهيونية :

(١) قوة جديدة ، هاعولام هازيه :

تأسست عام ١٩٥٠ ، برئاسة **يوري افنيري** ، وهي تشكل امتدادا **لحركة العمل** السامي ، التي دعت للانفصال عن الماضي اليهودي في الدياسبورا . والتفاهم مع

Digitized by Birzeit University Library

(٤) حركة حقوق المواطن :

تشكلت من **حركة الحقوق المدنية** (التي تزعمتها شلوميت الوني المنشقة عن حزب العمل) ومن **الرابطة الاسرائيلية للحقوق المدنية** (التي تزعمها **اسرائيل شاحاك** ، وظهرت بعد عام ١٩٦٧) وقد نزلت الحركة بقائمة انتخابية موحدة في انتخابات الكنيست الثامن (١٩٧٣) ، كما شاركت في الائتلاف الحكومي بمقعد وزاري احتلته **شلوميت الوني** ، بعد ١٩٧٣ . الا انها خرجت من الوزارة بعد عام ١٩٧٤ ، احتجاجا على دخول **المفدال** الحكم · وقد خاضت الحركة انتخابات الكنيست التاسع (١٩٧٧) بمفردها ، حيث حازت على مقعد واحد ·

(٥) حركة شيلي :

تأسست قبيل موعد انتخابات الكنيست التاسع (١٩٧٧) وضمت (أ) **الكتلة الاشتراكية المستقلة** ، بزعامة **اربيه الياف** (الذي سبق وانشق عن **حزب العمل**)· (ب)**حركة موكيد** ، وهو حزب يساري صهيوني ظهرت في اوساطه انقسامات عدة ، انضم قسم منها الى **الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة** واخرون توزعوا الى حركات اخرى · (ج) **قوة جديدة** التي يتزعمها يوري افنيري · (د) وجناح من الفهود السود · (هـ) المجلس الاسرائيلي لسلام اسرائيل ـ فلسطين واشهر قياديه اريه الياف ومتياهو بيليد ·

(٦) حركة الفهود السود :

لا تمتلك ايديولوجية محددة · وقد نشأت كرد فعل على الاضطهاد الطبقي والعرقي الذي يمارسه الاشكنازيم ضد اليهود السفارديم · وهي اقرب ما تكون الى اليسار (اللاصهيوني) · لاقت تجاوبا في اوساط اليهود الشرقيين ، ونشطت عام ١٩٧١ · واجهت الحركة انقسامات عديدة ، برز تياران احدهما ابدى استعداده للتعاون مع الحكومة واعلان ولاءه لدولة ، في حين اندفع كثيرون من اعضاء الحركة الى رفض الصهيونية ، والميل نحو اليسار الجديد اللاصهيوني .

الاحزاب اليسارية (غير الصهيونية) :

ثمة احزاب اسرائيلية خارج المعسكر الصهيوني ، واذا كانت تلك الاحزاب تعارض الصهيونية كحركة رجعية ، الا انها تتفاوت في مدى قبولها بفكرة القومية الاسرائيلية ، وكيفية شق طريقها النضالي ، لمواجهة مسائل الصراع في المنطقة ،

Digitized by Birzeit University Library

انها تعتقد بان هناك « قومية اسرائيلية » يجب الاعتراف بها وضرورة الاعتراف بحق الشعب الاسرائيلي في تقرير مصيره ٠

ونتيجة الصراعات القوية داخل **ماتسبن** ، انقسمت الى اربعة تنظيمات ، **وهي** :

١) **ماتسبن ، جماعة تل ابيب** ٠

٢) **ماتسبن ، جماعة القدس** ٠

٣) **مجموعة اللامبارتيين (الطليعة)** ٠

٤) **الاتحاد الشيوعي الثوري ، والجبهة الحمراء** ٠

وقد دعا التنظيم الاخير الى ضرورة ممارسة عملية **وواقعية** لتحقيق الاهداف التي وضعتها **ماتسبن** ٠ كما انتقد عدم وجود برنامج سياسي لهذه المنظمة ، وغياب اطـار تنظيمي ، يناسب الاستراتيجية التي وضعتها حركة **ماتسبن** ٠ ان بروز تنظيم كهذا ولد ظاهرة جديدة ، وهو لجوء بعض القوى الثورية الى التفكير في انتهـــاج اسلوب الكفاح المسلح ، كطريق للقضاء على الصهيونية ٠ ولا شك ان ذلـك يفسح المجال امام ايجاد ارضية التعاون بين تلك القوى والثورة الفلسطينية ٠

الجمهورية العراقية
وزارة الاعلام

صدر حديثاً

لبنان في خريطة الامبريالية الجديدة

محمد طي

فضح مؤامرات الامبريالية والرجعية باستغلال احداث لبنان لخدمة اهدافها ودور المسيرة النضالية للقوى الثورية العربية .. وبالتصدي لها ومقاومتها .

توزيع/ الدار الوطنية

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

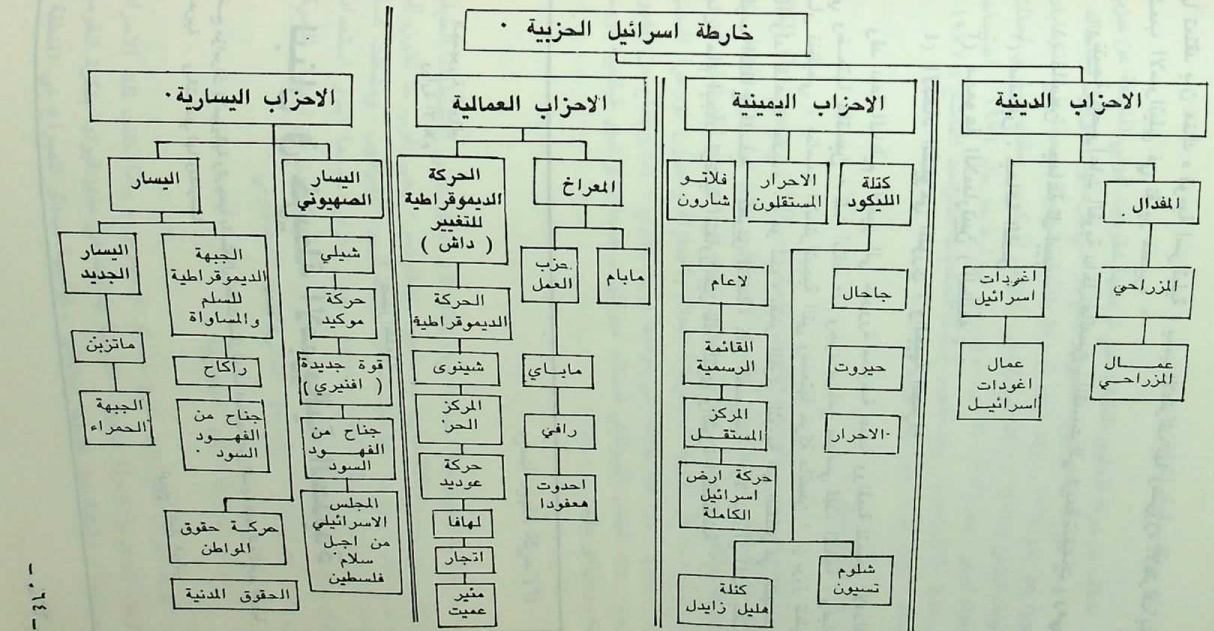

وخروج بعض الزعامات من **حزب الاحرار** منهم **متياهو بيليد** ، الذي كون مع **آريه اليباف** (من حزب العمل) **الحركة الاسرائيلية لسلام اسرائيل ـ فلسطين** ، وخاضت انتخابات الكنيست التاسع (ايار ١٩٧٧) ـ بالائتلاف مع قوى اخرى تحت قائمة سميت « **قائمة شيلي** » .

وفيما يلي جدول يبين عدد المقاعد التي احتلتها الاحزاب اليمينية ، خلال دورات الكنيست التسع :

عـــدد مقاعد الكنيست

اسم الحزب	الاول ١٩٤٩	الثاني ١٩٥١	الثالث ١٩٥٥	الرابع ١٩٥٩	الخامس ١٩٦١	السادس ١٩٦٥	السابع ١٩٦٩	الثامن ١٩٧٣	التاسع ١٩٧٧
حزب حيروت	١٤	٨	١٥	١٧	١٧	—	—	—	—
حزب الأحرار	٧	٢٠	١٣	٨	١٧	—	—	—	—
جاحال	—	—	—	—	—	٢٦	٢٦	—	—
القائمة الرسمية	—	—	—	—	—	—	٤	—	—
المركز الحر	—	—	—	—	—	—	٢	—	—
الليكود	—	—	—	—	—	—	٩	٣٩	٤٣
الأحرار المستقلون	—	—	—	—	—	٥	٤	٤	١
شلوم تسيون	—	—	—	—	—	—	—	—	٢
فلاتو قارون *	—	—	—	—	—	—	—	—	١

الاحزاب « اليسارية »

اشرنا في السابق الى جذور اليسار الصهيوني ، الذي مثلته الاحزاب « العمالية ». ويعتبرالبعض ان حزب **مابـام** (حزب العمال الموحد) هو اقوى الاحزاب التي تمثل

* نزل بقائمة موحدة ، وهو قريب من **الليكود** . مطلوب للمثول امام المحاكم الفرنسية بتهمتي الاختلاس والتزوير .

Digitized by Birzeit University Library

القومية العربية . شهدت الحركة انقساما ، حين خرج زعيمها الثاني **شالوم كوهين** الذي كون حركة جديدة باسم « **الجبهة الديمقراطية** » بعد استقطابه جماعات من الفهود السود . مثلت **قوة جديدة** في معظم القضايا السياسية « النزعة الوطنية » او « القومية الاسرائيلية المحلية » ، مقابل « الصهيونية الكلاسيكية » ، ولكن دون صدام بينهما . وينطلق افنيري من ان الصهيونية اصبحت من متاع الماضي ، وانها بعد ان خلقت دولة اسرائيل قد انتهت او ماتت ، ولم تعد ذات شأن في الوقت الحاضر .

ومطلب **قوة جديدة** يتلخص بنوع من الاستقلال الذاتي لاسرائيل عن الفكرة الصهيونية ، او الحركة الصهيونية العالمية ، ويعترض على **قانون العودة** الذي يعطي بعض مواطني دول اخرى حقا آليا في الجنسية الاسرائيلية ، لان هذا القانون « لا يتساوق مع المشاعر القومية الاسرائيلية المحلية النامية » (٢٢) .

(٢) حركة سياح « اليسار الاسرائيلي الجديد » :

نشأت الحركة نتيجة اتحاد جماعات منشقة عن الاحزاب والمنظمات الصهيونية « اليسارية » . وخصوصا من حزب **المابام** ، والمنشقين عن **ماكي** ، وبعض المثقفين المستقلين . لا تطرح **سياح** برنامجا حزبيا ، وتتضارب مواقف اعضاء الحزب بين متقبلين للفكرة الصهيونية ، وبين رافضين لها ، كما ترفض **سياح** اليسار الصهيوني التقليدي ، لانه « انحاز الى سياسة اضطهاد قومية اخرى » . وتعتبر **سياح** ان الصهيونية عامل مهم في بقاء المؤسسة الحاكمة . وتؤمن حركة **سياح** بضرورة النضال من « داخل » النظام الاسرائيلي ، وذلك لتعميق التناقضات داخله ، واتاحة الفرصة امام القوى التقدمية في المجتمع الاسرائيلي للظهور (٢٣) .

(٣) حزب ماكي (الحزب الشيوعي الاسرائيلي) :

تأسس عام ١٩١٩ ، وقد اتسم تاريخ الحزب بالخلافات والانقسامات بين العرب واليهود من اعضائه . وفي عام ١٩٤٤ كان هناك حزبان شيوعيان ، الاول : **عصبة التحرر الوطني** ، ويضم الشيوعيين العرب . والثاني : **الحزب الشيوعي اليهودي** . وبعد ولادة الكيان الصهيوني اندمج الحزبان ، وشكلا **الحزب الشيوعي الاسرائيلي** تحت اسم « **ماكي** » . وفي عام ١٩٦٥ انشق الحزب ، حيث خرجت مجموعة يهودية بقيادة **ميكونين / سنيه** ، وارتدت الى الصهيونية واحتفظت باسم **ماكي** ، اما الجناح الاخر فقد عمل مستقلا ، تحت اسم **راكاح** « **القائمة الشيوعية الجديدة** » .

Digitized by Birzeit University Library

ونظرتها الى القضية الفلسطينية ·· وفيما يلي عرض لاهم الحركات اليسارية (غير الصهيونية) :

(١) القائمة الشيوعية الجديدة « راكاح » :

تأسس عام ١٩٦٥ ، اثر الانشقاق الذي شهدته ماكي « **الحزب الشيوعي الاسرائيلي** » (٢٤) وهو حزب معترف به من قبل الدول الاشتراكية ، باعتباره ممثلا للحركة الشيوعية في اسرائيل · كما انه يمثل الاكثرية ، واغلبية اعضائه من العرب ··وقف الحزب ضد الفكرة الصهيونية ، الا انه يتفق في الاراء التي تقول بوجود « قومية اسرائيلية » · واقتناع **راكاح** بهذه الاراء دفعه للميل نحو الاعتراف بالقومية الاسرائيلية داخل اسرائيل ·

ويؤمن **راكاح** بان دولة اسرائيل اصبحت امرا واقعا ، وليس من الممكن القضاء عليها عسكريا ، وبنفس الوقت يؤمن الحزب بانه من الضروري قيام دولة لا صهيونية ويعتقد بـان النضال السياسي هو افضل طريق لانجاز ذلك · وفي الوقت نفسه ، فانه يقوم بتأييد الطموحات القومية للاقلية العربية داخل الاراضي المحتلة ، والتي تهدف الى حرية تقرير المصير (٢٥) ·

(٢) المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية (ماتسبن) :

تأسست عام ١٩٦٢ ، من جراء اتحاد ثـلاث حركات سياسية صغيرة ، هي : (أ) جماعة انشقت عن **الحزب الشيوعي الاسرائيلي** · (ب) جماعة انشقت عن **حركة العمل السامي** ، التي كانت ترفع شعار « يا سامير الشرق الاوسط اتحدوا » · (ج) جماعة من **التروتسكيين** (٢٦) · وفي عـام ١٩٦٥ انضمت **ماتسبن** الى **قـوة جديدة** (يوري افنيري) ، ولكنها ما لبثت ان انشقت عنها عام ١٩٦٦ ·

ترفض منظمة **الماتسبن** فكرة الصهيونية ، كما ترفض الحل الصهيوني للمسألة اليهودية ، وتعتبر المنظمة ان الصراع الخارجي هو الذي يحرك الصراع الداخلي · وقـد عارضت **ماتسبن راكـاح** ، لاسباب عديدة مـن بينهـا « تبعيـة **راكاح** للاتحاد السوفياتي » من جهة ولمواقف **راكاح** من الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي ، مـن جهة اخرى ·

وتعتبر **ماتسبن** نفسها ، حركـة ثورية · فهي تدعو الى انهـاء الصهيونية في اسرائيل · وترى ان الممارسة السياسية هي الطريقة الوحيدة لمكافحة الاحتلال · كما

Digitized by Birzeit University Library

الهوامش :

(١) د. اسعد رزوق ، **نظرة في احزاب اسرائيل** ، بيروت ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، سنة ١٩٦٦ ، ص ٢٧٢٢٦ .

(٢) السيد عليوه حسن ، **القوى السياسية في اسرائيل** . ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧ . بيروت ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، ١٩٧٥ ، ص ١٣٤ .

(٣) رزوق ، المصدر السابق ، ص ٢٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٩ .

(٥) حسن ، المصدر السابق ، ص ١٣٤ .

(٦) لياء جميل مجاعص ، المابام ـ حزب العمال الموحد في اسرائيل . مركز الابحاث . ص ٧٥

(٧) حسن ، المصدر السابق ، ص ٦٦ .

(٨) عزيز العظمة ، اليسار الصهيوني من بدايته حتى اعلان دولة اسرائيل . مركز الابحاث ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٩) رزوق ، المصدر السابق ، ص ٦٢ .

(١٠) ابراهيم العابد ، « المابای » الحزب الحاكم في اسرائيل . مركز الابحاث ، ص ١٥ ـ ٢٠

(١١) ليا مجاعص . المصدر السابق . ص ١٢ .

(١٢) رزوق ، المصدر السابق ، ص ٦٢ +
مجاعص . المصدر السابق ، ص ١٤ .

(١٣) لمياء مجاعص ، المصدر السابق ، ص ١٧ .

(١٤) المصدر نفسه ، ص ١٧ .

(١٥) المصدر نفسه ، ص ١٨ .

(١٦) حسن ، المصدر السابق ، ص ١٦٤ .

(١٧) رزوق ، المصدر السابق ، ص ٧٥ .

(١٨) المصدر نفسه ، ص ٧٥

(١٩) بسام ابو غزالة . الجذور الارهابية لحزب حيروت الاسرائيلي . مركز الابحاث ، ص ١٨

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ٧٢ .

(٢١) حسن ، المصدر السابق ، ص ١٨٨ .

(٢٢) ليلى سليم القاضي . المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية (ماتسبن) . مركز الابحاث ، ص ١١٣

(٢٣) د. سلمان رشيد سلمان . اليسار في اسرائيل . دار ابن خلدون ، ص ٢٥ ـ ٢٦ .

(٢٤) القاضي ، المصدر السابق ، ص ١٠٢ .

(٢٥) سلمان . المصدر السابق ، ص ٤٩ .

(٢٦) القاضي ، المصدر السابق ، ص ٢٩ .

مرجع عـام :

د. عبد الوهاب محمد المسيري .
موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، سنة ١٩٧٥ .

Digitized by Birzeit University Library

المقاومة الفلسطينية وحركات التحرر الوطني العربية

الواقع والمشكلات

عدنان عبد الرحيم

تجد المقاومة نفسها ، في هذه الايام ، في مواجهة ازمة ترتبط بالتراجع العام لحركة التحرر الوطني العربية ، على امتداد الوطن العربي كله ، وانتقالها من مواقع الهجوم على المصالح الامبريالية والكيان الصهيوني ، الى الدفاع عن الذات ، والتقوقع بانتظار الظروف المناسبة لتجديد فاعلياتها الهجومية .. ولا تعنينا المعالجة التفصيلية لاسباب هذا التدهور بالنسبة لحركة التحرر الوطني العربية بشكل عام ، بقدر ما سنهتم بأسباب ازمة المقاومة ، وبشكل خاص علاقة الثورة الفلسطينية بحركة التحرر الوطني العربية بعد عام ١٩٦٥ ، تلك العلاقة التي ميزت فهم كل منهما لطبيعة المهمات المطروحة كتحديات امامهما ، أي التصدي للكيان الصهيوني ، ونزعاته التوسعية ولدوره كمخفر امامي للامبريالية ، مهمته ضرب اي تحرك جدي باتجاه الوحدة ، والتقدم الاجتماعي في المنطقة العربية ، وحماية المصالح النفطية الاميركية في العالم العربي ، وهذا يعني أن كلا من الثورة الفلسطينية وحركة التحرر الوطني العربية تملكان ، بشكل عام ، مهمات واحدة ، وان اختلفت ظروف عمل كل منهما .

والحديث عن وحدة المهمات يقودنا الى وحدة العمل الثوري على كل المستويات ، تلك الوحدة التي لم تر النور حتى الان . ذلك أن حركات التحرر الوطني العربية ، شأنها شأن الثورة الفلسطينية ، خضعت لقانون التجزئة السياسية للوطن العربي ، مما أكسب نضال تلك الحركات ، والعمل الثوري الفلسطيني طابع النضالات الاقليمية المحدودة الاثر ، والفاعلية ، ومع أن النضال الوطني الاقليمي الفلسطيني كان ، بصورة أو بأخرى ، ضروريا في مرحلة من المراحل لابراز الشخصية الوطنية الفلسطينية ، الا انه على المدى البعيد عاجز

Digitized by Birzeit University Library

عن انجاز المهمات التي طرحتها الثورة الفلسطينية ، أي تحرير فلسطين ، وتكنيس المصالح الامبريالية في المنطقة العربية ، واقامة الدولة الديمقراطية الفلسطينية .

وتشكل علاقة الثورة الفلسطينية بحركات التحرر الوطني العربية وجها من وجوه الازمة التي عانت ، وما تزال تعاني ، منها الثورة الفلسطينية ، تلك العلاقة التي افتقرت الى الحوار الفكري ، والمهمات المشتركة ، والتنسيق التنظيمي . وقبل البدء بالحديث عن مسببات تلك الازمة ، وانعكاساتها على عمل الثورة الفلسطينية ، لا بد من تسجيل الملاحظات التالية :

أ) ظهرت حركة المقاومة الفلسطينية عام ١٩٦٥ في ظروف كانت حركة التحرر الوطني العربية ، بفصائلها المختلفة ، وبأحزابها القومية الحاكمة ، واليسارية ، تعاني من مشكلات مختلفة على جميع المستويات ، الاقتصادية والاجتماعية ، والسياسية . وعجزت الطبقات التي تمثلها تلك الاحزاب عن حل المشكلات الوطنية والاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات العربية ، من طرح برنامج مستقبلي ، جذري يتناسب مع ضخامة التحديات الصهيونية ، والامبريالية .

ب)غياب العمل الوطني القومي : اذ خضعت فصائل حركة التحرر الوطني العربية المختلفة لقانون التجزئة الاستعماري ، وبشكل ميز عملها بالقطرية ، والدفاع عن مصالحها الضيقة ، وأحيانا تم هذا الامر تحت شعارات قومية ، ويسارية مختلفة لم تستطع اخفاء الطابع الاقليمي المسلطوي لتلك النضالات ، ومع أنه ليس بالامكان انكار وجود ضرورات تفرض على تلك الفصائل العمل السياسي القطري ، الا أن عملها هذا تعارض ، احيانا ، مع التوجهات القومية المفترضة لحركات التحرر الوطني العربية .

ج) لم تنبع الثورة الفلسطينية من الفراغ وانما هي وليدة الساحة العربية السياسية ، بما تحمله من تطلعات قطرية ، وأمراض سياسية ، وتناقضات ايديولوجية ، وممارسات تجريبية في العمل السياسي الوطني ، في منتصف الستينات ، وغموض في فهمها للعمل السياسي القومي على امتداد الوطن العربي . كما أنها ، في نفس الوقت ، خضعت لقيادة لا تختلف ، في توجهاتها الطبقية ، والوطنية ، عن الفئات القائدة لفصائل حركة التحرر الوطني العربي ، رغم فقدها الشديد ، أحيانا ، لتلك الطبقات العربية القائدة ، ووعيها لعجزها ، وأزمتها التاريخية ، على المستويين الوطني والاجتماعي .

Digitized by Birzeit University Library

١ ــ الثورة الفلسطينية بين الطليعة والبديل :

ادى عجز السلطات الحاكمة في اقطار المواجهة عن تحقيق انجازات وطنية ، ووحدوية تقرب عملية تحرير الارض المحتلة ، الى شعور الجماهير الفلسطينية بضرورة تحركها السياسي ، والعسكري لتحقيق طموحاتها الوطنية في تحرير التراب الفلسطيني ، والعودة ، هذا بالاضافة الى تراث تاريخي من الشك بمعظم الانظمة العربية التي لم تفعل الكثير لنصرة القضية الفلسطينية ، ولا شك ان انهيار الوحدة السورية ــ المصرية في مطلع الستينات مثل ، بالنسبة لتلك الجماهير ، ضربة اليمة لتطلعاتها الوطنية . **واقنعها بعدم جدوى انتظار الانظمة العربية** ، لتحرير وطنها . ويمكن القول بأن ظهور المقاومة الفلسطينية مثل بديلا موضوعيا لكل التحركات السياسية العربية الرسمية والحزبية التي كانت تجري تحت شعار التحرير ، واظهارا لعجز برامج حركات التحرر الوطني العربية وممارساتها عن تقريب عملية الوصول الى تحقيق تلك الشعارات .. بما في ذلك **الاحزاب القومية والقوى الحاكمة،** في كل من سوريا ، ومصر .. هذا بالاضافة الى ادراك الجماهير الفلسطينية لتآمن الانظمة الرجعية على قضيتها الوطنية ، وبشكل خاص النظام الاردني . وكان لا بد للمقاومة الفلسطينية من ان تطرح برامج عمل جديدة ، تتجاوز فيها برامج حركات التحرر الوطني العربية ، والتي ثبت عجزها ، وبناء على ادراك لميزان القوى في المنطقة ، وطبيعة القوى العربية الحاكمة ، وبنية الكيان الصهيوني ، وارتباطاته بالامبريالية الامبركية .

قابلت معظم الانظمة العربية ، والحركات الوطنية ظهور المقاومة الفلسطينية بالشك ، والاتهام بدءا من اتهامها بالعمالة للامبريالية الاميركية ، وانتهاء بوصفها (بالمغامرة) من قبل التنظيمات القومية واليسارية ، بحجة عجزها عن ادراك ميزان القوى في المنطقة العربية ، وبالتالي سعيها لتوريط الانظمة التقدمية في حرب مع اسرائيل غير مستعدة لها ، وذلك بسبب انشغال تلك الانظمة بالبناء الاشتراكي في الداخل، واهتمامها بالتغيرات الاجتماعية في اقطارها ، وحوربت كوادرها العسكرية، وتعرضت للقتل في كل من الاردن ، ولبنان .

ولا شك ان تلك الاتهامات كانت تنطوي على مغالطة اساسية وهامة ، وهي وجود وهم لدى تلك الانظمة التقدمية بامكانية القيام بعملية التغيير الاجتماعي ، والتوحيد القومي مع بقاء الوجود الصهيوني ، وتهديده . هذا مع العلم ان عدوان ١٩٥٦ على مصر برهن بشكل واضح على ان اسرائيل ستضرب اي تحرك وطني او قومي ، او اجتماعي بمجرد شعورها بآثاره الخطرة على وجودها ، مدفوعة بذلك من قبل القوى الامبريالية التي اقامت اسرائيل لهذه الغاية . وتحقيقا لمصالحها ، في تخليد تخلف المجتمع العربي ، وتجزئته السياسية ، داخلة بذلك في تحالف ضمني

Digitized by Birzeit University Library

مع كل الفئات العربية الحاكمة التي تهدد الوحدة العربيـــة ، والتغـــيير الاجتماعي بقائها على قمة السلطة في اقطارها .

ولا شك ان عدوان ١٩٦٧ لم يكن كرد فعل اسرائيلـي لنشاطـات المقاومـة الفلسطينية العسكرية فحسب ، بل هو ايضا هجمة امبرياليـة صهيونيـة مدبـرة للقضاء على الانظمة الوطنية التقدمية ، وخنق التطلعات القومية ، والتحرريـة لتلك الانظمة ، وايضا تحقيق توسع صهيوني على حساب الارض العربية .

لقد اظهر عدوان ١٩٦٧ عجز الانظمة والحركات الوطنية العربية عن مواجهة التحديات الصهيونية الامبريالية العسكرية والسياسية بشكل فعال ومتناسـب مـع قوة تلك التحديات ، وخلفياتها السياسية ، واكد في الوقت نفسـه ، ان الخطـر الصهيوني يهدد كل الكيانات السياسية العربية ، حتى وهي منشغلـة فـي ترتيب اوضاعها الداخلية ، ودون استفزاز للكيان الصهيوني ...

وهنا بدأت المقاومة الفلسطينية في ممارسة دور طليعي في تحريك الواقـع العربي على جميع المستويات ، وللحظة بدا وكأنها القوة الوطنية الوحيدة المتبقية في الساحة العربية في مواجهة الاخطار والتحديات الامبريالية ، وخاصة بعد ان تبـين جليا انهيار الجيوش النظامية العربية ، وعدم جدية القوى الوطنية الحاكمـة فـي التصدي لتلك الاخطار وانشغالها بصراعاتها الداخلية . ووجدت هذه الانظمـة في نشاطات المقاومة العسكرية والسياسية فرصة لالتقاط انفاسها لاستيعاب صدمـة الهزيمة ، واعادة بناء جيوشها النظامية ، وبشكل خاص مصر . واستمرت في تبني برامجها الاجتماعية ، والسياسية التي اثبتت الحرب عدم فاعليتها وعـدم جديـة تطبيقها . ولم تبخل تلك الانظمة (سوريا ، الاردن ، مصر) في تقديم شتى اشكال الدعم العسكري والسياسي للمقاومة ، لا نتيجة تسليمها بحقائـق الواقـع الجديد **وانما للتحايل عليه ، والتهرب من مواجهته ، وامام التفاف الجماهير العربيـة حول المقاومـة ومنطلقاتهـا ..**

وفي هذه المرحلة بدأت المقاومة ، موضوعيا ، تلعب دور الطليعـة في حركة التحرر الوطني العربية ، بسبب خروج تلك الحركة ، بأنظمتها واحزابها ، مهزومة من حربها مع العدو القومي ، والقيت على عاتقها مهمات تتجاوز آفاقـها او امكانياتها ، وطموحاتها . وانضمت اليها قوى جديدة كانت ، فيما مضى ، مندمجة فـي حركـة التحرر الوطني العربية ، وبدأت بعض فصائل حركة التحرر الوطني العربية ، والتي لم تستطع الا ان تكون اقليمية ، حتى في مجال الثورة الفلسطينيـة ، في تشكيل منظماتها الفلسطينية ، والتي كان مجرد عملها (الفلسطيني) الاقليمي يتناقض مـع توجهاتها القومية ، وذلك لكسب تأييد الجماهير العربية الواسع لظاهـرة المقاومـة الفلسطينية ودلالاتهـا السياسـية والعسكرية .

Digitized by Birzeit University Library

وعلى المستوى الذاتي بدأت المقاومة الفلسطينية في طرح تصوراتها النظرية عن دورها بوصفها طليعة لحركة التحرر الوطني العربية ، في تلك المرحلة ، وقد عكست تلك التصورات ادانة لايديولوجيا حركات التحرر الوطني العربية ، وممارساتها ، واساليب عملها وصراعاتها ، وتمزقها .

آ) **نادت المقاومة بحرب الشعب كبديل عن الجيوش النظامية** ، والتي تمكننا من الاستفادة من كبر حجم الطاقة البشرية العربية ، المؤمنة بقضيتها العادلة .

ان هذه الحرب، وبسبب انخراط الجماهير العربية فيها، تعوض التخلف التقني العربي العسكري ، في مواجهة التقدم التقني العسكري للامبريالية الاميركية ، والكيان الصهيوني ، وهنا يلعب العامل البشري الدور الاساسي الذي يلعبه ، عادة ، التقدم العسكري التقني في الحروب النظامية .

ب) كانت المقاومة الفلسطينية الحركة الاولى ، من حركات التحرر الوطني في المشرق العربي ، التي تطرح الكفاح المسلح الجماهيري كأسلوب للتحرير ، وكممارسة عملية للتصدي للهجمة الامبريالية — الصهيونية على المنطقة العربية . وتميز فكر المقاومة ، في مراحل نموه الاولى اي منبته منتصف الستينات وحتى السبعينات ، باحتقار تام للعمل السياسي ، والتنظيمي، وكان بذلك يعبر عن مناخ نفسي فلسطيني وعربي جماهيري ، تعبئه الصراعات السياسية العربية العقيمة ، والمهرجانات الخطابية ، والمفاوضات واللجان والمؤتمرات .

ج) اقترنت الدعوات النظرية للكفاح المسلح بممارسات عسكرية لهذا الشكل من اشكال الصراع العسكري ، وتعددت اشكال هذا العمل ، بدءا بالالغام ، وانتهاء بالمواجهات العسكرية المحدودة . وتجلت اهمية تلك الممارسات العسكرية في كونها تمت في مناخ ساده الشعور بالهزيمة ، وبقوة العدو المطلقة ، واستحالة الحاق الهزيمة به ، وسجلت نجاحات اولية في تكبيده خسائر محددة في قواه ، ومنشآته العسكرية ، وخلقت لدى جماهيره شعورا بانعدام الامن .

البديل على المستوى السياسي :

اكدت معظم منظمات المقاومة الفلسطينية ، المسماة باليسارية ، عجز البرجوازية العربية ، بفكرها القومي الضيق وممارساتها الاقليمية ، ومعاداتها للفكر اليساري الجذري عن قيادة عملية التصدي للامبريالية ، واتهمتها بالتوفيقية السياسية ، والانتقائية والتجريبية ، وعدم ثقتها بالجماهير ، بل خوفها منها ، كما انها ، في الوقت نفسه ، اتهمت الاحزاب الشيوعية العربية بالتحجر ، والعدمية القومية ، وخطأت وجهات نظرها حول مسالتي الوحدة ، والقضية الفلسطينية ،

Digitized by Birzeit University Library

وربطت وحدة الوطن العربي واشتراكية المجتمع العربي بتحرير فلسطين ، ورفضت مقولات الامة اليهودية ، والوطنية الاسرائيلية ، وانكرت على بعض الاحزاب الشيوعية العربية قبولها بقرار التقسيم ، واتهمتها بتجاهل تطلعات الجماهير العربية القومية . ونضالاتها من اجل وحدة الامة العربية .

واعتبرت ان **بناء الانسان العربي الوحدوي الاشتراكي ينم من خلال حرب الشعب** ؛ التي يجب ان تخوضها الجماهير من اجل تحقيق خلاصها الوطني والاجتماعي ؛ هذه الحرب التي ترى بأنها كفيلة بصهر الجماهير العربية ، واكسابها وعيا سياسيا قوميا وتقدميا متطورا ، واشارت الى انه يتوجب على الشعب الفلسطيني ان يلعب دورا طليعيا بين الشعوب العربية في معركة التحرير . وعليه ان يتقدم اكبر التضحيات في هذه المعركة بوصفه الشعب المؤهل لذلك ، بحكم خضوعه للضياع الوطني ، والتشرد ، والقهر الصهيوني ، والرجعي العربي .

لم يتخذ نقد (**فتح**) طابعا طبقيا للاخطاء التي عانت منها حركة التحرر الوطني العربية ، اذ اهتمت بتأكيد اهمية الكفاح المسلح بمفهومه العسكري ، كبديل عن العمل السياسي ، الحزبي ، ونادت بضرورة توجيه كل البنادق العربية نحو العدو الصهيوني ، ونسيان الخلافات النظرية الفكرية في سبيل الهدف المشترك ؛ وهو التحرير العسكري للارض الفلسطينية المحتلة . وبينت ان اللقاء العربي الوحدوي سيتم في ميدان معركة التحرير ، التي ستطيح بكل العوامل التي تكرس التجزئة . وانهت الجدال ، المستمر منذ اواخر الخمسينات ، حول اسبقية العمل الوحدوي على التحرير ، او العكس : ولم يكن لدى **فتح** اوهام حول قدرة الشعب الفلسطيني وحده على تحرير فلسطين ، بل كانت تعتبر نفسها بمثابة الصاعق الذي سيفجر امكانيات الجماهير العربية ، وطاقاتها ، لزجها في معركة التحرير ، وكانت عملياتها العسكرية تهدف الى خلق توتر دائم على حدود دول المواجهة العربية مع اسرائيل . وذلك لخلق المناخ الثوري الضروري لاستمرار المعركة ، وانهاء الجمود الطويل الذي اعقب هزيمة عام ١٩٤٨ ، وهذا يعني ان **فتح** في تبنيها لشعار حرب الشعب لم تسقط مطلقا اهمية دور الجيوش النظامية العربية في معركة التحرير وقدرتها على المساهمة فيها ، ولم تطرح **فتح** برنامجا اجتماعيا يحدد ملامح المجتمع الفلسطيني بعد التحرير ، **ولا قيمة** الجديدة ، وفي نفس الوقت لم تتخذ موقفا واضحا من برامج حركات التحرر الوطني العربية في مجال التغيير الاجتماعي في البلاد العربية ، ووقفت موقفا حذرا من وجهات النظر اليسارية داخل حركة المقاومة، واعتبرتها، احيانا ترفا نظريا يعرقل الوحدة الوطنية .. وهذا مما ادى الى اتهامها باليمينية من قبل الانظمة التقدمية العربية ، والحركات اليسارية ، فقد نظرت تلك الانظمة والحركات الى طروحات **فتح** (الحيادية) بالنسبة لعملية الصراع الاجتماعي في المجتمعات

Digitized by Birzeit University Library

العربية في مرحلة التحرر الوطني على انها تمثل موقفا يمينيا من الصراع الاجتماعي، ومحافظا على المستوى السياسي ..

اما على المستوى الجماهيري الفلسطيني فقد استطاعت فتح ان تستقطب معظم الفئات التي لم تستطع حركات التحرر الوطني العربية استقطابها ، كما انها تمكنت في الوقت نفسه من استقطاب عدد كبير من الكوادر السياسية الفلسطينية المنتمية الى تلك الحركات ، وحملت تلك الكوادر معها خبراتها ، التي اكتسبتها من عملها في حركات التحرر الوطني العربية وآراءها السياسية ، وبذلك عكست فتح صورة واضحة للتناقضات النظرية لتلك الحركات ، ومشكلاتها ، وضعت بناها التنظيمية .

وظل القاسم المشترك بين تلك القوى المتصارعة داخل الحركة هو اهمية العمل العسكري لتحرير الارض الفلسطينية واليأس من الانظمة العربية في مجال العمل الوطني ، ورفض اساليب حركات التحرر الوطني العربية في التعامل مع القضية الفلسطينية .

وبالرغم من الموقف الحذر الذي وقفته الحركات التحررية العربية من حركة فتح ، فان تلك الاخيرة نسجت علاقات سياسية مع معظم تلك الحركات ، وشملت تلك العلاقات تبادل الخبرات السياسية ، والدعم المعنوي والسياسي لحركة المقاومة ، اما الدعم المادي فكان يأتي من مختلف الانظمة العربية الرجعية منها ، والتقدمية . وكذلك فقد شارك عدد محدود من كوادر تلك الحركات في القتال جنبا الى جنب مع المقاومة ، ولكن هذه المشاركة ظلت ذات طابع فردي محدود ، ولم تتحول الى مشاركة جماعية منظمة ، ومبرمجة ، وبالتالي ظلت المقاومة الفلسطينية تتحمل عبء المواجهة الاساسي على جميع المستويات العسكرية والسياسية مع العدو الصهيوني ، والامبريالية .

ولم يكن من السهل على المقاومة برمجة علاقاتها مع الانظمة التقدمية العربية ، والحركات الوطنية لجملة اسباب اهمها :

ـ واقع التجزئة السياسية التي خضع لها الوطن العربي ، وبالتالي تعدد فصائل حركة التحرر الوطني العربية ، وضعفها ، وتمزقها . وسنتحدث عن ذلك بشكل مفصل فيما بعد .

ـ تنوع حركات التحرر الوطني ، واختلاف ايديولوجياتها، ومنطلقاتها النظرية، وكذلك تفاوت درجات عدائها للامبريالية ، وجذريتها في مجالات التغيير الاجتماعي للوطن العربي ، وكذلك انقسامها الى احزاب قومية تعاني ضعفا في بناها الفكرية

Digitized by Birzeit University Library

والتنظيمية . خضعت معظمها للتجزئة السياسية الاستعمارية ، وبدأت تعمل على أساس قطري ، وبناء على اعتبارات قطرية محضة مضحية بالمصالح القومية ، واعتبارات المواجهة مع العدو القومي ، الامبريالية — والصهيونية ، كما ان حركة المقاومة نفسها كانت تعاني نفس المشكلات الفكرية ، والتنظيمية فهي ولكونها وليدة الساحة العربية على المستويين السياسي والتنظيمي ، بدأت تشكو من نزعات اقليمية فلسطينية شأنها شأن باقي فصائل حركة التحرر الوطني العربية . ولم يكن من المنتظر ان يكون الفلسطينيون بمنظماتهم المختلفة اكثر قومية من الاحزاب والحركات القومية ، التي تبرر وجودها على أساس منطلقاتها القومية . هذا مع وجود تيارات فلسطينية ذات نزعات قومية ، وان كانت تعمل في ارضية قطرية فلسطينية .

— ادى انعدام الديمقراطية في معظم الاقطار العربية ، التقدمية منها ، والرجعية الى ضعف فصائل حركة التحرر الوطني العربية ، وكذلك الى تعقيد مسألة اقامة العلاقات الصحيحة بين حركة التحرر الوطني العربية والمقاومة الفلسطينية . وان خضوع تلك العلاقات بشكل دائم الى رقابة السلطات الحاكمة حدد آفاق التعاون بين منظمات المقاومة ، وحركات التحرر العربية بما في ذلك الفصائل الحاكمة . وقد واجهت هذه الاخيرة مشكلات ترتبط بالتوفيق بين المناورات السياسية الضرورية لحماية سلطاتها القطرية ، وبين توجهاتها القومية .

— ان قيام بعض تلك الفصائل الحاكمة بتشكيل منظماتها العسكرية والسياسية الفلسطينية قد اضاف تعقيدات جديدة للساحة الفلسطينية . اذ شكلت تلك المنظمات حاجزا عازلا بين المقاومة الفلسطينية ، والسلطات العربية التقدمية في عدد من البلدان العربية ، وبشكل اثر على استقلالية القرار الفلسطيني ، وبالتالي عطل الحوار الضروري بين المقاومة والانظمة التقدمية العربية ، ولم يكن بالامر السهل الفصل بين سياسات تلك الانظمة ، وممارسات المنظمات المنتمية لها والتي كانت تعتمد على تلك الانظمة اكثر من اعتمادها على تأثيرها الفعلي بين الجماهير العربية بشكل عام ، والفلسطينية بشكل خاص للتوصل الى المشاركة في قيادة العمل النضالي الفلسطيني .

— ادت سيطرة الانظمة التقدمية على المنظمات الشعبية الجماهيرية (النقابات، الاتحادات المهنية) ، وتوجيهها لنشاطاتها ، والتدخل في انتخاباتها الى ضعف تلك المنظمات الجماهيرية ، بما في ذلك ضعف عملها السياسي بين القواعد والفئات ، والطبقات التي تمثلها ، كما ان المنظمات الجماهيرية الفلسطينية عانت تقريبا المشكلات نفسها ، نتيجة كونها تخدم اغراضا سياسية وطنية اكثر منها تدافع عن مصالح فئات الشعب الفلسطيني المهنية، لم تعبر تلك المنظمات الجماهيرية عن تطلعات قواعدها ، ولا عن توجهاتهم السياسية

Digitized by Birzeit University Library

والوطنية ، وتدخلت القيادة الفلسطينية في تعيين قياداتها ، ولم تتح لها الفرصة للتعبير عن مواقفها السياسية باستقلالية نسبية ، وهذا مما ادى الى ضعف مشاركتها في صنع القرار الفلسطيني من جهة ، وحرمها بالتالي من تعميق الصلات بينها ، وبين المنظمات الجماهيرية العربية التي كانت تعاني من نفس المشكلات .

— اضعفت الصراعات السياسية المستمرة ، والدموية احيانا بين فصائل حركة التحرر الوطني العربية قوى تلك الفصائل ، ولم تمكنها بالتالي من توحيد جهودها في مواجهة العدو القومي ونستطيع القول بان تلك الصراعات سواء كانت على مستوى الانظمة او الحركات والاحزاب السياسية استنزفت جهود قوى حركة التحرر الوطني العربية وسـ مت الى حد كبير في التراجع المستمر لهذه الحركة منذ اوائل السبعينات ، وعرقلت جهود المقاومة الفلسطينية لتعميق علاقاتها مع مجمل قوى الحركة الوطنية العربية ، ذلك ان كل قوة منها دخلت في صراعات ايضا لاستمالة المقاومة الفلسطينية ، واستعمالها كاداة في صراعاتها السياسية مع القوى الاخرى ، وبشكل دفعها الى الانعزال احيانا لحماية ذاتها من تلك الصراعات ونتائجها السياسية ، والعسكرية على تواجدها العسكري والسياسي في بعض الاقطار العربية .

— اظهرت بعض منظمات المقاومة نفورا من التعاون مع بعض فصائل حركة التحرر الوطني العربية ، وبشكل خاص الاحزاب الشيوعية العربية ، وبسبب موقف تلك الاحزاب من القضية الفلسطينية ، قبول بعضها بقرار التقسيم عام ١٩٤٨ ، وربط موقف تلك الاحزاب بالموقف السوفييتي من القضية الفلسطينية بما في ذلك اعتراف الاتحاد السوفييتي بالكيان الصهيوني ، والاعتراف ببقائه ضمن حدود ما قبل حزيران ١٩٦٧ ، وكذلك بسبب مواقف تلك الاحزاب من بعض فصائل الثورة الفلسطينية وبشكل خاص مواقفها السلبية من انطلاقة تلك الثورة عام ١٩٦٥ .

وايضا بسبب المناخ العام المعادي للشيوعية ، والذي ميز سياسات الاحزاب القومية العربية ، وممارساتها ، منذ اواخر الخمسينيات ، وحتى يومنا هذا . ولكن هذه القطيعة لم تدم طويلا . فقد اقامت المقاومة الفلسطينية ، فيما بعد صلات وثيقة مع معظم الاحزاب الشيوعية العربية . بعد تغير موقف تلك الاخيرة منها ، وبعد قيام العدو الصهيوني بعدوانه عام١٩٦٧، وشعور الجميع بخطورةالتوسع العدواني الصهيوني ، وآثاره على مجمل فصائل حركة التحرر الوطني العربية ، وسياساتها القومية والاجتماعية ..

— حرصت المقاومة على تجنب استفزاز الانظمة العربية ، التقدمية منها والرجعية ، ولذلك كانت في كثير من الاحيان تتجنب اقامة صلات بينها وبين الحركات والمنظمات المعارضة لتلك الانظمة ، وكانت هذه الانظمة تخشى ان تنتقل عدوى

Digitized by Birzeit University Library

الكفاح المسلح الى تلك الحركات ، اي ان تتسلح هذه الحركات وتنتقل معارضتها من مجال المناورات السياسية الى التصدي المسلح لتلك الانظمة . وبالرغم من ان المقاومة عملت المستحيل لطمأنة تلك الانظمة وحرصها على عدم التدخل في شؤونها الداخلية ، وعدم التعاون مع المعارضة السياسية ، **فان هذه الانظمة عززت من سيطرتها على تحركات المقاومة العسكرية ، والسياسية نتيجة لتلك المخاوف ، وحاولت ان تبعدها عن الاحزاب المعارضة ، معتبرة ذلك تدخلا في شؤونها الداخلية.**

تلك كانت اهم المشكلات التي عرقلت التلاحم الصميمي الضروري والمطلوب بين المقاومة الفلسطينية ، وفصائل حركة التحرر الوطني العربية ، ونعتقد انهما يتحملان معا مسؤولية عدم التوصل الى مثل هذا التلاحم ، وذلك بسبب اخطائهما النظرية المشتركة . والحرص على مصالحهما الذاتية، والى حد ما بسبب شعورهما بان احد ما هو بديل للآخر ، وبينما نادت المقاومة بأنها ليست اكثر من مجرد فصيل طليعي من فصائل حركة التحرر الوطني العربية فان ممارساتها ، والواقع العربي ، دفعاها احيانا للاعتقاد بانها قد تصبح في مرحلة من المراحل بديلا لحركة التحرر الوطني العربية، وكذلك فان المسؤولية تقع ايضا على عاتق حركة التحرر الوطني العربية التي لم تستطع ان ترتفع بمستوى نضالها ضد الامبريالية ، والصهيونية الى المستوى الذي يتناسب مع التحديات القومية المطروحة.. وبالتالي عجزت عن تجاوز خلافاتها الداخلية ، ومصالحها الضيقة ، ورواسبها التنظيمية والاقليمية القديمة ، وتثبتاتها الايديولوجية في اتجاه عمل سياسي وطني وقومي ، ونضالي مسلح يستقطب الجماهير ، في معركتها ضد الصهيونية والمصالح الامبريالية في المنطقة العربية . ولكن ذلك لا يعني ان مثل هذا التلاحم لم يحدث في فترات متقطعة من مسيرة العمل الوطني العربي في السنوات الاخيرة . (الهجمة الرجعية على المقاومة في الاردن / ١٩٧٠ الهجمة اليمينية اللبنانية ١٩٧٥ — ١٩٧٧) .

وهناك مشكلة اخرى عانت منها تلك العلاقة ، وهي بالتحديد مشكلة التجزئة السياسية للمنطقة العربية ومفهوم السيادة الذي تبنته معظم الانظمة العربية ، والذي يتعارض في جوهره مع كل توجه قومي نحو عمل عربي موحد لتحرير فلسطين ، وتكنيس المصالح الامبريالية في المنطقة العربية ، وهذا ما سنبحثه بالتفصيل في الفقرة التالية :

المقاومة ، ومفهوم السيادة القطرية :

اصبح الشعب العربي الفلسطيني الضحية الاولى للتجزئة السياسية للمنطقة العربية ، ولم يكن نجاح المشروع الامبريالي — الصهيوني ممكنا ، لولا قيام الاستعمار بتمزيق وحدة الارض العربية ، وبشكل خاص بلاد الشام الى وحدات سياسية ، صغيرة ضعيفة ، لا تملك الامكانيات الاقتصادية ، البشرية والاجتماعية

Digitized by Birzeit University Library

لتأسيس دول قومية . فنجاح الصهيونية في اغتصاب الارض الفلسطينية يرجع بشكل رئيسي الى عملية التمزيق السياسية للارض ، والانسان في الوطن العربي. وان استمرار بقاء الكيان الصهيوني لا يتطلب فقط تخليد واقع التجزئة السياسية هذا ، بل تطويره لتمزيق الوحدات السياسية الموجودة الى وحدات سياسية اصغر (مشروع الدولة المارونية في لبنان ، تمزيق وحدة العراق السياسية .. الخ) ...

وتعمل بعض الدول العربية الرجعية على تعزيز تلك التجزئة السياسية ، وقد قام الكيان الاردني اصلا لتسهيل عملية الاحتلال الصهيوني للارض الفلسطينية ، واستيعاب عرب فلسطين النازحين من ارضهم في ذلك الكيان ، وهذا يعني بشكل مباشر او غير مباشر ان هناك مصلحة امبريالية في استمرار بقاء هذا الكيان ، وفرض سيطرته على الشعب العربي الفلسطيني ، وكذلك فان « اسرائيل » ، ستظل الى فترة طويلة قادمة تحمي النظام اللبناني ، والهيمنة السياسية لليمين على الحياة السياسية في لبنان ، كما ان الرجعية العربية تدرك اهمية الوجود الصهيوني ودوره في حماية بقائها على قمة السلطة في عدد من البلدان العربية .

لم تمزق الامبريالية فقط ، الارض العربية ، ولكنها نتيجة لذلك وفي الوقت نفسه ، مزقت الجماهير العربية ، وجزات نضالاتها ، وقواها ، واحزابها السياسية ، ومنظماتها الثقافية والاجتماعية ، وبشكل ادى فيما بعد الى اعتماد النضال القطري في الواقع العربي السياسي بدلا من النضال القومي الواحد ، والى قيام صراعات على السلطة داخل الاقطار العربية بين القوى المناهضة للاستعمار والصهيونية بشكل اضعف تلك القوى وحد من فعالياتها السياسية ، والاجتماعية : وطموحاتها للتغيير الاجتماعي ، والسياسي على امتداد الوطن العربي . ان النضال القطري لاية حركة تحرر عربي ومهما كانت درجة جذرية هذا النضال ، وآفاقه القومية ، والاشتراكية عاجز عن التأثير جذريا على الواقع السياسي العربي بسبب ضعف الامكانيات الاقتصادية ، والاجتماعية لاي قطر عربي . ونتيجة لسيطرة مفهوم السيادة القطرية لكل وحدة سياسية عربية .

وقد خضع نضال قوى حركات التحرر العربية لمنطق التجزئة السياسية الاستعمارية ، وتعامل مع القضايا القومية بمنطق قطري ، بامكانيات سياسية ، واقتصادية ، وتنظيمية ضعيفة ، وهذا ما قاده الى تعزيز الاتجاهات القطرية في الحركة السياسية العربية خضوعا لقانون التجزئة العربية ، والسيادات الاقليمية العربية التي تعبر في جوهرها عن قبول بواقع استعماري ، والدفاع عنه . وكان من الطبيعي ان تدافع الرجعيات العربية عن منطق السيادة الاقليمية ، ولكن الخطيئة المميتة التي ارتكبتها حركات التحرر الوطني العربية هي في قبولها لهذا المنطق ، والعمل على اساسه رغم ادعاءاتها المستمرة بتجاوزه ، ان تعود فصائل حركة التحرر الوطني العربية ، في الاقطار العربية ، والصراعات الحزبية الداخلية لتلك

Digitized by Birzeit University Library

الاحزاب (القومية) وممارساتها . ولا يعنينا هنا الاستمرار في مناقشة هذه المسالة، بقدر ما سنهتم بانعكاس هذا الواقع على نشاطات الثورة الفلسطينية السياسية والعسكرية على امتداد الساحة العربية ، وتأثيره على علاقاتها بحركات التحرر الوطني العربية المختلفة .

ادركت المقاومة الفلسطينية ، ومعظم حركات التحرر الوطني العربية الطابع القومي للقضية الفلسطينية ، وكونها تمثل مشكلة سياسية ، واجتماعية ، ووطنية عربية ينبغي التصدي لحلها على اساس قومي ، ووعت في الوقت نفسه ان تحرير الارض المحتلة يعني تغييرا في الواقع السياسي والاجتماعي العربي ، وانه لا امكانية للقيام بتحولات اجتماعية وسياسية جذرية في الواقع العربي باتجاه الوحدة والاشتراكية دون العمل على تحرير الارض الفلسطينية ، كما ان مثل هذا التحرير لن يتم في ظل واقع التجزئة السياسية العربية ، والتخلف الاقتصادي والاجتماعي العربي ، وبقاء الهيمنة الرجعية العربية في عدد من الاقطار العربية وتعزيز المصالح الامبريالية في تلك الاقطار .

ولكن هذا الادراك النظري لقومية معركة التحرير لم ينعكس في برامج حركات التحرر الوطني العربية ، ولا في ممارساتها ، ذلك انها قبلت بهذه التجزئة ، وبمفهوم السيادة القطري ، ودافعت عنه على المستوى النظري ، والممارسة ، وقبلت بلعبة التجزئة السياسية الامبريالية ــ الصهيونية ، المؤيدة من قبل الرجعية العربية ، وتحدثت برامجها عن اهمية النضالات القطرية ، وضرورة الاهتمام بالمشكلات الخاصة بكل قطر، وحاولتبعض تلكالقوى ان تحل مشكلاتها الاجتماعية والسياسية القطرية في اطار العمل القطري . ورات ان تأجيل المواجهة مع العدو الصهيوني يمكن ان يعطيها الوقت الضروري لبناء اشتراكياتها القطرية ، ووحدتها الوطنية . وقد ثبت ان ذلك كان طموحا خطرا لا مبرر له . وانه يتعارض مع مهمة الكيان الصهيوني ، ووظيفة الامبريالية لضرب اي تحرك وحدوي واجتماعي عربي . ولذلك نظرت بعض هذه الانظمة التقدمية الى نشاطات المقاومة الفلسطينية بحذر وشك ، بل انها ذهبت الى حد اتهام المقاومة بالسعي لتوريطها في معركة غير مستعدة لها ، وبالتالي التآمر مع الاوساط الامبريالية والرجعية لضرب الانظمة وكانت في ادعاءاتها هذه منسجمة مع منطق السيادات القطرية ، والتجزئة السياسية الاستعمارية ..

لم يكن للفلسطينيين ابدا سيادة اقليمية يدافعون عنها ، لفقدانهم لارضهم ، ونتيجة لتمزق وحدة الشعب الفلسطيني السياسية ، والاجتماعية نتيجة نكبة عام ١٩٤٨ ، وفي مرحلة الاندماج العربي انغمس الفلسطينيون في العمل السياسي العربي ، ودخلوا طرفا في الصراعات السياسية العربية الداخلية القطرية ، لا على اساس قومي محض ، وانما نتيجة قناعات بأن هذا النظام التقدمي او ذاك يمكن ان يضطلع بمهمة التحرير .

Digitized by Birzeit University Library

ولقد ادرك الفلسطينيون فيما بعد خطأ وجهة النظر هذه ، وبشكل خاص بعد تعثر عملية تحقيق الوحدة العربية (الانفصال السوري — المصري عام ١٩٦١) . فبادروا الى تأسيس منظماتهم الخاصة بهم وحاولوا ان يقدموا بديلا نظريا وعمليا لسياسات فصائل حركة التحرر الوطني العربية وممارساتها بالنسبة لحل المسألة الفلسطينية .

ادركت الثورة الفلسطينية منذ البداية ان معركتها هي معركة الجماهير العربية ، من اجل خلاصها الوطني ، ومن اجل الوحدة ، والعدالة والاشتراكية . وان الانظمة العربية ، التقدمية منها والرجعية لا تعمل بشكل جدي ، وقومي لتحرير الارض الفلسطينية ، **فالرجعية مهتمة ببقاء الوجود الصهيوني كحماية لانظمتها .** والانظمة التقدمية مشغولة بتعزيز سيادتها القطرية ، وبناها السياسية والاجتماعية الداخلية . وكان لا بد للثورة الفلسطينية ان تنبه تلك الانظمة الى الخطر الصهيوني — الامبريالي الذي يتهددها ، وان تتصدى وضمن امكانياتها لهذا الخطر ..

ودافعت الثورة الفلسطينية في بداية انطلاقها عن المنظور القومي لمسألة التحرير برغم الشك ، والحذر الذي توبلت به من بعض الانظمة التقدمية العربية ، وبعض الحركات الوطنية العربية ، وكان لا بد لها ان تواجه الانظمة العربية الرجعية التي تنسجم مصالحها مع بقاء الكيان الصهيوني ، واستمرار التجزئة السياسية ، وهذا ما حدث فعلا فقد تصدى النظام الاردني لنشاطات المقاومة الفلسطينية داخل الارض المحتلة عبر اراضيه لشعوره بما تمثله المقاومة من خطر على وجوده ، وعلى دوره التاريخي المتمثل في ضرب الوجود الفلسطيني وطمس الشخصية الفلسطينية الوطنية .

لم تقبل الانظمة التقدمية بالتجزئة السياسية العربية فقط بسبب عوامل ذاتية مرتبطة بضعف تلك الانظمة ، وصراعاتها فيما بينها ، ولكن هذه التجزئة كانت وما زالت تتمتع بحماية الامبريالية ، واستعدادها المستمر للتدخل العسكري والسياسي لتثبيتها . فالحدود الحالية للدول العربية وواقع التجزئة كان فعلا امبرياليا في الماضي ، واستمراره ما زال فعلا امبرياليا .

في مواجهة هذا الواقع . الذي لم يكن باستطاعة المقاومة الفلسطينية تجاوزه الا بفعل ثوري خارق (حركة جماهيرية عربية ، منظمة ، وجذرية) ، على المستويين العسكري والتنظيمي اختارت المقاومة ، قبوله والعمل على اساسه ، لا اقتناعا منها بسلامة هذا الواقع ، ولكن شعورا منها بانها غير قادرة على انجاز هذه المهمة موضوعيا ، وبسبب تحول عناصر كثيرة في الواقع العربي القائم على التجزئة السياسية الى حقائق ذات مدلولات سياسية ، واجتماعية ، واقتصادية قطرية .

وبسبب مجموعة من القناعات السياسية ذات الاصول الطبقية المرتبطة

Digitized by Birzeit University Library

بقياداتها ، وآفاق تلك القيادات الوطنية والاجتماعية . ولكنها ونتيجة للطابع القومي للقضية الفلسطينية وتعارضه مع منطق السيادات الاقليمية العربية ، وبسبب القاعدة الجماهيرية العربية العريضة التي استقطبها النضال الوطني للشعب الفلسطيني، وبسبب القمع الرجعي ، والاقليمي الذي تعرضت له هذه الثورة، فانها في كثير من الاحيان خرقت قوانين هذه التجزئة على المستويين السياسي والتنظيمي.

ولكونها تصارع الانظمة التقدمية على كسب ولاء نفس الجماهير العربية ، فانها لم تستطع **ان تظل مخلصة دوما لتلك القناعات السياسية ، والتي تجسدت في شعارها المشهور** : عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية ، والشعار الآخر الذي يشير الى رفض المقاومة لتدخل الدول العربية في شؤون المقاومة الفلسطينية ، والقضية الفلسطينية ، وقد بينت الحوادث عدم عملية كلا الشعارين ، وطابعهما القطري البعيد عن الواقع ، فلا المقاومة الفلسطينية امتنعت عن التدخل فيما تسميه الانظمة العربية بالشؤون الداخلية التي كانت تعني لديها احيانا سياساتها الداخلية والخارجية وحتى مواقفها السياسية الدولية والعربية بالنسبة للقضية الفلسطينية ، ولا الدول العربية التقدمية منها والرجعية امتنعت عن التدخل في شؤون المقاومة الفلسطينية (خلق التنظيمات الفلسطينية الموالية للانظمة ، الضغوط السياسية ، والعسكرية التي تعرضت لها المقاومة الفلسطينية لتحديد آفاقها السياسية الوطنية ، مجزرة الاردن ١٩٧٠ ، الحرب الاهلية اللبنانية ـ ٧٥ـ٧٦) . وكان التضامن العربي الرسمي يعني احيانا اتفاق الانظمة العربية على الضغط على المقاومة الفلسطينية لتحديد نشاطاتها العسكرية ، والسياسية وطموحاتها الوطنية (مؤتمر الرباط ١٩٧٤ ، وساهم الى حد بعيد في تحديد الافق الوطني للنضال الوطني الفلسطيني ، وما سبقه من الممارسات القطرية للانظمة والمذابح التي وجهت ضد الفلسطينيين) . ونتج عنه خلق جبهة عربية (جبهة انظمة تقدمية ورجعية) تضم منظمة التحرير الفلسطينية تعمل للتسوية التي طرحت اختيارا جديدا عربيا رسميا لحل المشكلة الفلسطينية يقوم على المفاوضات ، والمناورات السياسية ، الفلسطينية يقوم على المفاوضات ، والمناورات السياسية ، والضغوط العسكرية ، والضغوط العسكرية والنفطية والقبول بالوجود الصهيوني ، بدلا من الاختيار القديم القائم على الدعوة للتحرير لكل الارض الفلسطينية والعربية .

ولكن حتى قبول المقاومة الفلسطينية بلعبة الانظمة السياسية (مسالة التسوية) لم ينقذها من تآمر تلك الانظمة على وجودها السياسي ، والعسكري على الارض العربية ، بل بالعكس ادت الى ابتعادها عن جماهيرها الفلسطينية ، والعربية ، واضعفت علاقاتها السياسية مع القوى الوطنية المعارضة لتوجهات الانظمة العربية ، ومساوماتها مع الامبريالية . وقد خدم ذلك الرجعية العربية التي نجحت في تشديد حصارها على الثورة الفلسطينية على جميع المستويات، السياسية،

Digitized by Birzeit University Library

والبشرية والعسكرية ، وحاولت ان توجه لها الضربة القاضية في الحرب الاهلية اللبنانية . لقد وجدت معظم الانظمة العربية في الشرعية السياسية التي حصلت عليها منظمة التحرير في المجالين الدولي ، والعربي مجالا لتشديد ضغوطها على الثورة ، وفرض ما تسميه الانظمة (بالتعقل والمرونة والمساومة) ، على سياساتها ، وبشكل بدت فيه المقاومة الفلسطينية ، وكأنها انضمت مكرهة الى الواقع السياسي العربي الذي قامت من أجل القضاء عليه (الحفاظ على المصالح الامبريالية ومساومتها) قبل التجزئة السياسية **واضافة كيان جديد للكيانات السياسية العربية الضعيفة الموجودة** ، ووضع مسألة الثورة العربية في الثلاجة بانتظار الظروف المناسبة .

والواقع ان المقاومة الفلسطينية ، ونتيجة لعدد من الضربات العسكرية ، والسياسية المتلاحقة من قبل الانظمة العربية الرجعية ، وبشكل خاص مذبحة الاردن عام ١٩٧٠ ، وبعد انهيار الاجنحة التقدمية في الانظمة التقدمية العربية ، وسيطرة الشرائح اليمينية من البرجوازية الصغيرة العسكرية على نظام الحكم ، وبعد حرب تشرين التي نتج عنها امتداد الهيمنة السياسية للدول النفط ، وبشكل خاص السعودية على العمل السياسي العربي ، وتوجيهه نحو المساومة مع الامبريالية ، وما تلا ذلك من تغييرات تناولت البنى الاقتصادية الداخلية في الانظمة الوطنية العربية بما في ذلك الانفتاح المتطرف على السوق الراسمالية العالمية ، وسيطرة **الكمبرادور** على الاقتصاد الوطني لدول تلك الانظمة ، وحيث وجدت المقاومة نفسها تعاني حصارا من قبل معظم الانظمة العربية للتنازل عن طموحاتها الوطنية ، وكان احد اهدا فالحرب الاهلية اللبنانية ، دفع المقاومة حتى للتنازل عن برنامجها المرحلي المتمثل باقامة السلطة الوطنية الفلسطينية على اي شبر يتحرر من الارض الفلسطينية ، وذلك لصالح مشروع الاردن (المملكة العربية المتحدة) ، ووجدت المقاومة الفلسطينية نفسها مطالبة بمزيد من التنازلات السياسية التي تعني تغييب الشخصية الوطنية الفلسطينية عن مسرح العمل الوطني العربي ، والعودة الى الهيمنة الرجعية الاردنية . وانتهت اللعبة السياسية للمقاومة الفلسطينية مع الانظمة العربية الى فشل ملحوظ .

ووجدت نفسها في مواجهة الهجمات المعادية لتلك الانظمة لا تتمتع بالدعم الجماهيري العربي الفعال للدفاع عن نفسها ، وبحجة الدفاع عن السيادة قام اليمين اللبناني مدعوما باليمين العربي ، بشن هجة عسكرية وحشية ضد المقاومة الفلسطينية ، لانهاء وجودها العسكري والسياسي على الارض اللبنانية ، ولم يتمكن من تحقيق ذلك رغم الدعم العسكري ، والسياسي العربي ، والتدخل المباشر بسبب وقوف الحركة الوطنية اللبنانية الى جانبها ، تلك الحركة التي مكنها النظام الديمقراطي اللبناني بكل مساوئه من النمو ، والتأثير على الشارع الوطني اللبناني ، وبفضل صمود المقاومة ، والحركة الوطنية اللبنانية فشلت تلك الهجة الرجعية في تحقيق

Digitized by Birzeit University Library

كل اهدافها ، وبشكل اعطى العمل الوطني الفلسطيني فرصة لالتقاط انفاسه ، ومنع تمرير عدة حلول سياسية تهدف الى طمس الواقع السياسي الثوري الفلسطيني وتجاهله .

لقد برهنت الحرب الاهلية اللبنانية عن اهمية التلاحم بين الثورة الفلسطينية ، وحركات التحرر الوطني العربية ، لتحقيق اهداف الثورة ، ولكنها برهنت في نفس الوقت صعوبة ، ان لم نقل استحالة ، تحقيق انجازات وطنية تحررية في قطر عربي تحيط به انظمة رجعية ، وثبت ان الامبريالية ، واليمين العربي يتجاوزان مبدأ السيادات القطرية للدول العربية ، عندما يتعلق الامر بنجدة نظام رجعي عميل يتهادى ، او عند التصدي لصعود وطني في قطر من الاقطار العربية . ولكن قداسة تلك السيادة تراعي عندما يحاول نظام تقدمي عربي نجدة حركات تحرر عربية في قطر مجاور له (التدخل السوري في الاردن عام ١٩٧٠) وتهديد اسرائيل والامبريالية بالتدخل العسكري (ضد الجيش السوري في شمال الاردن) .

ترافق ازدياد الضعف السياسي ، والعسكري للمقاومة الفلسطينية مع تحول عدد من الانظمة الوطنية باتجاه المساومة مع الامبريالية والضربات التي تعرضت لها حركات التحرر الوطني العربية على امتداد الوطن العربي كله (**مذبحة الشيوعيين في السودان على يد النميري** ، انقلاب السادات ضد الاجنحة اليسارية في النظام الناصري المصري ايار ١٩٧١ ، ازدياد الهيمنة السعودية على العمل السياسي العربي ، الحرب الاهلية اللبنانية ، والتدخل العربي لمنع انتصار القوى الوطنية اللبنانية) ، وهذا يدل على ان اي ضعف تعانيه حركات التحرر الوطني العربية لا بد ان ينعكس سلبا على الوضع السياسي والعسكري للمقاومة الفلسطينية ، وان قدسية القضية الفلسطينية ، وبالنسبة للجماهير العربية ، لن يقف حاجزا في وجه مخططات الانظمة العربية الرجعية ضد المقاومة ، تلك الانظمة التي كانت تدرك منذ البدء ان تحرير الارض المحتلة يهدد بناها السياسية القطرية ، وامتيازات الطبقات التي تمثلها ، ولم تفلح عملية استجداء مشاعرها العربية من قبل المقاومة ، في منع استمرارها في ذبح المقاومة الفلسطينية ، وحركة التحرر الوطني اللبنانية في لبنان. كما ان الجماهير العربية وقواها المنظمة التي تعرضت ، على امتداد العشر سنوات الماضية، الى عمليات قمع منظمة، ومستمرة، لم تستطع ان تحمي المقاومة هناك. وفي هذا المجال يبدو ان المقاومة مسؤولة جزئيا عن عزلتها هذه بسبب اختيارها الخاطيء بالوقوف الى جانب الانظمة وعدم الاهتمام بالجماهير والحركات الوطنية العربية .

استنتاجات :

والآن ، والمنطقة العربية تسير بخطى متساوية نحو الرضوخ الكامل للسيطرة الامبريالية ، والاستسلام امام العدو القومي ، فان الثورة الفلسطينية وحركات

Digitized by Birzeit University Library

التحرر الوطني العربية مطالبة بعمليات مراجعة لمسيرة النضال الوطني في المرحلة الماضية ، وعلى هذه المراجعة ان تشمل :

أ) اعادة تقويم ما كان يسمى بالانظمة الوطنية ، والتي كانت تتميز في حكمها في الماضي على تحالف طبقي مكون من البرجوازية الصغيرة ، والفلاحين . والعسكريين التقدميين ، والمثقفين ، اذ انه لا يمكن الاستمرار في وصف بعض تلك الانظمة بالوطنية في الوقت الذي نجد فيه ان بعضها اصبح موالياً للامبريالية الاميركية ، ومساوما مع العدو القومي ، ومعاديا للجماهير العربية وطموحاتها في التغيير الاجتماعي والعمل الوحدوي ، وبعد ان انتقلت السيطرة السياسية على الانظمة في تلك الدول من أيدي الاجنحة التقدمية في البرجوازية الصغيرة وبفعل انقلابات عسكرية ، وبفعل تحولات اقتصادية داخلية ، الى تحالف جديد مكون من الطبقات المتوسطة، التي تمكنت من سرقة فائض القيمة الاجتماعي فيمرحلة راسمالية الدولة ، والاغتناء بحيث تحولت الى بورجوازية طفيلية متحالفة مع الكمبرادور ، وكبار الراسماليين الزراعيين ، وقد شملت عملية التدهور هذه الاحزاب التي تستند اليها تلك الانظمة في حكمها (ولا ينطبق ذلك على النظام المصري فقط) .

ب) على المقاومة ان تدرك انها لا تستطيع ولا يمكن ان تكون بديلا عن حركات التحرر الوطني العربية في المرحلة القادمة ، وفي المجالات السياسية القطرية ، ولا في المجال القومي العربي ، والمسالة الفلسطينية ، لان امكانيات الشعب الفلسطيني النضالية ، البشرية منها والعسكرية والسياسية ، غير قادرة وحدها على انجاز مهمات التحرر الوطني العربي ، ولا حتى تحرير الارض الفلسطينية ، وان تقصر طموحها على ان تكون حركة طليعية مسلحة من حركات التحرر الوطني العربية ، وبشكل يرفع المستوى النضالي لتلك الحركات الى ممارسة ، شكل ارقى من اشكال النضال الوطني ، مما كانت تمارسه في المرحلة الماضية ، وبشكل يمكن الجماهير العربية من ممارسة نضالات سياسية وعسكرية منظمة لتحقيق خلاصها الوطني والاجتماعي .

ج) من الطبيعي الا تحاول المقاومة تجاهل حركات التحرر الوطني العربية في اتصالها بالجماهير العربية ، ليس فقط لان مثل تلك المحاولة محكوم عليها بالفشل على المستويين النظري ، والعملي ، بل لان تلك الحركات تملك خبرات ، اكثر لجماهيرها ، وبخصائصها السياسية ، والثقافية ، وتملك تراثا تنظيميا تاريخيا في علاقاتها مع جماهيرها ، يسهل لها عملية استقطابها ودفعها للعمل الوطني ، المنظم، ويمكن ان يجنب ذلك المقاومة مواجهة مشكلات التعرض للسيادات العربية القطرية ، وتخفيف عملية الصدام مع الانظمة العربية .

د) ان فشل الانظمة التقدمية العربية في المرحلة الماضية في خلق تنظيمات جماهيرية اصيلة موالية لها في اقطارها وفي الاقطار المجاورة لها ، والعزلة التي

Digitized by Birzeit University Library

عانت منها تلك التنظيمات على المستويين السياسي ، والجماهيري ، يجب ان ينبه المقاومة الى عقم محاولاتها لخلق تنظيمات عربية موالية في ساحة عربية لا تملك فيها تلك التنظيمات جذورا تاريخية سياسية وتنظيمية ، وان التعاون المحدود مع حركات موجودة في ساحة عربية اجدى من السعي لخلق امتدادات تنظيمية وسياسية للمقاومة في تلك الساحة، (وقد برهنت على ذلك بوضوح تجربة الحرب الاهلية اللبنانية) .

هـ) اكدت تجربة تعاون المقاومة مع الانظمة العربية الرجعية، خطأ الركون الى الشعارات السياسية المضللة لتلك الانظمة ، وادعاءاتها اللفظية بالسعي للتحرير ، وادركت المقاومة ان معظم تلك الانظمة ، وبسبب من ارتباط مصالحها السياسية ، ببقاء التجزئة السياسية للوطن العربي والكيان الصهيوني وارتباط مصالح الطبقات التي تمثلها بالسوق الامبريالية ، والمشاركة في عمليات استنزاف شعوبها بالتحالف مع الامبريالية ، تستفيد من واقع التجزئة العربي ، والوجود الصهيوني ، وكل ما تطمح اليه تلك الانظمة هو التقاط الفتات السياسية والاقتصادية التي تلقيها الامبريالية وتحجيم الخطر الصهيوني لا انهائه ، لانه يشكل ضمانة لمستقبل بقائها على قمة السلطة في عدد من الاقطار العربية .

ولذلك فانها دوما على استعداد للتخلي حتى عن الدعم السياسي اللفظي للمقاومة ، اذا تبينت بأن هذه الاخيرة تعمل موضوعيا على تثوير المنطقة ، وتكنيس المصالح الامبريالية والوجود الصهيوني في المنطقة العربية .

وبالرغم من النجاحات السياسية التكتيكية التي احرزتها المقاومة نتيجة تعاونها مع تلك الانظمة (على ان لا تغفل التضحيات الكبيرة والنضالات التي قدمتها المقاومة ومنظمة التحرير الفلسطينية على مدى عشر سنوات ٦٥ ــ ٧٤) ، « الاعتراف بمنظمة التحرير كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني . دعم تلك الانظمة لمنظمة التحرير في الساحة الدولية وبشكل خاص في الامم المتحدة، المساعدات المادية ، والدبلوماسية » ، الا ان لتلك النجاحات نتائج ، وقد تضطر المقاومة الى تنازلات استراتيجية تفقدها طابعها ، وجوهرها المعادي للامبريالية ، وبالتالي تفقد اثرها كقوة محرضة للنضال الثوري العربي ، « وطليعة » له وتنضم اخيرا الى صف الانظمة العربية التقليدية .

ان فشل هذا التعاون لا بد ان يدفع المقاومة لاعادة النظر في شبكة علاقاتها مع تلك الانظمة . وان يعيدها مرة اخرى للنضال مع حركات التحرر الوطني العربية بعيدا عن ممارسة الاستعلاء ، وتضخيم الذات ، ودون حساسيات ايديولوجية ، او تنظيمية . وبشكل يختلف عن التعاون الضعيف الذي قام بينها وبين تلك الحركات في الماضي ، والقائم على التنسيق السياسي في المناسبات ، او عند حصول ازمات او مواجهات بين المقاومة ، والرجعية العربية ، وان يتخذ هذا التعاون اشكالا تنظيمية

Digitized by Birzeit University Library

فعالة ، مستمرة ، ومبرمجة ، والمحافظة على الهيئات ، واللجان القائمة التي تجسد هذا التعاون وبعث نشاطاتها . وان تكتسب **اللقاءات التنظيمية** بين فصائل حركة التحرير الوطني صفة الجدية ، والاستمرار ، والتخطيط ، والبرامج المشتركة ، والتنسيق ، والتكامل على امتداد الساحة العربية ، بما في ذلك تبادل الخبرات النضالية ، والمشاركة لكل منها في نضالات الفصائل الاخرى . ان وحدة مصير كل فصائل حركة التحرر الوطني العربية ، بما في ذلك المقاومة الفلسطينية ، يتطلب تجاوز الحساسيات التنظيمية الماضية ، ويستدعي عملا موجدا من قبل كل الفصائل، للدفاع عن وجودها في وجه الهجمة الامبريالية الصهيونية المتصاعدة في المنطقة العربية .

و) ان المراجعة النقدية لمسيرة الثورة الفلسطينة النضاليةُ في السنوات الاخيرة ، وعلاقاتها مع حركات التحرر العربية ، تدل على انه لم يعد باستطاعة المقاومة تحقيق انجازات سياسية او عسكرية بأساليبها الماضية ، ودون تعزيز العمل الثوري داخل الاراضي المحتلة ، بالتعاون مع كل القوى الوطنية التقدمية المتواجدة في تلك الساحة ، ولا شك ان الجبهة الوطنية الفلسطينية داخل الاراضي المحتلة ، تمثل فرصة تاريخية للوحدة الوطنية الفلسطينية ينبغي دعمها ، وتطوير نشاطاتها .

ز) تدعو بعض القوى الوطنية العربية الى عودة المقاومة الفلسطينية الى العمل النضالي السري . وفي رأينا ، فان مثل هذه العودة تمثل تفريطا بالمكتسبات السياسية العديدة التي حققتها النضال الفلسطيني في السنوات العشر الاخيرة ، وبشكل يمكن الانظمة الرجعية العربية من تسديد الضربة الاخيرة والمميتة لها . فالمقاومة لا تناضل من أراض تملكها ، وهي بسبب ذلك محكومة بجملة اعتبارات سياسية وعسكرية تحدد نشاطها السياسي ، والعسكري ، وان غياب العمل العلني الشرعي السياسي ، والعسكري الفلسطيني يوفر فرصة لتلك الانظمة ، للمساومة على مصير الشعب الفلسطيني وشخصيته الوطنية في المرحلة الحالية ، غير ان ذلك لا ينفي ضرورة تخلص المقاومة من الاستعراضات السياسية الصاخبة ، وتعدد المكاتب والمؤسسات ، وانكشاف كوادرها السياسية والعسكرية ، وقواعدها امام القوى الرجعية المتربصة بها . وليس هناك تناقض بين الضرورات الامنية المتعلقة بحماية المقاومة من اعدائها الرجعيين ، والانظمة العربية المرتبطة بالامبريالية، وسرية العمل السياسي — التنظيمي للمقاومة من جهة، وبين بقاء اشكال من العمل الاعلامي ، والسياسي العلني للمقاومة على مستوى الساحتين الدولية ، والعربية ، من جهة اخرى . وهذا يتطلب الاهتمام بالعمل التنظيمي الجدي في صفوف المقاومة ، وبين الجماهير العربية والفلسطينية ، والا يكون دور التنظيم مجرد التأييد ، والتنفيذ لقرارات القيادة كما هو الحال في معظم الحركات الوطنية العربية، وديمقراطية العمل التنظيمي ، ومشاركة القاعدة في صنع القرارات السياسية ،

Digitized by Birzeit University Library

والتنظيمية التي تحدد مصيرها الوطني ، والنضال من اجل خلق القنوات ، والبنى التنظيمية المناسبة لتحقيق مثل هذا الانجاز ..

ـ ان مثل هذا التعاون الذي ندعو لانجازه بين حركات التحرر الوطني العربية والثورة الفلسطينية يتضمن ادراكا من قبل تلك الحركات لخصوصيات العمل الوطني الفلسطيني وصعوباته ومهماته، وضرورة الحرص على استقلالية القرار الفلسطيني. كما انه في الوقت نفسه ، يعني رفض وصاية المقاومة الفلسطينية على النشاطات السياسية والتنظيمية لتلك الحركات ، وحقها في تبني التكتيكات السياسية المناسبة لعملها الوطني في الساحات العربية المختلفة . على ان يسبق ذلك تشاور مسبق فعال ، بين المقاومة وتلك الحركات ، حول الظروف التي تعكسها تلك القرارات والتكتيكات على النضال الوطني العربي ككل ، والعمل الوطني الفلسطيني بشكل خاص ، والا تستخدم خصوصية الوضع الفلسطيني سلاحا لاعاقة نضال حركات التحرر الوطني العربية من اجل وحدة الوطن العربي ، والتغير الضروري على جميع المستويات لمجتمعاته . نظرا للترابط الوثيق بين هذا النضال الاجتماعي والسياسي العربي ، وعملية التحرير ...

ـ ليس المطلوب من المقاومة الفلسطينية التحول الى حزب سياسي عربي ، او ان تنقلب الاحزاب السياسية الوطنية والتقدمية العربية الى جبهات مقاومة عسكرية. بسبب تعذر تلك العملية ، ولخطورتها، لقد لعبت البندقية الفلسطينية دورا اساسيا وهاما في بعث الشخصية الوطنية الفلسطينية ، وفي طرح المسألة الفلسطينية كقضية نضال وطني لشعب مشرد يسعى لاستعادة هويته السياسية الوطنية وارضه ، ولكن البندقية الفلسطينية التي تتآمر عليها القوى الرجعية العربية ، والامبريالية والصهيونية مهددة بالضياع ان لم تحمها الجماهير الفلسطينية ، والعربية من خلال حركاتها الوطنية . وكذلك فان حركات التحرر الوطني العربية مهددة بالزوال، ان لم تغير من اشكال نضالاتها باتجاه اشكال تنظيمية، وبرامج عمل جذرية، مستمدة من واقعها السياسي العربي ارقى من تلك التي ميزت نضالاتها في المرحلة الماضية، وباتجاه عملية فرز ادق للقوى الطبقية والاجتماعية التي تتضمنها المجتمعات العربية ، والمفترض ان تقود عملية النضال في المرحلة القادمة ، على ان تستبعد تلك القوى والطبقات التي سقطت مستسلمة امام شراسة الهجمة الامبريالية والصهيونية في السنوات العشر الاخيرة ..

وليس المطلوب قيام تلاحم بين المقاومة ، وحركات التحرر الوطني العربية مستقبلا على القاعدة السياسية ، والتنظيمية الحالية لاي منهما ، بل ان يكون هذا التعاون على ارضية عمل مستقبلي سياسي ، وتنظيمي اكثر جدية ، والتزاما على المستويين التنظيمي والسياسي، واكثر استجابة للتحديات المطروحة في لواقع العربي في مواجهة الرجعية العربية والامبريالية والصهيونية .

Digitized by Birzeit University Library

ولا توجد وصفة ايديولوجية او تنظيمية جاهزة لمعالجة مشكلات التعاون بينهما ، كما ان مزيدا من البرامج المشتركة الخيالية المغامرة لن تحل مشاكلهما ، بل ينبغي العمل بتواضع في مراجعة مسيرة الثورة العربية في المرحلة الماضية، لاكتشاف الاخطاء واستخلاص الدروس السياسية والتنظيمية الضرورية لتجاوز مرحلة التراجع التي تعاني منها حركات التحرر الوطني العربية ، والثورة الفلسطينية في هذه المرحلة . وعلينا ادراك حقيقة ان اي ضعف بغياب العمل الوطني الفلسطيني ، لا بد ان ينعكس سلبا على نضالات حركات التحرر الوطني العربية ، وان اية انتكاسات لنضالات تلك الحركات ، وتراجعها سيؤدي الى تعزيز سيطرة الانظمة العربية الرجعية على مجرى النضال الفلسطيني ، وافقاده جوهره الثوري السياسي ، والاجتماعي ، ثم انهائه .

الأعمال الكاملة لشاعر فلسطين
أبو سلمى

دار العودة ــ بيروت

الثمن / ١٢ ليرة لبنانية

Digitized by Birzeit University Library

قضايا وكالة واغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين التي لا تنتهي ...

يونس الكتري

بدات **وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين** تشكو من العجز المالي منذ ازمة عامي ٧٥ ، ٧٦ ، حيث واجهت اخطر ازمة في تاريخها . وقد تم التغلب على هذه الازمة بالتبرعات المالية الاضافية ، وبتأجيل بعض المصروفات غير المتكررة ، وعدم تعويض النقص في حصص الاعاشة ، الذي كان قد حدث في وقت سابق من السنة لاسباب تموينية .. مما مكن الوكالة من الابقاء على برامجها ، حتى نهاية عام ٧٦ .

وكان العجز القائم ، في اغسطس ٧٦ حتى نهاية عام ٧٦ ، بحوالي ٢٩ مليون ونصف مليون دولار .

وفي سبتمبر عام ٧٦ بدا **المجلس الاستشاري لوكالة الغوث الدولية** مناقشة تقرير **المفوض العام للوكالة** ، وقد أشار التقرير الى مشكلة العجز المالي . وفي نفس الشهر صرح ناطق بلسان الوكالة **لرويتر** أن الوكالة لا تزال بحاجة الى ٢٠ مليون دولار ، لتغطية العجز في ميزانيتها لهذه السنة ، والتي تبلغ ١٢٨ مليون دولار . واضاف الناطق انه ما لم تحصل الوكالة على مبلغ ٢٠ مليون دولار ، فانها ستبدا توجيه انذارات مدتها شهر ، اعتبارا من نهاية شهر تشرين الاول (اكتوبر) عام ٧٦ ، لصرف موظفيها ، الذين يبلغ عددهم حوالي ١٦ الفا . وحتى تواجه الوكالة هذا العجز المالي ، بدات باتخاذ اجراءات غير طبيعية ، فقد بدات الوكالة في تقليص خدماتها من جهة ، ومن جهة ثانية بدات في تقديم مواد تموينية غير صالحة . وقد كان لذلك ردة فعل عنيفة من قبل الموظفين ومن قبل الاهالي . ففي منطقة نابلس ، استنكر اللاجئون الفلسطينيون ، في سبتمبر عام ٧٦ ، قيام **الوكالة** بتوزيع الارز الرديء .. كما استنكروا محاولات الوكالة تقليص خدماتها ، التي بدأتها بتقليص المواد الغذائية والخدمات .

ومن جهة ثانية اضرب موظفو الوكالة في غزة ، لمدة ساعتين ، احتجاجا على عدم تلبية مطالبهم ، وعزم الوكالة رفع اجور تنقلاتهم في سياراتها ، كما اعتصم موظفو الوكالة في الضفة الغربية ، يوم ٧٦/١٠/١٤ ، وطالبوا بتحسين الخدمات المقدمة من قبل **الوكالة** .

Digitized by Birzeit University Library

وفي اواخر ديسمبر عام ١٩٧٦ ، اتخذت **الهيئة العامة للجان ولاقسام اتحاد موظفي وكالة الغوث الدولية في** الضفة الغربية عدة قرارات .. باعلان سلسلة من الاضرابات ، احتجاجا على سوء الاوضاع المالية التي يعيشها موظفو الوكالة .

وقد اصدر **رئيس المجلس التنفيذي لاتحاد موظفي الوكالة** في الضفة بيانا ، حول قضية الغلاء في المعيشة ، جاء فيه (ان مسالة غلاء المعيشة هي من اهم المسائل التي تشغل بالنا جميعا في هذه الايام ، ان لم تكن اهمها . ومنذ اعتصام ٧٦/١٠/١٤ **والمجلس التنفيذي** في انتظار رد ايجابي من **رئاسة وكالة الغوث** في فيينا ، بهذا الشأن . مما حدا به الى طلب تأجيل انعقاد **الهيئة العامة للجان والأقسام) .**

اخيرا جاء الرد من المراقب المالي **لرئاسة وكالة الغوث** في فيينا ، بتاريخ ١٨ ديسمبر عام ١٩٧٦ ، وكان الرد سلبيا ، بشكل عام . امام موقف **المراقب المالي** المتصلب .. اتخذت الهيئة العامة للجان والاقسام القرارات التالية :

١ ــ تقوم **الهيئة العامة للجان والأقسام** بالاعتصام والاضراب عن الطعام ، لمدة ٣٠ ساعة ، تبدأ من الساعة التاسعة من يوم ٧٦/١٢/٢٩ حتى الساعة الثانية من بعد ظهر يوم ٧٦/١٢/٣٠ ، ومن مكتب **مدير العمليات .**

٢ ــ الاضراب العام لجميع موظفي الوكالة في الضفة الغربية ، وعدم التوجه الى مراكز عملهم لمدة يوم واحد ، هو يوم السبت الموافق ٧٧/١/٢٢ .

٣ ــ الأضراب العام لجميع موظفي الوكالة في الضفة الغربية ، لمدة يومي عمل ، هما يوما الاربعاء والخميس ، الموافقان ٩ و ١٠ شباط ١٩٧٧ .

٤ ــ يستثنى من الاضراب الفئات التالية : موظفو مستشفى قلقيلية ، سائقو سيارات الاسعاف التابعة للوكالة ، حراس المدارس وغيرها من مؤسسات الوكالة .

وفي نهاية ديسمبر (كانون اول) عام ٧٦ نقلت الوكالة مقرها من فيينا الى عمان ، كما تم في يناير ٧٧ تعيين السيد **جورج غاليبو** مديرا لعمليات **الأونروا** في الضفة الغربية ، اعتبارا من ٨ يناير عام ٧٧ . وقد احيل **الدكتور محمد شريف** الى التقاعد ، والجدير بالذكر ان **الأونروا ،** والتي بدأت العمل في شهر ايار (مايو) ١٩٥٠ ، تقدم خدمات الاغاثة والصحة والتعليم للاجئين ، الذين اجبروا على ترك وطنهم سنة ١٩٤٨ من فلسطين ، والذين يقيمون في لبنان ، والجمهورية العربية السورية ، والاردن ، والضفة الغربية ، وقطاع غزة .

* *

ورغم ان **الوكالة** اعلنت عن تراجعها ، بصدد قرارها الخاص بتقليص خدماتها ، الا انه لم يطرأ اي تغير في موقفها من تقليص الخدمات .. وقد أدى هذا الى اعلان موظفي الوكالة الاضراب عن العمل ، يوم ٢٢ يناير (كانون ثاني) عام ٧٧ ، ويومي التاسع والعاشر من شباط (فبراير) ٧٧ ، كما اعتصم موظفو الوكالة أيام ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، آذار (مارس) ٧٧ ، احتجاجا على عدم اجابة مطالبهم بزيادة غلاء المعيشة . كما رفضوا قرار الوكالة بحسم يومي الاضراب ، الذي قام به الموظفون يومي ٩ ، ١٠ شباط (فبراير) .

وفي اواخر النصف الأول من عام ٧٧ .. بدأت الوكالة تشير ، مرة اخرى ، الى عزمها تقليص الخدمات المقدمة للاجئين ، بحجة الازمات المالية التي تلاحقها . وقد ذكر ان العجز المالي لعام ٧٧ وصل الى مليون و ١٠٠ الف دولار ، في موازنة مقدارها

Digitized by Birzeit University Library

١٣٥ مليون دولار .

ونتيجة لذلك قرر مخاتير ووجهاء الضفة الغربية تحضير اجتماع هام لهم ، في نهاية شهر مايو (أيار) ٧٧ ، في مكاتب رئاسة الوكالة بالقدس المحتلة ، لبحث مسألة تقليص خدمات الوكالة المقدمة للاجئين . كما قرروا تشكيل وفد للتوجه الى عمان ، والاجتماع مع المسؤولين وسفراء الدول العربية ، في محاولة منهم لوقف التقلصات في خدمات الوكالة .

وفي قطاع غزة اضرب الموظفون ، يوم ٧٧/١٠/٢٩ ، لمدة ساعة ، احتجاجا على موقف الوكالة من قضية صرف بدل المواصلات لهم ، وطالبوا بأن تقوم الوكالة بدفع بدل مواصلات ، كما احتج الموظفون على صرف رواتبهم بالليرة الاسرائيلية ، بدلا من الدولار ، كما هو معتاد .

وفي شمال الضفة الغربية .. اتخذ اللاجئون قرارا موحدا من مسألة تخفيض الوكالة لخدماتها وقرروا اعلان الاضراب عن تسلم اية مادة من المواد الغذائية التي تقوم الوكالة بتوزيعها .

وفي ديسمبر ٧٧ .. صرح السيد عبد الله البيشاوي مختار اللاجئين في مخيم بلاطة بنابلس بأن اللاجئين سيرفضون تسلم المواد الغذائية لهذا الشهر لأن وكالة الغوث قررت عدم صرف مادة الطحين .

وفي فبراير عام ٧٨ علم من مصدر مسؤول ان الوكالة تعتزم خفض المعونة التي تقدمها للمستفيدين منها خلال عام ٧٨ بقدر ٣١ مليون دولار .

وعلى اثر هذه الانباء .. وقع مئات اللاجئين الفلسطينيين في منطقة نابلس على عريضة أرسلت الى السكرتير العام للامم المتحدة جاء فيها :

« نحن اللاجئون الفلسطينيون في الضفة الغربية المحتلة ، بعد أن اطلعنا على القرار الذي اتخذته **وكالة الغوث الدولية** بتخفيض مادة الطحين وتقليص بعض المواد الاخرى التي التزمت بها لاغاثتنا ، نعلمكم بأننا صدمنا بهذا القرار المفاجيء ، المجحف ، واللا انساني ، لا سيما وان الاسباب التي وجدت من اجلها **وكالة غوث اللاجئين** لا زالت قائمة . لان قضية الشعب الفلسطيني لم تحل بعد ، وما زلنا بأمس الحاجة للاغاثة والخدمات .

وفي منتصف ابريل عام ٧٨ قدم ممثلو مخيمات وتجمعات اللاجئين الفلسطينيين في الاردن الى المستر **جون تنر** ، المدير العام **لوكالة الغوث الدولية** في الاردن ، مذكرة مرفوعة الى **كورت فالدهايم** ، امين عام الامم المتحدة ، ونسخة منها الى **المفوض العام لوكالة الغوث الدولية** . وجاء في المذكرة ان ممثلي اللاجئين الفلسطينيين يرغبون في ابلاغ سكرتير عام الامم المتحدة انه قد هالهم اقدام **وكالة الغوث الدولية** على تخفيض خدماتها في هذا الوقت ، وقبل ان تحل قضيتهم ، التي هي في اصلها قضية سياسية ، حيث جاءت الوكالة لتعالج الناحية الانسانية في القضية ، فحسب .

وتمضي المذكرة الى القول : « ان العجز المالي الذي تتذرع به الوكالة للتخلي عن مسؤوليتها في تعليم حوالي ٣٥ الف طالب وطالبة في المرحلة الاعدادية ، وانهاء خدمات اكثر من الف معلم ومعلمة ، ومحاولة انقاص خدماتها التموينية ، التي هي في ادنى مستوى ممكن لحفظ الحياة الانسانية ، لهو وصمة عار في جبين الانسانية وتضامنها » .

واهابت المذكرة **بالامين العام بذل اقصى جهده** ، لتمكين الوكالة من الاستمرار في خدماتها على المستوى السابق ، الى ان تجد قضية فلسطين الحل العادل ، بعودة الشعب الفلسطيني الى دياره ، التي لن يرضى عنها بديلا .

Digitized by Birzeit University Library

ورد المستر **جون تنر** ، مدير الوكالة على ممثلي التجمعات والمخيمات الفلسطينية ، بقوله : « ان هنالك عجزا ، حتى نهاية شهر آذار في موازنة عام ١٩٧٨ ، مقداره ٢٦٫٨ مليون دولار . ورغم الجهود والنداءات الكثيرة ، فلن تتلقى الوكالة مزيدا من التبرعات لسد النقص ، الامر الذي سيضطر معه المفوض العام الى القيام ببعض التخفيضات ، اذا لم يتم تدارك العجز ، والتي لن تمس الخدمات الصحية . أما بالنسبة للناحية التعليمية ، فانه اذا لم يتم تسديد العجز ، ومقداره ٧٫٥ مليون دولار ، حتى ٧٨/٥/٣١ ، فسترسل الوكالة اشعارات انهاء الخدمة لمعلمي المرحلة الاعدادية ، اعتبارا من ١٩٧٨/٧/٣١ .

وجدير بالذكر ان اسبانيا أوقفت ، خلال عام ٧٨ ، مساعدتها المالية لوكالة الغوث ، نظرا لضغط الميزانية ، الذي قررته حكومة مدريد .

وفي منتصف ابريل ٧٨ رفع مخاتير ووجهاء لاجئي الضفة عريضة جوابية الى المفوض العام للوكالة ، بواسطة مدير عمليات الوكالة بالقدس . ونسخة عنها الى سكرتير عام الامم المتحدة ، وذلك اثر تلقيها رد المفوض العام على مذكرتهم الاحتجاجية ، بصدد تقليص خدمات الوكالة ، ومما جاء في العريضة : أن اللاجئين كانوا يأملون بمعالجة وضعهم المتردي ، باجراءات جادة وسريعة ، وليس عن طريق العواطف والنصائح .

كما اعدت **اللجنة التنفيذية لقطاعي المعلمين والعمال في وكالة الغوث في الاردن** مذكرة ، تم توزيعها على المعلمين والعمال ، تتضمن الاجراءات التي تنوي الوكالة اتخاذها ، وكذلك تفصيلات رقمية حول بنود تخفيضات الخدمات .

وقد ارسل ممثلو العمال والموظفين والخدمات العامة مذكرة اخرى الى **رئيس ممثلي موظفي الوكالة** ، يشرحون فيها خطورة الموقف .

وفي أواخر ابريل ٧٨ حضر الى الاردن مبعوثا من الكونغرس الامريكي ، **مكول** ، ومساعده ، **جورج شورك** ، لدراسة أوضاع **وكالة الغوث الدولية** واحتياجاتها . كما زار الاردن المفوض العام لوكالة الغوث الدولية ، **مكلاهيني** ، وقاموا جميعا بالاطلاع على الخدمات التي تقدمها الوكالة ، وزاروا بعض مخيمات اللاجئين .

وفي أوائل مايو ٧٨ صرح **ابراهيم سليمان الطويل** ، رئيس بلدية البيرة ، تعقيبا على سياسة وكالة الغوث تجاه تخفيض وتقليص خدمات الوكالة ، بقوله : ان العملية لها ابعادا سياسية خطيرة ، ولا يوجد لها أي مبرر قطعا ، سوى كونها مؤامرة لتصفية قضية الشعب الفلسطيني .

كما استنكر **بسام الشكعة** ، رئيس بلدية نابلس ، الاجراءات التعسفية التي قررت **وكالة الغوث الدولية** اتخاذها بحق ابناء الشعب الفلسطيني في الدول العربية المضيفة .

وفي النصف الاول من يونيه عام ٧٨ ، ترددت انباء حول عزم **وكالة الغوث الدولية نقل** مقر رئاستها من بيروت الى فيينا ، بحجة عدم الاستقرار في لبنان .

وفي يوم الثالث عشر من يونيه (حزيران) ٧٨ ، أصدر **مكتب الاعلام في رئاسة وكالة الغوث** بيانا ، جاء فيه :

اكد السيد **توماس ماكلاهيني** ، المفوض العام لوكالة الامم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في شرق الاردن (الأونروا) ، أنه سيتم نقل مقر رئاسة الوكالة . وقد تقرر هذا بغية المحافظة على ادارة عمليات الوكالة بصورة فعالة ، في جميع انحاء المنطقة .

Digitized by Birzeit University Library

وعلى اثر هذا القرار ، بدأت الدول العربية المضيفة للاجئين الفلسطينيين تجري اتصالات عاجلة فيما بينها ، من اجل اتخاذ موقف موحد من قرار الوكالة بنقل جزء كبير من مكاتبها في بيروت الى فيينا .

كما ذكرت مصادر رسمية في عمان ان الحكومة الاردنية اعترضت على هذا القرار ، وطالبت ان يظل المقر المركزي لمكتب تشغيل واغاثة اللاجئين الفلسطينيين على مقربة من الذين كلفت المنظمة الدولية بنجدتهم .

اما الأوساط الفلسطينية ، فقد أصبحت تنظر بقلق بالغ الى هذه المسألة ، التي يضاف اليها تخفيض مستوى الخدمات التدريجي للاجئين الفلسطينيين ، الذين يستفيدون منها . كما ان هذه الخطوة تشكل تهربا من المسؤوليات والمهمات في منطقة الشرق الأوسط .

وقد علق احد المسؤولين في **منظمة التحرير الفلسطينية** على مضمون ابعاد هذه الخطوة ، بقوله : ان قرار وكالة هيئة الامم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الادنى بنقل مقارها الرئيسية من بيروت الى فيينا يأتي ليتوج سلسلة من التقصيرات في خدمات الوكالة من ناحية ، وليلقي أضواء جديدة على المواقف السياسية للوكالة ، والمعروفة بعدائها للقضية الفلسطينية ، من ناحية اخرى .

كما بعثت **اللجنة السياسية العليا لشؤون الفلسطينيين في لبنان** بمذكرة الى السيد **توماس مكلاهيني** ، المفوض العام لوكالة الاغاثة جاء فيها :

« ان **اللجنة السياسية العليا** ترفض ، رفضا قاطعا (١) ، قرار نقل مقر الرئاسة الى فيينا ، كما تشعر بالقلق البالغ حيال الانعكاسات السلبية والخطيرة المترتبة على هذا القرار ، الذي يصيب بالضرر مصالح الشعب الفلسطيني ، وطبيعة الخدمات التي درجت الوكالة ، في الآونة الاخيرة ، على تقليصها الى الحد الادنى .. حتى باتت حصة النفر الواحد ، المستفيد من هذه الخدمات ، لا تعدو الدولار ونصف الدولار شهريا » .

وبينت اللجنة في مذكرتها ، الحقائق القانونية التي تستند اليها في رفضها لهذا القرار ، والنابعة من قرار تشكيل الوكالة الصادر عن هيئة الامم المتحدة ، والذي ينص على قيامها بعملها ضمن منطقة العمليات .

وجاء في المذكرة « كما تساورنا الشكوك ان هذا القرار قد جاء استجابة لضغوط سياسية ومالية شديدة ، مارستها الولايات المتحدة الامريكية والصهيونية العالمية وسائر القوى الامبريالية المرتبطة معها ، والتي كانت ، في الاساس ، سبب نكبة شعبنا الفلسطيني واقتلاعه من ترابه الوطني » .

(١) الثورة مستمرة ، عدد ٤٢ ، ١ تموز ١٩٧٨ .

وتطرقت المذكرة الى التبريرات التي قدمتها الوكالة لقرارها هذا ، فقالت « ان التذرع بالوضع الامني ليس صحيحا في تقديرنا ولو كان الامر كذلك فان المسألة لا تخص كبار الموظفين فقط » .

وتساءلت « ما راي الوكالة بالنسبة لآلاف الموظفين الذين سنتركهم في منطقة العمليات » . واضافت المذكرة « ان **منظمة التحرير الفلسطينية** والدول العربية ليست مسؤولة عن تمويل الوكالة ، ولا عن معالجة العجز المتكرر والمتزايد في ميزانيتها السنوية، بل ان مسؤولية ذلك تقع على عاتق المجتمع الدولي، باعتباره مسؤولا مباشرا عن قضية اللاجئين الفلسطينيين » . وقالت « ان العجز المتكرر في ميزانية الوكالة ليس ناشئا ، في الاساس ، عن تحسينات في مستوى الخدمات التي تؤديها ، ولا عن

Digitized by Birzeit University Library

شمول هذه الخدمات لجميع اللاجئين الذين يستحقونها ، وانما هو ناشىء ، بالدرجة الاولى ، عن الارتفاع في أسعار السلع) .

واعربت **اللجنة السياسية العليا** ، في مذكرتها ، عن خشيتها من أن تلقى تبعات تغطية العجز في ميزانية الوكالة على الدول العربية البترولية ، مما يؤدي الى تخلي المجتمع الدولي عن التزاماته تجاه التمويل وتجاه قضية اللاجئين الفلسطينيين ككل ، واشارت المذكرة ، في هذا الصدد ، الى أن « مسألة العجز المالي الذي تعاني منه الوكالة مرده ، أساسا ، الى المواقف السياسية التي تمارسها القوى التي تسببت في نكبة شعبنا ، حيث تقدم هذه القوى ذاتها الى اسرائيل مليارات من الدولارات سنويا بهدف تخزين آلة الحرب والدمار » .

وطالبت **اللجنة السياسية العليا** ، في ختام مذكرتها للوكالة « بضرورة السعي ، وبالطرق التي تراها مناسبة ، لدى جميع الدول المعنية ، لجعل موازنة الوكالة جزءا من موازنة **هيئة الامم المتحدة** ، او على الاقل الحاق رواتب الموظفين المحليين بموازنة هذه الهيئة ، وذلك اسوة بالموظفين الدوليين لدى نفس الوكالة ، والذين اقرت **الجمعية العامة للامم المتحدة** ، في دورتها التاسعة والعشرين ، لهم هذا الحق» . كما أكدت اللجنة « أنها ستحتفظ بحقها في اتخاذ سائر الاجراءات والوسائل التي تراها مناسبة، لابطال فاعلية هذا القرار ، وآثاره الخطيرة المحتملة .. والتي لا تخدم سوى اهداف المؤامرة الامبريالية والصهيونية ضد شعبنا الفلسطيني » .

ومن جانب آخر ، وجهت **الدائرة السياسية** في منظمة التحرير الفلسطينية مذكرة الى السكرتير العام للامم المتحدة ، أعربت فيها عن قلق المنظمة البالغ لقرار المفوض العام للوكالة ، والمتعلق بنقل مقر رئاستها الى فيينا ، وكأن هذا بداية التخلي التدريجي للوكالة عن تقديم الخدمات الانسانية للاجئين الفلسطينيين ، والذين لا زالوا يعيشون خارج حدود وطنهم ، منذ أكثر من ثلاثين عاما ، ثم تشير المذكرة الى ما تنوي الوكالة تطبيقه بشأن التعليم الاعدادي في مدارس اللاجئين الفلسطينيين ، بحجة العجز المالي الذي تعاني منه الوكالة ، فتقول المذكرة :

« ان **منظمة التحرير الفلسطينية** ترى أنها ليست مسؤولة عن تمويل الوكالة ولا عن العجز المتكرر في ميزانيتها ، كما أن الدول العربية المضيفة والدول العربية الاخرى ليست مسؤولة ، كذلك ، عن هذا التمويل ، لأن مسؤولية ذلك كله تقع على عاتق المجتمع الدولي ، باعتباره مسؤولا عن قضية اللاجئين الفلسطينيين » ، ثم تمضي المذكرة لتقول ان العجز المالي الذي تعاني منه الوكالة مرده ، أساسا الى امتناع القوى الامبريالية ، وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية ، عن تقديم التبرعات للوكالة . هذه القوى المسؤولة ، أساسا ، عن مأساة شعبنا ، والتي تقدم في نفس الوقت المليارات من الدولارات الى « اسرائيل » بهدف تخزين آلة الحرب والدمار الموجهة اساسا لابادة شعبنا والشعوب العربية الأخرى .

والآن ، فان موضوع وكالة الاغاثة — العجز في موازنتها ونقل مقرها الى فيينا — قد عرض أمام مؤتمر المشرفين على شؤون الفلسطينيين في الدول العربية المضيفة (عمان ٢٢ — ٧٨/٧/٢٩) وقد سبق لهذا المؤتمر نفسه أن ناقش الموضوع في عدة مرات سابقة منذ سنة ١٩٧٤ ، وكان مندوبو الدول العربية المشاركون يؤكدون ، في كل مرة ، على شجبهم لأي اجراء يصدر عن الوكالة ، من شأنه تخفيض الخدمات التي تقدمها الوكالة للاجئين الفلسطينيين ، وان المسؤولية بكاملها تقع على المجتمع الدولي ، بصفته المسؤول عن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين بشكل عام ...

Digitized by Birzeit University Library

اما وقد تصاعدت قضية وكالة الاغاثة بهذا الشكل الخطير ، فاننا نعتقد انه بات لزاما على الجميع اعادة النظر في موضوع الوكالة ، من اساسه .

ومطلوب من الدول العربية جميعا ان تقول كلمتها في هذه القضية ، وان يثبت العرب انهم يستطيعون ان يتخذوا ولو قرارا واحدا في قضية تمس مصالح شعب بأكمله ، مشتت في مختلف مناطق التجمع ، في الوطن المحتل وخارجه .

ثمة اقتراحان يمكن للمجموعة العربية أن تركز عليهما ، في قضية الوكالة :

(١) **العجز في الموازنة :** يمكن تغطيته بربط موازنة الوكالة كلها بموازنة المنظمة الدولية (هيئة الامم المتحدة) ، كما سبق أن ربطت رواتب الموظفين « الكبار » ، الذين يتمتعون بالصفة الدولية في الوكالة بموازنة الامم المتحدة ، وبهذا نكون قد اكدنا مسؤولية المجتمع الدولي في هذا الجانب من خلال هيئة الامم المتحدة .

(٢) اما عن مقر رئاسة الوكالة : فلا يجوز ، بأي حال من الاحوال ومهما كانت المبررات او الاعذار لدى الجانب الاخر، ان تتخلى المجموعة العربية عن الاصرار على ان يظل مقر الوكالة حيث عملياتها ، وخدماتها ، وفي منطقة عملها في البلاد العربية..

واننا نعتقد انه لا بد من اثناء الوكالة عن فكرة مراكزها خارج المنطقة العربية، بأي شكل كان .. وان اجراء منظما واحدا تقوم به الدول العربية المضيفة ، وتشارك فيه منظمة التحرير الفلسطينية وجماهير الشعب الفلسطيني المقيمة في المخيمات ، والتي تقدم لها الوكالة خدماتها ، هذا الاجراء كفيل بحسم الامر ، اولا واخيرا ، لصالح اللاجئين الفلسطينيين ، ولصالح القضية السياسية المتمثلة فيهم .

ثم لا ننسى أننا واصدقاءنا في الجمعية العمومية للامم المتحدة نشكل كثرة ، ونستطيع ان نصل الى القرار الذي نريده ، وخصوصا في موضوع وكالة الاغاثة .

فهل تتفق المجموعة العربية على اسلوب موحد لطرح هذا الموضوع ، في الدورة القادمة ، وهل نوفق في اقناع اصدقائنا لان يوافقونا على طرحها ؟ سؤال ينتظر جوابا عمليا من المجموعة العربية ، واللاجىء الفلسطيني ينتظر .

Digitized by Birzeit University Library

حول خصوصية النموذج العربي للاشتراكية

حيدر حيدر

مدخـــــل :

كيف يمكن ان نوضح من خلال الواقع الملموس ما يمكن ان نسـميه « **النموذج العربي الى الاشتراكية** » ؟ وكيف نزيل الالتباس الذي قد يتوارد الـى الذهـن حول الخصوصية والتعصب القومي اللذين الصقا بهذا المفهوم ؟ ثم كيف يمكن ان نصل الى قناعة موضوعية حول امكانية نمو وتحول الحركة القومية الديمقراطية العربية باتجاه الاشتراكية العلمية من خلال التجربة الذاتية واستشراف افاق المستقبل وحركة الثورة العربية ، وتفاعل هذه التجربة مع التجارب الثورية في العالم ؟

في البدء سنسجل ملاحظة اولية : ان الحديث عن « طريق عربي خاص الـى الاشتراكية » لا يعني على الاطلاق ان الثورة العربية بمضمونها الاشتراكي ، ثـورة معزولة او ملهمة او متفردة جدا ، كما لا يعني ان هذه الثورة قد ارهصت بها العبقرية العربية على نحو متمايز مختلف كل الاختلاف عن ارهاصات الثورات الاخرى التـي اجتاحت العالم .

مثل هذا التفكير يتسم بالمحدودية وضيق الافق ، ذلك لان منطق العصر ، وحركة تصاعد الثورات التي فجرتها الشعوب المضطهدة وخاصة في قارات العالم الثالث : اسيا ، افريقيا ، امريكا اللاتينية ، اعطت مفهوما جدليا وثوريا للتلاحم الانساني بيـن الامم والشعوب التي تسعى الامبريالية العالمية لقهرها .

غير أن الملاحظة التالية تظل صحيحة : **ان اية ثورة في العالم تتميـز بخصائص يعكسها الواقع والتاريخ وطبيعة الصدام مع القوى المضادة** . وحول هذه النقطة يمكن الاحالة الى لينين في ملاحظاته « حول ثورتنا » التـي كتبها عـام ١٩٢٣ : « ان فـي مستطاع روسيا ، وواجب عليها أن تتمخض عن **سمات خاصة** ، تأخذ مكانها بالطبـع

Digitized by Birzeit University Library

في الاطار العام للتطور العالمي . لكنها تميز ثورتها عن جميع ما عداها من الثورات السابقة في اوروبا الغربية وتنطوي على جوانب من الجدة بالمقارنة مع البلدان الشرقية » .

ونحن نحاول ان نوضح ملامح « النموذج العربي للاشتراكية » نستطيع ان نقرر بلا تبسيط : ان الثورة العربية الاشتراكية هي جزء من الثورة الاشتراكية العالمية من خلال واقع وشروط الوطن العربي ، وهذا موضوعيا ، لا يعني التبعية أو نسخ التجارب الاخرى ، كما لا يعني الانعزال والمحايدة .

ان بين الثورة العربية الاشتراكية وثورات العالم الاشتراكية لقاء محوريا في جبهة النضال ضد الامبريالية . كما أن بينها عملية تفاعل حرة في مجال التجربة الذاتية .

في نطاق النموذج العربي لبناء الاشتراكية ، يطرح الواقع الملموس ثلاث مسائل رئيسية تبرز هوية هذا النموذج دون ان تعزله :

الاولى : ـ المسالة القومية والاشتراكية .

الثانية : ـ مسالة الفلاحين .

الثالثة : ـ المسالة الثقافية .

ان هذه المسائل الاساسية تدخل في صلب الدليل الايديولوجي للثورة العربية الاشتراكية ، وهذه المسائل تجابه الثورة بشكل ملح ومباشر للاسباب التالية :

١ ـ التجزئة واسرائيل .

٢ ـ ظروف القهر الاقتصادي والمجتمع الزراعي .

٣ ـ ضمور الوعي الثوري واهمية دور الفكر .

ان الوطن العربي والثورة الاشتراكية فيه ، تطرح هذه المسائل الملحة التي ينبغي تحليلها لازالة الغموض والالتباس ، ولتوضيح ملامح الثورة وطريقها في التطبيق .

١ ـ المسالة القومية والاشتراكية :

أ ـ المسالة القومية :

يقول لينين : « ينبغي ان نقيم تمييزا بين المظهر الايجابي والمظهر السلبي للقومية بين قومية الشعب المضطهد وقومية الشعب الذي يضطهده غيره » .

Digitized by Birzeit University Library

ونحن العرب نضع القومية العربية في اطارها الايجابي باعتبارها قومية مضطهدة عبر عصور سحيقة ، تمتد منذ العصر الروماني والفارسي حتى عصر الامبريالية ، هذه الامبريالية التي اقامت اسرائيل الصهيونية وزرعتها بالقوة في قلب الوطن العربي ·

وهذه القومية المضطهدة حتى في العصر الديني الذي اظهرت فيه خطأ بانها فتوحات وغزو ، كانت في التحليل التاريخي الموضوعي ، في جانب هام من اندفاعها ، ردا على الغزو الروماني والفارسي الذي طغى على كل الارض العربية ، واخضع الشعب العربي لاقسى ظروف وانواع العبودية والاضطهاد · وعبر الانتفاضات القومية والوطنية ، كان دافع التحرر من الاحتلال والاستعمار والنزوع لتوحيد شتات الامة العربية ، هو الدافع الاساسي · وهذا الدافع الحافز كان على مدى التاريخ ، المحرك الجوهري للتخلص من العبودية والاضطهاد ، باعتباره حافز الوجود والبقاء اولا · ان امة من الامم لا يمكنها ان تتكون وتبني مجتمعها سياسيا واقتصاديا وثقافيا، ما دام وجودها مهددا ، وشعبها رازحا تحت الغزو والتقسيم والسيطرة الاجنبية ·

فالامة العربية كانت وما تزال مجزأة ومنقسمة ، وهذه التجزئة خطط حدودها الاستعمار والاتفاقات الدولية التي قسمت البلاد العربية الى مناطق نفوذ استعمارية بناء على اتفاقية سايكس بيكو الشهيرة ·

لقد انتقلت الامة العربية بعد انتصار الحلفاء الغربيين على المانيا الهتلرية وحليفتها تركيا ، من امة كانت تحت الاحتلال العثماني البغيض ، الى امة تحت الاحتلال الاوروبي ·

ولم يكتف الاستعمار بتقسيم الامة ووضع اقطارها تحت سيطرته ونفوذه ، بل قام باعطاء وعد بلفور لليهود الصهاينة وزرع اسرائيل شعبا غريبا معاديا في فلسطين المحتلة ·

وبعد زوال سيطرة الاستعمار الفرنسي والبريطاني ، تكفلت امريكا بادارة شؤون القسم الاكبر من الوطن العربي . وخاصة مراكز منابع النفط ، كما تكفلت برعاية اسرائيل قاعدتها العسكرية في الوطن العربي المجزأ ·

من هذا العرض السريع المبسط والموجز ، نهدف الى توكيد حقيقتين اساسيتين :

١ – ان الوطن العربي كان يؤخذ تحت الاحتلال كلا واحدا ·

Digitized by Birzeit University Library

٢ ـ ان الصراع بين الشعب العربي والمستعمرين والغزاة على اختلاف هوياتهم كان صراعا تحرريا ، بين شعب مقهور وغزاة قاهرين · ارتقى بعد وجود (اسرائيل) الى مرتبة صراع الوجود ·

لقد هدف المستعمرون خلال السنوات الطويلة من ترسيخ الاحتلال ، الى حقيقة اساسية هي : اقلمة الوطن العربي وترسيخ هذه الاقليمية داخل حدود تفصل بينها موانع ذات صفة قانونية دولية ، ومع مرور الزمن تحولت هذه التجزئة الاقليمية الى سلوك وعلاقات وافكار ، رسختها البورجوازية الكومبرادورية الحاكمة بعد دحر الاستعمار الخارجي ·

وتاسيسا للتجزئة الاستعمارية ودعما للبورجوازية الكومبرادورية الحاكمة ، لم يعدم الوطن العربي المجزا خلال تاريخه ، أن يولد فيه عملاء للاستعمار وضعوا له نظريات اقليمية اتخذت شكل حركات سياسية انفصالية نادت جهارا بالتجزئة وعملت على أساس اقليمي معاد للوجود القومي ·

كما لم يعدم هذا الوطن تيارا « ستالينيا » تابعا ، جاهر بالعداء للفكر القومي ونادى بالاقليمية الضيقة في الوقت الذي كان يطرح فيه الاممية · لقد اتهم هذا التيار الستاليني المفهوم القومي بالبورجوازية والشوفينية ، ونظر الى القومية العربية على انها وهم بورجوازي ، ونتاج لصعود الراسمالية ومركزة سوقها ، وليست محصلة لكفاح شعوب مجزأة ومضطهدة من الاستعمار والامبريالية ·

لقد طبعت « الستالينية » الحركات الشيوعية المحلية في الوطن العربي في النصف الاول من القرن العشرين وقبل الانشقاقات الاخيرة ، بطابع الجمود العقائدي والتمسك بالحرفية والاستسلامية الفكرية وانعدام النقد · وكانت هذه الحركات والتنظيمات برؤيتها الستالينية الجامدة ، تطرح برامج عملها بعيدا عن الشروط الموضوعية وظروف الواقع العربي ، وبعيدا عن المسالة القومية التي قفزت عنها · لقد هدفت الى قسر واقع على واقع اخر ، ونادت بنسخ تجربة الثورة الاشتراكية السوفياتية وتطبيقها على المجتمع العربي بشكل ما ·

مقابل هذا الطرح المثالي والميكانيكي ، كان لا بد أن تطرح القضية القومية كمسالة وجود اساسا ، ردا على الحركات الرجعية والاقليمية المرتبطة مباشرة بالاستعمار، وردا على التيار « الستاليني » الذي تجاهل المسالة القومية · بما هي مسالة تحرر وكفاح شعب لدحر الاستعمار المهيمن ·

كان الحديث والحوار حول الخصائص ، والجذور القومية ، والاصول ، في

Digitized by Birzeit University Library

مرحلة مجابهة الرجعية والاقليمية والستالينية ، يكتسب طابعا حادا وانفعاليا احيانا ، وقد اودى الى شبه بمفهوم ضيق ومنغلق حول المسالة القومية · وفي تلك المرحلة التاسيسية كان مفهوم الاشتراكية وارتباطها الجدلي بالقومية ، ضامرا وجنينيا ·

وفي مراحل التطور التي بلورت ضرورة تلاحم النضال الوحدوي مع الصراع الطبقي ، كحدين اساسيين لمجابهة الاستعمار والامبريالية والتجزئة واسرائيل من جهة، وتصفية التناقضات الداخلية ومجابهة التخلف وتنظيم المجتمع على اساس اشتراكي علمي من جهة اخرى ، كان التطور والتحول يتم على جبهة واحدة هي : جبهة الثورة العربية الاشتراكية ، وقطاع الجماهير المنتمية الى هذه الثورة ، في حين كان التطور والتحول في اطار التيار الستاليني متسمين بالحذر والشك والاتهام ، وظلت افكار وبرامج هذا التيار مرتبطة بمفهوم امكانية « بناء الاشتراكية متكاملة في قطر واحد »· كما بقيت المسالة القومية مسالة ثانوية لا تحظى بالاهتمام ولا تعني الشيوعيين « الستالينيين » الا في لحظات الدفاع الذاتي وابان تعاظم الخطر الصهيوني ، وانعكاسا لمواقف الاتحاد السوفياتي الايجابية ضد هذا الخطر المهدد للامة العربية ·

وهكذا ظلت المسالة المركزية بالنسبة لهم هي : الاشتراكية ·

ولكن هل مسالة الاستيطان والتوسع الاسرائيلي ، وبناء امبراطورية صهيونية فوق ارض الوطن العربي مسالة ثانوية ؟ ثم هل يمكن بناء الاشتراكية على نحو متكامل داخل قطر واحد محدود بامكاناته الاقتصادية والثقافية والبشرية ؟ وهل بناء الاشتراكية داخل قطر واحد يؤدي بالضرورة الى زوال اسرائيل كوجود قومي استيطاني مرتبط عضويا بالامبريالية والاحتكارات العالمية ؟

في مجال السؤال الاول يمكننا ان نقدم دليلا قاطعا على ان اسرائيل وجدت لتمنع قيام اية وحدة عربية في المنطقة ·

ان مؤتمر الدول الاوروبية الذي عقد عام ١٩٠٧ برئاسة ـ كامبل بنرمان ـ رئيس وزراء بريطانيا انذاك يعطينا هذا الدليل القاطع · يقول بنرمان في هذا المؤتمر : « ان كل الحضارات تصل الى مستوى معين ثم تبدأ بالانحدار ، وواجبكم في هذا المؤتمر ان تبحثوا عن وسيلة تمنعون بها انحدار اوروبا » ·

وبعد ثلاثة اشهر من الدرس والمناقشة صدر عن المؤتمر تقرير عرف بتقرير ـ بنرمان ـ كان ابرز ما فيه بالنسبة للحركة الصهيونية : « العمل على منع اي اتحاد او وحدة او اتفاق بين دول شرق البحر الابيض المتوسط لانها الخطر الوحيد على

Digitized by Birzeit University Library

مستقبل اوروبا ووسيلة لذلك اقامة حائط غريب معاد شرقي قناة السويس يكون بداية التحالف بين اوروبا والحركة الصهيونية العالمية » .

قد لا يكون مؤتمر الدول الاوروبية وتقرير بنرمان اكثر من وثيقة قديمة تحققت فيما بعد عبر قيام اسرائيل ، غير أن الوثيقة الخطرة هي اسرائيل اليوم ، هذه البؤرة الاستعمارية ذات الاهداف التوسعية والاستيطانية والتي ستحققها بالقـــوة والعنف المســـلح .

ان اسرائيل التي وجدت معاكسا موضوعيا لمنع قيام أية وحدة عربية ، مدعية أن وحدة كهذه ستكون موجهة ضدها ، انما تنفذ رغبة وارادة الامبريالية العالميـــة ، هذه الامبريالية التي ترى في التجزئة حماية لمصالحها البترولية وقواعدها العسكرية القائمة في الدول العربية الرجعية والمسيطرة على منابع النفط .

لا جدل في أن اسرائيل مع الرجعية العربية يشـــكلان الحليف الاستراتيجـــي للامبريالية ، واسرائيل لا ترى خطرا كبيرا في اي توحيد أو اتفاق بين الدول والانظمة العربية الرجعية ، غير انها ستقف حائلا وتمنع بالعدوان المسلح أية وحدة تقدميـــة تصنعها الجماهير الشعبية ، **واسرائيل تدرك جيدا ان الوحـــدة العربية الاشتراكية لن تصنعها الرجعية ، وانما جماهير الثورة الاشتراكية المنظمة** ، الجماهير التـــي كشفت التحالف العضوي بين اسرائيل الصهيونية وبين الامبريالية العالميـــة ، هـــذا الحلـــف المعادي للتقدم والاشتراكية . سيكون من الخطأ والتبسيط ان لم يكن تواطؤا مـــع الحلف الرجعي ـ الامبريالي الا تتجسد امامنا حقيقة الصراع بين الامة العربية ككل ، وبين (اسرائيل) الصهيونية ـ الامبريالية ، كما سيكون من الغفالة والجهل بمكان ان نرى في اسرائيل خطرا ثانويا يمكن ازالته بسهولة .

ان الصراع مع (اسرائيل) يأخذ طابع جدلية وجودية . طابع ان تكون الامـــة العربية أو لا تكون ، شعبا وارضا وحضارة ومستقبلا ، وهذا الصراع يتبلور باستمرار ويتصاعد خطره لان كل قوى وطاقات الامبريالية الاميركية في العصر الحديث ، يمكن ان توضع للدفاع عن وجود (اسرائيل) في السلم وفي الحرب ، كما ان جميع القـــوى الرجعية الداخلية انطلاقا من مصالحها وامتيازاتها بشكل مباشر وغير مباشر هـــي موضوعيا مع الحلف الصهيوني ـ الامبريالي ضد قوى التقدم والاشتراكية في الوطن العربـــي .

ان علينا ان نتذكر دائما شعار التوسع الامبراطوري الصهيوني لمملكة داؤود : « حدودك يا اسرائيل من النيل الى الفرات » ، كما ينبغي ان نتذكر حروب العـــدوان المتواصلة منذ تأسيس (اسرائيل) حتى الان ، وتصريحات مؤسسي (اسرائيل) عن

Digitized by Birzeit University Library

امكانية اشعال حرب عالمية اذا ما تعرض امن ووجود (اسرائيل) للخطر · هل يمكن ان تخدعنا اضاليل وشعارات (اسرائيل) عن السلام والصلح والحدود الامنة ؟ ثم من الذي قال بحق (اسرائيل) في الوجود المشروع على ارض فلسطين غير الامبرياليين الذين خلقوا وزرعوا بالعنف هذا الحق المزعوم ؟ ·

في السنوات الاخيرة بدأت المسالة القومية ، بما هي اشتراكية ، تأخذ بعدها الحقيقي داخل الاجنحة الثورية للاحزاب الشيوعية العربية التي خرجت عن الخط الستاليني ، ظهر هذا وتبلور في سوريا ولبنان وفلسطين والسودان ومصر ، وهذا التحول والتطور الجديد وضعا المسالة القومية في نصابها ، كما انهما انعطفا بالخط الماركسي ـ الستاليني ، الى الخط الماركسي ـ اللينيني الصائب والعلمي · لقد وضعت الماركسية ـ اللينينية على ضوء هذا التحول الجديد تحت شمسها الحقيقية ، فاخرجت الماركسية من المفهوم الستاليني ـ اللاهوتي الضيق ، وبرزت بوضوح ضرورة وامكانية بناء الاشتراكية من خلال الواقع الخاص والظروف الموضوعية التي يفرزها هذا الواقع ·

ان هذا التحول والادراك العلمي للواقع القومي ، يحمل في اعماقه الافق التاريخي لمستقبل الثورة الاشتراكية العربية كهدف استراتيجي نهائي ، لا بد أن تكون فيه هذه الاحزاب الشيوعية العربية الثورية الجديدة طليعة هذا المستقبل ·

ان حركة الثورة الاشتراكية العربية بتنظيماتها وفصائلها تبدو متباينة وغير موحدة حتى الان ، الا انها متفقة اساسا حول موضوعتين جوهريتين هما : الوحدة والاشتراكية ·

فالظروف القائمة الان في ما يمكن تسميته بالتشتت الثوري والانحسار الراهن لحركة الثورة وقواها التقدمية ، ليست الا عارضا مرحليا ، افرزته التجزئة الاستعمارية واسرائيل والرجعية العربية ، وطبيعة انظمة البورجوازية الصغيرة العسكرية المعادية للاشتراكية العلمية ·

غير ان شروط وحدة الثورة الاشتراكية ومناخ توحيد تنظيماتها وجماهيرها الثورية ، مهيئان على مدى المستقبل انطلاقا من التماثل النظري ـ الايديولوجي ،وردا على ضغط القوى المضادة الموجهة لسحق مفهوم الثورة الاشتراكية ، وامكانية تحول الثورة الى واقع تاريخي لنسف مصالح النفوذ الامبريالي ـ الصهيوني ، والارتقاء بالمجتمع العربي القديم الى مجتمع اشتراكي علمي معاصر ·

ب ـ مسالة الاشتراكية في قطر واحد :

هل يمكن بناء الاشتراكية على نحو متكامل داخل قطر عربي واحد ؟ وفي حالة

Digitized by Birzeit University Library

بناء الاشتراكية افتراضا في قطر واحد ، كيف تؤمن الحماية لهذا القطر الاشتراكي من اسرائيل والامبريالية ؟ ·

اننا نكابر أو نتوهم عندما نجيب بنعم على السؤال الاول ، فبناء الاشتراكية يحتاج الى الشروط الاساسية في الاقتصاد والطاقة البشرية والثقافة ، وأي قطر عربي منفرد لا يحتاز هذه الشروط كاملة ·

لقد بنيت الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي لان الطاقات البشرية والاقتصادية والثقافية كانت متوافرة اساسا ، ولان الاتحاد السوفياتي أقر عشية انتصار الثورة الاشتراكية مبدأ التعايش السلمي · لقد قال لينين في ٢١ تشرين الثاني من عام ١٩٢٠ : « لا نملك فترة استراحة وحسب ، انما لدينا ايضا مرحلة جديدة مضمون فيها اساس كياننا الدولي في عداد الدول الرأسمالية · مرحلة ستعيش فيها جنبا الى جنب الدول الاشتراكية والدول الرأسمالية · ان بناء المجتمع الاشتراكي لا يمكن ان يتم الا في ظروف التعايش السلمي · فلا حاجة للحرب والحرب لا تفعل غير أن تكبح سير الشعب السوفياتي الى الامام ، وتعيق أداء المهمة الرئيسية : بناء الاشتراكية » ·

وبين عامي ١٩٢٠ ـ ١٩٢١ صرح لينين ايضا : « انا لا ارى أية اسباب تمنع دولة اشتراكية كدولتنا ان تكون لها علاقة اعمال غير محدودة ، مع البلدان الرأسمالية· نحن لسنا ضد استعمال القاطرات والالات الزراعية الرأسمالية فلماذا اذن ينبغي لهذه الدول ان تعارض الاستفادة من قمحنا الاشتراكي وكتاننا الاشتراكي وبلاتيننا الاشتراكي » ·

اذا كانت ثورة اكتوبر بعد نجاحها في الاستيلاء على السلطة الموحدة في كل جمهوريات الاتحاد السوفياتي ، قد اضطرت لمصلحة الثورة وتنفيذ بناء الاشتراكية ، ان **تقر مبدأ التعايش السلمي** مع الدول الرأسمالية المعادية ، فهل **يمكن لقطر عربي واحد يبني الاشتراكية ان يقيم تعايشا سلميا مع (اسرائيل) والامبريالية حتى يتاح له** فرصة **بناء الاشتراكية ؟** ثم هل تسمح الرجعية العربية المتحالفة مع الامبريالية لهذا القطر الاشتراكي ان يظل اشتراكيا ؟

ان الاتحاد السوفياتي غني بالقمح والكتان والبلاتين ، ولكن اي قطر عربي منفرد ومرشح للثورة ، ليس غنيا بالمواد الاولية والخامات القادرة على تصنيعه · فمنابع البترول التي تستطيع وحدها تصنيع الوطن العربي واقعة تحت قبضة الاحتكارات الامبريالية ، وبدون سحب البترول ومنابع الطاقة من هذه الاحتكارات الناهبة ووضعها تحت سيطرة الجماهير العربية ، يصبح الحديث عن امكانية بناء الاشتراكية في قطر واحد ضربا من الوهم والتجريد · **ان الاقتصاد العربي يشكل كلا لا يتجزأ وهذه الطاقة**

Digitized by Birzeit University Library

الاقتصادية الهائلة قادرة على بناء صناعة حديثة وقادرة في حالة الثورة الاشتراكية الجذرية على بناء الاشتراكية ليس بالضرورة دفعة واحدة في كل الوطن العربي ، انما في اكثر من قطر عربي يمكن ان يشكل مع الآخر نواة الوحدة العربية الاشتراكية ·

هكذا يبدو تلاحم النضال القومي مع الصراع الطبقي ، افقا تاريخيا ومهمة مركزية يطرحهما الواقع الموضوعي ، وهذا الافق القومي ـ الطبقي لا ينفي السير بخطوات اشتراكية في اطار انجاز المرحلة الديمقراطية داخل قطر انجز ثورته الديمقراطية · هذا اساسي لا يمكن اغفاله والقفز فوقه · ونحن عندما نطرح الثورة الاشتراكية القومية ونقول بصعوبة انجاز الاشتراكية حتى النهاية داخل قطر واحد ، لا نريد ان نصادر (الثورة القطرية) بل ينبغي دفع هذه في حال انجازها ، نحو الافق القومي حتى لا تختنق داخل قطريتها وتتحول الى سلطة اقليمية مهددة في الداخل والخارج ·

ان حركة الثورة في أي قطر ، مسؤولة مسؤولية مباشرة وكلية عن انجاز الثورة القومية بمضمونها الاشتراكي ، وأي تلكؤ أو تراجع أو قوقعة ، يعني انغلاق هذه الثورة على نفسها ، وبالتالي نفي الحالة الثورية عنها · وانجاز الثورة الاشتراكية القومية لا يتم بالحياد عن (اسرائيل) والامبريالية والرجعية ، فهو يمر حكما بهما لانهما العدو المركزي لهذه الثورة ، **ولان الصراع مع (اسرائيل) الامبريالية بالذات هو صراع الوجود العربي بما هو اشتراكي** · وهذا شرط من شروط قانون جدل النضال القومي والصراع الطبقي في مجرى انجاز الثورة الاشتراكية القومية حتى النهاية ·

ان التحليل الواقعي الموضوعي ، يؤكد تاريخيا الطابع الانساني للقومية العربية كقومية مضطهدة منذ العصور القديمة ، كما يؤكد ان الحافز القومي المتأصل في اعماق جماهير الشعب الكادحة ، اساس جوهري ـ تاريخي لا بد منه لمواجهة الطغيان القومي العنصري الصهيوني الديني ، وهذا الحافز التاريخي ليس منفصلا عن الهدف الاشتراكي اساس تنظيم بنية الدولة العربية الحديثة ومركز انطلاقها نحو الحضارة الجديدة ·

لهذه الخصوصية التاريخية تتبدى لنا المسالة القومية بما هي اشتراكية ، مسالة المركز · وهذه المسالة ذات طابع تحريري ثوري أساسه الاشتراكية العلمية ·

٢ ـ مسالة الفلاحين :

انطلاقا من مجتمع صناعي متطور ، العمال فيه هم القوة الرئيسية في صراع المستغلين مع المستغلين ولان لطبقة العمال خصائص مميزة عن غيرها من الطبقات الكادحة الاخرى ، أعطت الماركسية الدور الرئيسي القائد لهذه الطبقة في الثورة ·

Digitized by Birzeit University Library

ما هي هذه الخصائص التي تميز الطبقة العاملة عن غيرها من الطبقات والفئات الاخرى المتحالفة معها ، في مجرى انجاز الثورة ، كالفلاحين والمثقفين الثوريين والبورجوازية الصغيرة ·

يعرف لينين هذه الطبقة بانها « الطبقة القائدة التي تعبىء قوى الشعب بكامله لاحداث التحول الديمقراطي الكامل وتجمع قوى العمال وقوى الكادحين والخاضعين للاضطهاد والاستغلال لتقف جميعها في وجه المستغلين الرأسماليين » · ان خصائص هذه الطبقة هي :

١ ـ انها طبقة المستقبل باعتبارها نتاج العصر الصناعي وتمثل صراع العمل ضد الرأسمال ·

٢ ـ انها الطبقة الثورية الوحيدة التي تتحمل اكبر قسط من الاستغلال وتواجه خصما لا يمكن اصلاحه الا بالثورة عليه ·

٣ ـ لا تتمتع بملكية خاصة لوسائل الانتاج لذا فهي لا تخسر الا قيودها في النضال ضد الرأسمالية ·

٤ ـ الطبقة الاكثر عددا في الدول الصناعية · ففي القرن التاسع عشر كان عدد العمال في الولايات المتحدة الاميركية حوالي مليون عامل اي ما يعادل ٥ ـ ٦ ٪ من مجموع السكان زاد هذا العدد عام ١٩٥٧ الى ٢١ مليونا · وفي المانيا كانت الطبقة العاملة تشكل ٣ ٪ من مجموع الشعب في منتصف القرن العشرين اصبحت هذه الطبقة اكثر من نصف الشعب الالماني ·

٥ ـ انها الطبقة الاكثر استعدادا للتنظيم فالعمال في معاملهم يكتسبون صفات النظام والروح الجماعية والعمل المشترك بوعيهم المتطور وبتبنيهم لمفهوم تقدمي وعلمي عن الحياة ·

٦ ـ هناك رابطة مشتركة بين مصالح العمال لكطبقة وبين مصلحة الطبقات والفئات الكادحة الاخرى والخاضعة بدورها للاستغلال والاضطهاد واستلاب رأس المال ·

وعن اممية هذه الطبقة يورد ماركس تعريفا هاما يضاف الى الخصائص المميزة لها : « للعمال في جميع البلدان مصلحة واحدة ومعركة واحدة وجماهير الطبقة العاملة بريئة من الافكار الثابتة والسابقة ذات الطابع القومي » ، ولذا فمن خصائصها اذن انها اممية ·

Digitized by Birzeit University Library

وعندما كان يأتي الحديث عن الفلاحين السلاف مثلا ، كانت الماركسية في اوروبا خاصة تصنف الفلاحين بين القوى الرجعية التي تدير التاريخ في الاتجاه المعاكس ، غير ان هذا المفهوم السلبي عن الفلاحين صحح فيما بعد فاعتبرت طبقة الفلاحين الفقراء حليفة للطبقة العاملة ، وذلك على يد لينين ·

وتحلل الماركسية ـ اللينينية طبقة الفلاحين بانها « طبقة صغار الملاك الزراعيين حيث الاقتصاد عندها يقوم على اساس الملكية الخاصة · وهذه الطبقة تتميز في ظل النظام الرأسمالي بتعدد مظاهرها فهي تضم العمال الزراعيين وصغار الفلاحين الى جانب الفلاحين المتوسطين ، وكبار الفلاحين (الكولاك) ، وهي طبقة ذات طبيعتين متعارضتين ، فهي قريبة من الطبقة العاملة لكونها تضم عمالا ، وهي قريبة من الطبقة البورجوازية لكونها تتألف من مالكين » · هذا على الرغم من ان المصالح الاساسية لطبقة الفلاحين تتفق ومصلحة الطبقة العاملة لانها طبقة مضطهدة في التحليل الواقعي ـ التاريخي ، من قبل كبار الملاك الزراعيين ·

في العالم الثالث والوطن العربي خاصة كيف تبدو الحالة الطبقية وعلاقات الانتاج والاستغلال لطبقة الفلاحين ؟ ثم ما هي الخصوصية التاريخية لهذه الطبقة التي تشكل الجناح الثاني في التحالف العمالي ـ الفلاحي ضد علاقات رأس المال ·

ان اول ما يتميز به تركيب المجتمع العربي انه تركيب غير صناعي ، والسمة الرئيسية والبارزة لهذا المجتمع انه مجتمع زراعي ، العمال فيه طبقة ضئيلة عدديا ، في حين تتجاوز نسبة الفلاحين فيه في متوسطها من ٦٠ ـ ٧٠ ٪ والصناعات السائدة والاساسية صناعات خفيفة واولية واستهلاكية تستهلك داخله ·

لذا فمن البديهي ان تكون طبقة الفلاحين الفقراء هي الاكثر عددا اذا ما قيست بطبقة العمال ·

وفي مراحل تاريخ النضال القومي والطبقي ، تعرض الفلاحون لاقسى صنوف الاضطهاد والاستغلال والتهجير والبؤس من قبل الاقطاعيين وكبار الملاك الزراعيين ، الذين كانوا ادوات منفذة وحلفاء طبيعيين للمستعمرين الذين احتلوا الوطن العربي · وباستمرار تاريخي كان الفلاحون رمزا للذل والمهانة واقسى صنوف الاحتقار الانساني والاستغلال الاقتصادي ، حتى ان كلمة فلاح في العهود الوطنية التي ورثت الوطن من الاستعمار كانت تشير الى نوع من الانحطاط الحيواني غير البشري ·

لقد كانت هذه الطبقة تستغل وتضطهد كتلة واحدة وبخاصة الفلاحون الصغار، ولكن الاستغلال والاضطهاد كانا يأخذان اشكالا متباينة بين بيئة واخرى ، وبأساليب قمعية

Digitized by Birzeit University Library

تتباين مع شدة وعنف الصراع الطبقي الدائر ودرجته ·

كانت اساليب القمع والاضطهاد مرتبطة باتساع المساحات الزراعية وسيطرة كبار الملاك والاقطاعيين على هـــذه المساحات التي يعمل فيهـــا الفلاحون ، حيث اساليب الاضطهاد كانت تصل الى الجلد والتهجير والقتل ، وكان هذا الاضطهاد مرتبطا بالدولة البورجوازية والدولة الاستعمارية المتحالفة مع كبار الملاك والاقطاع ·

لقد كانت الملكية الصغيرة تنتزع في حالات كثيرة من الفلاحين متى شاء الاقطاعي المحمي بتشريع وقوانين الدولة الاستغلالية · ونتيجة لهذا الاستغلال والاضطهاد ، ظلت هذه الطبقة مقهورة تاريخيا كما ظلت معزولة ومتخلفة عـــن الصراع السياسي الذي تمركز في المدن الى حد كبير ·

ان معظم كوادر الطبقة العاملة في المدن العربية هي من الفلاحيـــن المهاجرين من الجور وانعدام العمل في الريف ، وهذه الكوادر التي وجدت عملا ، استقرت نسبيا ، وفي وضعها الجديد تحسن الى حد ما وضعها المادي على نحو مختلف عـــن السابق ، رغم ان الانتقال لم يكن اكثر من انتقال كيفي يديره ويحـركه الرأسماليون المستغلون ، وفي احسن الاحوال رأسمالية الدولة الجديدة ، وذلك بدلا مـــن الاقطاعيين وكبـــار الملاك الزراعيين في الريف ·

لقد كانت المدن مركزا للصراع السياسي والطبقي ، وعندما كان هـــذا الصراع يحتدم ويهدد سلطة الدولة البورجوازية الكومبرادورية فترتفـــع مطالب العمال بزيادة الاجور ، وانقاص ساعات العمل ، والضمان الصحي والاجتماعي ، والعطلة الاسبوعية المأجورة ، كانت هذه الطبقة العمالية تحصل في ظروف معينة على مطالبها الاصلاحية او على قسم منها ، في حين كان الفلاحون الفقـراء المضطهدون ، مهملين لا يطالهم اي اصلاح او اي تحسن نسبي في حياتهم ·

لقد كانت حياة العمال وظروفهم المادية ـ رغم تدني مستواها ـ احسن حـــالا من حياة وظروف معظم الجماهير الفلاحية البائسة ·

وعبر سنوات طويلة بعد رحيـــل الاستعمار ، وتحت ظل السلطة الوطنية وريثة الاستعمار ، بقي الريف العربي مهملا وبائسا وغارقا في الجهل والفقـر والامراض بلا مدارس ولا مستشفيات ولا طرقات ولا انارة · كان القرن هـــو القرن العشرين ، اما الفلاحون الفقراء فكانوا ما يزالون تحت وطأة القرون الوسطى المظلمة ·

من هنا يمكن ان نقول ان الخميرة الثورية نتيجـة الاستغلال والاضطهاد وظروف القهر ، كانت مهيأة داخل هذه الطبقة المسحوقة ولو بحالتها الجنينية والعفوية ·

Digitized by Birzeit University Library

غير ان للمسألة وجها واعيا مرتبطا بالنضال الوطني الذي خاضته هذه الطبقة ضد الاستعمار والاقطاع · فالانتفاضات التحررية في تاريخ الوطن العربي في وجه الغزاة الاستعماريين والسلطات البورجوازية ـ الاقطاعية ، كانت تنطلق في معظمها من الارياف · وكانت هذه الانتفاضات تعبيرا عن الاضطهاد التاريخي الواقع على الفلاحين المستغلين ، بينما كانت المدن بقيادة المثقفين والطليعة والعمال تحاول ان تتحرك بالاضرابات والمظاهرات والمنشورات المعادية رافدة الانتفاضات المسلحة للارياف بشكل محدود نسبي ·

ان ثورة الجزائر الشعبية وثورة عمر المختار وعبد الكريم الخطابي والثورة السورية والثورات الفلسطينية وانتفاضات الريف المصري والعراقي المسلحة ضد المستعمرين ، حركها ودفع ضريبتها الفلاحون ، ولم يكن اختيار الريف نتيجة الاوضاع الجغرافية التي تساعد على العصيان والثورة فحسب ، انما كان انفجارا ضد الاضطهاد والقهر والاوضاع الاقتصادية المتردية لطبقة الفلاحين ·

كانت الاستجابة للانخراط في النضال المسلح والثوري ، استجابة للوضع الطبقي المتردي اولا ، واستجابة للاحساس بأن النضال الذي تخوضه هذه الطبقة المسحوقة سيحقق لها ظروفا معاشية افضل تتساوى مع جماهير المدن التي تتمتع بالوسائل العصرية المتقدمة ، كالسكن والكهرباء والمستشفيات والمدارس وسائر الوسائل الاخرى الحديثة ·

وكان من الحوافز الدافعة للانخراط في الثورة والتمرد ، كراهية الاستعمار وذلك الحب العفوي للوطن ممثلا في الدفاع عن الارض والبيت والعائلة ، وكان هذا الحافز يستند الى تقاليد الفلاحين في الشجاعة والاعتزاز وروح المغامرة اكثر منه وعيا ثوريا علميا بالمفهوم التاريخي ·

ان ثورة الجزائر الشعبية التي انطلقت من الريف الجزائري، وكان مادتها الاساسية الفلاحون ، تعد نموذجا ومثالا تاريخيا على صحة ما نقول ، فالجماهير العربية في كل الوطن العربي ، كانت تراهن على احتمال ان الثورة الجزائرية ستكون بمثابة نموذج الثورة الصينية على المستوى العربي بعد الانتصار ·

لقد وقع التخلف التاريخي ـ الاستعماري على العمال والفلاحين معا ، فتماثلت ثقافة هاتين الطبقتين في تبني مفهوم تقدمي ـ علمي عن الحياة ، فكان للتجهيل الاستعماري وحصر العلم والمعرفة بالطبقة البورجوازية الاقطاعية ، وانعكاس المفاهيم والموروثات الغيبية على افكار العمال والفلاحين ، اثره البارز والاساسي في تدني المستوى العلمي والتقدمي لهاتين الطبقتين معا ·

Digitized by Birzeit University Library

ولعل مسالة التخلف التي حجبت الوعي التاريخي ـ العلمي ، تفسر الى حد كبير تاخر الفعل الثوري الشعبي ، كما تفسر لماذا كان على المثقفين من ابناء العمال والفلاحين ان يبدءوا الارهاص بهذا الفعل في اوساط البورجوازية الصغيرة المدنية والعسكرية ، وبالتالي ياتي التغيير الوطني ـ الديمقراطي بقيادة هذه البورجوازية الصغيرة بدلا من قيادة العمال والفلاحين .

وهكذا في الوطن العربي الذي قام فيه الفلاحون بدور وطني في حركة التحرر من الاستعمار ، وردا على اضطهاد واستغلال الاقطاع وكبار ملاك الارض ، يتحتم على الفلاحين ان يلعبوا دورا ثوريا هاما في حركة الثورة الاشتراكية .

وانطلاقا من هذه المقولة يمكن ان نحدد بان طبقة الفلاحين الصغار ، ليست طبقة متذبذبة ذات طبيعتين متعارضتين : طبيعة قريبة من العمال وطبيعة قريبة من البورجوازية .

ان كبار الملاك الزراعيين يستاجرون ويستغلون جهود الفلاحين ، كما يستغل ويستاجر الراسماليون جهد العمال ، وتشكل طبقة الفلاحين الفقراء الغالبية العظمى ، وهي رغم ملكيتها الصغيرة المحدودة تعتبر في البلاد المستعمرة والمضطهدة طبقة ثورية لا تخسر شيئا في نضالها .

ان « فرانز فانون » المفتون بالثورة الجزائرية . يبالغ عندما يعتبر ان « الفلاحين في البلاد المستعمرة » هم الطبقة الثورية الوحيدة » ولكنه يصيب عندما يقول بأن : « الفلاح الجائع المنبوذ والمستغل هو انسان مستلب يكشف قبل غيره ان العنف وحده هو الوسيلة المجدية » .

ان هذه الطبقة المقهورة التي استعبدت واستلبت واهملت على مر الزمن ، فكانت حياتها وظروفها الاقتصادية والاجتماعية في منتهى البؤس ، هي طبقة ترفض الاستغلال بطبيعتها ، وتتطلع الى التحرر من العبودية والقهر ، وترى في الثورة الاشتراكية مصيرها وامله لانقاذها من اوضاعها المتردية . انها تحلم بالثورة انطلاقا من وضعها الطبقي المهين .

انه لامر موضوعي ان ترزح هذه الطبقة بحكم الاستغلال والاهمال والحرمان والقهر وتاريخ الهيمنة الاستعمارية ، تحت سيطرة الجهل والامية والافكار الغيبية ـ المئاتية ، والتمسك بفكرة الملكية الخاصة والتناحر القبلي والعشائري ، ولكن هذه المفاهيم يمكن قلبها الى نقيضها من خلال حركة الوعي التاريخي العلمي . وكما ان هذا الوعي في تبلوره الشمولي ـ العلمي ، يأتي من الطليعة الثورية (الوعي الثوري ـ

Digitized by Birzeit University Library

العلمي يأتي الى الطبقة من خارجها) كما يؤكد لينين ، حتى بالنسبة للطبقة العاملة ، فان طبقة الفلاحين ليست بالضرورة مغلقة امام امتداد هذا الوعي الثوري اليها ، ودليلنا الى ذلك ان هذه الطبقة كانت تاريخيا داخل الحركة الوطنية والثورية للنضال . كما كان لها دورها البارز في حركة التحرر الوطني والثوري منذ العصور العربية القديمة ، تجلى في حركة الزنج والقرامطة . وامتد هذا الدور الى العصور الحديثة فتجلى بثوريته في الثورة الجزائرية المعاصرة .

ان الاحزاب والتنظيمات الثورية التي تجاوزت آفاق المرحلة الوطنيه بعد الاستقلال الى الآفاق الثورية الاشتراكية ، وذلك في بلدان العالم الثالث الزراعي غير المصنع ، هذه الاحزاب والتنظيمات تحتم عليها الظروف الموضوعية في مرحلة ما قبل التصنيع بان تعطي دورا اساسيا للفلاحين في اطار تحالف الجماهير الكادحة والمستغلة . **وهذا الدور مستمر حتى يتم التصنيع وتنمو الطبقة العاملة ويتحول القسم الاكبر من الفلاحين في اطار الملكية العامة ، الى عمال زراعيين داخل التعاونيات والكومونات والجمعيات الزراعية المصنعة بعد انتقال الآلة الحديثة اليها .**

ان قيام ثورة زراعية حديثة في اطار استصلاح الاراضي ، وتصنيع الريف ونشر الملكية الجماعية ، مترافقة مع وعي علمي ـ تقدمي عن الحياة والعلاقات الاجتماعية ، مهمة ملحة في مجال الثورة الديمقراطية ـ الاشتراكية .

فالطاقة الجبارة المختزنة في الريف اقتصاديا وبشريا هي مركز اساسي ، ومفتاح التحولات التي يمكنها ان تبدل وجه المجتمع وتقلبه رأسا على عقب .

وهكذا فالاحزاب الثورية في البلدان المتخلفة ومنها الوطن العربي ، مواجهة بطبقة الفلاحين كطبقة رئيسية لا كطبقة رديفة واحتياطية ، واعطاء الفلاحين دورا مركزيا في التحالف لا يعني على الاطلاق التقليل من اهمية دور الطبقة العاملة الناشئة والنامية باضطراد ، بل ان هذا الدور هو المحصلة الموضوعية في الوقت الراهن وهو لا يلغي دور الطبقة العاملة القائدة مستقبلا خلال وبعد التصنيع .

٣ ـ المسالة الثقافية :

ان هذه المسالة مرتبطة مباشرة بالوعي الاجتماعي للثقافة على نحو كلي ، مرتبطة بممارسة هذا الوعي بحرية ومسؤولية ، وهي ابعد من المقولة السائدة : مسالة ممارسة النخبة واحتكار هذه النخبة للثقافة كبنية فوقية مفصولة ومتعالية على الشعب . بل المسالة الثقافية التي سنحللها ونحدد موقفا منها تتناقض جذريا مع ثقافة النخبة المتعالية ، وهنا سنحاول تناول هذه المسالة في اطارها التاريخي .

Digitized by Birzeit University Library

مشكلة الثقافة · فبسبب موجات الغزو الاستعماري وتتالي المحتلين منذ سقوط بغداد مركز الاشعاع الثقافي في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي . بدأ عصر الانحطاط الحضاري والثقافي للامة العربية · فكان قذف ملايين الكتب في نهر دجلة ابان الغزو التتري ، ايذانا بظلام حضاري سحيق سيخيم على هذه الامة قرونا طويلة ، ولم يكن باستطاعة احد التنبؤ متى سيتاح لهذه الامة ان تعود ثانية الى مجرى الحضارة من جديد ·

لقد تتالت عصور الغزو والاجتياح من المغول الى الصليبيين الى العثمانيين فالاوروبيين ، وعبر هذه العصور التي اقامت انقطاعا ثقافيا وانفصالا نسبيا للعربي عن تاريخه وتراثه وثقافته ، كان الوطن العربي المحتل نهبا لتيارات ثقافية مختلفة ومتباينة حملها الغزاة معهم · وهذه التيارات اثرت تأثيرا واضحا على الثقافة العربية وكان ابرز تيار في هذه الثقافات تيار الثقافة الاوروبية ·

ان حملة نابليون العسكرية ـ الثقافية على مصر ، ومن ثم حركة عصر محمد علي التنويرية ، طعمتا الثقافة العربية التقليدية تطعيما اوروبيا واضح المعالم في اطار التفكير العلمي والعقلاني ·

لقد كان الطهطاوي والافغاني والكواكبي ومحمد عبده ورشيد رضا ، وشبلي شميل ، يبشرون بثقافة جديدة توفيقية هي مزيج من العقلانية الاوروبية والايمان الاسلامي ، محاولين في الوقت نفسه ابرا زالتيار العقلي والاستناد اليه داخل الدين ، ذلك التيار الذي اطلقه العقلانيون الاوائل في العصرين الاموي والعباسي على يد المعتزلة والقرامطة واخوان الصفا وابن خلدون وابن سينا والفارابي ، والذي استمر في الاندلس على يد ابرز ممثليه : ابن رشد ·

ولكن تلك المحاولة التوفيقية بين الدين والعقل ، ظلت تراوح في مكانها · فبسقوط دولة محمد علي في مصر وسوريا نتيجة خوف اوروبا من طموحات والي مصر الراعية وظل تأثيرها محدودا ·

كانت عودة الوطن العربي بعد سقوط دولة محمد علي الى ظل الخلافة والهيمنة العثمانية ، وبداية التفكير الاوروبي باقتسام تركة (الرجل المريض) ، تعني الوقوع تحت هيمنة الثقافة السلفية لفكر الخلافة ، وفي الوقت نفسه بداية امتداد للثقافة الاستعمارية التي تكرس الجهل وتمجد حضارة المستعمر وترسخ التخلف متحالفة بذلك مع الثقافة السلفية ـ الغيبية المعادية للعقل والمعرفة العلمية ·

Digitized by Birzeit University Library

فتحت الاحتلالين العثماني ثم الاوروبي ، كانت الجمعيات والمنتديات والاحزاب والهيئات الوطنية ، تناضل نضالا سياسيا صرفا، ردا على الضغط والاضطهاد والارهاب الذي يمارسه المحتل على الشعب ، وكان هذا النضال الثقافي المسيس ينطلق من أساس قومي ـ ديني ، يرسخ الاصالة وجذور الماضي ، ويعود بحركة ارتدادية نحو امجاد العرب الاوائل ابان ازدها رالدولة العربية ـ الاسلامية ، في محاولة منه لاذكاء وبعث روح المقاومة والنضال في وجه المستعمر المحتل · وفي مجرى هذا النضال الثقافي ـ السياسي ، كانت الآفاق الاجتماعية المستقبلية للوطن المحرر من الاستعمار غامضة ، كانت المسألة المركزية تتلخص في طرد المستعمر وعودة الوطن حرا وملكا لابنائه · فالثورة الجزائرية مثلا كانت تناضل ثقافة المستعمر الاوروبي بثقافة اسلامية تقليدية ، ولم يكن لدى الثوار الجزائريين وجبهة التحرير الوطني ، التصور الثقافي ـ الاجتماعي الواضح لشكل الدولة المستقلة بشكل منهاجي وتخطيطي ، ولهذا عندما استقلت الدولة ، دخلت طور بنائها التجريبي على كافة المستويات ·

كذلك كان الوضع على مستوى الامة العربية الرازحة تحت الاحتلال ، حيث اكتسب النضال الثقافي ـ السياسي طابعة القومي ـ الديني ، وكان هذا النضال في وجه من وجوهه رفضا للثقافة الاوروبية ـ الاستعمارية التي نشرها المحتل لتكريس وتبرير احتلاله الاقتصادي والاجتماعي ·

وهكذا عندما جاءت السلطة الوطنية بعد طرد الاستعمار ، كرست ثقافة الماضي السلفي · الثقافة المثالية المؤسسةعلى المنطلقات الدينية ـ التقليدية ·

كان تاثر المجتمع العربي ظاهريا وشكليا بالثقافة والحضارة الاوروبية · تاثرا لم يمس الجوهر الفلسفي ـ المثالي للفكر العربي الاسلامي · ذلك لان المستعمر الاوروبي حمل معه الى البلاد العربية ثقافة استعلائية معادية تخدم استغلاله واضطهاده وتمايزه، ولم يحمل جوهر الثقافة الاوروبية ـ العقلانية التي اطلقتها عصور التنوير والثورة الصناعية والثورة الفرنسية المؤسسة على الحرية والعدالة والمساواة والحقوق الانسانية ·

وهكذا حافظت البورجوازية الوطنية الكومبرادورية الحاكمة سياسيا ، على بقاء الايديولوجيا والثقافة السائدة والمكرسة تاريخيا ، وبذلك كرست نفسها على انها الوريث التاريخي للبورجوازيات العربية القديمة في مجال الاقتصاد والثقافة دونما تطوير او تنوير وتثوير للمجتمع ·

وكما عجزت هذه البورجوازية الكومبرادورية عن تصنيع المجتمع نتيجة تبعيتها للبورجوازية الاوروبية ، رفضت ايضا تكوين ثقافة علميةجديدة ومتطورة عن ثقافة الماضي القديم ·

Digitized by Birzeit University Library

وفي هذا المجال كانت هناك حالة اشكالية غريبة ومعقدة ، أبرزت مأزق البورجوازية العربية على النحو التالي : اقتصاد تابع وملحق بالاقتصاد الرأسمالي ـ الاوروبي ، لكنه نسبيا منفصل ثقافيا وفكريا عنه · فالانتاج وعلاقات الانتاج العربية بقيت مرتبطة بالسوق الرأسمالية ـ الامبريالية ، بينما الفكر والثقافة ما يزالان محافظين على طبيعتهما التقليدية ـ المحلية ـ الدينية المغلقة ·

وانطلاقا من هذه الحالة الاشكالية المتناقضة ، بقي السؤال الاساسي معلقا على النحو التالي :

كيف يعود العرب الى التاريخ من جديد من خلال خصوصيتهم التاريخية على ضوء التحديات والتطورات الحضارية والثقافية التي يطرحها العصر ؟ ·

مع ظهور وانتشار الفكر الاشتراكي ـ العلمي بعد انتصار ثورة اكتوبر والثورة الصينية وقيام عالم اشتراكي يؤمن بالفكر المادي ـ الجدلي ، دخل الوطن العربي ساحة المد والجزر بين الرأسمالية والاشتراكية على مستوى الانتاج الاقتصادي والمستوى الثقافي والفكري · فالاحزاب والتنظيمات السياسية المنطلقة من افكار الاشتراكية العلمية ، بدأت تطرح نظرية المادية ـ التاريخية والمادية ـ الجدلية في تفسير وتغيير العالم الى جانب البرامج السياسية والاقتصادية المؤسسة على هذه النظرية ·

وهكذا وجد المجتمع العربي نفسه مواجها بتيارات فكرية ـ ثقافية محددة على النحو التالي :

١ ـ التيار الديني ـ المثالي القديم ·

٢ ـ التيار البورجوازي ـ الاوروبي ـ الليبرالي ·

٣ ـ التيار القومي ـ الانتقائي ·

٤ ـ التيار الاشتراكي ـ العلمي ـ المادي ـ التاريخي ·

بين هذه التيارات الثلاثة بدا المجتمع العربي ينقسم فكريا وطبقيا ، ذلك لان هذه التيارات تعبر ايديولوجيا عن البنية الطبقية للمجتمع وعن الصراع الاجتماعي الذي ستقوم على اساسه هيكلية وعلاقات المجتمع القادم الواقع تحت رياح التغير التاريخي ·

وفي مجرى هذا الصراع والنزوع نحو التغير والتقدم ، حمت البورجوازية الكومبرادورية الحاكمة بعد الاستقلال ، فكر وثقافة العالم القديم ، ووقفت موقفا عدائيا سافرا من الفكر والثقافة الاشتراكية ـ العلمية · وعندما كانت هذه الدولة البورجوازية

Digitized by Birzeit University Library

تتغير من شكلها البورجوازي ـ الوطني الى شكل رأسمالية الدولة تحت شعار شبه ديمقراطي في ظل احزاب او حزب ديمقراطي ـ قومي ، كانت هذه الدولة تتبنى المسالة الطبقية ـ الاقتصادية في اطار اصلاحي ، ولكنها كانت تتحاشى المسالة الثقافية ـ الفكرية بأفقها الاشتراكي ـ العلمي التاريخي وتحايد عنها ·

وهكذا ظل الفصل قائما في اطار الدولة الجديدة بين المسالة الاقتصادية والمسالة الثقافية ، كذلك بقيت التجريبية التي سادت الدولة الوطنية بعد الاستقلال ، سائدة في اطار الدولة الجديدة ، دولة رأسمالية الدولة التي عجزت بدورها عن فك التبعية الاقتصادية للسوق الرأسمالية ـ الامبريالية ، كما عجزت في الوقت نفسه نتيجة بنيتها الطبقية ، عن انجاز عصر تنوير ذي ثقافة وفكر عقلانيين وعلميين حديثين في اطار ثورة ديمقراطية كان على هذه الدولة الجديدة ان تنجزها ·

لقد ظلت المسالة الثقافية بما هي علمية ـ اشتراكية اذن ، مرجأة ومؤجلة وغير واضحة المعالم في جانب من جوانبها · كما بدا ما انجز منها مزيجا مختلطا من التيارات التي اشرنا اليها دونما هوية واضحة محددة في اطار نظري محكم الاسس والقوانين ، وانطلاقا من هذا الخلط التجريبي برزت ثقافتان وفكران متعارضان :

ثقافة رسمية سائدة ذات افق تجريبي ـ عمومي ـ توفيقي ، تترنح بين المثالية والقومية والنزوع التاريخي القديم ، مطعمة باشتراكية رأسمالية الدولة ، وثقافة شعبية ـ ثورية تمثل وجهة نظر الافراد والاحزاب الثورية ـ الاشتراكية التي تستضيء بمنهج الاشتراكية ـ العلمية كطريق للمستقبل والمجتمع الاشتراكي القادم ·

ولكن ما هي خصائص التيارات التي حددناها تخصيصا ؟ ·

١ ـ ثقافة التيار الديني ـ اللاهوتي :

منذ انتصار الفكر الجبري ـ اللاهوتي في عصور العرب المتخلفة ، على الفكر العقلاني ، سادت ثقافة لاعقلية ، وسيطرت على الذهن العربي حالة من الخمول وتفسير النصوص القديمة بمنهج مثالي ـ امتثالي يعادي الاجتهاد العقلي والمنهج المادي ـ التاريخي · وبانتصار ذلك الفكر الرجعي المدعوم من الدولة السائدة والمسيطرة ، طغت **ثقافة** رجعية ـ ارتدادية محورها تمجيد الماضي المقدس · وهذه الثقافة كانت وما تزال ترى في العالم القديم نموذجها التاريخي المتكرر على مدى العصور ، ومع الزمن اكتسب هذا النموذج صفة القداسة الكلية ، والشمولية المطلقة ، كما اعتبر هذا النمط التاريخي مثالا انعكاسيا للمطلق الالهي بين البشر ·

Digitized by Birzeit University Library

وعبر التاريخ رأت الدولة المهيمنة في نقد هذا المثال ، نقدا للمطلق الالهـــي اياه ، هذا المطلق المنزه عن أي نقد لكونه ازليا ، راسخا ·

وهكذا احتمى النموذج الارضي بالمثال السماوي . من خلال عملية ربط تعسفيـــة لا منطقية بلورتها ومنهجتها الطبقات السائدة لترسيخ بقاء الدولة المسيطرة ، واحكـام هيمنتهـــا المطلقـــة ·

وبذلك ظلت تستعاد في العصور الحديثة مآسي العصور القديمة لدى التعرض لنقد المثال او النموذج بمنطق عقلاني او مادي تاريخي ، يهدف الى اخراج فكر الامـــة وثقافتها من الكهوف القديمة والرسوخية المتحجرة · فالمحاكمـــات والاضطهـــادات وعمليات التنكيل بالجماعات والافراد ممن حملوا راية الفكر والثقافة العقلانية ، علـى يد السلطات المهيمنة والاستبدادية القديمة ، ظلت متوارثة وسائدة علـــى يد الدولـــة الجديدة في العصور الحديثـــة ·

لقد تجلى الخطر في التصدي للفكر والثقافة العقلية ـ التقدمية من خلال انحيـاز وتبني الدولة للثقافة المضادة للعقل · هذه الثقافة العقلانية التي تشيع في حال انتشارها روح الحرية والديمقراطية والنقد في اوساط الشعب المحـــكوم بالدولة الاوليغارشية الاستبدادية ·

لقـــد نصبت الدولة البورجوازية ـ الاقطاعيـــة ، الرجعية حكما ، والتي ورثت الاستعمار ، نفسها حامية للثقافة « الاصيلة » الموروثة · ولتحمي مصالحها الطبقيـة ، اعتبرت نفسها ظلا ارضيا للمطلق الالهي المتحكم بالكون ·

بهذا الارهاب الحكومي ، احتمت الثقافة الرجعية ـ اللاهوتية ، داخـل مؤسسات مسلحة بالنظام القمعي ـ البوليسي ، عازلة الثقافة التقدمية داخـل جـزر الافـراد او التنظيمات السياسية الحاصرة والمقموعة · وتطبيقا لهذا الارهاب اللاعقلي ، المعـــزز بدولة ومؤسسات وجامعات ، تواصلت ممارسة العادة السرية لثقافة عصور الانحطاط والازمنة البدوية · ثقافة ما قبل نضوج العقل وما قبل الاكتشافات الباهـــرة للعلـوم والمعارف الانسانية الحديثة ·

٢ ـ ثقافية التيار البورجوازي ـ الليبرالـي:

مع نمو واكتساح الثقافة الاوروبية للعالم ، وانتقال قسم كبير من هـــذه الثقـــافة الى الوطن العربي عبر الترجمة وموجات المثقفين العرب القادمين من اوروبا الغربيـة ، سادت في المجتمعات العربية ، المتنورة نسبيا ، ثقافة ليبرالية ، اوروبية ، طرحت التقليد والمحاكاة الحضارية لانقاذ الانسان والوطن في بلاد العرب من عصور الجهل والتخلف ·

Digitized by Birzeit University Library

ولكن كيف مورست ووظفت هذه الثقافة العقلية حقا . ولماذا لم تستطع تكوين حالة « عصر تنوير » اجتماعية : ·

عندما نقول بأن هذه الثقافة عقلية فنحن ننصفها موضوعيا ، لكننا ننقدها لقطعها الجدلية الاجتماعية من سياقها التاريخي ولطرحها الميكانيكي واقعا اوروبيا متقدما جدا على واقع عربي متخلف جدا ، دون ان تحال البنية الاجتماعية والاقتصادية للواقع العربي المفارق للواقع الاوروبي وسياقة التاريخي ·

لقد كانت الثقافة الاوروبية ـ الليبرالية المنقولة ، تنزع في حالة من حالاتها الى تصويب الذهن وتنقيته من وضعه السكوني ـ اللاهوتي ـ القدري ، وبهذا المعنى كانت تقدمية بما هي عقلية ، لكنها في حدها الاخر كثقافة موظفة للتغيير الاجتماعي اعتمدتها البورجوازية الكومبرادورية الوطنية تيارا ايديولوجيا ـ اصلاحيا ، اكتسبت صفة رجعية (الوسط بين اليمين واليسار رجعي) · في حالة اخرى طعمت هذه الثقافة الليبرالية بالثقافة التقليدية ـ المحلية ـ الرجعية ، ومن هنا ظهرت وكأنها ـ حالة كساح · حالة مزج واختلاط لم تؤد الى تركيب جديد ·

لقد استطاعت الحركات والتنظيمات السياسية (الحزب الديمقراطي ـ الحزب الدستوري ـ حزب الاستقلال ـ حزب الوفد ـ حزب الشعب ـ الحزب الوطني) الى آخر التسميات المعروفة في الوطن العربي ، ان تمتص الثقافة والمثقفين الليبراليين المطعمين بالثقافة الاوروبية البورجوازية وتحولهم لخدمة المصالح الطبقية للبورجوازية العربية الكومبرادورية ·

٣ ـ ثقافة التيار القومي ـ الانتقائي :

حملت الحركات السياسية القومية ـ الديمقراطية ، عبر صعودها في السنوات الاخيرة ، حالة ثقافية كانت تعبيرا بنيويا عنها · ومع ان هذه الثقافة القومية ، مثلت مرحلة انتقال بين ثقافة عصر النهضة الاصلاحية ، والثقافة الاشتراكية الثورية ، الا ان هذه الحالة ظلت ممتثلة اكثر للماضي ، وبقيت تنوس بين امجاد تاريخية وميراث قديم ، **وبين نزوع خائف نحو جذرية مستقبلية** ·

لقد رفعت الثقافة القومية ـ الديمقراطية شعارات وعناوين ، ورموزا ومصطلحات ذات طابع عمومي غائم حول التغير والحضارة والمستقبل والانسان الجديد ومفاهيم الوطن والحرية والعلاقات الاجتماعية ، دون ان تتناول هذه المفاهيم بشكل جذري ، ودون ان توضح تفاصيل هذه العموميات وتحولها الى قوانين وعلاقات حياتية راسخة · هيأت هذه الثقافة مناخا عاما ، وخلقت حالة امكان واحتمال للتغير ، لكنها ظلت وجهة

Digitized by Birzeit University Library

متوجسة ، من الاقدام على التغيير الثوري الذي يطرح المجابهة الصدامية مع الفكر والثقافة القديمين . وبمعنى ادق واوضح ، كانت هذه الثقافة انتقائية- براجماتية رأت في الموروث التاريخي قداسة خاصة واستمرارية ، دالة على حيوية الامة وخصوبتها ، وهذه القداسة والاستمرارية وظفت ثقافيا للدفاع عن وجود الامة ووحدتها المهددتين .

وهكذا تحت شعار هذه الوظيفة القومية ، انتقت ثقافة البورجوازية الصغيرة ، شريحة من التراث الثقافي التقليدي - الديني ، كما اجتزأت من الثقافة الليبرالية - الاوروبية ، واقتربت بتوجس من الثقافة الاشتراكية - العلمية .

غير ان هذا المزج لم يصنع تركيبا جديدا . لقد ظل مزجا توفيقيا وتلفيقيا ، مختلطا وعموميا وغائما .

كانت المسألة المطروحة بعمق ، هي طليعية ومعاصرة الثقافة التي تستجيب لتطور العصر وتطور الانسان ، ودور هذه الثقافة في عملية التغيير الجذرية للمجتمع .

فكما ان عملية قلب المجتمع بالثورة في العصر الراهن ، لا تتم بوسائل قديمة ، كذلك لا تتم بوسائل وسيطة بين القديم والجديد . كذلك فان هدم بنية العالم القديم الفكرية والثقافية ، لا تتم الا بالتصدي لبنية هذا العالم الذي ما عاد مقدسا وعقلانيا وغير صالح للاستمرار في التاريخ المعاصر .

ومن هنا جاء قصور الثقافة القومية التي حملتها طبقة البورجوازية الصغيرة كطبقة غير جذرية سياسيا ، أبرزت ورفعت القومي على حساب الاجتماعي بما هو جذري وشمولي .

كان الدور المنتظر من الثقافة القومية بعد صعود البورجوازية الصغيرة الى السلطة ، ان تؤسس على الاقل ، فكرا ديمقراطيا يمهد « **لعصر تنوير** » عربي يصل الماضي العقلاني والثوري بالمستقبل ، وذلك من خلال **اعادة نظر نقدية وثورية بالموروث تحت ضوء منهج عقلاني - جدلي** ، ولكن الازمة السياسية والتناقضات التي تمزق هذه البورجوازية الصغيرة وسيطرة الاجنحة اليمينية ، وهيمنة المؤسسة العسكرية ، حالت دون ذلك .

غير ان الجانب الايجابي في تيار الثقافة القومية رغم عموميتها وانتقائيتها ، تجلى في ادراك مبدأ جوهري هو : **وحدة وحضارة الامة ، ردا على الدعاوى الاقليمية** والانفصالية . كان هذا مبدأ من مبادىء الضرورة التاريخية لمقاومة الغزو والاجتياح وتمزيق الوطن العربي الى دويلات وامارات وطوائف وعشائر واقليات .

Digitized by Birzeit University Library

ففي مناخ هذا السقوط والتشتت ، وبعد دخول الامة في رحلة غيابها ، برزت الدعوات الاقليمية السياسية والثقافية انطلاقا من ماض تاريخي سحيق تجاوزه العصر ، وتحول حضاريا الى نوع من المستحاثات الهشة المدفونة تحت الغبار · لقد ظهرت دعاوى الفرعونية والفينيقية والسورية والمارونية والبربرية ، داخل لحظة انهيار الحضارة العربية، وفي مرحلة الانقسام التاريخي الذي فصم عرى الامة العربية ومزقها· غير ان ثقافة هذه الدعاوى المضادة لوحدة الامة ، استشرى اكثر في لحظة عجز الثقافة القومية ـ الديمقراطية عن تأسيس جذري لثقافة شعبية ـ ثورية ـ علمية ، قادرة على قلب بنية الوطن العربي سياسيا وثقافيا من الجذور · كانت هذه الدعاوى الاقليمية تذرو رياحا ديماغوجية حول وهم حضارات مندثرة ، وهذه الدعاوى كانت تلتقي في رجعيتها مع الرجعية العربية ـ الدينية ـ السلفية · ففي ثقافة الدعاوى الاقليمية والثقافة الرجعية العربية ، كان هناك جذر عنصري ـ شوفيني ، معاد للتقدم ومعاد للنمو والتطور التاريخيين اللذين دخلهما المجتمع العربي الجديد تشوفا لمستقبل ثوري معاصر ·

ان حضارة الفراعنة وثقافتهم . وحضارة الفينيقيين وثقافتهم ، وحضارة الاسلام الاول وثقافته ، كانت لحظة تاريخية عظيمة في عصرها ، غير ان اسقاطها التاريخي على العصر الراهن المتغير اقتصاديا وسياسة وانسانا وعلاقات اجتماعية ، ليس اكثر من حالة رجعية ـ وثنية ، ترتد بالمجتمع والانسان الى الوراء الاف السنوات ·

كيف يمكن ان نتقدم ونتطور في عصر التكنولوجيا ، وكشوفات علم الاقتصاد والسياسة وعلم النفس والفلسفة والآداب والفنون المعاصرة ، ونحن نتابط العصور الزراعية البدوية ، وعصور الاعمال اليدوية ـ البدائية الاولى ؟·

ثم كيف يمكن ان نتقدم ونحن نفكر مثاليا ولاهوتيا ، وقدريا بافكار الانسان القديم ، المحدود العقل · انسان ما قبل الاكتشافات العلمية ـ العقلية التي قلبت وغيرت خريطة المجتمع والكون والانسان ؟ بل كيف يمكن ان نكون ونستمر في الوجود في عصر وحدة الشعوب والامم الكبرى ، والكتل المتجانسة (اوروبية ـ امريكية ـ اشتراكية) ، ونحن نؤسس اقاليم وممالك وامارات ومسوخ دويلات تعود في تركيبها الاقتصادي والسياسي والثقافي الى ما قبل التاريخ ؟ ان هذا التهريج الانحطاطي على مستوى السياسة والثقافة ، يتجلى في هذه اللحظة الراهنة من الانحدار · **في هذه البرهة التاريخية من غياب الامة عن المسرح** · الامة التي لم تلد بعد افقها الشعبي ـ الثوري بما هو فكر علمي ، وممارسة علمية ـ ديمقراطية لهذا الفكر في المجتمع ·

٤ ـ ثقافة التيار العلمي ـ الثوري :

ونحن نفكر او ندعو الى ثقافة علمية ـ ثورية ، تظل الامة كوحدة تاريخية ، وضرورة اشتراكية ، ماثلة في هذا الفكر وهذه الثقافة · ان اية وحدة عربية لا يبنيها

Digitized by Birzeit University Library

الاشتراكيون الثوريون المسلحون بنظرية الاشتراكية العلمية والمنهج المادي ـ التاريخي ، المادي ـ الجدلي ، هي ضرب من الوهم « القومي » المثـــالي ، ويقـــوم على اساس بورجوازي صغير يحمل في برنامجه مقولات خاطئة وغير علمية ، كأوهام تذويب الفوارق الطبقية والتضامن العربي ووحدة الصف لمواجهة التحديات ، ومجموع الشعب كطاقات وامكانات لدحر الاحتلال وتحرير الارض .

هذا الخلط والتميع الطبقي ، الذي افرزته الرجعية العربية ، وانظمة البورجوازية الصغيرة ـ العسكرية ، كان وراء الكوارث والاندحارات التي لحقت بالامة وبالحركات الثورية التي تعيش الآن لحظة جزرها وانكسارها .

ان حقبة الارتداد ، وهذا التحالف المتين بين الرجعية التقليدية القديمة ، والرجعية القومية ـ العسكرية ، جنينة كان يكمن في صلب البنية الطبقية للبورجوازية الصغيرة . هذه الشريحة غير المتجانسة طبقيا والمفتقرة الى الوضوح في دليلها النظـري السياسي والثقافي والفكري . **لقد انتهت المشاريع الوحدوية اللاشعبية التي طرحتها البورجوازية الصغيرة الى الفشل الذريع ، كمحصلة طبيعيـــة للتناقض الطبقي والتناحر الداخلي ، وكنتيجة حتمية للعمومية والانتقائية والغيبية التي سادت فكر وثقافة هذه الطبقة .**

وكما ان افق المستقبل الثوري طرح على المستوى الطبقي ، بديلا عن البورجوازية الصغيرة وقيادتها لانجاز المشروع الثوري الاشتراكي بشكل جذري ، تحالف العمـــال والفلاحين كطبقة جذرية ، كذلك فان افق المستقبل يطرح الثقافة الثورية كما هي علمية ـ اشتراكية ، بديلا متجانسا مع الحلف الثوري الجذري .

فالثقافة الثورية المستندة الى الاشتراكية العلمية والمنهج الجـــدلي ـ التاريخي ، وحدها القادرة على تغيير الانسان والمجتمع ونسف البنى التقليدية نسفا جذريا ، ابتداء من الموروث المثالي ـ اللاهوتي ، وعبورا بالعلاقات الاجتماعيـــة الاستغلالية السائدة ، طموحا نحو بناء مجتمع الاشتراكية والديمقراطية .

يمكن تحديد المواصفات العامة لهذه الثقافة الجديدة بانها :

١ ـ نقض للفكر والثقافة المثالية ـ اللاهوتية .

٢ ـ ثقافة عقلانية معاصرة ، اجتماعية لافردانية ، حسية لا تجريدية هدفها تغيير الواقع بعد تحليله .

٣ ـ ثقافة اشتراكية ـ قومية مفتوحة على الثقافة الانسانية العالمية .

Digitized by Birzeit University Library

٤ ـ ثقافة ديمقراطية ملتزمة بالمصالح الاساسية للطبقـــات المستغلة : العمال والفلاحين جوهرا ·

٥ ـ ثقافة تبرز خصوصيتها القومية في ربطها الجـــدلي بين الموروث العقلاني والثوري القديم ، وبين المستقبل الذي يجري الكفاح الراهن لانجازه ·

ان اعادة النظر التقدمية بالتراث العربي على ضوء المنهج الجـدلي ـ التاريخي ، هو احد المعالم الاساسية للثقافة الثورية التي تصل الحلقـــة التاريخية المنقطعـــة بالحقبة المعاصرة ·

نتـــــائج :

من خلال تحليلنا المكثف للامـــح خصوصية النموذج العربي الى الاشتراكية · نعتقد اننا اثرنا موضوعا يحتاج الى الاغناء مستقبلا والى المزيد من البحث والتفصيل ، وهذا التحليل لا يدعي الاحاطة الكلية بالموضوع ·

هناك اساسيات ينبغي تفصيل جزئياتها ، وهناك امكانيـــة للاضافة كما ان مسالة الجدل حول الموضوع واردة ومفتوحة ، بل ينبغي ان تثار بروح علمية ـ موضوعية ومن خلال المنهج العلمي الاشتراكي ·

ومن خلال تحليلنا العام في طرح هذه المسالة المركزية يمكن ان نستنبط ما يلي :

١ ـ ان **المسالة الثقافية ـ الفكرية** في الوطن العربي غير منفصلة عن **المسالة الطبقية** انما **هي بنيتها الفوقية** ، وهاتان المسالتان مرتبطتان ديالكتيكيا بالثـــورة الديمقراطية الاشتراكيـــة ·

٢ ـ النموذج العربي الى الاشتراكية ليس اكثر مـــن اختيـــار كيفي للنموذج الاشتراكي ـ العلمي في اطار الثورة الاشتراكية العالمية ، وهذا الاختيار تحدد مساره الظروف والواقع الراهن والوضع التاريخي ·

٣ ـ الضرورة التاريخية للحركة القوميـــة الديمقراطية تظل مسوغة في اطار هذا التحول والنمو والتجاوز التاريخي للذات باتجاه تجذير خط الاشتراكية العلميـــة وخط الصراع الطبقي ·

٤ ـ للعالم الثالث والوطن العربي خاصـــة دور ثوري حساس وخطير ، وثورته الديمقراطية ـ الاشتراكية لا بد وان تسهم في تمزيق الوجود الامبريالي الى جانب بناء المجتمع الاشتراكي العربي الديمقراطي ·

Digitized by Birzeit University Library

القمع السادات "للديمقراطية" في مصر

إعداد: عزة إمام

« ... صدقوني ليست الديمقراطية وممارستها هي السبب في رفض اسرائيل العودة لحدود ١٩٦٧ ، او الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، وليست هي السبب في عدم خروجنا من الازمة الاقتصادية الطاحنة، واستمرار ارتفاع الاسعار ، وازدياد الفروق الاجتماعية ، وتهديد الاستقلال السياسي والاقتصادي . فقط الممارسة الديمقراطية كشفت اخطاء هذه السياسات ، فاستحق ممارسوها اللعنة » .

خالد محيي الدين

Digitized by Birzeit University Library

لم يكن في حسبان النظام الساداتي ، ان ذلك القدر البسيط من الانفراج الديمقراطي ، والذي اضطر للسماح به في مجال العمل السياسي ، سينقلب عليه بهذه القوة ، لقد ظن هذا النظام ان « ديمقراطيته » النسبية ستكون غطاء ساترا لما تعاني منه مصر من ازمات ، بدءا برغيف العيش ، الهم الاكبر للاغلبية الساحقة من شعب مصر ، وحتى الازمة الوطنية ، والتنازلات التي قدمها السادات وبدأت بالتخلي عن منجزات ونتائج حرب تشرين ، ثم توجت بزيارته الخيانية الى القدس ، والتي جرت وراءها سلسلة اخرى من التنازلات ، لم تزد اسرائيل الا تعنتا وصلفا .

ان حصاد اخفاقات المبادرة المشؤومة قد ترافق مع تفاقم حدة الازمة الاجتماعية الطاحنة ، التي لازمت ونتجت عن سياسة الانفتاح الاقتصادي ، وتمثلت في تزايد التفاوت الرهيب في الدخول ، وارتفاع الاسعار ، واكلاف المعيشة ، كما ان الانحطاط الثقافي كان وليدا لتلك الازمات ، واريد له ان يكون غطاء زائفا لاخفائها .

وكانت هذه الازمات كلها عاملا مساعدا في تزايد التحركات الجماهيرية التي تقودها المعارضة الوطنية التقدمية ، والتي ازدادت قوة وفاعلية بعد الاخفاقات المتتالية لسياسة السادات ، داخليا وخارجيا ، كما كانت دافعا للجماهير في اقبالها وتجاوبها مع المعارضة الوطنية ، ومع حزب التجمع بشكل خاص . وهو الحزب الذي لمست الجماهير انه يتحدث بلغتها ، ويشعر بما تعاني ، ويمثل مصالحها ، وطموحها في التحرر الاقتصادي والاجتماعي والوطني .

ان اتساع جبهة المعارضة للنظام الحاكم ولسياسته ، التي تشكل انحرافا عن المسار الوطني ، اصبح يسبب صداعا يوميا للسلطة ، وهلعا جعلها تتحرك بسرعة لوأد تلك الممارسات النسبية والوليدة « للديمقراطية » ، وزاد من تخوف الرئيس المصري ان المعارضة لنظامه قد امتدت للجيش ، وخاصة لصفوف صغار الضباط ، حيث اصبح ملحوظا في الفترة الاخيرة ، اقبالهم على جريدة « الاهالي » الناطقة بلسان حزب التجمع الوطني .

يضاف الى ذلك ، ان استمرار السادات في مسيرته الاستسلامية ، وتقديمه لمزيد من التنازلات يستلزم احكام قبضته على الوضع الداخلي .

لقد بدأ النظام هجمته الشرسة على كل القوى المعارضة والوطنية في مصر ، مستقطا فناع « الديمقراطية » عن سلطة نظام ٥ ايار القمعية ، اذ بدأت الاجراءات القمعية تتوالى بسرعة فائقة ، بدءا بمشروع قانون المحكمة الدستورية ، ثم الاعتقالات والمطاردات ، والمداهمات البوليسية ، وتفتيش منازل « المشتبه في ممارستهم للديمقراطية » ومحاكمة المدنيين امام المحاكم العسكرية ، ورفع الحصانات البرلمانية عن نواب المعارضة داخل مجلس الشعب ، والتحقيق مع الكتاب والصحافيين التقدميين داخل مصر ، واتهام من هم في الخارج « بتشويه سمعة مصر » !!

ثم اراد السادات ان « يقنن » اجراءاته القمعية ، فاقترح اجراء استفتاء على ما ابتدع تسميته بمبادىء « حماية الجبهة الداخلية والسلام الاجتماعي » ، لتتحول تلك « المبادىء ، بعد ذلك ، الى قانون يتسم بالعمومية الشديدة ، ويبنود فضفاضة ، يمكن ان تتلبس اي مواطن ، تبعا لاهواء النظام الحاكم . وكما اراد لديمقراطيته النسبية ان تكون زائفة ،

Digitized by Birzeit University Library

كذلك كان استفتائه ، ايضا ، زائفا و « مفبركا » ، بشكل مفضوح .

واستهدفت تلك الاجراءات جميع قوى المعارضة الوطنية ، فكان لحزب **الوفد الجديد** نصيبه من مبادىء الاستفتاء ، وكان الحزب قد عاد الى ساحة العمل السياسي بعد **قانون الاحزاب** ، عام ١٩٧٧، واستطاع خلال اربعة اشهر ان يستقطب قطاعا كبيرا معينا من الرأي العام ، وان يكون له اربع وعشرين نائبا في مجلس الشعب ، أي ان حزب الوفد بدأ يقضم ويلتهم من القاعدة الاجتماعية لحزب الوسط الحاكم ، يضاف الى ذلك ان لقيادات **الوفد** عقلية المجرب في مجال العمل السياسي ، وهو امر تفتقده قيادات حزب الوسط الحاكم ، مما جعل السادات يستشعر خطرا من ان يشكل الوفد بديلا له . وبعد ان وافقت اللجنة الحكومية للاحزاب على قائمة المؤسسين للحزب ، وعلى رأسها رئيسه ، **فؤاد سراج الدين** ، وصدر قرار من رئيس الجمهورية بتعيينه عضوا في اللجنة المركزية ، بوصفه رئيسا للحزب الجديد ، تراجع السادات ، ووضع مبدأ « عدم السماح بالانتماء للاحزاب السياسية لكل من تسبب في افساد الحياة السياسية قبل ثورة ١٩٥٢ » ضمن مبادىء الاستفتاء لتصيب قيادات الوفد .

ولم تفلت القوى الناصرية ، والعديد من الشخصيات غير الحزبية والمعارضة ، من بنود الاستفتاء ، حيث ينطبق احدها على « كل من اتهم في القضية رقم (١) لسنة ١٩٧١ ، مكتب المدعي العام الاشتراكي» ، وهي القضية التي اشتهرت بقضية مراكز القوى . فالسادات كان ولا يزال لا يناصب الناصريين ، وجميع الوطنيين والتقدميين الذين يدافعون عن الجوانب التقدمية في الناصرية ومنجزاتها ، العداء ، فحسب ، بل يعمل على ازالة كل تراث الناصرية ، رغم كل ادعاءاته .

اما حزب اليسار فكان له النصيب الاوفر من القمع الساداتي ، فلكل حسب منطلقاته السياسية ، وحجمه وتأثيره ، «**وحزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي**» يضم في داخله الماركسيين والناصريين والمستقلين وحتى المتدينين المستنيرين ، وقد استطاع ، في الاونة الاخيرة ، وخاصة بعد ان صدرت « **الاهالي** » ، الصحيفة الاسبوعية الناطقة بلسان **التجمع** ، استطاع ان يلف حوله الجماهير ، وينتشر بينها ، بسرعة فائقة ، واستطاعت « الاهالي » ان تكتسب ثقة الجماهير ، فهي تتحدث عن مشاكلها ، وازماتها ، اعلامية ضارية ، فكان لهم ردود فعلهم ، ايضا . من هم في الداخل تحت المطرقة ، والذين عانوا من الاعتقالات والتحقيقات معهم والتي لم تنته حتى الان وذلك بتهمة « الاساءة لمصر والمساس بالسلام الاجتماعي » ، ما زالوا ، بعناد وكبرياء ، يغنون لمصر الحرية . وكان الكتاب والصحافيين في خارج مصر ، والذين استدعاهم **المدعي الاشتراكي** للتحقيق والمحاكمة على اساس تهم وصلت الى حد « الخيانة العظمى » ، كان لهم موقفهم الصلب في الرد على تلك الاتهامات . وصدر بيانان ، احدهما من باريس ، وقعه عشرة من الصحافيين المصريين ، يعلنون فيه اصرارهم على مواقفهم ، وتمسكهم بالمبادىء التي يدافعون عنها ، والاخر موقع من الصحافيين والكتاب المصريين في بغداد ، يرفضون فيه القضايا التي تريد الحكومة المصرية التحقيق معهم بشأنها ، واوضحوا « انهم لو قبلوا مبدأ التحقيق لاصبحوا شركاء في تشويه صورة مصر ، كبلد تنتهك فيه اهم اركان حقوق الانسان، وهي حرية الضمير والعقيدة » .

فالذين اراد **السادات** ان يكمم افواههم لن يكفوا عن الغناء ، والذين اراد ان يحرمهم حرية التعبير لن يكفوا عن الكتابة .

Digitized by Birzeit University Library

وعلى عكس ما كان يتوقع ويتمنى السادات ، لم يحل حزب التجمع نفسه ، فقد كانت قيادات الحزب ، وعلى رأسها المقرر ، خالد محي الدين ، اكثر فهما للتجربة من بداياتها ، واكثر هدوء وعقلانية في اتخاذ القرار المستقبلي للحزب ، ذلك لان السادات ما كان ليتورع عن تشكيل حزب بديل له ، اذا جاء القرار بالحل ، بديل كما يريده السادات ، يسار للسلطة، لا يناقش ، ولا ينتقد ، ولا يفضح ، ولا يطرح هموم الشعب المصري ، ولا يذكره بها .

اعلن حزب التجمع رفضه لتلك الاجراءات المجحفة للديمقراطية ، واصراره على الاستمرار في مواجهة النظام .. ولتتحمل الحكومة مسؤولية حل الحزب ، واكد في بيان له « ان تطور الممارسة الديمقراطية في مصر مسؤولية يتحملها كل مصري ، لان التطور الديمقراطي هو طوق النجاة لكل الاطراف ، ولكل الطبقات ، وينبغي العمل على نجاح التجربة ، ومواصلة النضال من اجل دعم الحريات السياسية ، التي لا تمنح ، ولكنها تكتسب بالاصرار والممارسة » .

اما التناقض الذي وقع فيه السادات ، في تصريحاته عن الديمقراطية ، فقد كان فاضحا تماما : « لقد قلت - وما زلت اقول - انني سوف اعطي مزيدا من الديمقراطية في مواجهة مشاكل الديمقراطية » !! ذلك ما يقوله السادات ، لكن الوقائع ، وفي خلال فترة لم تتجاوز الشهرين ، جاءت لتكشف تلك الاكذوبة ، ولتؤكد ان مشاكل الديمقراطية - على يد السادات - لم تحل الا بقمع الديمقراطية .

* * *

● في اول ايار بدأ السادات حملته العلنية على حزبي التجمع والوفد ، ففي خطابه بمناسبة عيد العمال ، انتقد الممارسة الحزبية ، وقال « ان الاحزاب تحاول ان تعود بمصر الى ما قبل ثورة ٥٢ ، والى مجتمع النصف في المائة » . وركز حملته على حزب اليسار وصحيفته ، متهما اياه « بمحاولة التجريح بكل مسؤول في الدولة ، لتشويه كل شيء في مصر » . واضاف « اننا نريد يسارا مصريا شريفا، ولا اعتراض لنا الا على وجود (عملاء) داخل تنظيم اليسار في مصر ، لان ولاء العميل لا يكون لبلده ، ونحن نريد الولاء لمصر » . ومن الجدير بالذكر ، ان العمال قاطعوا حديث السادات اكثر من مرة ، اثناء القائه الخطاب بهتافهم « جعانين يا ريس » !!

● في اليوم نفسه حالت حكومة السادات دون اقامة المؤتمر الشعبي الذي دعا اليه حزب التجمع ، احتفالا بالعيد الثاني للحزب ، وبمناسبة عيد العمال ، والذي كان مقررا اقامته بكفر الدوار ، فمنذ فجر ذلك اليوم بادرت قوات الامن باحتلال مداخل المدينة ، ومنعت دخول المواطنين غير المقيمين في كفر الدوار ، وحاصرت مقر حزب التجمع فيها ، وفرضت على كفر الدوار حالة تشبه حظر التجول . كان التطبيق العملي لحملة السادات قد بدأ والطريف أن احد الضباط اتصل بسكرتير لجنة المتابعة بالحزب ، ليبلغه ان « قرارا من اعلى » قد صدر بتعطيل المؤتمر !

(انظر : وثيقة «١»)

● وتوالت الاجراءات التعسفية ضد اليسار المصري ، ففي السابع من مايو اعتقلت سلطات الامن في الاسكندرية خمسة من اعضاء حزب التجمع الوطني ، اضافة الى عدد لم يحدد ممن وصفتهم بـ « العناصر الشيوعية » ، وادعت هذه السلطات انها ضبطت معهم « كميات

Digitized by Birzeit University Library

كبيرة من المنشورات المليئة بالاكاذيب والشائعات ، التي تتضمن اثارة الجماهير » . واضافت بأن المعتقلين ضبطوا اثناء توزيع هذه المنشورات في دائرة الجمرك ، وغيرها من مناطق الاسكندرية ، تحت ستار الدعاية الانتخابية لمرشح اليسار عن دائرة الجمرك ، **احمد مصطفى**.

● بعدها بأيام قليلة ، في العاشر من ايار ، وفي حديث لمجلس وزرائه ، واصل **السادات** حملته ضد **التجمع** وصحيفة « **الاهالي** » ، التي باتت تسبب له ارقا دائما ، بعد ان اخذت تفضح تفسخ نظام حكمه ، وتفضح اسماء ينزعج **السادات** كثيرا من فضحها ، كان غضبه شديدا حين قال : « ان الديمقراطية لا تعني ان من حق اي شخص ان يقول ما يشاء ، وان يفعل ما يشاء ، وبأسلوب يخلو من اللياقة في بعض الاحيان » . واضاف « ان سلاح التشكيك والارهاب الفكري مرفوض ، وان المزايدة على متاعب الجماهير لم تعد اسلوبا يقبله اي منطق سياسي او اخلاقي » . فحق الاحزاب في الاتصال بالمواطنين ، واقامة المؤتمرات ، والندوات السياسية ، هي في عرف « الديمقراطية » ـ كما يفهمها **السادات** ـ مزايدة على آلامهم ، وتجارة في مشاكلهم .

● ولم يكن قد نسى « **الاهالي** » ، التي واصلت تصديها العلني ـ الى اقصى الحدود التي استطاعت ان تفلت بها من المضايقات وتتحايل عليها ـ للقضايا الاساسية التي تمس مصر وهموم شعب مصر ، مما دفع **السادات** لاتهامها ، في ذكرى حركته التصحيحية ، في الرابع عشر من ايار الماضي بأنها « اصبحت منشورا لا يلتزم بمبادىء السلام الاجتماعي ، والوحدة الوطنية ، والاشتراكية ، والديمقراطية ، ويدعو الى اثارة الطبقات على بعضها » . كما اشار الى سلوك « بعض الاعضاء في مجلس الشعب » .

وكان يعني بذلك نواب **التجمع والوفد** ، واكد « ان هذا تشكيكا متعمدا يهدف الى الانحراف بالمسيرة ، من خلال استغلال الديمقراطية ، للاساءة الى الديمقراطية نفسها » !!

واعلن **السادات** ، في خطابه ، ان المسيرة الديمقراطية تحتاج الى تصحيح ، واقترح الاستفتاء على « مبادىء حماية الجبهة الداخلية والسلام الاجتماعي » .

● في مساء اليوم نفسه ، اجتمعت السكرتارية العامة لحزب **التجمع** ، وتم تدارس الخطاب ، وتحليل الموقف السياسي، وما يحويه الاستفتاء من « مبادىء » سوف تقضي ، تماما ، على مناخ الحريات النسبية التي انتزعتها المعارضة الوطنية، في ظل ادعاءات السادات الديمقراطية ، وقررت الامانة العامة اعتبار نفسها في حالة انعقاد دائم ، وتكونت داخل الحزب لجنة للطوارىء تختص بالشؤون السياسية والقانونية والاعلام ، لمواجهة تطورات الموقف ومتطلباته .

واصدرت السكرتارية العامة بيانا ، يعبر عن رفض الحزب لهذه الاجراءات ، ويدعو الى مواجهتها ، جاء فيه « ان هذه الاجراءات تتعارض مع الدستور ، ويعتبر تنفيذها عدولا عن التطور الديمقراطي الذي شهدته البلاد في الفترة الماضية ، وسيترتب عليها تصفية المعارضة السياسية ، كل المعارضة ، واي معارضة » .

(انظر : وثيقة «؟»)

● وتعليقا على حملة **السادات** على **حزب التجمع** ، قال **خالد محي الدين** في تصريح له ، في السابع عشر من ايار ، ان **حزب التجمع** يتعرض لحملة ضارية من قبل نظام **السادات** ، بسبب موقفه من

Digitized by Birzeit University Library

قضية التحرر الاجتماعي في مصر ، ومواقفه من قضايا النضال القومي . واضاف : « ان هذه الحملة سوف لا تزيد الحزب الا صلابة » ..

● وفي الثامن عشر من ايار ، وفي المؤتمر الشعبي الذي اقامه **حزب مصر** في الاسكندرية ، تحدث **ممدوح سالم** متهما نواب **الوفد والتجمع** بأنهم كونوا جبهة داخل مجلس الشعب ، لتعطيل اصدار القوانين ، وان اعضاءهم من المجلس قدموا ٣٨٤ سؤالا ، واستجوابا ، و « طلب احاطة » ، لاغراق المجلس في متاهات واعمال فرعية .

اما هذه المتاهات التي يعنيها ممدوح سالم ، والاعمال الفرعية التي لا يراها ذات اهمية كبيرة فهي اسئلة واستجوابات تخص وتمس سيادة مصر وتراثها ، وعقل مصر وثقافتها .

(انظر : وثيقة «٣»)

● اما **عبد المنعم الصاوي** ، وزير الاعلام ، فكان له هو الاخر اقواله في تفسير « الديمقراطية » ، ففي حديثه في المؤتمر الصحافي ، الذي عقده في الثامن عشر من ايار ، قال الصاوي : « ان مصر دولة ديمقراطية ، وان الاجراءات التي تتخذ حاليا انما تتخذ لتعميق الديمقراطية، واعطاء المزيد من الحرية » !! وعندما اخرجه احد الصحافيين بسؤاله : من هو الشيوعي ؟ لم يجد **الصاوي** مخرجا ابلغ من القول : « ان قانونا سيصدر ، وسيحدد من هو الشيوعي ، ونحن لن نحاكم من يؤمن بالفكر الشيوعي ، ولكننا سنحاكم من له نشاط شيوعي » (!!) ..

هذا الوزير الذي وضع نفسه في صف المدافعين عن محاكم التفتيش الفاشية باسم « الديمقراطية » الساداتية ، التي تحاكم الشيوعي على نشاطه ، كان من ابرز الذين تم فضحهم على صفحات « الاهالي » ، والمتورطين في احد المشروعات « الاستثمارية » المشبوهة ، والتي اطلق عليها تعبير « **هضبة السينما**» على غرار « **هضبة الاهرام** » ، التي كانت قد اعدت للبيع .

● وفي التاسع عشر من ايار كانت « الديمقراطية » تواصل مسيرتها ، فأصدرت محكمة جنوب القاهرة للامور المستعجلة قرارا يدعو لمصادرة صحيفة « **الاهالي** » ، وذلك لانها ، وفق ما جاء في القرار ، « نشرت موضوعات تعتبر جرائما تهدد السلام الاجتماعي ، طبقا لقانون العقوبات » .

● **في اليوم نفسه لعبت « نزاهة »** نظام **السادات** وتفسيراته « للديمقراطية » دورا اخر ، في المهزلة ، فقد اسفرت نتائج انتخابات **مجلس الشعب** عن «دائرة الجمرك » في الاسكندرية ، التي تعتبر قلعة تقليدية لحزب اليسار - فهي مركز تجمع عمالي - وكان من المؤكد فوز المرشح اليساري بها ، **احمد مصطفى** ، اسفرت عن **فوز احد مرشحي حزب مصر** الحاكم ، **محمد دياب** ، الذي حصل على ١٩٨١٩ صوتا ، مقابل ٣٨ صوتا فقط لمرشح حزب اليسار !!

ومن المفارقات الطريفة ان هؤلاء الـ «٣٨» وصفوا من قبل السلطة ، بعد ذلك ، بأنهم عدد كبير ، كونوا مظاهرة ضخمة ، قادها **احمد مصطفى وابو العز الحريري** ، بعد ان طعنا في نتائج الانتخابات ، وفضحا تدخل السلطة في سير العملية الانتخابية ، ووسائل الضغط والارهاب التي مارسها حزب الحكومة على الناخبين . واستنادا الى هذا الاتهام تم اعتقال **الحريري واحمد مصطفى** !!

Digitized by Birzeit University Library

● وتعقيبا على تلك الحادثة ، قال مصدر مسؤول من السكرتارية العامة لحزب التجمع ، في اليوم التالي لاعتقال ابو العز الحريري واحمد مصطفى : « ان الاعتقال هو مقدمة للاجراءات التي تنوي السلطة اتخاذها لتصفية اليسار ، واسكات المعارضة الوطنية » ، كما اصدر حزب التجمع - لجنة محافظة الاسكندرية - منشورا يروي فيه حكاية النائب ابو العز الحريري ، كما حدثت وليس كما لفقتها اجهزة الاعلام ، مكتفيا بالتعليق عليها فقط بالقول بأن تلك الحادثة جرت تحت شعار « الديمقراطية » وسيادة القانون ، ودولة المؤسسات .

(انظر : وثيقة «٤»)

كما اصدرت السكرتارية العامة للحزب بيانا يستنكر فيه الاجراءات التعسفية التي اتخذت ضد الحريري ويطالب بالافراج عنه فورا .

(انظر : وثيقة «٥»)

● ولم تكن التحركات المواجهة لاجراءات السادات ، من خلال التجمع والوفد فقط ، لان نطاق المعارضة الوطنية واسع وعريض في مصر ، فخلال الندوة التي عقدت للمحامين المصريين ، في العشرين من ايار ، شن محمد فهيم ، سكرتير عام نقابة المحامين ، حملة شديدة ضد هذه الاجراءات كما طالب بالغاء قانون الطوارىء، والتوقف عن احالة قضايا الرأي الى القضاء العسكري ، ووقف المحاكمات العسكرية للمدنيين ، واوضح ان السلطة التنفيذية تحرص على قانون الطوارىء ، لانه ، ببساطة شديدة ، يطلق يدها للانتقام من اي رأي معارض خاصة وان المحاكم الاستثنائية ومحاكم امن الدولة تقوم على اساس قانون الطوارىء ، وعندما يلغى هذا القانون تلغى ، بالضرورة ، تلك المحاكم ، التي لا يجوز الطعن في احكامها، ووصف فهيم قانون الوحدة الوطنية بأنه كحالة الطوارىء ، وهو يعطي المدعي العام حق اعتقال اي مواطن لمدة خمس سنوات !!

كما ارسل اعضاء هيئة تدريس جامعة الاسكندرية ، برقية الى السادات يعلنون فيها احتجاجهم على الاستفتاء ، ورفضهم لبنوده ، وللاجراءات الاخيرة المخلة بحقوق الانسان . وحرص السادات بعدها على ان يلتقي بأساتذة جامعة الاسكندرية ، واطرف ما في لقائه بهم تعريف السادات لديمقراطيته حين قال لهم : « ديمقراطيتنا قائمة على الحوار . انا اصدر القرارات ، واذا ما عجبتكوش تعترضوا ، وبتجوا تقولوا رأيكم ، وانا اقول لأ » ؟؟

● ووسط جو ارهابي مشحون بالتوتر ، بدأت ، في الحادي والعشرين من ايار ، عملية الاستفتاء الشعبي المزيفة ، التي تهدف لاغتيال الحريات ، وتقييد الفكر ، وربط الالسنة تحت شعار زائف هو « مبادىء الجبهة الداخلية والسلام الاجتماعي » .

وقد توقع المراقبون ، سلفا ، ان تجيء نتيجة الاستفتاء لصالح القيود التي اقترح السادات ان يكبل بها العمل السياسي والفكري ، وذلك « لتأكدهم من (نزاهة) سير عملية الاقتراع ، والمحافظة على كل الضمانات التي تكفل حرية الرأي وسلامة التعبير » . بدليل ان سلطات الامن ألقت القبض على ثمانين من اعضاء التجمع لمحافظة الغربية ، فيما « كانوا يوزعون منشورات تدعو الى مقاطعة الاستفتاء » . وفي فجر اليوم نفسه استصدرت مباحث امن الدولة او امر قبض وتفتيش لمنازل مئات من اعضاء حزب التجمع . وقام اللواء النبوي اسماعيل وزير الداخلية بجولة على مراكز الاقتراع « للتأكد من توفير الحرية التامة للمواطنين لابداء آرائهم » !!

Digitized by Birzeit University Library

● وكما هو متوقع ، وبلا دهشة من احد ، اعلن وزير الداخلية في مؤتمر صحافي، عقده في الثاني والعشرين من ايار ، في بيان سياسي معد سلفا ، نتائج الاستفتاء التي ارادوها ، وكانت ان ٩٩ ، ٩٨ في المائة من الاصوات قالت « نعم » لبنود السادات ، وان ٠,٧ في المائة فقط قالت « لا » ، اما نسبة المقترعين فقد كانت ـ كما قال البيان ٨٥,٤ في المائةمن مجموع الناخبين ٠ في حين اشارت وكالات الانباء من القاهرة بأن ٣٠ في المائة من الناخبين، فقط ، قد تقدموا للاقتراع ، وان نسبة المصوتين بـ « لا » كانت مرتفعة عن الاستفتاءات السادات السابقة ٠

وباعلانها تلك النتائج عبرت السلطة المصرية عن انتكاس « التجربة الديمقراطية » ، بعد فرضها القيود على النشاط السياسي والنقابي لليسار وللمعارضة الوطنية ، وحرمان كل صحفي وطني من الكتابة في الصحف ، بعد ان « اصبحت الصحافة سلطة رابعة من سلطات الدولة » ٠

● بعد ظهر اليوم نفسه ، وامام مبنى مطبعة دار التعاون ، حيث تطبع صحيفة « الاهالي » ، كانت مفرزة من مباحث امن الدولة ، وعلى رأسها العقيد محمد العادلي والرائد حمدي عبد الكريم ، تقتحم المطبعة، وتصادر ، للمرة الثانية ، نسخ العدد الجديد من « الاهالي » ، لانها « تناولت بالتشكيك الاجراءات التي تم بها الاستفتاء » ٠ وقررت النيابة ، في الوقت نفسه ، الافراج ، بكفالة مالية ، عن اسماعيل عامر ، سكرتير التجمع في مركز كفر شكر، والذي كان قد اعتقل مؤخرا «وهو يوزع منشورات ضد النظام المصري » ٠

● بعد اعلان نتيجة الاستفتاء ، اجتمعت السكرتارية العامة لحزب التجمع ، واصدرت بيانا ، توضح فيه رؤيتها المستقبلية للحياة السياسية من مصر ، و « تضع كل المؤسسات الدستوريةوالقوى السياسية امام مسؤولياتها المباشرة في انقاذ الوطن من هذا المزق الجديد ، الذي سوف يستهلك طاقات الشعب في مواجهات نحن في غنى عنها ، والاجدى ان تعبأ كل القوى لتحرير الارض المحتلة ، وصيانة استقلالنا الوطني ، وتجاوز الازمة الاقتصادية ، وتطوير الممارسة الديمقراطية » ٠

(انظر : وثيقة «٦»)

● وكان السادات ، باستفتائه الزائف، قد نفذ وعيده لحزب التجمع ، فقد كشف عن نياته في المؤتمر الصحافي ، الذي عقده في الرابع والعشرين من ايار ، اي بعد الاستفتاء بأيام قليلة ، وذلك بالقول : « ان حزب اليسار كتب مصيره بيده ، كما كتب قادة الحزب مصيرهم ، ايضا ، بأيديهم ٠٠ وانا لا انسى ولو بعد مائة سنة » !!

ودون ان يذكره احد فهو لم ينس « الاهالي » ايضا ، وقال : « من كل عدد منها سم وحقد ومرارة ، هل هذا هو التطبيق الديمقراطي ؟ هل هذا هو اليسار الديمقراطي ؟ هل هذه هي حرية الصحافة ، في وقت نواجه فيه في الداخل وفي الخارج معارك مصيرية » ؟

وفي تعليق كشف فيه التناقض الصارخ في ادعاءات السادات ، قال مقرر التجمع ، خالد محي الدين : « لقد اكد السيد الرئيس انه قد لمس بنفسه ان القاعدة الشعبية ، من عمال وفلاحين ، سليمة ، راسخة هادئة ، وان ما عدا ذلك مجرد فقاقيع ٠٠ ففيم الخوف ، اذن ، من كلمة هنا او نقد هناك » ٠٠

(انظر : وثيقة «٧»)

واضاف السادات لحديثه ، ايضا :

Digitized by Birzeit University Library

« اننا نبدأ تجربة فريدة ، ولاول مرة ، وهي ان تكون الصحافة سلطة رابعة من سلطات الدولة » . ولانه يحترم الصحافة ويقدر الكلمة الحرة ، ويوفر حرية التعبير ، ولانه ديمقراطي ، فقد ارسل في فجر هذا اليوم من يعتقل الشيخ امام ، ويسوقه الى السجن ، بينما يلاحق اخرون الشاعر احمد فؤاد نجم ، وزوجته عزة بلبع ، ليلحقا بالشاعر سمير عبد الباقي المعتقل قبل ايام من ذلك التاريخ ، وعناصر اخرى من الاجهزة الساداتية كانت تعتدي بالضرب على النائبين الوفديين ، احمد ناصر وطلعت رسلان ، بعد اعتقالهما في اليوم نفسه ، وقد اصيب رسلان بارتجاج في المخ ، من اثر الضرب ، وادخل المستشفى ، وهو في حالة خطرة . وقد صدر عن مكتب الادباء والفنانين بحزب التجمع بيانا يستنكر فيه التعامل الاديمقراطي مع الادباء والفنانين، ورفض تقديمهم الى المحكمة العسكرية العليا .

(انظر : وثيقة «٨»)

● تابعت السلطات المصرية حملتها على المعارضين والتقدميين اليساريين ، والصحافيين منهم بشكل خاص ، فصدر يوم ٢٧ ايار امرا ، يمنع بموجبه خمسة من الصحافيين المصريين من مغادرة مصر ، وعلى رأسهم محمد حسنين هيكل ، والتحقيق معهم ومع ٦٠ صحافيا وكاتبا اخرين داخل مصر وخارجها ، ويقول هيكل معلقا : « انا اخالف الرئيس السادات الرأي من كيفية التوصل الى سلام من الشرق الاوسط ، ولكنني اعتقد ان هذا هو حق كل مواطن » .

والحملة ما زالت متواصلة ، وجهاز المدعي العام الاشتراكي يعمل ، بنشاط ، في اعداد قوائم الممنوعين من ممارسة النشاط السياسي ، واجهزة الامن تعد التقارير « المدعمة بالوثائق » عن « انحرافات حزب اليسار وقياداته منذ قيامه في مارس (اذار) ١٩٧٦ » .

● وفي مجلس الشعب كانت معركة اخرى تخاض ، حيث تناقش الاجراءات التعسفية التي اتخذت ضد عضو المجلس ابو العز الحريري ، ورفع الحصانة البرلمانية عنه ، والحكم عليه بالسجن لمدة ستين يوما ، وذلك « لضبطه متلبسا بجريمة تؤدي الى الاضرار بأمن البلاد من الداخل » .

استنكر اعضاء مجلس الشعب عن التجمع تلك الاجراءات ، ووجهوا نداء الى اعضاء المجلس ، يناشدونهم فيه بأن « يتخذوا موقفا حازما تجاه هذا الانتهاك للدستور ، والعدوان على كرامة اعضاء المجلس ».

(انظر : وثيقة «٩»)

وبينما كان ابو العز الحريري مساقا الى السجن ، كان مشروع قانون « حماية الوحدة الداخلية والسلام الاجتماعي » في طريقه الى اللجنة التشريعية لاقرار الصيغة القانونة له .

● في الثامن والعشرين من ايار ، امرت نيابة استئناف طنطا بحبس ٢٤ متهما « في قضايا الشيوعية » ، حبسا متطلقا ، من بينهم ١٦ من المنوفية ، و ٣ من كفر الشيخ ، و٣ من القاهرة ، وواحد من كل من الغربية والدقهلية ، ووجهت لهم التهمة الشهيرة في دفاتر الامن ، تهمة « الترويج للشيوعية ، التي ترمي الى تغيير مبادئ الدستور » . كما اصدرت النيابة امرا باعتقال ٢٢ اخرين « ثبت اشتراكهم في الدعوة الى مقاطعة الاستفتاء ، وتوزيع

Digitized by Birzeit University Library

منشورات تناهض الحكم » .

ولان اليسار اصبح تهمة ، فقد تدخلت السلطة ، واجبرت **النقابة العامة لعمال التجارة** على فصل اثنين من اعضائها ، بسبب انتمائهم الى **حزب التجمع** ، كما طلبت من النقابة الانسحاب من **الاتحاد العربي لعمال التجارة** .

وجاء في قرار الفصل « ان العضوين **فتحي محمود مصطفى** ، **وعبد العظيم اسماعيل المغربي** ، غير جديرين بعضوية النقابة ، لانهما ينتميان لليسار » !!

في الوقت نفسه ، كان **السادات** ، في مقره الريفي بالقناطر الخيرية ، يصرح للمراسلين الاجانب بأن « ما يحدث الان ، وما سيحدث في المستقبل ، محاولة لتعليم هذه العناصر بعض المبادىء الاساسية في السلوك الاخلاقي تجاه بلدهم » !!

● في نهاية الشهر الخامس قررت **اللجنة التشريعية** رفع الحصانة النيابية عن **خالد محيي الدين** ، تمهيدا لتقديمه الى التحقيق ، بموجب البلاغ الذي قدمه **عبد المنعم الصاوي** ، وزير الاعلام والثقافة ، بسبب ما نشر في « **الاهالي** » واعتبره السيد الوزير قذفا .

● خلال ساعات قليلة ، وفي جلسة واحدة ،في الاول من حزيران ، اقرت **اللجنة التشريعية لمجلس الشعب المصري** مشروع قانون « حماية الجبهة الداخلية والسلام الاجتماعي » ، والذي يتألف من ١٣ مادة ، كل منها كفيل بأن يحدث تغييرا كبيرا في مجرى تاريخ الحياة السياسية في مصر .

● ولم يغفل القانون الجديد ضرورة تطهير الصحافة من معارضي النظام ، وحرمانهم حرية التعبير والنشر ، الامر الذي اعتبره **عبد المنعم الصاوي** ، تأكيدا للحرية ، ففي تصريح له ، بعد اقرار مشروع القانون ، قال معلقا : « ان ابعاد ذوي الاتجاهات الماركسية عن اجهزة الاعلام يعتبر تأكيدا للحرية ذاتها ، حتى لا يستغل مناخ الحرية في غير اغراضه ، وضد معتقدات الجماهير ، ومصالحها .

● في الثاني من شهر حزيران ، بدأت ردود الفعل تظهر داخل المعارضة ، فاجتمعت **الجمعية العمومية لحزب الوفد الجديد** ، لمناقشة الوضع الجديد بعد قانون الوحدة الداخلية ، واتخاذ الموقف المناسب تجاه التطورات الجديدة ، وكان حل الحزب ، بعد شهور قليلة من اعلان قيامه ، هو القرار الذي اجمع عليه الحاضرون ، وعددهم ٧٩٢ عضوا من بين ١٠١٠ اعضاء ، لهم حق حضور الجمعية العمومية ، وصدر بيان تضمن قرار الحل، واستنكر اجراءات **السادات** الجديدة ، التي تحول دون قيام الحزب بوظائفه ، وتعوق ممارساته .

ولم يكن قرار حزب **الوفد الجديد** بحل نفسه مستعبدا ، لما يشكله القانون الجديد من خطر على رئيسه ، **فؤاد سراج الدين** ، وعلى بعض قياداته ، بل وعلى مجمل نشاطه السياسي . واسقط قرار الحل احد اقنعة ديمقراطية **السادات** الزائفة .

● اجتمعت **السكرتارية العامة لحزب التجمع** في الرابع من حزيران ، وحددت موقفها الرافض للقانون الجديد ، وتقرر الامتناع عن النشاط السياسي الجماهيري في ظل القانون « الفريد في صياغاته المطاطة ، الجريء من مخالفته لمبادىء الدستور الاساسية » ، كما وصفه البيان الذي صدر عن الحزب . كما تقرر وقف صحيفة « **الاهالي** » ، الناطقة باسم الحزب عن الصدور . ودعا البيان الجمعية التأسسية الى الاجتماع ، لتصدر قرارها حول مستقبل الحزب . كما اكد البيان على ان هذا القانون سيكرس سيطرة الحزب الواحد ، ويركز السلطة في يده مزينا

Digitized by Birzeit University Library

بأحزاب هزيلة وشكلية ، مما يزيد من انتكاس التجربة الديمقراطية .

(انظر : وثيقة «١٠»)

● وبدأت حملة النظام المسعورة على الكلمة الحرة وكتابها ، وبالذات من يتمتع منهم بتلك « الفلاسة اليسارية » التي لا ترحم السادات وزمرته ، ففي الخامس من حزيران بدأ جهاز **المدعي العام الاشتراكي** التحقيق مع الصحافيين والكتاب **حسنين هيكل ، احمد حمروش ، محمد سيد احمد ، صلاح عيسى ، والشاعر احمد فؤاد نجم** . وذلك بتهمة كتابة مقالات في صحف خارجية « تشهر بسمعة مصر ، وتسيء لشعبها » !

اما الصحافيين الذين كتب عليهم ان يعيشوا بعيدا عن وطنهم ، فقد تقرر استدعاؤهم ، للتحقيق معهم ، فمعارضة سياسة **السادات** اصبحت تشهيرا بسمعة مصر ، وهدد هؤلاء الصحافيون باتهامهم بالخيانة العظمى ، وباسقاط الجنسية المصرية عنهم ، اذا رفضوا الاستجابة للاستدعاء .

● وجاء الرد حادا وعنيفا من عدد من الكتاب والصحافيين الذين يعيشون في بغداد ، تحمله رسالة موجهة الى **المدعي العام الاشتراكي** ، يشرحون فيها رأيهم في الاستدعاء المتعلق بقضايا يرفضون مناقشتها في اطار مهزلة من الاجراءات « القمعية » ، ويعلنون استمرارهم في اداء مهمتهم الوطنية في الخارج ، وقالوا، في رسالتهم : « ان انتماءنا لمصر هو اعمق واقوى عشرات المرات من انتماء الذين يتجاسرون على الحديث عن امكانية اسقاط الجنسية عنا » . كما طالبوا **المدعي الاشتراكي** بالتحقيق ببعض الوقائع والتهم التي وجهوها هم للنظام الحاكم .

(انظر : وثيقة «١»)

● والمواطن المصري ليس له الحق في ان يحاكم امام قاضيه الطبيعي ، فهو دائما مشاغب وعنيد ويرى ما لا يجب ان يراه ، ويسمع ما لا يجب ان يسمع ، ويقول - وهي التهمة الاكبر - **ما يجب الا** يتفوه به ، ومع ذلك فهو بريء امام القضاء . ولكن « فركشة » الاختصاصات كفيلة **بأن** تصلح ما يفسده القضاء ، فاختصاصات النيابة العامة تذهب الى **المدعي الاشتراكي** ، واختصاصات القضاء تذهب الى **مجلس الشعب** ، وبذلك تنتفي سلطة القضاء ، وتظل ديكور للواجهة المزيفة ، والمثال على ذلك ان ابو العز الحريري ، الذي اعتقلته السلطات المصرية ووجهت له تهمة تزعم مظاهرة معادية للحكومة ، قد مثل امام القضاء فبرأه من التهمة ، لكن **المدعي الاشتراكي** امر باعتقاله مجددا ، لمدة ٦٠ يوما ، ثم اضطر بعد اسبوعين من توقيفه - وتحت ضغط الرأي العام وتحركات حزب التجمع - اضطر لالغاء الامر ، والافراج عن النائب الذي تطاول وقدم انتقادات واستجوابات لاعضاء مجلس الوزراء والشعب ، معا .

● ان أي مراقب سياسي او صحفي حيادي يصل الى القاهرة يلاحظ بوضوح ان الوضع بركاني في مصر ، « **فالاهالي** » تتحدث ، وتتهم ، وتفضح **النظام** ، والناس تتجاوب ، فهي تعرف ، وكانت تنتظر من يقول لتقول ، وتتململ ، وتهمس ، المعارضة تنمو وتتسع ، الجوع ومعاناة الشعب يزداد ، والوعود لا تشبع ، الفساد متفش ، والنظام متصدع ، ومتورط في ازمات سياسية مستفحلة ، والهمس لو لم يقض عليه من الان سينقلب الى صراخ ، والصراخ من المعاناة والقمع يسمى « انتفاضة » ، والانتفاضة عقدة يعاني منها **السادات** ، وهو ما جعله ، رغم قوانينه ، لا يستطيع ان يتخلص من

Digitized by Birzeit University Library

خوفه ، ويصرح في حديثه لضباط وجنود الجيش الثالث في مدينة السويس ، في السابع من حزيران ، بأنه « سيسفك دماء المعارضة في الشوارع ، اذا ما حدثت انتفاضات شعبية جديدة » . ورغم هذه النبرة الفاشية ، التي كشفها انفعاله وغضبه من الانتفاضات ، يعود ويتحدث عن « الديمقراطية » ، ويقول انه لن يغير المسار الديمقراطي بالحراسة والمعتقلات، بل بالقانون !!

● وفي اليوم نفسه امر النائب العام ، **احمد موسى** ، بمصادرة « **الاهالي** » ، بحجة ان العدد الصادر يتضمن مقالات تهاجم « الديمقراطية » . ولكن **محكمة جنوب القاهرة** ، عقدت جلسة ، صباح اليوم الثامن من حزيران ، وقررت السماح بتوزيع « **الاهالي** » ، بعد ان رأت انها لا تتضمن اي شيء يؤثر على الجبهة الداخلية .

● في التاسع من حزيران ، قررت النيابة حبس كل من **الدكتور السيد العشماوي** ، المدرس بكلية الاداب سابقا ، **وزكريا عبد الحميد الجندي** ، **ومحمد حسام الدين عسكر** ، وهم معروفين بميولهم اليسارية، وليتجمع عشاق مصر الكثيرون في الزنازين.

● كان الحادي عشر من حزيران موعدا لانعقاد **الهيئة التأسيسية لحزب التجمع الوطني** ، وقد حضر هذا الاجتماع التاريخي الذي ناقش مستقبل الحزب وممارساته اكثر من ٣٩٠ عضوا يمثلون ٢٦ محافظة في مصر ، وحاول المؤتمر ، وبنقاش موضوعي وديمقراطي ، ان يجيب على الاسئلة التي قرأها **خالد محيي الدين** ، في كلمة باسم قيادة الحزب والسكرتارية العامة ، وهي : **هل يستمر الحزب ؟ هل نقبل الواقع السياسي الجديد بقوانينه الجديدة ؟ وكيف نواجه هذا الواقع ؟ وما هي اولويات نشاط الحزب في المرحلة القادمة ؟**

وجاءت الاجابات والمناقشات على ضوء التقرير السياسي المقدم من اللجنة السياسية ، والذي تناول القانون الجديد ، مفسرا لبنوده ، وللاسباب التي دفعت الحكومة الى اتخاذ هذه الاجراءات الجديدة في ظل ذلك القانون ، وينتهي التقرير بترجيح قرار « الابقاء على صيغة الحزب قائمة في حدود ما هو ممكن » ، والاخذ بتوصية السكرتارية العامة بالامتناع عن النشاط السياسي الجماهيري ، وايقاف اصدار جريدة « **الاهالي** » ، والطعن في دستورية هذا القانون . وجاء التصويت لصالح قرار استمرار الحزب ، والمواجهة والتصدي لمحاولة الاعتداء على الديمقراطية .

(انظر : وثيقة «١٣»)

● في مقابلة صحافية مع الاذاعة البريطانية ، في الثالث عشر من حزيران ، واصل **السادات** حملته على الصحافيين المنفيين خارج وطنهم والمهاجرين من الاضطهاد والقمع ، وقال « اني ارحب بأي شخص ينتقدني ولكنهم (الصحافيين) ليسوا نقادا ، انهم خونة » .

● وردت مجموعة اخرى من الكتاب والصحافيين الذين يعيشون في باريس على حملة **السادات** الصليبية عليهم ، وصدر بيان موقع من عشرة من الصحافيين المعنيين بالامر ، يردون على التهمة الموجهة اليهم في وجه النظام ، « فليس الكتاب والصحافيون والفنانون المصريون هم الذين يشوهون سمعة مصر وطنهم ، وانما هم الذين يتصدون مع شعب مصر كله للنظام المستبد ، الذي لم يترك شيئا يشوه سمعة مصر الا وفعله » . كما اعلنوا ، في بيانهم ، رفضهم لاستبداد النظام ، واستنكارهم كل اعتداء على

Digitized by Birzeit University Library

حريات الجماهير ، ومساندتهم للاحزاب الوطنية والتقدمية في مصر ، وتمسكهم بالمبادىء المشتركة التي يدافعون عنها .

(انظر : وثيقة «١٣»)

● في الرابع عشر من حزيران تم استجواب **خالد محيي الدين** ، مقرر **حزب التجمع** ، امام رئيس نيابة امن الدولة اثر البلاغ الذي قدمه عبد المنعم الصاوي بشأن ما نشرته « **الاهالي** » عن فضيحة **هيئة السينما** ، واعتبره الوزير تشهيرا به؟

وكانت « **الاهالي** » قد كشفت عن اتفاق عقده **الصاوي** مع احد المستثمرين السعوديين ، دون الرجوع الى المسؤولين في **هيئة السينما** ، لانشاء مشروعات « استثمارية » مشتركة ، لا تخدم في النهاية سوى مصالح السيد الوزير الشخصية ، ونجله شريك المستثمر السعودي في مشروعات اخرى .

● بدأت السلطات المصرية في استجواب **محمد حسنين هيكل** ، في الخامس عشر من حزيران ، بتهمة نشر مقالات في الخارج ، تنتقد مواقف الرئيس المصري ، ونشر مقالات في الداخل والخارج ، « من شأنها المساس بسمعة مصر » . والطريف ان التحقيق مع هيكل كان يدور ، معظمه ، حول مقال كتبه عام ١٩٧١ ، في جريدة **الاهرام القاهرية** تحت عنوان « تحية للرجال » ، اعتبره المحقق « اشاعة لروح اليأس والهزيمة قبل حرب اكتوبر » !

وكان **هيكل** قد انتقد النظام الحالي في حديث لجريدة « **الاهالي** » ، بقوله : « انا شخصيا عاجز ، حتى الان ، عن تحديد الهوية الاجتماعية للوضع القائم ، ربما كان هذا اختراعا جديدا لا اعرفه » . وقال مايو (ايار) ، ولكنها ليست ثورة .

ويأتي تخوف النظام المصري من هيكل، لما له من تأثير على قطاعات معينة من الرأي العام ، ولعلاقاته الواسعة عربيا ودوليا .

● واستمر السادات يتحدث - بلا كلل - عن « الديمقراطية » . ففي خطابه امام اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي في العشرين من حزيران ، قال مبررا مسخه للتجربة الديمقراطية : «ان ما حدث لم يكن عيبا في الديمقراطية ، ولكن اساس العيب في اولئك الذين حاولوا استغلال مناخ الديمقراطية والحرية ، ليفرضوا اطماعهم ، ووصايتهم على مصر » وتوصل في حديثه الى : « ان حل حزب **الوفد** ، وتجميد نشاط **حزب التجمع** ، لا يعد انهيارا ديمقراطيا ، كما يدعي المشككون. ولن اسمح للقيادات الماركسية بممارسة العمل السياسي من خلال تنظيم اليسار ، مهما كانت الظروف »

وزادت تشنجات وجهه ، عندما ذكر ممارسات القيادات الماركسية « غير المهذبة » للديمقراطية ، وقال : « ان قانون الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعي لا يكفي وهناك حاجة الى المزيد ، ولا بد ان نناقش عملية الضوابط ، وميثاق الشرف ، وميثاق الخلق ، وميثاق العيب للسلوك الديمقراطي » !!

● « انا اقول انه اذا كان الخوف رجلا لقتلته ... انا لا اريد لبلدي ان يخاف ، ابدا ، مرة اخرى .. وتستطيع ان تسأل رجل الشارع الان .. ، هنا بلد حر .. ، وبالعكس انا باحمي الديمقراطية من الذين يريدون استغلال الديمقراطية . وانا لم افعل اجراء الا بعد استفتاء الشعب ، وطبقا للدستور » .

بينما كان السادات ، « حامي حمى الديمقراطية » ، يدلي بحديثه هذا للتلفزيون الايطالي ، في الخامس والعشرين من حزيران ، كان **مجلس الشعب** يناقش اسقاط العضوية عن **ابو العز الحريري** ،

Digitized by Birzeit University Library

ويدعى المدعي الاشتراكي ، في تقرير قدمه للمجلس ، ان « ابو العز الحريري قاد مظاهرة ، وهتف ضد النظام ، وخرج عن السلوك الرصين للممارسة الديمقراطية »٠

وفي مجال الدفاع عن نفسه وفضح الاجراءات الساداتية ، قال ابو العز الحريري : « انا طلبت ان تحال اوراقي للقضاء ، ليقول كلمته ، وأؤكد امام المجلس ان كل ما اتخذ ضدي من اجراءات كان بسبب تهمة ملفقة ، وليس لها اساس من الصحة ، سواء ما اتخذته وزارة الداخلية نحوي ، او فيما اتخذه المدعي الاشتراكي ٠ واحب ان اشير الى انني منعت ، بالقوة ، من دخول اجتماع اللجنة المركزية الاخير ، وذلك في اطار الاجراءات الاستفزازية ٠ وانا اذا كنت مخطئا يشرفني ان امثل امام القضاء » ٠

وجاءت نتيجة التصويت على اسقاط العضوية عن ابو العز الحريري باغلبية ٢٨٧ صوتا ، هم كتلة حزب الحكومة والمصفقين الذين وصلوا الى المجلس على اكتاف الاجهزة الساداتية ، ضد ١٦ صوتا كلهم من المعارضة ٠ وهذه هي الديمقراطية على طريقة حزب الوسط ٠

● في الثامن والعشرين من حزيران ، والتحقيقات والملاحقات والاعتقالات والمداهمات ما زالت مستمرة ، كان النبوي اسماعيل ، وزير الداخلية ، يهدد ويتوعد القوى التقدمية في مصر بالمطاردة ، والملاحقة ، اذا مارست اي نشاط لا يتفق وتوجهات النظام الحاكم ٠ وقال في مجلس الشعب ٠ « سأطاردهم بنفسي في الشوارع ، اذا حاولوا القيام باية عملية تخريبية » ٠

هكذا يعلن ، وبدون اي حرج او خجل ، انه سيمسك بعصاه ، ويطارد التقدميين في الشوارع ، فهو يحمل « كارت بلانش » من رئيسه وسيده في القمع ٠

● وتطول القوائم السوداء ، وتزدحم بالاسماء في كل يوم ٠ فتجنح السلطات المصرية الصحافي حسين فهمي ، والكاتبة فريدة النقاش من السفر ، بعد ان امر المدعي الاشتراكي باستدعائهما للتحقيق معهما بخصوص ما نشراه من مقالات خارج مصر ، واعتبرها المدعي مسيئة لسمعة البلاد !

● بعد مرور اكثر من شهر على احتجاب جريدة « الاهالي » ، صدر العدد العشرون منها ، في الثاني عشر من تموز الماضي ، وذلك بعد الحاح اغلبية قواعد الحزب وجماهيره بضرورة اعادة صدورها ٠ وجاء في افتتاحية العدد « ان لاقبال الجماهير المتعطشة للكلمة الامينة الشجاعة على جريدة « الاهالي » اثره في دفعنا الى تحمل مزيد من الجهد والمخاطرة من اجل هذه الجماهير » ٠

وفي زاوية « فكر » ، عرفت الاهالي كلمة « المكارثية » ، وانهت التعريف بأن « الموجة المكارثية قد انحسرت بعد تضحيات كثيرة ، واصبح اسم مكارثي مقرونا بأسوأ الفترات المخجلة في حياة المجتمع الامريكي ، وبقي الكتاب والفنانون والمفكرون كتابا وفنانين ومفكرين يصنعون وجدان الناس وضمائرهم ، ويدافعون عن انسانيتهم » ٠

* * *

والتضحيات في مصر تقدم ، والفترة التي تعيشها مصر ، الان ، والمقرونة بالسادات ، هي من اسوأ الفترات المخجلة في تاريخها ٠٠ وبقي أن تنحسر الموجة الساداتية ، مثلما انحسرت قبلها موجات الخيانة والاستسلام ، ويطل وجه « بهية » الحقيقي المشرق ، ويغني لها الشيخ امام ، وكل عشاق مصر ، اغنية حب لا تنقطع ٠

Digitized by Birzeit University Library

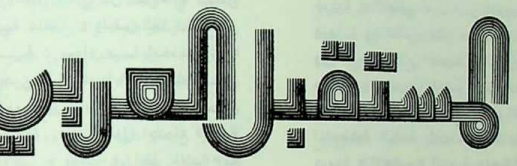

هل يتسع المجال بعد لمجلة فكرية عربية جديدة ؟

نحن نقول نعم .. شرط ان تكون

- وحدوية ● مستقبلية
- موضوعية ● جـــادة
- اهتمامتها من المحيط الى الخليج
- قراءتها من المحيط الى الخليج

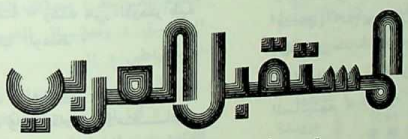

تصدر في مايو (آيار) ١٩٧٨

هدفهـــا

*** وعي الوحدة العربية**
*** وحدة الوعي العربي**

رئيس التحرير د. انيس صايغ
تصدر عن « مركز الدراسات العربية »
(ص.ب ٦٠٠١ ـ ١١٣ ، بيـــروت)

Digitized by Birzeit University Library

التمايز الطبقي في فلسطين من خلال المثل الشعبي

سمير أيوب

باتت قضية التراث الشعبي (ما يشكله ، ابعاده ، مظاهره ، دلالاته) ، والثقافة الشعبية جزء كبير فيه واحدة من القضايا التي تشغل بال المفكرين من كل المدارس السوسيولوجية المعاصرة على مستوى كل العالم ، وعلى الاخص العالم الثالث الذي تعرضت ـ ولا تزال ـ شعوبه على يد مستعمريها الى محاولات شرسة متصلة لتشويه تاريخها وطمس المضامين الايجابية من تراثها الشعبي ولمحو شخصيتها الوطنية · فقضية التراث الشعبي ، لم تعد كما كانت في الماضي محور اهتمام عدد ضئيل من الباحثين السلفيين التقليديين ، ولكنها « اصبحت تجذب اليها ، وخصوصا في السنوات القليلة الماضية ، اعدادا تتزايد باستمرار من الباحثين والمفكرين ذوي الانتماءات الايديولوجية المختلفة ، والمناهج الفكرية المتباينة » (١) · فالكل في تيار العصر لا يرفضون التراث الشعبي ، وبنفس الوقت لا يكتفون به ، « فالذين يذهبون مذاهب اليمين يقيمون الدنيا من اجل احياء التراث ، وبعثه ، وتسليط الاضواء عليه ليل نهار · والذين يذهبون مذاهب اليسار يشهد ادبهم السياسي باهمية تراث الامم والشعوب ، ودوره في بناء الحاضر والمستقبل ، وضرورة احيائه والاستفادة من طاقاته المبدعة والخلاقة » (٢) ·

وتكتسب هذه القضية الكبيرة بالنسبة للشعب العربي الفلسطيني ، اهمية خاصة كفاحية في هذا الوقت الذي يتعرض فيه الى جانب محاولات السحق الوطني ، الى هجمة خطيرة تتخذ الف شكل وشكل ، محورها استلاب التراث وادعائه وتبنيه وانتحاله بهدف سحق الشعب الفلسطيني وسرقة جذوره في الوقت نفسه· فضلا عما يتهدد هذا التراث

---

(١) امير اسكندر ، قضايا عربية ، العدد الثاني ، تشرين الاول ١٩٧٥ ، ص ٦٣ ·

(٢) محمد عمار · نظرة جديدة الى التراث · بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٤ ، ص ٩ ·

Digitized by Birzeit University Library

الشعبي من مخاطر الضياع والنسيان والتهجين ، بفعل عدة عوامل منها : الارتحال القسري للمأثورات الشعبية في ارض الشتات ، مرور الزمن ، تغير اللهجات العامية المحلية التي صيغ بها ، وكون هذا التراث في اغلبه – حتى الان – شفويا ، فمن جهة تضطرنا هذه الهجمة الشرسة من اعدائنا الى الكشف عن مأثوراتنا الشعبية وجمعها من مواطن استعمالها ان أمكن ، والحفاظ عليها ووضعها في متناول البحث والنشر ، وتجديدها في ضوء واقع معركة التحدي التي نحمل أعباءها في وجه العدو الهادف الى افناء الشعب الفلسطيني وسرقة جذوره ايضا · والتراث من هذا المنطلق يتحول الى سلاح أصيل نحن الان في أمس الحاجة لان نشحذه وان نشهره ·

ومن جهة اخرى ، فالتراث كما يقول **جاك بيرك** : « هو الماضي يحاور الحاضر عن المستقبل · وهو ليس مجموعة مكدسة من الانجازات الكلاسيكية ، بل لعله الامكانيات والكوامن التي غطتها تلك الانجازات · وعلينا ان نرد لتلك الكوامن انبثاقها واستلهام قيمتها الخاصة ومنطق تطورها الحضاري الخاص » (٣) · فاذا ما شئنا لتراثنا ان يلعب دورا خلاقا فعلا في رسم معالم مستقبلنا ، فلا بد لنا ان نعي كل مكونات تراثنا الممتد بجميع عناصره المؤثرة عبر حقب التاريخ القريبة والبعيدة والمعاصرة ·

فمن هنا تصبح القراءة التحليلية لهذا التراث واجبة بالفعل ، وليس المقصود كما قد يتبادر الى بعض الاذهان ، حين نتحدث عن ضرورة العمل من اجل احياء التراث الشعبي ، العودة الى الماضي او العودة بالماضي ، وانما المقصود هنا هو التمييز بين الجوانب السلبية والجوانب الايجابية في تراثنا والاستعانة بالعناصر الايجابية المحركة للتطور الاجتماعي ، والتي تملك القدرة على البقاء والتفاعل مع الواقع الراهن ، كي نكسب قوى ثورية خلاقة ، تضاف الى غيرها من طاقات شعبنا في معركته من اجل البقاء والتقدم · « يجب ان يخدم هذا المسعى ·· اغناء ثقافتنا الحاضرة بتجارب الماضي حيث يتحقق **الاصل** الديالكتيكي بين القديم والجديد » (٤) ·

وبالتأكيد ، فان التراث الشعبي الفلسطيني لم ينل حظه حتى الان ، من الرعاية الشاملة · بالرغم من ان هناك ، بلا شك ، بعض الاهتمامات الفردية المتناثرة هنا وهناك ، وفي فترات متباعدة · ولكنها افتقرت في مجموعها الى الشمولية وتضافر الجهود ، سواء من ناحية الجمع او التصنيف أو الدراسة ، ولا تزيد عن كونها خطوات أولى على طريق طويل من اجل اجراء مسح شامل لكل ملامح الحياة الشعبية الفلسطينية و/اجراء دراسات معمقة لفهمها وتفسيرها ضمن اطارها التاريخي ، وصولا الى حالة

.....

(٣) صليبا الجرزي · **القروي الفلسطيني من السرة الى الحفرة** · بيروت ، جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني ، ١٩٧٥ ، ص ١٠ ·

(٤) ..... العلوي · **في الدين والتراث** · بيروت ، دار الطليعة ، ١٧٣ ، ص ١٦ ·

Digitized by Birzeit University Library

من الفهم الاعمق والتقييم الاشمل للانسان العربي الفلسطيني ، الذي يسعى جاهدا الى تحقيق ذاته عن طريق التصدي لتحديات الوجود الصهيوني ·

من هنا ، فلا بد ان يقوى الاتجاه الى الكشف عن تراثنا الشعبي ، في كل جوانبه ومكوناته · وكما هو معروف فالمادة التراثية تضم ، فيما تضم ، الاسطورة والخرافة والحكاية والشعر والاقوال السائرة والامثال والالغاز والاقوال السحرية والموسيقى والرقص والعادات والممارسات والمعتقدات والمهارات الفنية (٥) · ونظرا لاتساع بيدر المأثورات الشعبية التي تكون مع غيرها من الانسجة الاجتماعية القديمة والثقافة الرسمية المدونة ، بتلاحمها وتعايشها وتآزرها الهيكل العام للبناء الثقافي الكلي للمجتمع الفلسطيني ، فستكون بعض دلالات المثل الفلسطيني هي موضوع البحث في مقالتنا هذه ، على امل ان تتكامل الدراسات في هذا المجال من قبل المهتمين بذلك · فالموضوع اكبر من ان تستوعبه مقالة واحدة ، والبحث في المثل الشعبي هو بحث هام ، لانه يتناول حياة اكبر قطاعات الناس في اي مجتمع · وما ذلك الا لانه اكثر دلالة وصدقا على النفسية الشعبية الجماعية واخيلة العامة في مواجهتها لمشاكل الحياة والطبيعة ، وعلى نمط العلاقات السائدة في المجتمع وعلى مختلف التيارات فيه · فالمثل الشعبي « يعطي صورة حية ناطقة لطبيعة الشعب ، بما فيها من تيارات ظاهرة وخفية على حد سواء » (٦) · ومما يزيد من اهمية وصدق تلك الدلالات ، وشيوع استعمال المثل الشعبي في المجتمعات العربية كاحدى وسائل التعبير ، وعلى الاخص في الجزء الريفي منها حيث الامية منتشرة وارتفاع نسبة هذا الجزء بالنسبة للجزء المديني · بالاضافة الى بقاء هذا الجانب من التراث النابع من كل الطبقات الاجتماعية اقوى من قدرة الحكام على القمع او المنع · ومع هذا فلم تكن هذه الفئة من المجتمع عديمة الصلة بالمثل ، وانما تراوح نصيبها فيه بين القبول والرفض « وقد يستطيع الحاكم ان يحد من شعبية اغنية ولكنه يعجز عن مواجهة المثل لانه يتمدد وينتشر في المجتمع كانتشار النار في الهشيم » (٧) · وستنحاز هذه الدراسة الى نظرة المحدثين الى المثل الذين يرون طيه مضمونا اجتماعيا يمس العلاقات القائمة في المجتمع · من هنا ، فالمثل « جملة استوعبت حكمة الشعب ونظرته لطبيعة العلاقات الانسانية » (٨) · وهو كغيره من مكونات ثقافة المجتمع من ابتداع الشعب كله ، حيث لا ينشأ في طبقات المجتمع العليا فقط ·كما يحاول ان يدعي بعض علماء الاجتماع ، وهو بذلك ، ينتشر رأسيا من طبقة الى اخرى ، وافقيا من منطقة الى اخرى ·

---

(٥) احمد رشيد صالح · **الادب الشعبي** · الطبعة الثانية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٧١ ، ص ١٦ ·

(٦) ابراهيم احمد شعلان · **الشعب المصري في امثاله العامية** · القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢ ، ص ٤ ·

(٧) المصدر نفسه ، ص ٥ ·

(٨) المصدر نفسه ، ص ١٧ ·

Digitized by Birzeit University Library

مجموعات الامثال الفلسطينية

ليس في المكتبة الفلسطينية سوى قلة من الكتب التراثية التي ترصد ملامح الحياة الشعبية الفلسطينية ، كما سبق وذكرت · ويزداد هذا الفقر في المادة التراثية المجموعة وضوحا في مجال الامثال الشعبية ، التي يمكن ان تؤخذ على انها فلسطينية · فحتى الآن تخلو المكتبة الفلسطينية من كتاب يختص بالمثل ، جمعا ، وتحقيقا ، وتحليلا · وما جمع وسجل ، حتى الان ، قليل جدا ضمن كتب اربعة ، وغير منفصل عن المأثورات الشعبية الاخرى الموجودة في تلك الكتب · المجموعة الاولى عبارة عن ٣٧٩ مثلا ، جاءت في مجموعة **علي الدجاني** ، في مجلدين ، نشرا عام ١٩٥٣ ، بعنوان « **الامثال اللبنانية الحديثة** » **لانيس فريحة** (٩) · المجموعة الثانية عبارة عن ثمانمئة مثل ، جاءت ضمن كتاب « **الفنون الشعبية في فلسطين ليسرى جوهرية عرنيطة** » (١٠) · والمجموعة الثالثة عبارة عن ٣٢٩ مثلا ، جاءت في كتاب « **قرية ترمسعيا** » (١١) ، اما المجموعة الرابعة والاخيرة فموجودة ضمن كتاب « **القروي الفلسطيني من السرة الى الحفرة** » **لصليبا الجوزي (١٢)** ، وعددها ٢٥٠ مثلا · وهذه الامثال المجموعة ، على قلتها ، غير دقيقة التحقيق ، ولا مذيلة بثبت للمراجع التي وردت فيها ، او نقلت عنها ، ولا بالكيفية التي جمعت بها · ولكن هذا الخلل لا يجوز ان يبقى سدا مانعا في وجه الباحثين ، وشل قدرتهم على الاستقصاءات الميدانية ، وفق خطة تتحدد فيها طريقة التقصي الميداني ومجاله ، ووسائله ، وادواته ·

المثل الفلسطيني بين العروبة والمحلية

يبرز سؤال ، في هذا الصدد ، حول محلية وعروبة المثل الشعبي الفلسطيني ·· فهل يمكن الحديث في مثل فلسطيني بحت ؟ اذا ما وضعنا في الاعتبار ان نمط الانتاج الذي كان سائدا في كل الوطن العربي كان واحدا تقريبا ، مما يعني تشابه مكونات البناء الفوقي في هذا الوطن ، نتيجة العلاقة الجدلية بين نمط الانتاج السائد ومكونات البناء الفوقي السائد ايضا ، فهل يمنعنا الحديث عن المثل العربي الشامل ، من الحديث عن مثل محلي فلسطيني خاص ؟ ..

ان البحث في هذا الموضوع ليس سهلا ، ذلك لان الامثال الفلسطينية البحتة المدونة جد قليلة · والكثير من الامثال التي نصفها بانها تحتاج الى تدقيق واستقصاء

---

(٩) د· حسن الساعاتي · **حكمة لبنان** · بيروت ، جامعة بيروت العربية ، د· ت· ، ص ٢٠ ·

(١٠) يسرى جوهرية عرنيطة · **الفنون الشعبية في فلسطين** · بيروت ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٦٨ ، ص ١٨٧ ـ ٢١٧ ·

(١١) جمعية انعاش الاسرة بالبيرة · **قرية ترمسعيا** · بيروت ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٣ ، ص ١٧٣ ـ ١٨٣ ·

(١٢) الجوزي ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١١٠ ـ ١٢٢ ·

Digitized by Birzeit University Library

لانها تتردد في بلاد عربية اخرى · وفي هذا دلالة واضحة على الاتحاد في طريقة التفكير واسلوب الحياة · ولكن هذا لا يلغي القول بوجود ثقافة محلية فرعية خاصة دقيقة التفاصيل تكسب ملامح الشخصية الوطنية وقسماتها الحقيقية ، فيها سمات منفردة قد لا توجد في مكان اخر · فالمتصفح للامثال الفلسطينية المجموعة ، ومقارنتها بالامثال المتداولة في اقطار عربية اخرى ، يتاكد من وحدة الشعوب العربية ، ووجود قسمات عامة لشخصية عربية واحدة · ولكن ذلك لا يمنع كما سبق وبينا ، من أن يكون لفلسطين امثالها المحلية الخاصة ·

للتدليل على ذلك ، نذكر ، على سبيل المثال ، بعض الامثال التي لا شك في نقاء فلسطينيتها ، وهي كثيرة · فالمثل القائل « جاي تبيع السلق على اهل سلوان » (١٣) مثل فلسطيني بحت · فسلوان قرية زراعية صغيرة في منطقة القدس · كذلك المثل القائل « يا سبع جاي من ميثلون لاقاك واوي جفلك » (١٤) مثل فلسطيني ومحلي ايضا · كذلك الامثال التالية « مثل شباب الرينة كل عشرة بقطينة » (١٥) ، « مثل مصيفة اريحا لا صيافة صيفت ولا عرضها نابت » (١٦) ، « مثل اهل بورين بيحاصوا من الصفرة » (١٧) ، « شروه ما حضرها نابلسي » ، « يا خوف عكا من هدير البحر » ، « خلف الله عليك يا بيت حنينا ، شعفاط بتنقط عنك » ، « ما بيطلع من بيت جالا مؤذن » ، « خذي ساحوري ولا تبوري » · هذه كلها امثال فلسطينية اصيلة · فميثلون ، الرينة ، اريحا ، بورين ، نابلس ، عكا ، بيت حنينا ، شعفاط ، بيت جالا ، وساحور ، كلها قرى ومدن فلسطينية معروفة · وليست هذه الامثال الا عينات من الامثال الفلسطينية الاصيلة ، التي تشير الى شعور الشعب الفلسطيني بذاته ، وبكيان وطنه ، وبوعيه لشخصيته المتبلورة ·

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى هناك امثال نجدها في فلسطين ، ونجد امثالا اخرى مطابقة لها في المعنى ، في اقطار عربية اخرى · فالمثل الفلسطيني « اللي بيدري بيدري واللي ما يدري بيقول كف عدس» يطابقه مثل عراقي يقول «اليدري يدري والما يدري كضبة عدس » (١٨) ، ويطابقه المثل اليمني « ذي ما درى قال حلبة » (١٩) ، ويطابق

---

(١٣) قرية في منطقة القدس ·
(١٤) قرية في منطقة جنين ·
(١٥) قرية في الجليل الاعلى ·
(١٦) قرية في منطقة غور الاردن ·
(١٧) قرية في منطقة نابلس ·
(١٨) اسماعيل السامرائي · مجلة التراث الشعبي (بغداد) ، العدد العاشر ، السنة الخامسة ، ١٩٧٤ ، ص ١٦٩ ·
(١٩) المصدر نفسه ·

Digitized by Birzeit University Library

المثل السعودي " اللي يدري يقول حلبة والما يدري يقول حلبابة " . والمثل الفلسطيني "يا خوف عكا من هدير البحر" يشابه المثل اللبناني "يا هم انفه من هدير البحر" (٢٠). والمثل الفلسطيني " لما انا امير وانت امير مين يسوق الحمير " يطابق المثل المصري " لما انا ست وانتي ست مين يكب الدست " (٢١) . والمثل الفلسطيني " على قد فراشك مد رجليك " يطابق المثل اليمني " على قد قشرتك تمرقع " (٢٢) اي على قد بساطك انبسط . والى جانب هذه المجموعة من الامثال السائدة في فلسطين ، والشائعة في اكثر من بلد عربي اخر ، والتي تؤكد وحدة الشعوب العربية ، هناك مجموعة من الامثال الفلسطينية المتضمنة اسماء لمدن عربية غير فلسطينية مثل " الف ليرة ذهب ، وقتله بلا سبب ، وشنقه على باب حلب " . " بعد خرا بالبصرة " و " القمح من طرابلس والمفاتيح من بني غازي " ، كلها تؤكد على ان البلاد العربية كانت وحدة بارزة في الدولة العثمانية ، وحرية الحركة والاتصال فيها كانت سهلة وميسورة . مما قوى شعور سكان البلاد العربية بانهم ، في مجموعهم ، امة واحدة .

ملاحظات عامة

لقد انطبع التراث في المشرق العربي ، بطابع الاقطاع الثقيل الذي ولده الاحتلال التركي لهذا الجزء من الوطن العربي ، تاركا بصماته واضحة عليه ، حتى بعد انحسار هذا الاحتلال امام الاحتلال البريطاني الجديد الذي اصاب فلسطين وغيرها .

في هذا المجتمع الاقطاعي المظلم ، فرض المحتلون ، اتراكا وانجليز ، في ذروة سلطانهم على العامة ، أشد أنواع القهر ، والاحباط النفسي ، والتزييف المتعمد للوجدان ، فانتشرت معاني الخوف والاستسلام امام السلطان ، ومداراته ، واللف في النقد ، وتغليفه اتقاء لبطشه .

فلسطين الاقطاعية المحتلة من الاتراك والانجليز نجدها في تراثها الشعبي ، وخاصة في المثل الشعبي ، أوضح ما تكون ، مشيرا الى مشاكل الانسان الفلسطيني ، معبرا عن تناقضات حياته . فالمثل (يلتصق بحياة الناس وطرائق سلوكهم ، في محيط المجتمع والبيئة) (٢٣) ويتسرب الى تفاصيل حياتهم . ففي المثل الشعبي الفلسطيني تلوح معاني الخوف ، والاستسلام ، والتردد ، واليأس ، والقبول بالامر الواقع ، من خلال امثال تنم عن الاسترقاق والمهانة ، مغمغة بالفاظ التعظيم والتفخيم ،

(٢٠) الساعاتي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠ .
(٢١) صالح ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩١ .
(٢٢) السامرائي ، مصدر سبق ذكره .
(٢٣) شعلان ، مصدر سبق ذكره ، ص٣٩ .

Digitized by Birzeit University Library

مستخدمة اسلوب التحذير والنهي ، بـل والتهديد والتحكم والترويج كعنصر ترويض مستمر ، بهدف صرف الجموع المخدرة عـن امكانية استيقاظ وعيها الثوري · وفي الوقت نفسه تلوح ، في امثـال اخرى ، معـاني الرصـد ، والتسجيل ، والكشف ، والتحدي ، والسخرية ، والنقد ، والتعرية ، والدهشة الواعية ، والاستنكار ، والتهكم ، والتسفيه للسلطان ورجاله ، من اجل تغذية سلوك التمرد والفروسية عنـد العامة لحماية انفسهم ضد أهل السطوة وأتباعهم ، ترفض القمع وتحرض ضده ·

اسلوب التناقض هذا في المعاني والدلالات المثلية ، مـا هو الا صورة طبيعية منعكسة للتناقضات التي تحكـم واقـع العلاقات الاجتماعية والتيارات التي تحدد معالمها في المجتمع الفلسطيني · فالمتأمل الدارس لمحتوى الامثال الفلسطينية يجابه بنظرتين متلازمتين ، ولكن متعارضتين ، تشيع فيهما · (فليس بالضرورة ان يكون فكر الطبقة السائدة هو وحده السائد · فهناك افتراقات واختلالات ناتجة عن تناقضات الوضع الطبقي ، تدفع عناصر كل فئة للتعبير بشكل او بآخر) (٢٤) ·

النظرتان الشائعتان في المثل الفلسطيني تعبران عن تناقض مصالح محوري المجتمع انذاك ، محور أهل السلطة ، ومحور المجردين من السلطة · فالنظرة الاولى ، المعبرة عن مصالح أصحاب السلطة ، ترى أن المجتمع التصاعدي الهي أزلي ، لا يجوز تغييره ، لانه تصوير للنفس البشرية الثابتة ، التي لا تتغير · لذا فهي تعمل عـلى الترويج لهذا المجتمع ، بتقرير وجوده ، وتبريره ، والدعوة لاحتضانه ، والعمل على استدامته ، تحقيقا للرغبة الالهية الكامنة وراء كل ذلك · أما النظرة الثانية ، المعبرة عن مصالح المجردين من السلطة ، فهي تعارض الاولى تماما ، وترى ان تصاعدية السلطة مؤقتة ، والى تغيير ، وبالتالي فالعلو والهبوط ليسا ابديين ، الى ما شاء الله ·

ولا شك بأن اصحاب النظرة الاولى قد سخروا ، للتعبير عن فلسفتهم ، الكثير من الندماء والادباء ، لتلوين مشاعر الناس ، ووجدانهم ، ومثلهم ، من اجل صياغة التفكير العام للمجتمع ، وطبعه بنظرتهم الخاصة ، واخضاعه لمصالحهم الطبقية · وقد نجحوا ، الى حد ما ، في ذلك ، فردد العامة مقولات اهل السلطة ، واصبحوا رواتها ، والمروجين لها · ولا غرابة في ذلك ، فالفكر السائد هو ، في الغالب ، فكر الطبقة السائدة · (الواقع ان المسألة ليست جدلا اخلاقيا ، وانما الافكار تتبع السلطة ، فاذا ما توافرت لفئة معينة ذاعت افكارها ، واصبحت هي الحصيلة الغالبة على من دونها) (٢٥) ·

.....

(٢٤) صقر ابو فخر · جريدة **بيروت** (لبنان) ، ١٩٧٦/٥/٢٧ ·
(٢٥) صالح ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٩٠ ·

Digitized by Birzeit University Library

تصور الشعب للسلطة والسلطان

اردنا تدوين هذه الملاحظات لتكون مدخلا تمهيديا لصلب هذه المقالة . وهي مسالة السلطة في اطارها الاجتماعي عند الفلسطينيين قبل عام ١٩٤٨ ، كما يصورها مثلهم الشعبي . ونعني بالسلطة هنا (تلك القوة الضاغطة المتمثلة ، ظاهريا ، في احكام العرف الاجتماعي ، والمرتكز ، مادة وموضوعا ، الى امتلاك وسائل الانتاج) (٢٦) . وهي ، اي مسالة السلطة ، تحظى ، كما يبدو ، باهتمام كثير من الامثال الشعبية . وتنعكس عليها . فالامثال تعكس ، بوضوح شديد ، مسالة السلطة الزمنية والروحية بحدة ، لان السلطة ذات اثر عظيم عليها ، وعلى كل انواع الادب العامي . بهذا المفهوم ،فان المثل الشعبي ، اذن ، لا يمكن الا ان يكون منحازا لوجهة نظر معينة ، هي في النهاية وجهة نظر الطبقة التي ابتدعته ، ليعبر عن مصالحها .

فالنظرة الاولى ، نظرة اصحاب السلطة ، لكي تحقق اهدافها ومصالحها ، سعت حثيثا لصياغة فكر المجتمع وتصوراته ، عبر عدد من المقولات في شتى الميادين ، ومنها مسالة السلطة ، باستخدام كل وسائل التعبير المتاحة لها .. فجاءت لغة كل يوم ، لغة الحوار اليومية ، حافلة بالدلالات الواضحة على السلطة ، من وجهة نظر هؤلاء . فهم يرون أن المجتمع الطبقي المتصاعد ضرورة اجتماعية (اذا انت امير وانا امير ، مين يسوق الحمير) . (مين شبه حاله بالملك هلك) . (كل شارب الو واجب ، وكل لحية والها مقص) . (اللي بيتطلع لفوق بيوقع وتنفك رقبتو) ، (المعين ما بتعلى ع الحاجب) ، (على قد فراشك مد رجليك) . فلكل فرد دوره . للبعض ، السلطة والسيادة ، وعلى الآخرين الخدمة ، والانتاج ، وقبول سلطة السيادة . ولا يجوز لهذا البعض التشبه بمن كانت لهم السلطة ، خوفا من الهلاك أو على الاقل نيل الاذى . فهكذا حال الجماعة ، فلكل وجه مقام ، ولكل مقام واجب وحقوق . واستغل الله من اجله اي اصحاب السلطة الذين يجلبون الشر والاذى لمن يحاول او يفكر في الوقوف المساواة رغبة وحكمة الهية ازلية قديمة ، لا يجوز التصدي لها . لانها كلمة الله وحكمته ، (مش كل من صف الصواني صار حلواني) . وقد عبروا عن جوهر هذا التمايز الطبقي بالقول ان طبيعة الناس ثابتة متوارثة منذ بدء الخلق ، وبالتالي ، فالتمايز ثابت ، لا يمكن تغييره . فالسادة والمسودون متمايزون منذ الازل ، ولا يمكن للمسود ان يصبح سيدا ولا يجوز للسيد ان يصبح مسودا . لان طبيعة كل منهم تختلف عن الاخرى (بنت الفارة حفارة) . (خلف الملعون كلب طلع انحس من ابوه) . (ذنب الكلب ما بتصح ، ولو انحطت في مية قالب) ، (عمره ما بيطلع من النتش **يواصيل**) ، (الحمار حمار ولو بين الخيول ربي) . (الناقة ناقة ولو هدرت) ، (راح جرو واجا كلب) ، (ما بيطلع من دار المطبلين غير المزمرين) ، (اذا كان ابوك البصل وامك

(٢٦) **المصدر نفسه** ، ص ٨٦ .

Digitized by Birzeit University Library

التوم . الريحة الطيبة من وين تجيك) . هذه الامثال وكثير مثلها تدعي وتؤكد بان الاصل غلاب . ودائم وموروث ، ولا ينفع لتغيير هذه الطبيعة شيء . لا التربية ولا تعاقب الاجيال . وقد وصل الامر باصحاب هذه النظرة الى استنكار التغير . حتى لو حصل . واعتبروه تغيرا مؤقتا سيغلبه الطبع . فالناقة ستبقى ناقة حتى لو هدرت كالجمال . وسيبقى الفقير مسودا عبدا لو اغتنى واكتسى باجمل الملابس (الكلب كلب لو لبسوه سلسلة من ذهب) . وسيغلب الطبع التطبع . فمهما وضعوا المسود مكان السيد فلن يرضى الا ان يبقى عبدا لسيده (حطوه بالصدر لقيود بالعتبة) . اي في ادنى السلم الاجتماعي .

كل هـذا على عكس الطبقة السائدة . التي يتوارث ابناؤها صفات واصالة أبائهم . وبالتالي امتيازاتهم وحقوقهم (فرخ البط عوام) . (ابن النمر بيطلع مرقط) .

بعد أن أكد أصحاب هذه النظرة على أن المجتمع الطبقي المتصاعد . ازلي . ولا مكان للمساواة فيه . لان في ذلك حكمة الهية لا تجوز معارضتها . استدامة لمرضاة الخالق . ومراعاة لمصلحة المخلوق . حاولوا تثبيت هذه المقولات وتدعيمها . بمقولات اخرى تحط من قدر الطبقات الاخرى . بالاستهزاء منها . ومن سوء تصرفها . نتيجة سوء معدنها . وبتمجيد الاصل الطيب بقولهم (ما بتلاقي المنافس الا عند الخنافس) . (النعجة الجرباء ما بتشرب الا من رأس العين) . (اعمص وبيتجعمص ، وبيشرب من رأس القادوس) . (زبال وشاكل له وردة) . فكما استكثروا على الفقير العامل في حياته حق التمتع بالزهور . استكثروا . بل واستهجنوا عليه في مماته أن تكون له جنازة معقولة . فقالوا : (الميت كلب والجنازة حامية) . وقالوا استهزاء بالفقير (نزل الفلاح عالمدينة تحلى دبس وطحينة) . (حزانى وطفرانين ، واشتروا بعشاهم ياسمين) . اذن هذه الطبقة لا تحسن التصرف . ولا ينفع معها المـال ولا التربية . فالطبع غلاب . وافرادها بالتالي لا ينفعون للسلطة . لانهم لا يحسنون التصرف . فلا بد ان يبقوا . بالتالي ،مسودين . وعليهم اوصياء من ذوي الحسب والنسب والمعدن الاصيل !..

بعد أن ادعت الطبقة السائدة وجود مجتمع طبقي متمايز . بررت هذا الوجود باستخدام اسباب عدة ، منها الرغبة الالهية ، ومنها طبيعة البشر الثابتة والمتمايزة . ومنها الضرورة الاجتماعية . كان لا بد لهذه الطبقة السائدة أن تروج لهذا النظـام وتشيع في المجتمع مجموعة من القيم ، تخدمه مباشرة ومداورة . فاطلقت مجموعة من الامثال ، تدعو للطاعة مثل : (اربط الجحش مطرح ما بقلك صاحبه) . (انا اول مين طاع واخر مين عصى) . (اللي بدك تخدمه لازم تطيعه) . واخرى تدعو صراحة للخضوع والاستسلام والمداراة تجنبا للاذى الشخصي (حط راسك بين هالروس وقول يا قطاع الروس) . (ساير زمانك واتهنى) ، (ليش حامل السلم بالعرض) ، (كلنا

Digitized by Birzeit University Library

في الهوا سوى) ، (المكتوب ما منو مهرب) ، (الهريبة ثلثين المراجل) ، (دارهم ما دمت فيدارهم) . وبالغت مجموعة اخرى من الامثال في الدعوة لمسايرة الشر والعمل من اجله اي اصحاب السلطة الذين يجلبون الشر والاذى لمن يحاول او يفكر في الوقوف وجههم فأوصت الناس بالقول : (ابعد عن الشر وغنيله وهات فاس وقنيله) ، (لا تنام بين القبور ، ولا تشوف منامات وحشه) . وفي هذا الجانب ، ايضا ، تشير الامثال الى ضرورة ممالأة السلطان وتملقه ، درءا لشره وكسبا لمودته . فتقول هذه الامثال (وبالشكر تدوم النعم) ، (مطرح ما بترزق لزق) . وتشير الى ضرورة التمسك به مهما فعل (اللي ما الو خير بعتيقه ما الو خير بجديده) ، (اذا انجنوا اهلك عقلك ما بينفعك) . (ترتح في منحوسك لا يجيك انحس منه) . وامثال اخرى تشير الى ضرورة التقرب من السلطان وخدمته ، استجلابا للفائدة : (كلب الامير امير) ، (احترم كبيرك يحترمك صغيرك) ، (اللي بياكل خبز السلطان بيضرب بسيفه) ، ولذلك (ان عاشرت عاشر امير) . هذه الطبقة الحاكمة حاولت ترسيب مجموعة من القيم بين افراد المجتمع ، لتصبح جزءا من مكونات الحياة الفلسطينية ، مشيعة الشك واليأس والقنوط في اذهان غيرهم ، حيث ردت سبب الماسي التي يعيشها المحكومون ، الى ارادة الله وحكمته (اشي الله بعطيه واشي بيظل يصك فيه تا يعمية) ، (المعطي ما هو بخيل) ، (تجري جري الغزال غير نصيبك ما بتنال) ، **(اذا ركضت ركض الوحوش غير رزقك ما بتحوش)** . بل لقد بلغت جرأة الحكام في بعض الاحيان الى رد تلك المآسي الى المحكومين المستغلين انفسهم ، فادعوا بان (سوس الخشب منو وفيه) ، فاخافوا الناس من كل عمل جماعي واوهموهم بضرورة الابتعاد عن الاخرين لانهم مصدر شر ، فحاولوا من اجل درء خطر العمل الجماعي لدى الجماهير ، تهديم مشاعر الجماعة من انفس الناس بتغذية مجموعة من القيم الفردية التي تصور للفقير الخير من ورائها . فدعمتها بمجموعة من الامثال الداعية للعمل الفردي : (الوحد ةعبادة) ، (يا جاري انت بحالك وانا بحالي) ، ومثل (بعد حماري ما ينبت حشيش) ، (الف ام تبكي ولا امي تنزل لها دمعة) .

هذه النماذج من الامثال الشعبية الفلسطينية تشير الى نظرة اهل السلطة الى المجتمع في فلسطين انذاك ، ومحاولاتهم الحثيثة رسم علاقات اجتماعية وترسيبها في عقل الجماعة ، من خلال تحويلها الى مجموعة قيم في المجتمع الفلسطيني . فكيف ترسم الامثال نظرة المجردين من السلطة للعلاقات الاجتماعية في المجتمع الفلسطيني ؟

بعد ان سبق وذكرنا وجود نظرتين متلازتين ومتعارضتين في التصورات الاجتماعية في فلسطين ، نعود فنقول بان الامثال الشعبية الفلسطينية في مجال المقارنة بين هاتين النظرتين كثيرة جدا . ولكن قبل استعراض تفاصيل النظرة الثانية نرى ضرورة التمهيد لها بوصف حال اصحابها ، لانها ، بالتاكيد ، معبرة عن مصالحهم ، ونابعة من واقعهم .

Digitized by Birzeit University Library

الواقع الاقتصادي للمجردين من السلطة

قد لا ندهش ، عند تمعننا بالامثال الشعبية التي افرزتها العامة لتشير الى تصورهم للسلطة والى طبيعة علاقتهم بأهلهـا ، اذا مـا تأملنا الامثال التي تشير الى واقعها المعيشي · فقد رسم الشعب احاسيسه ومشاعره بالمثل الشعبي الـذي لا يملك الحاكم ازاءه دفعا او منعا او ردعا ، تعبيرا عن حياته · فعلى اساس واقعه المعيشي الذي كـان يحياه ، تكون اساس بنائه الفكري والاجتماعي ، الـذي استخدمه كأسلوب من أساليب الصراع الطبقي ضد مستغليه · فامثاله تصور الوضع العام السيء ، فتقول (الفلاح جوعان ، والحايك عريان ، والاسكافي حافي ، والطباخ مـا يشبع مرقه) ، والمعيشة كانت (كل يوم بيومه والرزق على الله) ، (عاش ومات ، وقضى ومضى ، ومات طفران) · وكان الفرد من العامة ، في تلك الايام (يركض ورا الرغيف ، والرغيف بيركض قدامه) · واذا وجد الرغيف بعد جهد جهيد لا يجد ما يغمسه به سوى مـا تجمعه زوجته بقول تنبت في البرية من تلقاء نفسها ، فيقول المثل واصفا هذه الحالة من الاعسار بقوله (بيركض بيركض والعشا خبيزه) · وكان الفقير لا يملك سيولة نقدية في جيبه ، بل يتناول اجره ، في اغلب الاحيان ، منتوجات بالكاد تحفظه على قيـد الحياة (من زود الطفر شفنا البزقة شلن) ، (ما يعوقنا عن السفر غير الطفر) · فهو لايملك مالا يساعده على السفر ولا يملك قرشا واحدا يشتري به قليلا من الرز يأكله ، فاضطر لاكل ما هو اسوأ منـه : البرغل فقط **(مـن قلـة البرغل بنوكل أجريش)** · وبالاجمال ،كان الفلاح وصاحب الحرفة انذاك ، كما يقول المثل (مثل الابرة تكسي الناس وهي عريانة) · وكانوا يشعرون بهذا الاستغلال والتمايز ، فقالوا واصفين هذا الواقع (ناس بتوكل جاج ، وناس بتوقع في السياج) ، (الغني الكل يغني له ، والفقير الكل يواوي له) · وهم يعلمون بان ما يتمتع به الاغنياء ما هو الا من عرقهم وكدحهم والغني يأكل الفقير فقالوا (كل الناس رقصوا واحنا حطينا النقوط) ، (اللي بايدو المغرفة ما بيجوع) ، (السمكة الكبيرة بتاكل الصغيرة) · وكانوا يدركون بان التفاوت يزداد بينهم وبين الاغنياء ، نتيجة الاستمرار في استغلالهم (فالمال يجر مال ، والقمل يجر سيبان) بمعنى صاحب المال يزداد مالا والفقير يزداد فقرا · وهم يعرفون السبب في هذه السرقة وهذا الاستغـلال ، فصاحب السلطـة هو السبب ، فطالمـا ان (حاميهـا حراميها) فلن تتغير الامور الا باتباع خطة عمل كانت الطبقة المسحوقة تزداد مع الايام اقتناعا بها ، والتعبير عنها مباشرة حينا ومداورة احيانا اخرى · اذن ، حاولت الطبقة المسحوقة ان ترسم واقعا بديلا عن واقعها المؤلم · ولكن كيف ؟ وما هي الطريق التي رسمتها للوصول الى هذا الواقع البديل ؟ وبماذا توسلت من اجل تحقيق اهدافها ؟

اولا : احست الطبقة المسحوقة ، بواقعهـا المتردي ، وعرفت السبب المباشر في ذلك ، على الرغم من محاولات التضليل والتنصل التي اتبعهـا المستغلون (بكسر الغين) كما سبق وبينا قبل قليل ·

Digitized by Birzeit University Library

ثانيا : تصورت الطبقة المسحوقة المستغلة أهل السلطة أصحاب مصلحة تختلف عن مصلحتهم فهم جشعون طغاة متعالون على سواد الشعب ، مستغلون ، يستأثرون بأموال الشعب ، تاركينه أسير الجوع والمرض والبرد والجهل ، فيقولون (حساب القرايا ما بجيش على حساب السرايا) . (لا برحمك ولا بخلي مين يرحمك ولا رحمة الله تنزل عليك) ، (لولا النواطير كانت الكروم تحمل قناطير) ، (التلم الاعوج من الثور الكبير)، (اذا كان اللي حاكمك ظالمك تشكي أمرك لمين) ، (نط الفار من السقف قاله البس اسم الله عليك ، قاله اسلم منك وأنا بخير من الله) .

ثالثا : ما دام الاعتبار للمال ، وليس للرجال كأساس للتمايز الاجتماعي ، حسب تصور طبقة المستغلين (بكسر الغين) ، فقد اكدت الطبقة المسحوقة خطأ ذلك ، واستهزأت بدعاوى مستغليها ، فقالت (يا ماخذ القرد على ماله ، بيروح المال وبيظل القرد على حاله) . فالمال لا يغير من طبيعة الاشياء ، والتراث لا يعطي لصاحبه فضل وميزة (الفقير فقير العقل) ، (فالرجال محاضر مش مناظر) ، (ويا شايف الزول يا خايب الرجا) . فقيمة الفرد تتعدد بقدراته وأخلاقه لا بممتلكاته ومقتنياته ، التي تنعكس على ما يلبس من أسمال (من بره رخام ومن جوه سخام) . فكل وسائل التجميل والتزوير ، التي يتمكن الاغنياء من شرائها ، لا تنفع في تغيير حقيقتهم ، اذا كانت فاسدة بشعة ، فقالوا (شو بدها تسوي الماشطة بها الوجه البشع) . ومع ذلك فالمال لا يدوم لاحد ، خاصة اذا كان مسروقا ، ومن تعب الشعب (مال الحرام ما بيدوم) ، (الدنيا عسر ويسر) . (الدنيا ما بتخلي الراكب راكب ولا الماشي ماشي) . (الدهر دولاب ، يوم معك ويوم عليك) . واذا كان المال كخاتم سليمان ، يؤمن كل شيء ، فملكية هذا الخاتم غير مضمونة للابد (خاتم لبيك بيكون الك بيصير عليك) . وقالوا مستهزئين بالمال كأساس للتفاضل ، ونادوا بأن يكون الشرف والاخلاق والامانة اساسا للتمايز والتفاضل (درهم ناموس ولا قنطار فلوس) ، (الشرف احسن من خزنة مال) . ووصفوا مالكيه بأسوأ الالقاب ، فقالوا عمن لا يملك من دنياه سوى المال (كلب حامل خرج مال) . وهم بذلك يكرسون معيارا بديلا عن المال ، كأساس للتفاضل والتمايز .

رابعا : تهكموا على اصحاب السلطة ، واتباعهم لتحطيم الهالة المحيطة بهم في اذهان العامة ، ليتجرؤا عليهم ، فقالوا (فكرت الباشا باشا اتاري الباشا زلمة) ، (البراطيل بتحمل الشراويل) ، (كبر العمة ووسع الذمة) ، (صاحب الذقن السكسوكة اخبث من ابليس) . وشبهوهم بالخنازير ، واحلوا سرقتهم ، فقالوا (شعرة من ذقن الخنزير بركة) .

خامسا : شنوا حملة مواجهة ضد الاستخفاف ، والاستهزاء ، والاحباط النفسي الذي كان يوجه عمدا لهم ، ولعملهم ، وحرفهم ، واهمية دورهم في بناء المجتمع ، ودافعوا عن قيمة العمل اليدوي الذي يؤدونه ، كرد اعتبار لذواتهم ، وتبيانا لاهميته

Digitized by Birzeit University Library

وضرورته لاستمرار رفاه المجتمع ومعيشة افراده ، وتأكيدا لذاتهم الفردية والجماعية ، فقالوا لمستغليهم : نحن السبب في ثرائكم لولانا لما كنتم تتمتعون به الان (صرارة تسند خابية) . (لولا الكاسورة ما عمرت الفاخورة) · بعد ذلك بينوا بان عملهم وكدح يمينهم هو السبب ومصدر رزقهم ، لا ما ورثوه او حصلوه نتيجة استغلال غيرهم · ففاخروا بقولهم (كنت راعي ونشلني ذراعي) · ثم حثوا ابناء طبقتهم على العمل ، واعلوا من قيمة العمل كطريق لتأكيد الذات في وجه الاخرين ، فقالوا (البطالة بتعلم الهمالة) ، (الرزق بدو نطة) . (اتعب عائشي بتلاقيه) ، (الكار ان ما اغنى بيستر) ، (الكار سوارة من ذهب) . (اتعب يا مشكاح لتنام مرتاح) · وقالوا ايضا : (من سرى باع واشترى) ، (ما بيحرث الارض غير عجولها) ، (يا هنيالك يا زارع الشجر يا قاطع الثمر) . (من جد وجد) · وغيرها كثير من الامثال المشابهة ، والتي تؤكد على اهمية العمل الذي يغنيهم عن سؤال اصحاب السلطة وذل الحاجة ، حتى لو كانوا اخوة : استغل الحد والعيد ولا تعوز اخوك السعيد) ، (هين قرشك ولا تهين نفسك) ، (اللي ما بيشرب بكفه بيموت عطشان) ·

سادسا : بعد تأكيد **الذات الفردية** . واعلاء شأنها ، والدفاع عنها ، كان لا بد من تأكيد الذات الجماعية ، وتعميم الوعي بوجودها وتمايزها · طبقة مسودة مسلوبة مستغلة (بفتح الغين) . مقابل طبقة سائدة مستغلة (بكسر الغين) · ففي هذا التأكيد والوعي بالذات الجماعية بداية معرفة طريق الخلاص ، وتحديد وسائل الصراع · فقالوا . تعبيرا عن الوعي بالذات الجماعية وتمايزها عن الاخرين (يا اللي مثلنا تعوا لعنا) ، (وما بيحن عالعود الا قشره) ، (ما بيحك جسمك غير ظفرك) ·

سابعا : بعد معرفة الفاقدين للسلطة واقعهم المتردي ، وتحديدهم للسبب في هذا الواقع كما خبروه ، هاجموا مقولات خصمهم ، وطرحوا بدائل لها تؤكد ذاتهم الفردية والجماعية . وتعلي من شانها ، وتعمم عملية الوعي الجماعي بها . ثم ادركوا انه لا بد من مواجهة مستغليهم ، مواجهة صريحة ، عبر الصراع الدامي معهم ، اذا كانوا يريدون بالفعل تغيير واقعهم المتردي · فهاجموا جو الاستسلام ، الذي يفرضه اصحاب السلطة على طبقتهم . وبينوا بأن الاستسلام لاولئك الطغاة هو أحد اسباب البلاء . فقالوا : (مين صار نعجة اكلته الذياب) ، (وسعنا له دخل هو وحماره) . (اللي بيخاف من القرد بيطلعله) ، (قاله يا فرعون مين فرعنك ؟ قال من قلة ما حدا يردني) · اذن ، لا بد لتغيير الواقع المتردي الى واقع احسن من الخروج من حالة الاستسلام الى واقع التحدي والتصدي الايجابي الصدامي (فلا يضيع حق وراءه مطالب) · وطبقة اهل السلطة تسرق مال وحقوق الاخرين · ولاعادتها لا بد من مقاتلة اهل السلطة (اللي بيؤخذ مالك خذ روحه) ، ولكن كيف ؟ الجواب الذي حدده المثل هو القوة ، والقوة وحدها (ما بيجيب الرطل الا الرطل ووقية) . (ما بيقل الحديد الا الحديد) ، (اللي بدو يناطحما بيخبي قرونه) · ولكنمن اين لهؤلاء الفقراء المستضعفين بألقوة ؟ بحثوا

Digitized by Birzeit University Library

عنها فوجدوها بانفسهم كجماعة ، باتحادهم . وبتكاتفهم ، بعملهم الجماعي المشترك ، فقالوا (ضعيفين قتلوا قوي) ، فبحثوا على العمل الجماعي . وقالوا (ايد وحدها ما بتصفق) . هذه الامثال وغيرها هي نموذج لوجهة نظر المحرومين من السلطة ازاء السلطة واصحابها . ونجد ان التصور الشعبي قد اختط خطة خاصة لتحصيل ما حرمت منه الطبقة المسحوقة . فجعلت المواجهة الصريحة الواضحة . باستخدام القوة المادية هي السبيل الوحيد لذلك .

خلاصـــــة

ما استعرضناه من امثال شعبية فلسطينية اكد ما سبق واوضحناه في مدخل هذه المقالة . من **وجود محورين متبلورين ومتناقضين في المجتمع الفلسطيني** ، وذلك من خلال رصدنا وتتبعنا لوجهتي النظر المتلازمتين والمتعارضتين للعلاقات الاجتماعية ، واللتين كانتا تمثلان . معا ، اشكال الوعي الاجتماعي للشعب الفلسطيني ، والتي كانت تعكس ، بصورة او بأخرى ، العلاقات الاقتصادية والبيئة الاقتصادية للمجتمع الفلسطيني . وهي **تكشف ، بوضوح ، صورة مضطربة لفكر الطبقة السائدة** ، وتكشف ، بوضوح اخر في نفس الوقت ، **استيقاظ وعي الطبقة المسودة ، نتيجـة وجود تناقضات في الوضـع الطبقي** ، دفعت بعناصر كل طبقة للتعبير عن مصالحها بشكل او باخر .

Digitized by Birzeit University Library

التقاطع والافتراق

بين بهلول جنين وأبله خان يونس

علي حسين خلف

ظهرت في الادب الفلسطيني مجموعتان قصصيتان تحملان في غلافهما الاول قصصا عن البلهاء والبهاليل . الاولى « **ابله خان يونس** » الصادرة عام ١٩٧٧ . والثانية « البهلول » الصادرة عام ١٩٧٨ . وبين الأبله والبهلول نقاط تقاطع وافتراق كبيرة ، ليس من حيث المجموعة القصصية ، وانما من حيث القصة القصيرة « أبله خان يونس » و « البهلول » التي استحوذت على الغلاف .

ان السمات التراثية العامة للملمح العبيط ، والمستمده من التكوين السسيولوجي للقرية ، حددت القواسم المشتركة بين عبطاء القرى ، وجعلت لكل قرية عبيطها ! وكثيرا ما كانت كلمة العبيط مرادف مباشر لكلمات الشيخ ، الدرويش ، المسكين ، مما اكسبها هالة من القداسة .

الابله والبهلول (عند ربعي المدهون وتوفيق فياض) متحرران من هالة القداسة ، ولكل منهما « نكهته » المميزة ، بغض النظر عن الاصول الواقعية لدلول وسليم .

واذا افترضنا ان الابله معادل موضوعي للواقع في مخيم خان يونس ، وان القصة التسجيلية اخذته كما هو ، فأن الحكم عليه في القصة كمعيار قيمة ، لا يتحدد وفق الشهادة الواقعية لابله « هذه هي سماته » . وانما وفق دلالة هذه الشهادة الواقعية من خلال فنية القصة القصيرة . وكذلك الحال بالنسبة للبهلول .

الابله والبهلول ، في طريقة استشهادهما يجسدان النموذج الذي يعلم الآخرين (رواد المقهى وسكان المخيم) طريق الخلاص .

فلماذا الابله ؟!

ولماذا البهلول ؟!

وهل فقدت المقاومة ، على اختلاف منظماتها واشكال نضالها ، ابطالها الذين ينبعون من داخلها ، حتى تجري استعارة بلهاء المخيمات (والقرى والمدن) ليمثلوا ارادة التغيير ؟!

ان الاجابة على السؤال ، والخروج منه ، تحددها درجة فشل او نجاح «النموذج

Digitized by Birzeit University Library

الفني» في التمايز عن « النموذج الواقعي » ، فلا يعود الاول نسخة طبق الاصل عن النموذج الثاني . فهذا التمايز ، في حال توفره ، يمهد الطريق الى تغيير في الكتابة وتغيير في الفعل والواقع .

وهنا نتوقف لنسأل مرة اخرى : ما هي « مبررات » استخدام الابله والبهلول كمفتاح رمزي ؟! والاجابة اجتهاد مثلث الاضلاع :

١ ــ وصول العبيط الى « الموقف الصحيح » يعني ضمنا ، ان هذا الموقف هو قضية عامة وشائعة ومألوفة . وعندما يقال حتى المجنون (مرادف شعبي لكلمة العبيط) يعرف الصحيح ، فأننا نضع الحق والمسؤولية واللوم على « العقلاء » ! فيتحول العبيط الى مرشد والى مفتاح رمز ايجابي للتغيير . (مع ملاحظة ان تقسيم الناس الى مريض وسوي لا يجسد التقسيم الاجتماعي ــ الاقتصادي في المجتمع ، بل يتجاوزه) .

٢ ــ العبيط (كشخص غير سوي ومريض) متحرر من اي موقع انتاجي ، ولذا من السهل عليه تجاوز مصالح « الطبقة » والارتباط بمصالح «الامة» او « الشعب » !! وساعتئذ يتحول « اخونا » الى « جودو » المنتظر !

٣ ــ العبيط ، كمريض عقلي أو نفسي ، متحرر من اوامر ونواهي المجتمع وكوابح الاراده الواعية ، ولذا فهو يمثل الصدق التلقائي الساذج وضمير الناس ولسان حالهم !

ان اختبار هذه « الاجتهادات » مشروط بسمات المرض العقلي والنفسي .. وحيث ان معظم المعتوهين والبلهاء يعانون من نوبات صرعية ، فأننا لا نلمس اي اشاره الى هذه النوبات في التاريخ المرضي (فلاش باك) او في الحدث المحوري واللقطات المساعدة . وبغض النظر عن قصدية الكاتب ، فأن ربعي المدهون وتوفيق فياض قدما مريضين نفسيين ، مما فسح في المجال لاستخدامهما كمفاتيح رمزية ايجابية . والجدول التالي يبين فائدة هذا التمايز بين المرض العقلي والنفسي :

السمة	الامراض العقلية	الامراض النفسية
الشخصية	مضطربة	مترابطة
التفكير	اضطراب شامل في التفكير والتحكم ومجرى التفكير	سليم
الادراك	مضطرب ومشوش	غير مضطرب
التعرف بالمكان والزمان	غير سليم	سليم
الاتصال بالعالم الخارجي	مضطرب	هناك اتصال ما
الاستبصار	مشوش	موجود

الاطار العام
تماثل وافتراق

وقبل الدخول في سلسلة من المقارنات بين القصتين ، فأن تلخيص الاطار العام، في تماثله وتقاطعه وافتراقه ، يساعدنا على الاتصال من العناوين الى التفاصيل ، بعد ان يضع في ايدينا المفاصل الاساسية للعمل .

الرقم	الاطار	ابله خان يونس	البهلول
١-	الشخصية المحورية	الابله دلول	البهلول سليم
٢-	الفعل المحوري	الاستشهاد امام مجنزرة اسرائيلية	مهاجمة دورية اسرائيلية والاستشهاد

Digitized by Birzeit University Library

٣-	علاقة الشخصية المحورية بسكان المخيم	مؤشرات قليلة	علاقة يومية وحية ومتبادلة
٤-	علاقة الشخصية المحورية برواد المقهى	علاقة عداء ضمني	علاقة عداء مكشوف
٥-	علاقة رواد المقهى بالشخصية المحورية	علاقة سخرية	علاقة سخرية
٦-	رد فعل الشخصية المحورية	الاستسلام على مضض لطلبات الرواد في استخدامه كمادة للتسلية والترفيه الصدفة	يبول على الجالسين ويورطهم في اشتباك مع دورية اسرائيلية فينتقم لنفسه
٧-	مبررات الفعل المحوري		الماضي السياسي وحب الانتقام من رواد المقهى وتطور شخصية البهلول
٨-	العلاقة مع المرأة	عابرة	وطيدة
٩-	المقهى	مقهى (ابو درويش)	مقهى « سعيد الزرعيني »
١٠-	المكان	مخيم خان يونس	مخيم جنين
١١-	الزمان	بعد احتلال قطاع غزه	بعد احتلال الضفة
١٢-	مسار تطور الفعل المحوري	تدريب - تعليقات - صدفة	بصاق على الدورية الاسرائيلية قذف حجر على الدورية مهاجمة الدورية بالكلاشنكوف. (بصاق - حجر - بندقية)

الفعل المحوري

ان تجاوز التناول الذهني للشخصيات يتطلب بالاساس ، تقديمها الى القارىء بلحمها ودمها ، وتبرير سلوكها وخطواتها وفعلها المحوري . واذا كانت الشخصية من نوع الابله والبهلول ، فانها تتطلب تبريرا مضاعفا في فعلها اليومي وفي ايحاءات ورموز هذا الفعل . فالشخصيات المصدومة ، التي تتميز علاقتها مع الواقع بشرخ معلن ، لا تفقد خاصيتها الواقعية عندما تنتقل الى العمل الفني ، ولكنها بذات الوقت لا تنتقل الى الفن بخواصها الواقعية . انها تنتقل اليه ، وتستقر فيه ، وفق شروط وخواص العمل الفني ذاتـــه .

توفيق فياض في « البهلول » هندس حوادث قصته باحكام ، حتى يقنع القارىء بالفعل المحوري . لم يعط البهلول خاصية القداسة ، ونزع عنـــه ثوب الريادة ، ورفض أن يكون مجرد عبيط ككل العبطاء . البهلول متميز ، وينطلق تميزه من خاصية ماضيه ومن تجربته التي تتفتح وتنمو . ولكن توفيق لم يحجز الفعل المحوري في مبررات الماضي ، الكافية ، على اي حال ، لتبرير افعال انتقامية تتناسق معها . وخرج من سقف الماضي عندما درج مع بطله في اشكال مجابهة الدورية الاسرائيلية .

وبدون علاقة العداء بين « البهلول » و « المقهى » لم يكن بالامكان تبرير الحدث ، وتسلسله وصولا الى الفعل المحوري . فالبهلول يرغب في اهانة سعيد الزرعيني « ابو كرش » صاحب المقهى ، ومحمود « ابو شنب » الذي «لا ينفك عن تفتيل شنبه المعطر امام الذاهبة والآتية من صبايا المخيم » ولذا اقدم البهلول على « الفعل الاول » الذي هو فاتحة الفعل المحوري :

« وفي سورة غضبه ذات يوم ، صعد سليم البهلول فوق سطح المقهى .

Digitized by Birzeit University Library

شمر قمبازه القصير المهلهل ، وبال عليهم دون ان يحسب لما سيحل به بعد ذلك من حساب . وكان هم سليم كله ان « يقل » قيمتهم ، وان يشعرهم بأنهم ليسوا رجالا ، لانهم لا يثورون لرجولتهم الا عندما يكون الامر متعلقا به .. اما عندما يضربهم الجنود الاسرائيليون ويشتمونهم ، فلا احد منهم يجرؤ على رفع راسه ، بل ينسلون كل الى بيته كالنعاج » . ص ٩٥ .

ان هذا الفعل ــ الانتقامي ، كان فاتحة التفكير بمشروع انتقامي اكبر لاذلال « ابو كرش » و « ابو شنب » . وهو مدخل نقل التعامل مع دورية العدو من « البصاق » الى « الحجر » . فرجم دورية العدو والاختفاء ، يسبب لرواد المقهى وصاحبه « عقوبة ممتازة » ، وتبين الفقرات الثلاث التالية الفكرة والتنفيذ والعقوبة :

- فرك يديه وعيناه تجولان الطريق حوله ، فوقع بصره على حجر كبير مدور . انفرجت شفتاه . سال اللعاب من بسمته . تقدم نحوه . نظر حواليه بغافل المارة . انحنى عليه . التقطه . دسه في عبه وانطلق . (ص ٩٨)
- اصاب الحجر احد الجنود في راسه ، فأطلق صرخة رهيبة اطارت قلب سليم من الهلع . ارتعشت ساقاه . امسك بالجدار . (ص ٩٨)
- وقبل ان يصحو « ابو كرش » لنفسه ، وينهض للاستفسار عما حدث بلهجته المتهلقة ، كان الجنود قد قفزوا من السيارة ورحوا يعملون بالجالسين اعقاب بنادقهم واحذيتهم الثقيلة ، دون اي سؤال . (ص ٩٩)

لقد حقق « البهلول » ، من خلال قذف الدورية بالحجر ، تدمير الوظيفة الانتظارية للمقهى ، واسقط بضربة واحدة مفهوم التفرج على الاحتلال بدلا من مقاومته . وبذات الوقت ، فان هذا الحدث ، بمقدار ما اشاع مناخا جديدا في المخيم والمقهى ، فانه فتح الطريق امام البهلول ذاته للارتقاء باشكال مقاومة الدوريات الاسرائيلية . تقدم البهلول خطوة الى الامام ، عندما انتقل من البصاق الى الحجر ، وكان عليه ان يقطع المسافة بين الحجر والبندقية . وهذا بالضبط ، ما دفع توفيق فياض ، الى الاستعانة بكل المبررات دفعة واحدة للوصول الى هذا الاختيار ، الطريق والرمز . فاستعان بماضي البهلول « الشيوعي ايام الاردن » ، وحكايات سجنه في جنين ، وعلاقته بغطوم زوجة رفيق طريقه ، وانتقاداته وتعريته للشيخ عبد الرحيم الذي « يتلصص على افخاذ الحاجة وفية من شقوق باب الدار وهي تجلس خلف « لجن » الغسيل نصف عارية » .

الارض ممهدة اذا امام البهلول لترك الحجر واستخدام البندقية . وعندما شرع في الفعل المحوري ، ظن الناس ان « ابو شنب » هو البطل الذي ينتقم لقص شنبه ولسجنه . البعض اكد « ان سليم البهلول كان يتنقل من زقاق الى زقاق كالنمر ، والرصاص يتدافع من بندقيته الرشاشة نحو الجنود كالشهب » . وعندما جر الجنود الاسرائيليون الشيخ عبد الرحيم الى المقبرة ليتعرف على جثة الشهيد « مد يده ليكشف عن وجهه ، فطالعته بسمة سليم البهلول » .

« اما فاطمة ، فتروي الجارات عنها ، انها عندما خرجت تلبي نداء سليم البهلول وهو يخر شهيدا على عتبة بيتها ، قدت الثوب عليه ، وراحت تزغرد وتزغرد ، حتى بعد ان جرها الجنود من شعرها المحلول وغابوا بها » . (ص ١١٤)

وهكذا نجد ان الفعل المحوري في البهلول اخذ مسارا تدريجيا ومنطقيا متصاعدا

Digitized by Birzeit University Library

(بصاق ــ حجر ــ كلاشنكوف) ، وحقق عند الذروة (الاستشهاد) مفاتيح مخيم جنين اللاحق : مخيم فطوم التي جروها من شعرها وستخرج ذات يوم ، مخيم الشيخ عبد الرحيم الذي اخذ صدمة كافية لتغيير مجرى حياته ، مخيم ابو شنب الذي ما زال الناس ينتظـرون دوره ، فاذا لم يكن ضد الاحتلال ، فمن اجل ان يثـأر لنفسه ولشنبه الذي قصـوه .

اذا كان هذا هو حال البهلول ، فكيف تصرف الابله ؟!

بادىء ذي بدء ، الابله يختلف تماما عن البهلول . فالابله ، ككل البلهاء ، ليس محكوما بماض مجيد ، وليس محاطا بشبكة من العلاقات التي تساعد على تكثيف شخصيته واستنباط دلالات سلوكه ، وعلاقته بالمكان علاقة تسمية ، وليس علاقة تفاعل يومي حي ومتبادل . فنحن امام ابله ، ككل البلهاء ، يسخر منه رواد مقهى « ابو درويش » ويقضون وقتهم معه ، بالاستمتاع بوصلاته الراقصة فوق الطاولة ، « والمنظر الاول يا دلول » .

ورغم علاقة العداء الضمنية بين دلول ورواد المقهى ، الا اننا لا نلمس هذا العداء بواقعة او خاطرة انتقام . اذ يقفز المقطع الثاني في القصة الى « التدريب » ليدلل على ان (دلول) يعرف استخدام البندقية . ويفترض السياق المنطقي ان يستخدم هذا التدليل كتمهيد للفعل المحوري ، الذي لم يتم . فاطلاق النار على المجنزرة بالآر.بي.جي لم يكن من فعل (دلول) ، وانما من فعل «الفدائي» الذي يحتل لغة « الأنا » في السرد . واصبح الفعل المحوري ، متضمن في دلالة الاستشهاد ، والمفتاح الرمزي لجملة (دلول) قبل اسدال ستار الموت على جسده « حسبت ان العصايه بتنفع وهالوقت اعرفت الصحيح » .

ان « اللقطات » السريعة للقصة ، قدمت الابله في فعل محوري دون تعليل كاف ، مما يجعلها تقترب من القصة الذهنية . ولا يقلل من قيمة هذا الاستنتاج ان الابله « تصرف هكذا ! » . فلماذا تصرف هكذا فنيا ؟! وليس القارىء أو الناقد معنيا بصحة وجود « دلول » او بعدم صحة وجوده ، حيث يجري التعامل معه من خلال النص (القصة) وليس من خلال وقائع الحياة .

ولذا فأن الفعل المحوري في البهلول ، يجد مبرراته وناسه وحوادثه وجوه ، بينما يقف عاريا في الابله ، بسبب عدم التطابق بين اختيار الكاتب واختيار بطـل القصـــة .

المكـــان

ارض الفعل المحوري

المكان في القصتين هو الارض التي يتحقق فيها وبها الفعل المحوري . ودرجة الاضاءة لهذا المكان او جوانب منه ، ترجع الى اختيار الكاتب ، والى تقديره بأن هذه الاضاءة تساعد في بلورة شخصية البطل وفعله . وليس محتما القول بأن على الكاتب ان يتناول كذا وكذا ، بينما المطلوب مناقشة العمل الفني من داخله وفق اختيارات الكاتب ومعايير النقـد .

المقهى محطة رئيسية رمزية في « البهلول » و « ابله خان يونس » . ورغم تماثل الاطار ، فأن النكهة المميزة بين مقهى مخيم جنين (مقهى سعيد الزرعيني) ومقهى خان يونس (مقهى ابو درويش) ، لا تستند فقط على الاصول الواقعية للتمايز ، وانما وبالاساس على اسلوب التناول الفني للمقهى .

الرجال في مقهى «سعيد الزرعيني» يرتدون المنامات المقلمة ، ويجلسون على كراسي القش الملون ، ويحتسون الشاي الدبسي المتواتر على الطاولات الواطئة المشققة الجرباء، وينحنون برقة والفة عجيبتين على خراطيم النراجيل المهدبة ،

Digitized by Birzeit University Library

ويلعبون العشرة الطيبة والشيش بيش .

اما الرجال في مقهى « ابو درويش » فقد تدلت عيونهم ذبلى تبحث عن تسلية قبل اسدال الستار على برنامجهم اليومي .. وكفى ! حيث ينتقل الكاتب مباشرة الى حدث زيارة دلول ورقصة على الطاولة .

مقهى «سعيد الزرعيني» يشدنا اليه ، برشاقة الوصف ، وحيوية الحياة فيه ، وبنماذجه وتحديدا « ابو كرش » و « ابو شنب » . وعلاوة على ذلك ، فرواده وهم يسابقون الشيش بيش والعشرة الطيبة ، يتجولون في السياسة يثرثرون عن الفدائيين والحرب على قناة السويس . انهم يتقدمون الى القارىء والناقد كنماذج حية ، وبدون حيويتها وحياتها ، يفقد الفعل المحوري مبرره التعليمي والنقدي . البهلول يعلم المقهى ويقوده الى الخلاص ، ولكن اي مقهى ؟! وهنا تبرز مجددا اهمية الاضاءة للمقهى ، كمحطة رئيسية للرمز .

المخيم مكان آخر يساعد في تكثيف دلالة الرمز ، والنماذج التي يستهدفها . فنماذج المخيم ليست دائما هي نماذج المقهى . المقهى بقعة صغيرة في محيط اوسع واشمل . يمثله في جوانب منه ويفترق عنه في الكثير . مخيم جنين يحضر في «البهلول» ويغيب مخيم خان يونس عن « الابله » . الاول في حضوره قدم مادة مساعدة ، والثاني في غيابه ساعد على الوصول الى الفعل المحوري بسرعة ، دون اغناء .

اين يعيش الابلـــه ؟

ابن يعيش البهلول ؟

بعد ثالث للمكان ، جرى تجاهله في الابله ، واصبح حيا وموحيا في البهلول ، اذ لولا هذا البعد الثالث ، لما وصلنا الى فطوم وزوجها (الشيوعي) . ولما وصلنا الى كهف سليم البهلول ، ولما تمكن توفيق فياض من اغناء هذه الشخصية واعطائها نكهـة خاصة .

قد يقول قائل ان تجاهل ربعي المدهون للمقهى والمخيم وسكن الابله ، ينطلق من كونها « معروفة » ضمنا ، او ربما عادية ، وان المهم هو الفعل المحوري . يجوز ذلك دون شك ، الا ان تجربة « البهلول » وفيما يتعلق بالبهلول نفسه ، استندت على هذه الامكنة الثلاثة ، وقدمت فعلا محوريا ، تساوى من حيث النتيجة مع الابله ، في الايحاء التعليمي والنقدي ، وان حافظ كل واحد على طابعه الخاص ومقوماته الخاصـــة .

الشخصية ككل موحد
من السمات

انطلق ربعي المدهون في صياغة قصته من التكثيف ــ الجزئيات ــ التكثيف ، بينما سار توفيق فياض على نهج جزئيات ــ تكثيف ــ جزئيات . وفي الحالتين نحن امام نموذج غير سوي اجتماعيا ، دون ان يعني ذلك تلف واعطاب كافة العمليات العقلية والعلاقات الاجتماعية .

نعم نحن امام ابله وبهلول .

نعم نحن امام شخصيات غير سوية .

نعم نحن امام شخصيات مصـــدومة .

وعلى الكاتب تتوقف ، وفق مقتضيات القصة ، تقديم هذه الشخصية متكاملة او منقوصـــة .

ربعي المدهون قدمها ناقصة . هل هذا الاختيار يتلاءم مع فنية القصة ؟ توفيق فياض قدمها متكاملة . هل هذا الاختيار يتلاءم مع فنية القصة ؟ وهل

Digitized by Birzeit University Library

يحقق غرضا للكاتب ؟

«بهلول» توفيق فياض نعرفه ، نعيش معه ، نحسه ككائن حي ، اجتماعي سياسي . « ابله » ربعي نلتقط واحدا من مفاتيحه ويضيع علينا الباقي .

«بهلول» توفيق فياض نعرف احلامه وامانيه ، نعرف ماضيه وحياته ، نعرف مأكله ومسكنه ومشربه . نعرف مقومات شخصيته ، بالقدر الـذي اعطانا اياها الكـاتب .

في «البهلول» نحن امام شخصية ، وفي «الابله» نحن امام موقف. الشخصية الاولى مهدت لموقفها ، والموقف الثاني صاغ اختياره مباشرة وترك الرد على السؤال للقـارىء والنـاقد .

ايهما يقدم الافضـل ؟!

لا مفاضلة بين «الابله» «والبهلول» . كل واحد قدم اختياره ومضى . كل واحد صاغ اختياره ومضى . «البهلول» اعطانا دسم الحياة وصار بطلا . «الابله» اعطانا لقطه من الحياة وغدا بطلا . وبين الحياه واللقطة حقل شاسع من التجارب والمعاناة والوقـائع .

اللغة عند توفيق فياض في « البهلول » رشيقة ، جميلة ، وموحية . التقطيع الحدثي في منطقيته وتسلسله ، مهد الى الفعل المحوري ، وغدا شهادة حية على شعب يرفض الانقراض تحت نعال الاحتلال ، ويرفض التفرج على مصيره . الزمان والمكان بقعة اضاءة على شخصية «البهلول» ، الذي اصبح رمزا ، كشجرة اهتزت بعض فروعها ، وظلت تقاوم الاحتلال وهي واقفة . المعاناة اعادت خلق «البهلول» فصار طريقا وريادة . وهكذا صرنا نعرف خارطة «بهلول» مخيم جنين ، بمقدار ما نعرف خارطة الوطن ، الهم والخلاص .

Digitized by Birzeit University Library

عن الحلم والشعر والثورة*

سيد خميس

في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ؛ أعاد الشاعر الثائر العظيم عبد الله النديم اكتشاف الشعر العامي المصري (الزجل) كأداة تحريضية للجماهير المصرية العريضة في المدن الصغرى والقرى ، كي تنفض عن كاهلها الاستغلال والجهل والتخلف .. الثالوث الذي لفه حولها باحكام التحالف الشركسي ــ الاوروبي الحاكم عن طريق قوانينه ، ورجال دينه ، وعسسه وعساكره ، ومصارفه الربوية ، وعلاقات القهر الموروثة !

كانت هذه الجماهير المسحوقة والتي تشكل لحم الوطن ودمه المستنزفين لصالح الطبقة الحاكمة وملحقاتها ، هي بعينها مادة الثورة التي كان يحضر لها ويعمل على نشر افكارها بعض (الرجال العرب الصغار) الذين وعوا ضرورة الثورة على يد ذلك الافغاني الغامض جمال الدين الذي هبط على القاهرة كأعصار فكري يوزع السعوط بيمناه والثورة بيسراه كما كانوا يصفونه ، تاركا مجالس الاشراف ، والكبار الصغار » الذين كان يؤمن بأنهم وحدهم القادرين على اشعال الثورة البرجوازية الاولى في مصر ..

كانوا خليطا من طلاب الازهر وعلمائه الصغار الذين ورثوا انتفاضات اسلافهم القريبين ضد الاستعمار الفرنسي والذين وعوا اهمية المعرفة الحديثة التي وصلتهم عن طريق الفرنسيين الغازيين ثم عن طريق بعثات عصر محمد علي التنويرية وعن الاشتراكيين الطوباويين الذين جاءوا ليبنوا الجسور والقناطر لتنظيم النيل .

وقد انضم الى تلك المجموعة رجال في مثل اوضاعهم قدموا من « الشام » هربا

★ مقدمة ديوان زين العابدين فؤاد « الحلم في السجن » وسيصدر قريبا عن دار ابن خلدون في بيروت .

Digitized by Birzeit University Library

من العسف العثماني وحملوا معهم افكارا هامة وانقلابية عن الحرية والمساواة والعودة الى الجذور والعلمانية ..

وما نعنيه بمصطلح « الرجال الصغار » هنا لا يعود الى سن الشباب التى كان الجميع حولها ، ولكننا نعني به ، ذلك الانسان الذي كان يقف بين الطبقة الحاكمة غريبة الوجه واليد واللسان ، وبين الطبقات المحكومة التي انكفأت على ذاتها تجتر مخزونها من الثقافة الشعبية والمعتقدات التقليدية ، التي تخلط فيها العناصر الاصيلة والواعية والرافضة للاستغلال بالعناصر السلبية المحبطة والمذرة بعذاب النار وبئس القرار لكل من يتمرد على القدر المكتوب !

هذا الرجل الصغير الذي عليه ان يحضر للثورة القادمة — ايامها — في مصر وغيرها من أجزاء الوطن العربى ، كان قد دخل الى عالم المعرفة الحديثة وادركته افكار عصر التنوير لسبب او لآخر ، ربما بالصدفة الطيبة ، وربما لان بعض الحاكمين توسم فيه تابعا مخلصا .. او كان ابنا لاحد صغار التجار اتاحت له أموال ابيه ان ينهل من العلم بالقدر الذي يمكنه من ادارة اتجارة ومسك الدفاتر .

لكن هؤلاء « الرجال الصغار » لعبوا الى جانب دورهم التنويري دورا آخر بالغ الاهمية يعنينا هنا ان نؤكد عليه ، ونحن بصدد رسم الخلفية السياسية والفنية لهذا الديوان الشعري العامى للشاعر المصري المناضل « زين العابدين فؤاد » الذى أعده امتدادا اصيلا وثوريا لهؤلاء الرجال الصغار سواء في ابداعاتهم الفنية او في دورهم النضالي .

هذا الدور الهام الذي لعبه هؤلاء الرجال هو المحافظة على العناصر الاصيلة والفاعلة فى التراث العربى بمعناه الشامل ... فقد كانت ابداعات هؤلاء الرجال الصغار — طوال عصور انحطاط الثقافة الرسمية — مخزنا لكل ما ابدعته العقرية من فنون ، وما تأثرت به من ثقافات ، اعادوا انتاجها في اشكال ادبية وفنية وتأليفية جديدة : الف ليلة وليلة ، السير الشعبية ، مسرحيات خيال الظل ، التمثيليات المرتجلة ، السير والاناشيد والاقاصيص الدينية ، كتب السحر والتنجيم وتفسير الاحلام والطب الشعبى ، كتب التاريخ الشعبى والرحلات الحقيقية والخيالية ..

لقد استفادوا من العلم الرسمي طريقته فى التأليف والتنظيم والتبويب ، واتخذوا مادة تآليفهم من تراث الشعب وحياته ، فأنتجوا مركبا رائعا وفنا عظيما ، ما زال المثقفون الدارسون للاسف بعيدين عنه بحثا واستلهاما رغم انه يشكل الجانب الغنى والعظيم الدلالة فى تراثنا والذي لن تكتمل الرؤية الثورية الشاملة لقضية التراث ، دون العكوف على كنوزه ، واعادة دراسته فى ضوء المنهج العلمى الحقيقى الذي يربط بين هذا الجانب من التراث وبين التراث الشعبي والشفوي والتراث

Digitized by Birzeit University Library

المدون الرسمي ، والى ان يتم ذلك ستظل رؤيتنا لقضية التراث رؤية برجوازية تخاف ما يمثله تراث الشعب ومثقفيه الصغار او تتعالى عليه ، وسنظل ككتاب وشعراء وفنانين ، نعاني من عدم التواصل الفعال مع جماهيرنا الحقيقية، هذا التواصل الذي حققه هؤلاء المبدعون الذين ما زال دورهم مجهولا !

لقد كان الشعر العامي او «الزجل» هو الشكل الشعري المفضل لهؤلاء الرجال الذين آثروا كل حسب ظروفه ان يتوجهوا بشعرهم الى الجماهير العريضة المحرومة من الفن والمعرفة . وكان هؤلاء الشعراء ، متجولين في الغالب ، ومغنين في معظم الاحيان .. والتجوال والغناء تقاليد ارتبطت بنشأة هذا اللون من الفنون القولية ، منذ اكتشاف مغني قرطبة المتجول العربيد « ابن قزمان » للزجل حوالي القرن الحادي عشر الميلادي ، وانتقد بواسطته اعمق ما في التراث الاندلسي من قيم فنية وفكرية ليؤثر عن طريقه في شعر اوروبا العصر الوسيط تأثيرات جذرية ، ما زالت تعلن عن نفسها في اعمال كبار الشعراء الاوروبيين المعاصرين .

عبدالله النديم : عودة الشعر العامي للجماهير .

عندما قرر « عبدالله النديم » ان يصبح الشعر العامي اداته الرئيسية للتحريض على الثورة ، كان ينتزع بذلك من ايدي الطبقات الجديدة في مصر (العمد والاعيان ، وحكام الاقاليم ، والتجار الكبار والمتوسطين) احد وسائلهم الاعلامية في تضليل الجماهير ، وكسبها خلفهم في معركتهم الطبقية الهادفة لنيل حيزا اوسع في السلطة والسوق المحليين . كانت هذه الطبقة قد نمت بعد تفكك نظام محمد علي واستطاعت ان تجد لها مكانا عن طريق مصاهرة الشراكسة ومشاركة الرأسمالية التجارية الاوروبية . وكانت تنظر لنفسها كطبقة (وطنية) آل اليها الكثير من انجازات محمد علي في الصناعة والزراعة والثقافة ، لكن الجيش والادارة العليا والتجارة الخارجية ما زالت بعيدة المنال عليها ، ولا طريق لانتزاعها كليا او جزئيا من يد التحالف الشركسي — الاوروبي بغير حشد الفلاحين وصغار التجار عن طريق المثقفين الشعبيين للقيام بدور محدد سلفا هو تدعيم سراة البلاد واعيانها للحصول على النصيب الهام في السلطة والسوق !

كان (شاهين باشا) حاكم اقليم الغربية المع رموز هذه الطبقة ، وكان موقعه كحاكم لاقليم يتوسط دلتا النيل ، ولمدينة تشهد كل عام — وبعد بيع المحاصيل الرئيسية وخاصة القطن — مهرجانا شعبيا ضخما يحج اليه عشرات الالوف من كل انحاء القطر لينفقوا النقود ويشترون ما يلزم للعام القادم ويستمتعون بالفن الشعبي ويسألون صاحب المولد (السيد البدوي) العون والبركة !

وضمن برنامج الاحتفالات كان شاهين باشا وكبار الاعيان والتجار يقيمون

Digitized by Birzeit University Library

سرادقا ضخما تجري فيه لليال متعددة (مباريات زجلية) يحضر اليها الزجالون من انحاء البلاد ، يحولون لهجة الحياة اليومية الى الاعيب لفظية تبهر جماهير الفلاحين وتجعلهم يكدون اذهانهم لحفظ بعضها كي يرددوه عندما يعودون الى قراهم ليفاخروا من لم يحضر تلك المباريات بما حملوه من خيرات المدينة وثقافتها !

في احد الاعوام دخل « النديم » الى سرادق حاكم الاقليم الذي عمت شهرته انحاء الوادي .

كان النديم في ذلك الوقت جواب آفاق يحمل في قلبه شرارة الثورة ، ويحمل في وعيه غيظا مكتوما من ذلك التهريج والتدجيل الذي يحدث في مولد « البدوي ».. لقد تحول « البدوي » على يد الطبقات المسيطرة الى مسخ ترجى بركاته ، كما تحول الشعر الى الاعيب والغاز .

كان النديم يعرف ان « السيد البدوي » جاء الى مصر داعية شيعيا واقام تنظيما سريا قويا بعيدا عن العاصمة . وكان يلتقي بانصاره على سطوح المنازل بعيدا عن اعين السلطة (اذلك سمي اتباعه بالسطوحيين) . وكان هو واتباعه يتظاهرون بالشرود والفقر صرفا للظنون والشكوك ..

لقد تحول دور الداعية السياسي الى خزعبلات لتخدير الجماهير .. وكان طموح « النديم » ان يعيد الجماهير للوعي عن طريق الزجل الذي يحبونه ويفهمونه . ولكي يحدث هذا كان لا بد وان ينتصر على الزجالين المتبارين .. وهزمهم جميعا لينفرد بالقول ، وليصنع من انشوده دينية يرددها الجمهور بلا وعي ليعدد معجزات السيد البدوي — ليصنع من هذه الانشودة (الاله الله يا بدوي جاب اليسرا) هجائية ساخرة ضد الاجانب والاتراك والمرابين والخرافات والتخلف .. وما حدث في ذلك اليوم كان نقطة تحول في حياة الشاعر الجوال الذي يحمل الثورة في قلبه ، فقد تأكد من قدرته على التأثير والتحريض . وقرر ان يمضي بقصائده في طريق الثورة القادمة ..

وعندما فشلت الثورة العرابية ، وخانها من خان من قادتها ، واستكرها ، ووقعت البلاد تحت سيطرة الاحتلال الانكليزي .. عاش النديم تسع سنوات مختفيا بين جماهيره من الفلاحين وهو المطلوب للاعدام !

لقد اصبح « النديم » مدرسة في النضال والثقافة الثورية في مصر .. مدرسة ترى ان ثورة لا ترتبط بأوسع الجماهير الشعبية محكوم عليها بالفشل ، وان ثقافة لا تستلهم تراث هذه الجماهير محكوم عليها بالعزلة .

Digitized by Birzeit University Library

الستينيات وظاهرة شعر العامية المصرية :

في الستينات تكونت في القاهرة جماعة « ابن عروس » من الشعراء صلاح جاهين ، عبد الرحمن الابنودي ، سيد حجاب وكاتب هذه السطور كباحث وناقد ..

وابن عروس الذي تسمت الجماعة باسمه شاعر شعبي متمرد كان يتعرض لقوائل وثروات الحكّام والاغنياء هو ورجاله ليوزعها على الفقراء .

لكن الجماعة التي كونت كانت ترى في النديم اباها الثوري ، واستطاعت ظاهرة الشعر العامي ان تفرض نفسها على الحركة الثقافية في مصر وان يمتد صيتها الى اجزاء كثيرة في الوطن العربي .

وعندما اعيد النظر الآن في تقييم تلك الظاهرة ، اسباب نشأتها ، توجهاتها ، دورها الابداعي والنضالي ، حاضرها ومستقبلها .. عندما اعيد النظر بعد ثمانية عشر عاما استطيع ان اسجل بعض الملاحظات القابلة للحوار والتي بحاجة الى دراسة اوسع واشمل ليس هنا مجالها وان كانت المسؤولية السياسية والنية تحتم علي طرحها كشهادة من كاتب عاصرها ودعا لها وبشر بها وتتبع بداب خطوات شعرائها .. هذه الملاحظات يمكن تركيزها كالتالي :

— تبلورت ظاهرة « شعر العامية المصرية » — وهو الاسم الذي رسخناه من خلال معارك نقدية طويلة ومريرة — كرد فعل سياسي على « الحصار العروبي البرجوازي » الذي اخذ في معظمه شكل الارهاب الفكري والفني .. لقد دفع المناضلون المصريون ثمنا غاليا وباهظا لانهم كانوا يرون قضية الوحدة والقومية من منظور يخالف رؤية البرجوازية المتجددة لها ..

ولقد صاحب هذا الارهاب العروبي البرجوازي للمثقفين الثوريين انتكاس سياسي وفني للشعر الجديد المكتوب بالفصحى في مصر .. ومن يراجع اشعار صلاح عبد الصبور وعبد المعطي حجازي ، وهما مع شاعرين مصريين وقتها ، يجدهما طافحين بالاحساس بالندم ولوم الذات عند حجازي والبحث عن خلاص مسيحي واعلان افلاس الفكر عند عبد الصبور .. لم يكن قد مضى اكثر من عام على فخر صلاح عبد الصبور العلني على صفحات مجلة « الآداب » البيروتية بأنه وفتية من اصدقائه المؤمنين بالمادية الجدلية يرون ان نبع الشعر الحقيقي هو هموم الحياة اليومية !.. وكان ديوانه الاول « الناس في بلادي » اقترابا حميما من بسطاء الناس واكتشافا رائدا للشعر في حياتهم . ولم يكن قد مضى غير عام او اكثر على دعوة عبد المعطي حجازي الملهمة « لكي يكون شعرنا غناء شعبيا » على صفحات

Digitized by Birzeit University Library

مجلة « الهدف » القاهرية ! وكان ديوان حجازي الاول عن المدينة التي بـلا قلب ، غنـاء ريفيـا جميـلا !

لكن العام الفاصل بين الالتحام بالناس كمادة للشعر وكجمهور له وبين الندب الحزين والضبابي .. او اعلان ان السأم والملل والاحباط هـم حـظ الانسـان من الحياة .. هذا العام الفاصل كان عاما حاسما في تاريخ مصر السياسي والثقافي.. كان عام البطش الاعمى بخمسـة آلاف مـن خيـرة ابنـاء مصر مـن شيوعيين وديمقراطـيين ..

واذا كانت كتابات الرفاق طاهر عبد الحكيم ، وفتحي عبد الفتاح ، ود . عبد العظيم انيس ، وابراهيم عبد الحليم ، ود . شريف حتاته ، والهامي سيف النصر ، ومعين بسيسو ، ومصطفى طيبة ، قد رسمت صورة سنوات الاعتقال الخمس ٥٩ — ١٩٦٤ من زوايا مختلفة ، فان صورة السنوات الخمس في الخارج لم ترسم بعد ..

لقد كنا وقتها مجموعات صغيرة افلتت من السجن لصغر سنها او لقرب عهدها بالنضال الثوري .. كانت هذه المجموعات الصغيرة تحاول تحت اقسى الظروف ان تلم شملها لتواصل طريق الذين غيبوا في (بير بلا سلم) كما كتب سيد حجـاب في احدى قصائده ايامها ..

وكان الشعر العامي احد وسائلنا في النضال السياسي والفني . وكان موقع صلاح جاهين ايامها في دار « روز اليوسف » ثم في « الاهرام » يشكل لنا نافـذة جماهيرية هامة ، ولم يمض عام حتى كان عدد الشعراء الموهوبـين الذيـن يكتبون بالعامية وبتوجه شعبي ثوري يزيد على العشرين .. وحتى اصبح شعر العاميـة والدراسات المتعلقة به مادة مطلوبة في بعض الصحف ، وملعونـة ومحاصرة فـي الصحف الاخرى .. وكان يشترك في اللعنة والحصار الشعراء التقليديـون وكتبة الانظمة ، الذين راحوا يحذرون من خطر هذا الشعر على الوحدة والقومية وتحالف الشعب العامل .. ومن نافلة القول التذكير بأن هؤلاء انفسهم هم الذين يرجمـون منذ سنوات العروبة والناصرية بكل احجار الطريـق ..

واشترك الكتاب والمثقفون المستنيرون مع السفلة وكتبة كل نظام في التحذير من الظاهرة وشرح ابعادها السياسية ، لانها كانت تذكرهم بالطريق الذي تنكبوه ايثارا للسلامـة والسلطـة !

— كانت ظاهرة « شعر العامية المصرية » ترفع شعار عودة الشعر للناس ، وكانت ترى في « النديم » كما قلت ابا فنيا لها ، ورحنا ندرس اعمال ابـن دانيال ، والابلاتي ، ثم بيرم التونسي العظيم ، وبديع خيري ، وفؤاد حداد ، بالاضافة الـى

Digitized by Birzeit University Library

شعر المدرسة الجديدة في الشعر العربي ، والشعر العالمي ، والتراث الشعبي .. لكن ما لم ننتبه له هو الانزلاق التدريجي الى الطريق المسدود الذي وصل اليه كثير من شعراء الفصحى الجدد ، طريق ما يسمى بالشعر الصافي ، واصبحت بعض القصائد المكتوبة بالعامية تحتاج من قارئها جهدا في تلقي اي قصيدة اخرى .. ونسي كثير من شعراء العامية الهدف الاول من اختيار لغة الحياة اليومية كوسيلة للتعبير الشعري ، فأصبحت قصائدهم كقصائد غيرهم غموضا !

الى ان جاء « نجم » ليعيد للشعر العامي ضرورته وليرجع به الى طريق عبد الله النديم وبيرم التونسي .. ذلك الطريق الذي لا يأخذ من الجماهير لهجة حديثها اليومي اداة لشعره فقط ، ولكن يقف وسطها وينظر بعينيها ويفكر بطريقتها بعد ان يوحد بين مكتسباته الثقافية والفنية وبين رؤية تلك الجماهير للحياة والثورة والشعر .

يكاد ديوان الشاعر الفاضل زين العابدين فؤاد الذي بين ايدينا — وهو ديوانه الثاني — يكاد يكون تسجيلا دقيقا لكل القضايا التي حاولت الاشارة اليها في هذه المقدمة ، وان بدت تلك القضايا بعيدة بعض الشيء وعمومية الى حد ما . لكن خوفنا كجيل من المثقفين الثوريين من ان تضيع بعض الاشياء وان يفقدنا الصراع المرير الذي نخوضه بعض الامور التي يجب الا تغيب عن وعينا ، بالاضافة الى حرصنا على التواصل المجدي مع كل المثقفين الثوريين في وطننا العربي ، دفعني الى هذا الحديث بشجونه لعله يصلح مدخلا لتذوق شعر هذا الشاعر الذي تلتقي في قصائد ديوانه المتنوعة والغنية في مجملها والتائهة والعادية في القليل منها .. تلتقي برصد شعري دقيق لكل ما اثرت اليه ..

فالشعر عند زين العابدين فؤاد مرتبط بالثورة وبالجماهير مثلما كانت اشعار « النديم » مع اختلاف في نوعية الجماهير والثورة .. فالجماهير هنا هي الطلاب والمثقفين في الاساس .. همومهم ، احلامهم ، نضالاتهم وتضحياتهم ، بينما يظل العمال والفلاحون والجنود اقرب الى الاطار الزخرفي للوحة يكملها ولكنه لا يكون صلب مادتها ..

والشاعر في ذلك صادق مع تجربته الحياتية والثقافية ، فهو مناضل طلابي (مزمن) .. عرفته في العام ١٩٦٢ وهو يتحسس طريقه — باصرار — الى الشعر والثورة .. كان ايامها طالبا في السنة الاولى بكلية الهندسة جامعة القاهرة ، ومنذ ذلك الوقت وحياته وشعره مرتبطان بالنضال الطلابي .. ترك الهندسة ودخل الجيش مجندا ، وعاد للجامعة ليدرس الفلسفة ، الى ان تخرج منذ اعوام قليلة واصبح مدرسا للفلسفة في احدى المدارس الثانوية ، وهو الآن في انتظار المحاكمة كأحد المتهمين على التحريض والتنظيم للانتفاضة الشعبية المجيدة في يناير ١٩٧٧ .

Digitized by Birzeit University Library

وقد ارتبط اسم زين العابدين فؤاد كمناضل بعودة الروح للحركة الثورية الجديدة في العام ١٩٦٨ ، وتعبير عودة الروح هنا تعبير مجازي ، فروح الثورة الاشتراكية لم تغب رغم القرار — الجريمة بحل التنظيمات الشيوعية في مصر ، فمن البديهي ان العمل الثوري لا ينتهي بقرار كما لا يبدأ بقرار ، لكن تلك قصة اخرى... وما يهمنا هنا هو الاشارة الى ان شاعرنا زين العابدين فؤاد واحد من المثقفين الثوريين الذين تمثلت فيهم ظاهرة استمرار الحركة الثورية رغم كل الصعوبات الموضوعية والذاتية الى ان جاءت لحظة الولادة التي يصورها الشاعر مستعينا بالموروث الشعبي والديني والنضالي ليعطينا احساسا حادا بقوة هذا الوليد الذي شاركت في خلقه الطبيعة برعدها ومطرها وسماها ، وارض مصر بعشاقها الشهداء ، ودمهم المسفوح تحت سنابك الخيل ، وويلات الحرب ، وحزن التاريخ :

تحبل جناين مصر ، بالهموم
تجري خيول الدم ، في الشقوق
تتمزع الهدوم
تعلا طبول الطلق ، في العروق
تعلا وتحلى الولادة
نخرج بدم الخلاص ..
نملا الشوارع اغاني
نملا الاغاني ، رصاص .

لقد جاءت الولادة الجديدة في الواقع السياسي الطلابي عبر لقاء خصب وخلاق بين جيل الشاعر الذي يحمل شعلة الثورة الاشتراكية داخله في اصرار وبين جيل اصغر عرف طريقه الى الوعي الثوري الجذري عبر صراعات ايديولوجية داخل منظمات الشباب الناصرية ، وبين جيل في مثل عمرهم من الفلسطينيين الذين اشتعلت ثورتهم مضيفة البندقية كأداة للتحرر الطبقي والوطني ..

لقد كان هذا المركب الثوري درعا حمى هؤلاء الشباب من وقع الهزيمة العلقم ، فلم يستمتعوا مازوكيا بايذاء النفس ، ولم يتعايشوا سلميا مع العنة والاحباط كما فعل آخرون ، ولكنهم راحوا يعلنون بغضب سوي : ادانة الخيانة والهزيمة في اعنف تظاهرات طلابية عرفتها مصر بعد ١٩٥٢ ، تلك التظاهرات التي انتقلت عدواها عبر البحر الابيض الى فرنسا وايطاليا ليشتعل العالم كله بثورة جيل يرفض الوصاية الثورية والاساليب التقليدية للنضال، ويعلن العنف الثوري ردا على العنف السلطوي:

احلى غنا كان غنانا
خرسه الرصاص المصدي

Digitized by Birzeit University Library

اعلي يا راية الادانة
قيدي شموسك في يدي
واحنا صحاب البلد دي ..

لقد ادركت الحركة الثورية الجديدة بعدها القومي التقدمي ممثلا في الثورة الفلسطينية ، وادركت ان البرجوازيات العربية لن تستطيع ان تنجز شيئا للوطن والشعب ، حتى تلك الشعارات الديماغوجية التي بررت بها اضطهاد القوى الثورية.

ومنذ العام ١٩٧١ ادركت الحركة الثورية الجديدة في مصر ان قضية تحرير الارض العربية والانسان العربي قضيتها هي ، وان خلق حزب الطبقة العاملة الثوري هو اول الطريق الصحيح لانجاز تلك المهمات ..

ومنذ العام ١٩٧١ دخل زين العابدين فؤاد السجن اربع مرات .. وتكاد قصائد الديوان تكون يوميات شاعر سجين يحلم بالحرية ويغني لها من اجل مواصلة النضال لتحرير شعبه وامته ..

لقد تزوج الشاعر من كاتبة فلسطينية مناضلة من نابلس المحتلة ، وعن طريق حبيبته وزوجته « بسمة حلاوة » اطل عميقا على التفاصيل الرائعة لنضال الشعب الفلسطيني البطل ، لينسج من تلك المعرفة اغنية على لحن فولكلوري قديم يعيد صياغته برؤياه الجديدة مخاطبا حبيبته :

والله وسكرتيني
يا ليله
جبتي الباورد لاحمر
وسكرتيني
والله وحيرتيني
يا ليله
ورقصتي بالخنجر
ما علمتيني
من يافا خدتيني لرملة سينا
والرملة تحسب لي شهوري سنيني
وسنيني واقفة بيارات عريانة
نابلس بعيدة والعرب عطشانة
والنيل مسافر جنبي ما بيروينى .

لم تكن سنوات السجن بلا ثمن ، فما نماه الشاعر وزملاؤه منذ اللجنة الوطنية العليا للطلاب حتى الانتفاضة الشعبية المجيدة ، تلك التي اقسم « السادات » انه لن

Digitized by Birzeit University Library

ينساها ولو بعد مائة عام .. قد اصبحت الحركة الثورية الجديدة بفصائلها المختلفة والساعية الى وحدة حقيقية تتخطى كل سلبيات التوحيد الفوقي الملفق ، اصبحت هذه الحركة ملكا لجماهير العمال والطلاب والمثقفين الثوريين والفلاحين الفقراء الذين لا يناضلون بقرار ولا يتوقفون عن النضال باستفتاء ! (مين اللي يقدر ساعة يحبس مصر ؟!) .

في اشعار زين العابدين التي نطالع القارىء في هذا الديوان اصداء لافضل انجازات الشعر العربي والعالمي المعاصرين ، وفي هذا الشعر كثير مما انجزته وبلورته حركة شعر العامية المصرية ، وتصمد بعض القصائد للمقارنة مع اعمال الشعراء الكبار مثل قصيدة « الاغنية الثانية الى باسمة » ..

واذا كان هذا المستوى العالي من الابداع الذي حققه الشاعر في بعض القصائد ايجابية تحسب له لربطه بين شعر العامية المصرية وبين اشعار نيرودا وحكمت ولوركا والبياتي والسياب .. فان في استمرار هذا التوجه منزلق خطر نخاف على الشاعر منه .. اذ يحصر جمهور شعره في المثقفين ومتذوقي الشعر فقط ، وعندها تسقط ضرورة الكتابة بلهجة الحياة اليومية ، ولا يعني هذا بالطبع ان الكتابة بالعامية يجب وبالضرورة ان ترتبط بالمباشرة والتحريض والسهولة غير الشعرية ، ولكنه يعني اعادة النظر في امرين اساسيين بالنسبة لهذا النوع من الشعر خاصة والشعر الثوري عامة وهما :

— مصدر الشعر ومادته .

— جمهور الشاعر

فمهمة الشاعر الثوري في الاساس هي اكتشاف الشعر في حياة الطبقات الشعبية عن طريق مزج رؤيته الخاصة برؤية هذه القطاعات العريضة المبدعة للحياة والفن .

ان اللهجة العامية ليست اداة منفصلة عن جوهر الشعر ولكنها لحم هذا الشعر ودمه ، والقراءة الفنية لتراث الشعب الشعري ولاعمال الشعراء الذين وعوا ذلك تؤكد هذه القضية بوضوح لا اظنه غائبا عن شاعرنا .

اما بالنسبة للجمهور فاظنه يوافقني على ان السبب السياسي الذي خضنا المعارك والصراعات من اجل تثبته هو حق الجماهير الواسعة ان يكون لها شعرها وهي المحرومة من الخبز والثقافة معا ..

Digitized by Birzeit University Library

ان مراجعة ثورية لقضية هذا الشعر واجب ملقى على عاتق الشاعر « زين العابدين » وزملائه من الشعراء المناضلين : زكي عمر ، صبري زرد ، أسامة الغزولي ، محمد سيف ، نجيب شهاب الدين ، ابراهيم رضوان ، حمدي عيد ، وغيرهم ممن لا تسعفني الذاكرة بأسمائهم ، ومن الذين لم أسعد بمعرفة اشعارهم بعد ، والذين تحول الردة الثقافية والفنية التي تعيشها مصر دون وصول اصواتهم بعيدا عن اماكنهم ..

وهم قادرون بلا شك على هذا الانجاز الهام ليعطوا شعبهم ترياقا ضد سموم الاعلام الرسمي ، وليعيدوا للشعر العامي وجهه الثوري الذي كشف عنه الشاعر الثائر عبد الله الذديم منذ مائة عام .

موسوعة الفولكلور الفلسطيني

اعداد : نمر سرحان

صدرت الأجزاء : الأول ، الثاني ، الثالث ، والرابع

تطلب من

في لبنان : مؤسسة نوفل ـ بناية مركز الأطباء ـ جانب مستشفى الجامعة الأميركية ـ بيروت

سوريا : مكتبة النوري ـ دمشق

الاردن : مكتبة رامي ـ أكرم ابو شنب ـ شارع الخيام ـ عمان

أو من رئاسة الموسوعة : عمان / الاردن ص. ب. : ٣٠٠٤

Digitized by Birzeit University Library

الدكتور بندلي صليبا الجوزي

١٨٧١ - ١٩٤٢

نصري الجوزي

انه لمن دواعي سروري ، بمناسبة الاحتفال بذكرى الاستاذ بندلي جوزي في موسكو وبيروت بالتعاون بين معهد الاستشراق السوفياتي التابع لاكاديمية العلوم السوفستية واتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، ان اكتب مقدمة وجيزة لكتاب عمي الراحل « **من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام** » ، الذي تم طبعه في مدينة القدس الشريف ، عام ١٩٢٨ . وان انقل الى القارىء العربي صورة واضحة عن حياته ، وآثاره **القلمية** ، **وافكاره التحررية** ، **التي نشرها** اثناء زياراته للوطن الام فلسطين .

ولد **بندلي صليبا جوزي** في مدينة القدس ، في ٢ تموز عام ١٨٧١ وتلقى علومه الابتدائية ، وقسما من الدروس الثانوية ، في دير الاشارة الصليبي المعروف « **بدير المصلبة** » القسم الشرقي من القدس ، وتابع دراسته في مدرسة **تغطين** في طرابلس الشام — لبنان .

ذهب الى روسيا عام ١٨٩١ ، لاستكمال علومه اللاهوتية ، وبعد أن درس ثلاث سنوات في الاكاديمية الدينية في موسكو عزف عن الموضوع ، وانتقل الى **اكاديمية قازان** ، عام ١٨٩٥ ، ومنها حصل على ماجستير في اللغة العربية والدراسات الاسلامية ، عام ١٨٩٩ ، وكان موضوع اطروحته « **المعتزلة** » — البحث الكلامي التاريخي في الاسلام .

زار موطن راسه فلسطين عام ١٩٠٠ عازما على البقاء فيها ، بيد انه عندما راى الحالة وما وصلت اليه من فقر ، وجهل وضغط على الحريات ، أخذ ينبه الناس وينتقد الاوضاع القائمة ، مما حدا بالسلطة التركية ان تجبره على مغادرة فلسطين، والعودة الى روسيا .

تزوج عام ١٩٠٣ من **ليودميلا لورنيشيفنا زويفا** ، المولودة عام ١٨٨٠ ، حسب التقويم الروسي القديم ، فانجبت له سبعة اولاد ، ثلاثة ذكور واربع اناث ، ما يزالون يحتفظون بجنسيتهم الروسية ، ويحتلون مراكز مرموقة في الجامعات السوفيتية وهم :

Digitized by Birzeit University Library

١ ــ **فلاديمير** ، ولد عام ١٩٠٤ ، حائز على درجة دكتوراه في الفيزياء ، بروفسور في **جامعة باكو** .

٢ ــ **انستاسيا** : مولودة عام ١٩٠٥ ، حائزة على درجة دكتوراه في الجغرافية ، استاذة في **جامعة موسكو** ، وبواسطتها حصلت على المعلومات الوافية عن عمي .

٣ ــ **تامارا** : مولودة عام ١٩٠٩ ، دكتورة في الكيمياء ، استاذة في فرعها .

٤ ــ **بوريس** : مولود عام ١٩١٣ ، عالم جيولوجي .

٥ ــ **اولفا** : مولودة عام ١٩١٥ ، متخصصة في علم الاحياء .

٦ ــ **الكسندرا** : تخصصت في فقه اللغة ، وتوفيت عام ١٩٣١ .

٧ ــ **جورج** : ولد عام ١٩١١ ، عالم جيولوجي ، قتل في الحرب العالمية الثانية ، من عام ١٩٤٢ .

وفي عام ١٩٠٩ سافر عمي الى الشرق الادنى ، في بعثة علمية لمدة سنة كاملة ، وكان يشرف ، خلالها ، على رحلة الطلبة الروس الى فلسطين .

ولدت في نهاية عام ١٩٠٨ ، وعندما وصل عمي مع رحلة الطلاب الى القدس ، كان عرابي في المعمودية فاخذ والداي يفكران في الاسم الذي سيطلقانه على « بأذا نسمي هذا الولد ؟ » ، واخذا يرددان اسماء روسية يونانية ، كانت سائدة آنذاك ، فانبرى عمي وقال لابي « لماذا نظل نسير في ركاب الارساليات حتى في الاسماء ؟ » وسماني نصري .

حدا بي الى ذكر هذه الحادثة ما تساءل به الكثيرون من الاصدقاء والكتاب والباحثين عن سبب تسمية عمي بـ « بندلي » ، وما معنى هذا الاسم ! ومن اين جاء ؟

كانت بعض الدول الغربية ، في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، قد تسللت الى المنطقة العربية ، حفاظا على الطوائف المسيحية ظاهرا ، ومحاولة لاقتسام تركة « الرجل المريض » ــ اي الامبراطورية العثمانية ــ باطنا . فاخذت فرنسا تحاول ان تفرض نفسها حامية للمسيحيين الكاثوليك ، بينما نصبت روسيا القيصرية نفسها حامية للمسيحيين الارثوذوكس ، وراحت تبسط نفوذها وسيطرتها على لبنان وفلسطين ، فاسست الجمعية **الفلسطينية ــ الروسية** ، المدارس في سوريا ، ولبنان وفلسطين .

Digitized by Birzeit University Library

وبواسطة المدارس والجمعيات الروسية ، والافريقية ، والانكليزية ، والالمانية ، والايطالية ، بتنا نتعرف على اسماء اجنبية غريبة مثل : بيير ، جان ، كلود ، فرنسوا ، جوزفين ، الخ ... كما نقل الروس الى المنطقة اسماء القديسين والقديسات ، مثل : قسطنطين ، هيلانة ، اسبر (اسبيريدون) ، صليبا ، بندلي ، بندلايمون (١) الخ ...

وفي ذلك الحفل الذي اقامه لي والداي ، بسبب المعمودية ، عام ١٩٠٩ ، قال عمي ما معناه :

حان الوقت الذي نترك فيه الاسماء الاجنبية ، التي لا تلائم بيئتنا ، ونلجأ الى الاسماء العربية ، الطريفة ، ذات المعاني العميقة .

وبين الاعوام ١٩١١ ــ ١٩١٧ ، عين استاذا مساعدا للشريعة الاسلامية ، في كلية الحقوق في مدينة قازان ، ثم رأس كرسي الآداب واللغة العربية في **جامعة باكو** ، عام ١٩٢٠ .

وفي عام ١٩٢٨ ، برح به الحنين الى مسقط رأسه فلسطين ، فشد الرحال وجاء الى القدس ، ليقيم في بيت اخيه ، والدي ، وطبع كتابه الذي احدث صدى كبيرا آنذ :

« من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام »

الجـــزء الاول

من تاريخ الحركات الاجتماعية .

وقف على طبع الكتاب صديقه المربي الكبير المرحوم **خليل السكاكيني** .

طبع الكتاب في مطبعة بيت المقدس ــ القدس ، لصاحبها الياس واندريا فشحور وذلك في ١٠ آب سنة ١٩٢٨ .

وقد اهدى عمي الكتاب

« الى الشبيبة العربية الناهضة » ،

.....

بندلايمون : اسم قديس يوناني ، عمل الصالحات ، وهدى الناس الى عمل البر ، ومعناه الرجل « الناصح » ، من فعل نصح ، ينصح .

Digitized by Birzeit University Library

« الى الذين حرروا عقولهم من تأثير الخرافات الاجتماعية والدينية والقومية »
« الى اصحاب العقول السليمة والضمائر الحية ، اهدي هذا الجزء من كتابي »
« من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام » .

القدس الشريف في ١٠ آب ١٩٢٨ .

واثناء اقامته في القدس — فلسطين، قام بنشاط واسع لتوعية الشعب العربي الفلسطيني على ما يحاك له في الخفاء ، والمصير الذي ستؤول اليه فلسطين ان لم يتداركها ابناؤها ، ويعملوا على سد الثغرات الواسعة القائمة وقتئذ ، ويهبوا من ذلك السبات العميق ، الذي كانوا يغطون فيه .

وقد ذكر الاستاذ المرحوم محمد علي الطاهر صاحب صحيفة « الشورى » وكانت تصدر بالقاهرة المؤرخة في ٢٦ ديسمبر ١٩٢٨ ، قال :

« كتب الينا ان العلامة الفلسطيني الاستاذ **بندلي الجوزي** قد وصل الى باكو في الروسيا ، واخذ يباشر اعماله التدريسية في جامعاتها ، وينشغل الاستاذ الآن بوضع كتابه الثاني (**الحركات الفكرية السياسية في الاسلام**) ، ليكون تتمة لكتابه القيم (في تاريخ الحركات الاجتماعية في الاسلام) الذي طبع في الصيف الماضي . وعلقت الصحيفة « انه ليعز ابناء فلسطين وابناء العربية جميعا ان تتمكن العصابة الصهيونية بفلسطين من حرمان وطن الاستاذ ومسقط راسه من الانتفاع بعلمه وفضله ، لقد عاد الاستاذ الى دار الغربة حزينا كئيبا ولا شك ، وكيف لا يكتئب ولا يحزن ، وهو يرى وطنه وقد اصبح نهبا مقسما بين اطماع فئة طرات تحكم غير بلادها ، وتتصرف في غير ديارها » .

وقد ذكرت مصادر عديدة انه قام بنشاط واسع ضد الانتداب البريطاني ، مما اضطر السلطات المنتدبة الى الطلب اليه ان يغادر فلسطين.. وواقع الامر ان عوامل عديدة حالت دون بقائه في القدس ، منها الانتداب البريطاني ، وجل زعماء العرب الفلسطينيين الذين كانوا يخافون على كراسيهم وسيطرتهم على الجماعات الساذجة، التي كانوا يسيرونها حسب اهوائهم . وكما لم يسلم من وشايات بعض المتزعمين الذين اعتبروا افكاره التحررية الثورية بدعة من البدع ، عليهم ان يحاربوها . اما اليهود المقيمون في فلسطين وخارجها فقد ادركوا الخطر ، بل الاخطار ، التي ستنجم عن وهج هذه الشعلة المتوقدة ، والافكار التحررية ، فدسوا له مع الداسين لدى السلطات البريطانية .

وحينما كان يجتمع بالوفود العربية ، التي كانت تاتي لزيارته ، والتسليم عليه، كان ، رحمه الله ، يقول لهم :

Digitized by Birzeit University Library

« ليت العرب يعملون ويعملون ، ويقللون من الثرثرة والكلام الفارغ » .

وكان دائما يحاول ، باسلوبه العلمي ، ان يبين للوفود ما يحاك من المؤمرات في سبيل تهويد فلسطين ، ويقول لهم :

« افيقوا من هذا السبات العميق ، واعملوا من اجل بقاء فلسطين عربيـة ، فالطريـق شـاق ، والعـدو مخاتل خـداع » .

وكم كان يحدثنا ، نحن ابناء اخيه ، على انفراد ، ويقول لنا « ان بليـة الشرق هم زعماؤها يتمسكـون بالكـراسي ، ويغريـهم الاصفـر الرنـان ، ويهملـون المصلحـة العامـة » .

وذات مساء دخلت حاملا صينية القهوة لاقدمها للضيوف في منزلـنا بالقدس ، وكانوا كثرا ، فرايت الشرر يتطاير من عيني عمي ، وهـو يـزرع ارض الغرفـة جيئـة وذهابـا ، ويقـول :

« لماذا هذا التعصيد ، وانتم تقارعون عدوا قويا ، له حيله واساليبه . الدين لله والوطن للجميع . انتم العرب ، من مسلمين ومسيحيين ، تتنشقون نفس الهواء ، وتشربون ذات المياه ، وتأكلون من خيرات امكم الارض . ولا تختلفون في العادات ، والتقاليـد ، والتفكيـر ، واللغـة » .

وبعدها يعود الى مقعده ، ويبتسم ، ثم يضحك ضحكة مجلجلة ، ويقول :
« كلكـم فـي الشـرق زعمـاء » .

وخلال زيارته لمسقط راسه ، فلسطين ، في سنتي ١٩٢٨ و ١٩٣٠ ، القـى الدكتور **بندلي الجوزي** سلسلة من المحاضرات الاجتماعية والفلسفية والتحررية ، في نوادي وجمعيات امهات المدن الفلسطينية ، كان لها الوقع الحسن بـين الشباب ، ونبهت الى الاخطار المستقبلة ، التي تتقظر الامة العربية ، ان هي لم تبادر الى خلع رداء الذل والعبودية ، ومصارعة الاستعمار ، بجميع اشكاله ، والتيقظ للدسائس والمؤامرات التي تحاك ضد نهضة العرب ، وتقدمهـم . كما كـان يدعـو الى نبذ الخلافات ، والعمل صفـا واحـدا متراصـا .

درس في **معهد الحقوق بالقدس** ، ولا يزال الاحـياء مـن طلابـه يذكـرون محاضراته الحقوقية بالاطراء ، ويذكرون انه كان يخوض معهم موضـوع حقـوق الانسان ، وما يجب ان يعمله في سبيل حفظ تلك الحقوق .

Digitized by Birzeit University Library

وكان من اصدقائه الخلص ، الذين كان يلتقي بهم يوميا ، المربي الكبير المرحوم **خليل السكاكيني** ، والكاتب المعروف المرحوم **عادل جبر** ، وقد رافقاه في زيارته الى مدينة القاهرة ، للتعرف على الاوضاع القائمة هناك . كما كان يتحلق حوله في **قهوة « الصعاليك »** (١) ، الواقعة في باب الخليل بالقدس الشريف ، عدد كبير من الادباء والكتاب والشبان يستمعون الى آرائه ، ويسألونه العديد من الاسئلة ، التي تخطر على بالهم .

تقاعد بندلي جوزي في تشرين الاول عام ١٩٣٨ اثر مرض القلب الذي لازمه بين الاعوام ١٩٣٣ و ١٩٣٧ ، وتوفي ودفن في باكو ، بعد نزيف دماغي ، في ٢٠ كانون الثاني عام ١٩٤٢ .

والى جانب لغة آبائه واجداده واللغة الروسية التي أصبحت لغة اصيلة ثانية له ، كان المرحوم يتقن — كما جاء في النشرة التي ارسلتها **جامعة باكو** — اللغات الآتية : الافرنسية ، والانكليزية ، والالمانية ، والاغريقية (اي اليونانية القديمة) ، والتركية ، والفارسية ، والاذرباجانية ، وكان يجيد ايضا ، اللاتينية ، واليونانية ، والعبرانية ، ويقرأ بطلاقة ، الايطالية والاسبانية .

مؤلفاته :

١) **اللغة الروسية للعرب** . جزء ١ و ٢ ، قازان ، ١٨٩٨ ـ ١٨٩٩ .
٢) **المعتزلة ـ البحث الكلامي التاريخي في الاسلام** . قازان ، ١٨٩٩ .
٣) **تحفة العروس في لغة الروس** . جزء ١ و ٢ ، قازان ، ١٩٠٣ .
٤) **محمد المكي ومحمد المدني** . قازان ، ١٩٠٣ .
٥) **الامومة عند العرب** . ترجمة عن ديكلف الهولندي ، قازان ، ١٩٠٣ .
٦) **تاريخ كنيسة اورشليم** . قازان ، ١٩١٠ .
٧) **جبل لبنان ـ تاريخه وحالته الحاضرة** . قازان ، ١٩١٤ .
٨) **البحث في القرآن** . قازان ، ١٩١٤ .
٩) **المسلمون في روسيا ومستقبلهم** . قازان ، ١٩١٧ .
١٠) **كتاب فتوح البلدان للبلاذري** . (ترجمة) . باكو ، ١٩٢٧ .

(١) اطلق عليها هذا الاسم خليل السكاكيني ، الذي لقب نفسه شيخ الصعاليك .

Digitized by Birzeit University Library

١١) تاريخ اليعقوبي · (ترجمة روسية) ، باكو ، ١٩٢٧ ·

١٢) من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام · القدس ، ١٩٢٨ ·

١٣) الشؤون الانكليزية المصرية · باكو ، ١٩٣٠ ·

١٤) امراء غسان · بالاشتراك مع الدكتور قسطنطين زريق ،
ترجمة عن المستشرق الالماني نولدكه ، بيروت ، ١٩٣٣ ·

١٥) تاريخ حياة الفارابي وتلخيص نظامه الفلسفي ، باكو ، د·ت ··

وله غير ما ذكرنا من الكتب ، كتب اخرى ، يزيد مجموعها عن ١٥ كتابا ، عدا عن المخطوطات باللغتين العربية والروسية · وهناك محاولة جادة للسفر الى روسيا ، من اجل تصوير المخطوطات التي لها مساس بالعالم العربي .

وقد صدر عن اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين بالاشتراك مع دار الطليعة ببيروت ، كتاب بعنوان « **بندلي صليبا الجوزي ـ دراسات في اللغة والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي عند العرب** » ، قام بجمع مواده وتقديمه الاستاذان **جلال السيد وناجي علوش** · جمعا فيه المقالات المبعثرة في الصحف والمجلات ، وتكبدا المشاق العديدة للرجوع، بذلك ، الى اعداد قديمة من المجلات العربيةالعديدة.

وكم كان بودي الا اتعرض للسرقات الادبية ، التي يقوم بها بعض طلاب الشهرة ، وضعيفي الاخلاق ، الذين ينشرون مقالات كاملة لعمي المرحوم بندلي ، ويرصعونها باسمائهم ، كما ان احدهم ، وهو استاذ تاريخ في احدى الجامعات المعروفة في الشرق العربي ، قد نشر كتاب **(من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام)** نصا وحرفا ، وقد زينه بغلاف جديد ، (وحلاه) باسمه ، مما حدا بي الى الكتابة لعميد الجامعة ، ورسالة خاصة الى حضرة الدكتور الفاضل . كما ان بعض دور النشر نشرت الكتاب اكثر من طبعة ، ووزعته في الاسواق ، حبا في الكسب المادي.

وحبذا لو ان « اتحادات الكتاب العرب » ، في شتى الاقطار العربية « واتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين » يشتركون في الاتحادات العالمية التي تحافظ على حقوق المؤلفين والمترجمين والكتاب . وما اجدرنا ان نكون اعضاء في هذه الاتحادات ، حتى تخف السرقات الادبية ، ويقف ذوو النفوس الضعيفة عند حدهم ويطبق بحقهم قانون المحاكم .

هذه لمحة وجيزة عن عمي المرحوم **بندلي صليبا الجوزي** ، الذي كان له فضل الريادة في طرق موضوعات علمية تاريخية ، على اساس العامل الاقتصادي والاجتماعي ، مما فتح امام الباحثين والمؤرخين ، بعدما يزيد عن ٤٥ عاما ، من طرق نفس الموضوعات مستعينين ، او مقتبسين عن كتابه ((**من تاريخ الحركات الفكرية في**

Digitized by Birzeit University Library

الاسلام » . كما انه صحح الكثير من آراء وابحاث المستشرقين ، الذيـن تخبطوا : خبط عشواء ، وتجنوا على الشرق والعرب . وفي هذا الصدد يقول عمي :

« ان هؤلاء المؤرخين بنوا احكامهم ونظرياتهم على تاريخ العرب وحده ، اذ لم يكونوا يعرفون من تاريخ الشرق الا الشيء اليسير ، سهل علينا والحالة هـذه ان ندرك مقدار ما في اقوال بعض مؤرخي الغرب عن الشرق . وتاريخـه من الغرابة والطيش ، فهل من طيش اكبر من ان يقول احدهم :

« انه لم يكن ولن يكون للامم الشرقية تاريخ ، بمعنى هذه الكلمة المعروفة بين علماء اوروبا ، وان اساليب البحث التاريخي ، التي وضعها علماء الغرب ، لا يمكن ان تطبـق علـى تاريـخ الشرق » .

واية غرابة ، او بالاحرى اي جهل ، اعظم من ان يقال :

« ان العوامل المؤثرة في تاريخ الامم الاوروبية ، والنواميس العمومية الفاعلة في حياتهم الاجتماعية هي غير العوامل والنواميس العاملة في تاريخ الامـم الشرقية وحياتـهم وثقافتـهم » .

وخلاصة القول ان بندلي جوزي كـان احـد الرواد الذيـن عملوا على توعية العر بالتخلص من العادات البالية ، والخرافات المستحوذة على النفوس ، وللثورة علـى النظم المجحفة ، والاستعمار البغيض ، الـذي كـان ، ولا يزال ، يعمل لتفرقة صفـوف العـرب في شتـى اوطانهـم .

كما كان يدعو الى الوحدة العربية ، ويهيب بالزعماء ان يتناسـوا خلافاتهم ، وحزازاتهم ، ويعملوا في سبيل المصلحة العامة ، كما كان يبين لهم الاخطار المحيقـة بهم ، والجهود التي يبذلها المستعمر في سبيل تحقيق اهدافه واغراضه . وما اشبه اليـوم بالامس القريـب .

Digitized by Birzeit University Library

شؤون فلسطينية

مجلة علمية مختصة بالقضية الفلسطينية

رئيس التحرير : محمود درويش

المجلة الفكرية الاولى لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ·

يكتب فيها مجموعة من كبار الكتاب والمختصين في القضية الفلسطينية · /٢٢٠/ صفحة من القطع الكبير تقدم مقالات ودراسات وبحوثا في الشؤون السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية للقضية الفلسطينية وللشعب الفلسطيني ، الى جانب ملحق ادبي والابواب الشهرية الثابتة والمراجعات والتقارير والرسائل والمؤتمرات التي تسجل الاحداث والنشاطات المختلفة · توزع على جميع اقطار العالم ، وخاصة العالم العربي ·

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٦٠ ل·ل· في لبنان وسوريا ، ٧٥ ل·ل· في سائر الاقطار العربية ، ١٠٠ ل·ل· في اوروبا ، ١٢٥ ل·ل· في بقية بلدان العالم ·

ترسل طلبات الاشتراكات الى : مجلة « شؤون فلسطينية » ـ ص·ب ١٦٩١ بيروت ـ لبنان ·

Digitized by Birzeit University Library

غسّان كنفاني:

صحافي يبحث عن فلسطين

ظلّ يتوهّج، ويتوتر، حتى انفجر

الياس سحّاب

جيل غسان كنفاني

للصحافة في كل عصر، وفي كل بلد، « مدرسة » يتخرج منها صحفيو ذلك البلد البارزون، في فترة ما. فصحافة فرنسا في الخمسينات والستينات — مثلا — تخرج صحفيوها البارزون من أجواء معركة تحرير فرنسا من جحافل هتلر. ففترة الاحتلال الالماني لفرنسا، كانت هي المدرسة الوطنية والسياسية الكبرى التي فرزت « المقاومين » عن « المتعاونين » في كل الميادين، بما في ذلك ميدان الصحافة. وعلى أساس هذا الفرز، الغيت امتيازات صحفية قديمة، وصدرت امتيازات جديدة. فكان فرسان الصحافة الفرنسية الجديدة في الجمهورية الرابعة، بالذات، هم من فرسان المقاومة الفرنسية الوطنية ضد الاحتلال النازي.

وعلى نفس المنوال، بشكل او بآخر، كانت الصحافة العربية تتلقى فرسانها البارزين في كل فترة من ساحة من الساحات. ففي فترة كان تيار الصحوة القومية المبكرة، في اواخر ايام الامبراطورية العثمانية هو الذي يغذي الصحافة العربية بفرسانها البارزين. وفي فترة تالية، كانت المعارك الادبية والفكرية هي المدرسة التي يتدفق منها الكتاب على الصحافة. وبعد ذلك، كانت معارك الاستقلال ضد فرنسا وانجلترا، هي التي وضعت بصماتها على الصحافة والصحافيين، سواء في ذلك « المقاومون » منهم او « المتعاونون ».

وفي اواخر الخمسينات، كان الشباب العربي الذي وصل الى اواخر العقد الثاني او اوائل العقد الثالث من عمره، قد تشرب في عقله واحساسه وجلده، بدرجة او بأخرى، ذكريات فقدان الوطن، بعقل عجز الحكام عن مجرد التفكير

Digitized by Birzeit University Library

بتحدي السلطة الاجنبية ، راى بام عينيه ، وسمع ملء اذنيه ، وعايش بكل احاسيسه ، الحاكم الذي يقول للاستعمار لا ، في قضايا بالغة الحساسية ، وينجح ، مرة في تجسيد آراء الجماهير الكادحة البسيطة ، ومرة في فرض هذه الارادة فرضا نهائيا ثابتا .

وبينما كانت الوحدة العربية بالنسبة للاجيال السابقة اناشيد تردد في المدارس ، قدر لجيل الخمسينات ان يسير في مواكبها ، ويرافق ايامها وسنواتها التاريخية ، لحظة بلحظة .

لقد لخص احد ابناء جيل ما قبل الخمسينات الكثافة والعمق الوجداني لهذه الفترة الفريدة في التاريخ العربي المعاصر ، بقوله لولده ما معناه : « يا ولدي ، لقد كان الواحد منا مقهورا بالذل امام الاجنبي ، لدرجة انه كان مستعدا ليدفع عمره ثمنا ليوم عز واحد . وها انتم تعيشون وقفات العز ، يوما بعد يوم ، وسنة بعد سنة . ليتكم عانيتم بعض ما عانينا ، لتعرفوا قيمة ما انتم فيه اليوم » .

صحافة الخمسينات والستينات

من هذه الارض الرجراجة الفوارة الواعدة ، انطلقت جحافل جيل الخمسينات والستينات من الشباب العربي ، في حلقة مرارة الماضي ، وفي يديه زمام الحاضر ، وامام عينيه كل احتمالات المستقبل . من هنا كان ابناء هذا الجيل ينطلقون في صفوف تميزها الحماسة ، قدر ما تميزها الفوضى ، ويميزها الاصرار قدر ما يميزها الاندفاع ، ويميزها الحب الكبير للمستقبل ، قدر ما يميزها البغض الكبير للماضي ، يميزها التسامح كما تميزها الحدة . فهو جيل لديه كلام كبير يقوله ،

Digitized by Birzeit University Library

وعواطف كبيره يعبر عنها ، ولكن ادواته ما تزال بدائية ، طرية العود . يريد ان يحتضن الدنيا بأسرها ، ولكن ذراعيه صغيرتان . يريد ان يركض بأقصى سرعته ، ولكن قوى الشر كانت قد زرعت طريقه ، سلفا ، بكل انواع الالغام ، المنظور منها وغير المنظور . بين صفوف هؤلاء المندفعين ، كان شاب نحيل العود مشدود العصب متوتر المزاج . هاجر مع من هاجروا من فلسطين واستقر فترة في دمشق ، يدرس ويدرس ، وسافر مع من سافروا الى الخليج (الكويت) طلبا للرزق ، واستقر ، اخيرا ، مع من استقروا في بيروت ، حيث ميدان التحدي فسيح امام كل من يجد في نفسه القدرة على اقتحامه ، وايجاد موطىء قدم فيه .

في هذه الفترة ، كانت الصحافة اللبنانية (او بتعبير ادق الصحافة في لبنان) تشهد طفرة جديدة ، بعد ان كانت صحافة العهد الاستقلالي الاول قد اعطت كل ما عندها ، وبدات نجومها تخبو ، نجما بعد اخر ، وبدأت قدراتها وتطلعاتها اعجز من ان تستوعب المد العارم ، الذي اغرق امبراطوريتي الاستعمار القديم (فرنسا وبريطانيا) في مياه السويس ، فانفتحت ابواب الصحافة امام الجيل الجديد المندفع المتلهف ، الذي يحس انه ، اخيرا ، امسك بمصير امته بين يديه .

هذه الفترة الصحفية تميزت بنوع من الصحفيين كان غسان كنفاني نموذجا متألقا من نماذجهم .

كانت الصحافة ، في لبنان بالذات ، تمر بمرحلة وسطى بين الكتابة الذاتية المطلقة ، حيث اسم الكاتب هو عنوان المقال الصحفي ، وانطباعاته الشخصية عن اي شيء هي المادة الصحفية الرئيسية ، وبين الكتابة المتخصصة ، التي نعرفها اليوم ، حيث نجد التخصصات المتعددة حتى في اطار الموضوع الواحد ، ففي المقال السياسي ، تتفرع التخصصات بين السياسة المحلية ، والسياسة العربية والسياسية الدولية .

في هذه الفترة المتوسطة ، كانت ملامح الكتابة المتخصصة قد بدات تظهر في صفحات الصحف اليومية والمجلات ، ولكن اطقم الصحفيين المتخصصين لم تكن قد اكتملت بعد ، لذلك كان مكتوبا على الصحفي الذي يريد ان يلمع ، في ذلك الوقت ، ان يكون له من ثقافته ، ومن حرارة انفعاله ، ما يؤهله ليصول ويجول في اكثر من ميدان من ميادين الكتابة الصحفية ، ثم ما يؤهله للقدرة على ملء اشداق المطبخ الصحفي ، الذي لا يشبع ، باغزر ما يكون من المادة ، واقصر ما يكون من الوقت .

لا حدود بين الادب والسياسة

وسط كل هذه الخلفيات السياسية والاجتماعية والمهنية ، كانت نقطة انطلاق غسان كنفاني في مجلة **الحرية** ، يكتب في السياسة ، وفي الصحافة الادبية .

لم يكن قد تخرج من اكاديمية لفنون الاعلام ، شأنه شأن كل فرسان الصحافة من ابناء جيله ، كانت القضية ، هي الاكاديمية التي قذفت به الى الصحافة ، من هنا **كانت الصحافة عنده هي القضية** ، فهو يكتب اي شيء تدفعه القضية الى طرحه على الورق ، بعد ذلك لم يكن الشكل يحدد سلفا ، بل كانت الافكار هي التي تختار الشكل عفويا ، مرة يكون الشكل قصة ، ومرة يكون مقالا سياسيا ، ومرة يكون مقالا ادبيا نقديا . **كان يبحث عن اقصر طريق الى فلسطين ويرى هذا الطريق في الف شكل وشكل .**

Digitized by Birzeit University Library

منذ تلك المرحلة المبكرة ، كانت كل بذور شخصية الجيل الجديد من الصحفيين العرب تتفتح تحت سن قلم **غسان كنفاني** ، **فهو صحفي حياة** ، **يكتب في كل المواضيع** ، **وهو صحفي مقاتل** ، **يعبر عن رأيه وهو يشهر سيفه في وجه الآراء المضادة** ، وخاصة تلك الاراء الدخيلة ، التي تبذر بذور الاستعمار الثقافي بين سطور عربية الشكل ، عربية القلم .

ولعل ابرز ما يختصر الروحية الصحفية التي كان **غسان كنفاني** قد بدأ يكونها لنفسه ، في تلك الفترة المبكرة ، قصته المشهورة مع دعوات الشعر الحديث ، التي كان احد التيارات الفكرية والادبية في بيروت يقدمها مصحوبة بنظرة مقال واحتقار للادب العربي (قديمه وحديثه) ، بل وانطلاقا — لدى البعض — من جهل كامل بعظمة تراث الشعر العربي ، الذي قال عنه **أراغون** ، احد اعظم الشعراء المعاصرين في العالم ، انه ربما كان اهم شيء في التراث الشعري العالمي .

يومها قام **غسان كنفاني** بالاشتراك مع **معن زيادة** (الدكتور في الفلسفة حاليا ، واستاذ الفلسفة في الجامعة اللبنانية) ، بتركيب كلام عشوائي على شكل قصيدة من « النثر الشعري الحديث » . لم يقصدا التعبير عن اي معنى . وارفقا نص « القصيدة الخنفشارية » برسالة الى المسؤول عن الصفحة الثقافية في جريدة كبيرة ، كان يمثل ويرعى ويشجع هذا التيار المحدود من الدعوة للحداثة المتوازية مع السخرية من العرب ، واعتبار العرب مغلقين على الحداثة . وكانت الرسالة — مثل « القصيدة » — مذيلة بتوقيع اسم وهمي ، ادعى **كنفاني** انه لشاب سوري من الذين يعانون من « حكم الوحدة » (ايام قيادة عبد الناصر لتجربة الجمهورية العربية المتحدة بين سوريا ومصر) ، وان هذا القهر يمنعه من الجهر بآرائه في الادب ، ونشر انتاجه من « الشعر الحديث » ، فما كان من رئيس تحرير الصفحة الادبية المذكورة ، الا ان نشر القصيدة بترحيب شديد ، مع مقدمة تعتبرها نموذجا من الادب الجيد الذي يعيش اسيرا داخل أسوار الانظمة الدكتاتورية ، ومع اعتبار الصفحة الادبية لتلك الصحيفة ملاذا لكل ادب حديث متمرد .

كانت الفضيحة واضحة الدلالات والمعاني ، فما كان من **غسان كنفاني** (**ومعن زيادة**) الا ان اكمل حلقاتها ، فكتب مقالا ، في مجلة « الآداب » البيروتية ، روي فيه تفاصيل القصة من اولها الى اخرها .

طبعا ، لم تكن روح الحداثة والدعوة للشعر الحديث هو ما اراد **كنفاني** تعريته وكشف زيفه ، في هذه المعركة الادبية البالغة الطرائة والسخرية ، بل تلك الدعوات المشبوهة للحداثة ، التي تمتزج بالتشكيك بالشخصية الاصيلة للادب العربي . ولم يكن **كنفاني** بحاجة الى دليل على انه يفرق بين حداثة اصيلة وحداثة مزيفة ، فقد كان ادبه القصصي ، بعد ذلك ، احد اروع نماذج القصة القصيرة ، في الادب العربي المعاصر ، بل احد النماذج التي كانت تفيض روح الحداثة ، شكلا ومضمونا .

ولم تغفر تلك الصحيفة ، ولا صفحتها الادبية **لغسان كنفاني** هذه الفضيحة المدوية . فقد بقيت — وهي التي وصفها الشهيد **طلال رحمة** في بحث صحفي طويل مشهور بـ « المافيا الثقافية — تتجاهل ادب **غسان كنفاني** ، حتى عندما وصل الى مستوى قال عنه الناقد الكبير **محمود امين العالم** على صفحات **المصور** ، عند صدور مجموعة « **عالم ليس لنا** » : ، انه احد اهم نماذج القصة القصيرة في الادب العربي المعاصر . مع ان هذه الصحيفة، وصفحتها الادبية كانت تهتم احيانا — ومن

Digitized by Birzeit University Library

باب ادعاء الروح الديمقراطية ــ بنماذج ادبيــة لا تتفق ابدا مــع ايديولوجيتها السياسية والثقافية ، الا ان هذه الصفحة بقيت ــ برغم ذلك ــ مغلقة على ذكر **غسان كنفاني** وادبه .

أصغر رئيس تحرير

بعد ذلك ، وما ان انتقلت صحيفة **المحرر** من شكلها الاسبوعي ، الذي صدرت فيه اولا ، الى شكلها اليومي ، الذ ي عرفت به بعد ذلك ، حتى كان **غسان كنفاني** وهو دون الثلاثين ــ احد أصغر رؤساء تحرير الصحف اليومية العربية ، بل ربما اصغرهم .

ومع طاحونة العمل في الصحافة اليومية ، تبلورت كل مواهب **غسان كنفاني** الصحفية والكتابية ، وتكشفت معها مزية جديدة ، هي مزية الجلد والغزارة .

ومرة اخرى كانت الافكار هي التي تحرق **غسان** بالمعاناة ، اما الاشكال ، كل اشكال الكتابة ، فقد كانت بالنسبة له اشبه باللعبة ، يترك واحدة ليلهو بالاخرى ، او يلهو باكثر من لعبة في آن . واذكر انني سألته في اول ايام مزاولته الصحافة اليومية ، في موقع رئيس التحرير ، راسا ومن غير اية خبرة سابقة في هذا المجال : « الا تجد صعوبة في كتابة الافتتاحية السياسية يوميا . فكان رده : « لم افكر في الامر مرة واحدة ، فالافكار بالنسبة لي هي الافكار ، كل ما هنالك انني مقبل على شكل جديد من اشكال الكتابة ، اعتقد انني سأعتاده ، وسيعتادني » .

كانت كل الظروف تشق الطريق سهلا امام مواهب **غسان كنفاني** الادبية والصحفية ، فالمد القومي التقدمي كان في عز اندفاعه ، والصحيفة ، التي تراس **غسان** تحريرها شابا يانعا ، كانت تملك جيشا كبيرا من المحررين المتطوعين (غير محرريها المحترفين) ، هم رفاق غسان في **حركة القوميين العــرب** • ورائد **عبد الناصر** ، التي رفعت **المحرر** لواءها عاليا في ذلك الوقت ، كانت في عز تألقها .

لم يترك **غسان** في **المحرر** لونا من الوان الصحافة لم يمارسه : كتب الافتتاحية السياسية ، والمقال السياسي الطويل ، والخواطر الوجدانية ، التي تختلط فيها السياسة بالمشاعر الشخصية ، والنقد الادبي والثقافي ، وخاض المعارك السياسية الحزبية المباشرة اليومية ، وبرع في كتابة الفكرة اليومية الساخرة الخاطفة .

وفي **المحرر** نفسها ، مارس **غسان** عملية التعريف بأدب المقاومة في الارض المحتلة ، فكان يحيط نصوص هذا الادب بمقدمات من التشويق زادت من اهتمام الناس بها (اضافة الى قيمتها الفنية والسياسية الذاتية في ذلك الوقت) كذلك ، اشرف **غسان كنفاني** ، مع كل هذا المجهود الواسع ، وعلى استمراره في تطوير فنه القصصي ، على اصدار **ملحق فلسطين** ، الذي ربما كان ثاني مجلة فلسطينية متخصصة ، ولكنه ، حتما ، اول مجلة فلسطينية متخصصة ناجحة ، قدر لها ان تستمر طيلة استمرار **غسان** في رئاسة تحرير **المحرر** .

اقصر طريق الى فلسطين

عندما انهى **غسان** كنفاني عمله في المحرر ، في اعقاب نكسة ١٩٦٧ ، كان يتنازعه تياران : فهو الصحفي والاديب الذي تسلق سلم الشهرة بسرعة كبيرة ، في بيروت المتلألئة بالانوار البراقة التي تخطف الابصار ، وهو المناضل الفلسطيني الذي لم تفارق الحرارة والحماسة الملتهبة نفســه وكتاباته ، ولكل مــن هاتين الشخصيتين طريقها واسلوبها اللذان لم يعد سهلا الجمع بينهما بعد ١٩٦٧ : وبيروت لا ترحم ، انها ابرع من يمارس مع ضحيته لعبة التمويت البطيء بالاغراء ،

Digitized by Birzeit University Library

اذا رات فيه اي ضعف .

وقضى غسان فترة الحيرة هذه كاتبا سياسيا في جريدة « **الانوار** » ، ولكنها كانت اقل فترات **غسان** الصحفية تالقا وثباتا . الى أن اتاحت الظروف لمجلة **الهدف** الصدور ، ناطقة بلسان **الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين** ، فلم يتأخر **غسان** في الاختيار .

ولكن جو النكسة كان قد فجر كل مكامن المرارة في النفس العربية ، فكيف اذا اختلطت المرارة بالتوتر المتلهف ، الذي اصبح يخشى ان تكون العودة الى فلسطين قد بدأت تتحول من هدف الى حلم وان تكون الطرق اليها قد اصبحت تطول ، شيئا فشيئا .

غير ان الحديث عن تلك المرحلة من حياة **غسان كنفاني** لا يكتمل الا بأفراد اسطر قليلة لشخصية « **فارس فارس** » ، فقد كان **غسان** المقاتل ، يترك زاوية عزيزة في نفسه **لفسان** الاديب **وغسان** الصحفي وبما ان **غسان** كان قد نذر اسمه الصريح لفلسطين ، فقد استعار لنفسه اسم « **فارس فارس** » ، وزوده بكل ما في نفسه من سخرية ونظرة نفاذة لماحة ، ومعايشة طويلة لاجواء الادب والادباء ، والنشر والناشرين ، ودهاليز هؤلاء واولئك ، وكان الاسم المستعار يعطي **غسانا** اكثر من مزية ، اهمها تمكنه من الاختباء وراءه ، لاطلاق العنان لسخريته اللاذعة ، ومعرفته العميقة بأجواء الادب والنشر ، بعيدا عن ضرورات المجاملة والمسايرة ، فكتب تحت هذا الاسم مجموعة من المقالات النقدية الادبية الحارة الصادقة ، التي تركت وراءها ، حتى اليوم ، فراغا لا يعوض في صحافة بيروت الادبية ، ونكهة في النقد الادبي ليس من السهل استعادتها على صفحات جرائدنا ومجلاتنا .

من هنا عاد **غسان** ، وهو في أوج تالقه ككاتب صحفي ، وككاتب قصة قصيرة ، وكناقد ادبي ، الى نقطة البداية التي لم يفقد الصلة بها ابدا ، فأصبحت الكتابة لديه عبارة عن عملية فدائية داخل الارض المحتلة ، الشيء الوحيد الذي يستحق الجهد ، ويتمتع بالجدوى ، وقد كان يفعل ذلك بتركيز كامل ، حتى اصبحت الصحافة والقصة والكتابة السياسية وكل شيء في الحياة يتلخص لديه بعملية فدائية ، وقد توحد **غسان** الكاتب والصحفي والاديب مع العمليات الفدائية ، توحدا عنيفا ، حارا متوترا ، لدرجة انه دخل ، في المرحلة الاخيرة ، من شخصيته الغريبة ، مرحلة الفدائي ، من غير ان يلبس الثياب المرقطة ، ومن غير ان يحمل بندقية . ولم يكن يختلف اثنان على التوحد بين **غسان كنفاني** وشخصية الفدائي ، في السنوات الاخيرة من عمره ، كان الكل يرى ذلك بوضوح ، حتى اسرائيل ، بل خاصة اسرائيل .

وعندما اتخذت المخابرات الاسرائيلية ، في صيف عام ١٩٧٢ ، قرارها باغتيال **غسان كنفاني** ، كان لديها ملف كامل دقيق عن **غسان كنفاني** ، الصحفي اللامع ، والمتألق في كتابة القصة القصيرة ، ولكنها مع ذلك ، ولانها تعرف معسكرات العدو العربي بدقة ، كانت تتخذ قرارا باغتيال فدائي .

وهكذا ، ظل **غسان كنفاني** يبحث عن اقصر طريق الى فلسطين في الصحافة الادبية ، والصحافة السياسية ، والقصة القصيرة ، والتبشير بالعمل الفدائي ، ظل يفعل ذلك بصبر نافذ منذ البداية ، وبلطف الذي يتمسك بأية بارقة ، يرى فيها امكانية اختصار يوم من عمر الهجرة ، وتقليص يوم من عمر العودة ، على طريق هذا البحث ظل يتوهج ويغور ، حتى انفجر ، ضيقا بالانتظار الذي طال .

Digitized by Birzeit University Library

ذكريات عن غسان

عاصم الجندي

هذه الأيام ، كم نفتقدك يا غسان ...
ونحن في حلبـة الصراع مع قوى الغباء والتسلط ، التخلف والجريمة...

من لم يعرف **غسان كنفاني** ، في الستينات ، لكأنه لم يعرفه ابدا ..

تلك الايام ، لم يكن المجال رحيبا امامه . وكان فتيـا ، وناحلا ، ومشفا ، تملأه الاحلام والرؤى ، يحاول جاهدا ان يقفز فوق المراحل ، في سباق محرور مع الزمن

في العام ١٩٦٢ ، اقامت مجلة « **المعارف** » مسابقة للقصة ، شارك فيها كتاب شباب من عدة اقطار عربية ، وبلغ عدد المشاركين مايتين وخمسين قاصا . وقد كان لغسان عصا السبق فيها ، ففاز بالجائزة الاولى ، ونلت الثانية وحجبت الثالثة .

مع بداية العام ٦٣ صدر له **السرير رقم ١٢** ، ولي ١٣ قصة .

ورغم وثيق الوشائج التي كانت تربطني به ، فقد تناول مجموعتي بمقال في **الحرية** ، عدد ٨ تموز ١٩٦٣ ، تحت عنوان « **خالف تعرف او تعرف** » . وقد تميز ذلك المقال بشيء كثير من الحدة وعدم المداراة . ولقد استطاع ، فيما كتبه يومها ، ان يضع

Digitized by Birzeit University Library

يده ، على مفاصل الوجع · ولـم يترك شاردة او واردة ، الا احاط بها بثاقب رؤيته النقديـة ·

واذكر يومها ، انني رددت عليه في « **المحرر** » الاسبوعية ، بمقال طويل ايضا تحت عنوان : « الصدق هو الالتزام الوحيد » ·

بعد اكثر من خمسة عشر عاما ، عدت الى تينك المقالتين ، فاكتشفت ان الحـق كان مع غسان · هكذا بكل بساطة ·· بهذا الاعتراف المتاخر ، اردت ان اقول كلمتي بغسان كنفاني الناقد ···

في تلك المرحلة ، جمعتنا « **المحرر** » الاسبوعية ، « **شلة** » غنية وطريفة · كـان كل منا يكتب في اكثر مـن مكان ، **الاسبوع العربي ، والحرية ، وشهرزاد** ، و ···

ولكننا جميعا ، كنا « **نلتم** » في **المحرر** ، وكانت قد صدرت حديثا · وكل مكاتبها غرفتان ، صالة وغرفة صاحبها ·

اظن ان عددنا بلـغ الاثني عشر كاتبا ، اذكر منهم : **غسان ، رفيق خوري ، علي الجندي ، نور سلمـان ، ليـلى عسيران ، لور غريب ، ليلى بعلبكي ، ابراهيم سلامة ، رياض الريس ، وانا** · وقد كثر النذر حول اجتماعنا ، لو اخذناه بجدية اكثر ، لكان منه مدرسة ادبية نادرة · وكل ما عملناه ، اننا ، وبعضنا كان يطلق على « **الشلة** » لقب جماعة « **النقاد الكلبيين** » ، على طريقة المدرسة اليونانية المعروفة ·

كنا نجتمع بما يشبه الصدفة ، لنتفرق دون ناظم او تنظيم ، حين يجتمع اكثر من اثنين ، فيتلك الصالة العجيبة (**البناية المركزية**) كانت ضجتنا تصل الى الشارع · ولطالما ضايقنا **دار الطليعة ، والدكتور مجذوب** في الجوار ·

ومن خلال تلك الجلسات ، كانت تمتلىء « المحرر » بالمقالات النقدية ، التي تميزت بالحدة ، والجدية ، وشيء من العمق ليس بقليل · ولو طالت الرحلة ، لكانت تلك الجريدة الاسبوعية ، قد استقطبت اهتمام الاوساط الادبية ، ليس في لبنان وحسب ، بل وفي الوطن العربي ·

وفجأة اخذ **غسان** يزداد توهجا ، يفرد جناحيه ، وسع القضية الفلسطينية ، لكانه كان يحس ، بان الزمن لـن يعطيه الفرصة التي يريد ليقول كـل مـا عنده · والغريب انه كان يحسب ان المرض هو الذي سيخطفه ، ولم يكن يخطر له ببـال ، الا لماما ، ان رحلته ستكون على الشكل الذي تمت فيه ·

Digitized by Birzeit University Library

اخذ يصدر في كل سنة كتابا او اكثر · اذكر اننا ، قبيل غيابه بعام ونيف ، عددنا كتبه فكانت اثني عشر كتابا ، وذلك خلال تسع سنوات ، او اقل بقليل .

هو اول من نشر وكتب في « **الحرية** » ، ثم في كتاب مستقل ، عن شعراء الارض المحتلة ·

وهو اول من عرفنا على **محمود درويش** ، **وسميح القاسم** ، **وتوفيق زياد** ، وسواهم ·

وكان اول ، من امعن في الرحلة ، في اعماق « **الادبيات الصهيونية** » ، وعاد الينا بكتابه الفذ عن ادب الصهاينة ، او الادب في خدمة الصهيونية ·

كان ما يترك لنا فرصة لنلتقط انفاسنا ، ونحن نتابعه في مسيرة نتاجه الثر · اذ كان على الواحد منا ان يكتب عن كل كتاب يصدر له · وكانت تتابع كتبه،ارض **البرتقال الحزين** ، مسرحية **الباب** ، **رجال في الشمس** ، و ··· حتى لم يكن في مقدورنا ان نعرف ايها صدر قبل الاخر ·

في مجال الصحافة ، ايضا كان يصعب عليك ان تحصر نشاطاته المتعددة · اذكر ، في احدى الليالي ، انه هتف لي في « **الديار** » اليومية ، العام ١٩٦٤ ، قائلا : اترك كل شيء وتعال · كانت « المحرر » قد تحولت الى يومية ، يترأس تحرير ملحقها الفلسطيني ، ويمارس عمليا ، نوعا من رئاسة التحرير فيها · وقد نقلت مكاتبها الى اللعازارية ، الطابق السادس ، كما اذكر ·

جئت اليه ، كانت يده تتحرك على الاوراق البيضاء ، فتتطاير من تحتها ، وقد امتلأت بالافكار ، والصور ، والكلمات الساخنة ·

« خذ طاولة ، واكتب خاطرة ادبية ، بلا طق حنك » ·

وأسرعت انفذ ما طلب · وبدقائق ، ناولته اياها · وضحك ·· كان من المعروف عنه ، انه اسرعنا كتابة · وقد اعجبه انني حاولت ، مجاراته في سرعته ·

قلت : « يا اخي حيرتنا · انت في **الحرية** ، في **المحرر** ، **ملحق فلسطين** ، **الصياد** ، **الانوار** ، و ··· ربك ما بيعرف وين كمان » ·

شد على يدي ضاحكا ، مشيرا بضرورة الانصراف ، كي لا اعطله · وكان ثمة حزن شفيف يطيف في نسمة عينيه ، لكأنه يعتذر عن تقصيره !!···

مضى على غيابه ست سنوات ، وفي كل عام ، حين تحين المناسبة ، اجدني

Digitized by Birzeit University Library

وحيث كنت ، اكتب عنه ، ودائما من الذاكرة ، واشياء شخصية · واحيانا اكثر من كلمة او مقال · وكلما امسكت القلم ، في ذكراه ، اجد انه ما يزال لدي الكثير الكثير لاكتبه عنه · هكذا يكون الفنان الحق ، معينا لا ينضب للناهلين في حياضه ···

وان غسان ، ليشكل نوعا من الرد الدامغ ، على القائلين ، بعدم امكانية تعدد المواهب ، وتعدد مجالات العطاء ·

في النقد ، كان المؤلفون « يعدون للعشرة » قبل ان يصدر لواحدهم كتاب ·· لانهم يعرفون انه سيقع بين يديه ·

أما في الصحافة ، فكان يكتب في السياسة ، في الادب ، **في** الفن · فان غاب اي محرر في الجريدة او المجلة التي يعمل فيها ، سارع الى ملء فراغه برغم كثرة مهامه ، حتى ولو كان ذلك المحرر مسؤولا عن الرياضة ، او المجتمع ، او ركن التسلية والحظ ··

الغريب ، انه الى جانب كل ما اسلفت ، كان يجد لديه الوقت ، يقرأ ، يترجم ، يرسم ، يكتب الرواية والقصة الطويلة والقصيرة والمسرحية والشعر احيانا ·

ويسألونك ، كيف تستطيع ان تكتب عن **غسان** في كل ذكرى تمر ، وانك دائما تجد ما تكتبه عنـه ·

حتى في مجال تنسيق الكتب والمكتبات ، كان له مزاجه الخاص ، فنه الخاص ·

اذكر ، اننا ذهبنا نزوره « زيارة غلاظة » في بيته الجديد ، فوق صيدلية المدينة في الحمراء · وكان قد تزوج من آني · فوجدناه ، قـد احضر عدة الواح خشبية بسيطة ، لا تكلف غاليا ، وجعل منها مكتبة ، مع احجار القرميد الاحمر ·

« ديكور » بسيط وجميل ولا يكلف ماديا ، ولم تمض سنة ، الا وكانت شقق وبيوت الادباء تمتليء بذلك النوع من المكتبات ·

كان يحب جلسة المقهى ، حد العشق · مقهى الجلسة والحديث الادبي والسياسي والنكتة اللاذعة · « **الانكل سام** » ، « **فيصل** » ، وخاصة « **الدولتشي فيتا** » · ولكنه في اواسط الستينات ، اخذ يقلل من ارتياده لتلك الاماكن · اما بسبب انها تحولت الى نوع من الثكايا الادبية ـ السياسية ، وهو ما لم يكن يرضاه ، وامـا لان مشاغله الكثيرة ، اخذت تصرفه عنها ، خاصة بعد ان اصدر « **الهدف** » ، وكثرت مسؤولياته السياسية والتنظيمية · ولكنه لـم يـال جهدا ، بين حين واخر ، في ان يمر علينا ،

Digitized by Birzeit University Library

ويتفقد جلساتنا ، ليطمئن على « الندامى » ثم يغيب ·

في السنوات الاخيرة ، صارت لقاءاتنا به شبه نادرة · فوجئت به مرة ، في العام ٧٢ ، يجلس في غرفة مغلقة في « **الدستور** » يأتي ليحرر بعض المواضيع ، بتواقيع عدة ، ويمضي · فتحت عليه الباب برغم « التنبيهات المشددة » بعدم الاقتراب من تلك الغرفة وقلت ضاحكا : « وصلت مواصيلك الى هنا » ··

وكانت بضع لحظات ، اختصرنا فيها سنوات ، نكاتا ، وتعليقات ، وتركته مستغرقا في عمله ·

كانت تواقيع **غسان** المتعددة ، وما تزال ، مشكلة المشاكل · باعتقادي ان الكثير من نتاجه ، لم يجمع بعد ، هو شبه ضائع في « غابة التوقيعات » تلك ، والتي كان من ابرزها **فارس فارس** · وكان مرغما على ذلك ، لضرورات امنية او صحفية احيانا واحيانا كثيرة ، لانه لا يجوز ان تصدر له في اليوم الواحد ، عدة مقالات وتعليقات ، في اكثر من مكان ، وبتوقيع واحد ·

هل أبالغ ، هل يجنح بي الخيال وانا احكي عن الغالي **غسان** ؟··

على العكس ، كلما كتبت عنه اكثر ، احسست انني مقصر اكثر · فهو عالم ، عوالم متعددة الامكانات ، حافلة بالغنى ، والقدرة الهائلة على العطاء ، جمعت في واحد ·

ولكنه غاب وهو في السادسة والثلاثين (عمر غياب **اللورد بايرون** ، الذي كان يعتقد ان الفنان يجب ان يغيب فيه ، وان اية امجاد بعد هذه السن ، لا معنى لها ، لانه ريعان الشباب) ·

هل نستطيع ان نتصور ، كم كان سيعطي ، لو استمرت رحلته الى الخمسين او الستين · واية افاق كان سيبلغ ، واية مجاهل كان سيفض اختامها ؟!! ·

لقد اجتمع عليه داءان مزعجان ، السكري والنقرس · و« بضعة » ادواء اخرى « لا تستحق الذكر » ·· وكان عليه ، ان يأخذ نوعا من الابر ــ لا افهم في الكيمياء ــ فانه لم يجد من يعطيه اياها ، حين تزور العلة ، كان مرغما ان يعطيها لنفسه ، بكل

Digitized by Birzeit University Library

ما في ذلك من مشقة والم ٠

هكذا ، كـان المرض ، سيف ديموقليطس المسلط على مسيـرة نضـاله الادبي والسياسي ٠ ولكنه ، لا هو ولا الاخرين ، كان يعتقد ، ان الضربة ستاتيه عن طريق تلك الشحنة اللعينة ، على مشارف الحازمية ٠

ان يغيب غسان ، فان نتاجه باق ، بقاء القضية التي ناضل من اجلها ، وقدم حياته قربانا سخيا على مذبحها ٠

انه باق بيننا ابدا ، بضحكته الصافية ، المطلة علينا خلل او شال مغيب دامع العينين ٠بحميم صداقته واخائه ، بعظمة الانسان وطفولة الفنان فيه ٠

سيظل **غسان** ، القصة ، تحشرج في اعماق كل من عرفه ، وكلما اصطدم ، رفاقه في الكلمة ، بحاجز جديد، بسلطة غبية غاشمة ، كان هو العزاء ، وكان هو النبراس والمثل والنموذج ٠ في وقفاته ، وفي صراعاته ، وفي قدرته العجيبة على مقارعـة قوى التسلط والغباء والشر ٠٠٠

وفي هذه الايام بالذات ، كم نفتقدك يا **غسان** ، كم كنا بحاجة اليك ، والنخاسون ٠٠ المجوس ، يجوسون داخل ابهاء الهيكل ، محاولين تمزيق عذريته ، وتشويـــه حرمته ٠

ولكن لا بأس ، فان خليتنا وارتحلت ، فانه ما يزال فينا بقية من قدرة عـلى الصراح ، وسنطرد المجوس ، وستنتصر دائما ، الكلمة الصدق ، الصراح ، والتي هي كحد السيف ، رقة ، وعذوبة ، والتماعـا ، واستقامة ، وقدرة عـلى اصالة دم الاعـداء ٠٠

Digitized by Birzeit University Library

إشارات سريعة حول نتاج غسان كنفاني التشكيلي

ناصر الثومي

كلفت بكتابة دراسة عن الشهيد غسان كنفاني كرسام . استكمالا للمحور الذي تنشره « الكاتب الفلسطيني » . وأود ، في البداية ، أن أشير الى انه لم تتح لي فرصة كتابة دراسة متقدمة ، بسبب ضيق الوقت . كما أود ان اصحح بأني سأكتب اشارات سريعة عن رسوم غسان ، وليس عن غسان رساما .

ان معظم الادباء او الفنانين ينتجون في مجالات فنية اخرى . اضافة الى مجالاتهم ، وفي حالات نادرة يجمع البعض بين الموسيقى والشعر او الاخراج المسرحي والكتابة ، كما عند بريخت ، مثلا مع الاخذ بعين الاعتبار انه كلما كانت الاجناس الادبية متقاربة تزداد امكانية الجمع بين جنسين او اكثر .

غسان ، بالاضافة لكونه روائيا وقاصا وصحفيا ، عرف عنه اهتمامه بالتشكيل . فمن هو غسان التشكيلي ؟

خلف غسان مجموعة لا يستهان بها من الرسوم الزيتية ، والتخطيطات الملونة ، والاعلانات « بوسترز » ، والاغلفة ، والرسوم التوضيحية « موتيفات » ، واللصق « كولاج » ، والنحت .

ليس هذا فحسب بل انه قد ابدع ، فعلا ، في بعض مجالات التشكيل ، وخاصة تخطيطاته الملونة عن الاحصنة العربية ، التي استلهم فيها روح الرقش العربي « الارابيسك » ، واستطاع ان يحملها مضامينا ، تحدث عنها في مجالات مختلفة . فالحصان ، بالنسبة لغسان ، يعبر عن الجمال ، الصراحة ، الشجاعة ، الذكاء ، الحقيقة ، والحرية* .

.....

* حديث شخصي مع السيدة آني كنفاني ، زوجة الشهيد . الاثنين ١٩٧٨/٧/٣ .

Digitized by Birzeit University Library

وقد تكون زخارفه الاكثر اهمية بين مجمل ما انتج ، ذلك لانه لـم يكـن اسيرا للتقنين ، بسبب استخدامه لاقـلام « الفلوماستر » ، السهلة الاستعمال ، بـل استفاد من النقوش العربية الاسلامية ، وصاغها بجمالية تحمل عنفوان غسان الداخلي كمـا في رسومه عن الاحصنة · كما ان غسان انتقل الى مدارس مختلفة في التشكيل ، ولا اقول واكبها ، الا ان انتقـاله يبرهن على انـه كـان يسعى الى تطوير وامتلاك ادواته بالقـدر المستطـاع اي انـه لـم يكـن « يخربش » للتسلية فقط بل كان الرسم بالنسبة له وسيلة تعبير استطاع ان يصور من خلالها بعض شخصيات رواياته كام سعد وغيرها مع ملاحظة تطور تقنيته بين مرحلة واخرى فقد استخـدم غسـان السكين في التصوير الزيتي اكثر مـن الفرشاة · وهـذا يضفي شيئا مـن العفوية

Digitized by Birzeit University Library

والبساطة على رسومه . كما نستطيع ان نميز مراحل مختلفة في انتاجه ، فقد اهتم بالتشريح العاري ، ثم انتقل من **السوريالية الى الواقعية التعبيرية** ، اضافة الى رسوم الاحصنة ، التي رسمتها يد ماهرة وعين بعيدة ، حملت تراث الماضي ، ومشاعر الحاضر ، وحلم المستقبل ، لخدمة التعبير . فجاءت ، دائما بسيطة ومباشرة . اضاف **غسان** اضافات هامة ورائدة في الرواية والقصة الفلسطينية ، ولكن رسوماته كانت مجرد وسيلة للتعبير ، يستكمل فيها عالمه الادبي والفني ، يعبر من خلالها عن انفعالاته وخيالاته وافكاره . ثم هناك علاقة بين نتاجه الادبي وبين رسوماته ، وهذه المسألة ، بصفة خاصة ، تحتاج الى مراجعة ، وتمحيص ، اضافة الى ضرورة حصر ودراسة جميع اعمال الشهيد ، وهو ما اتمنى ان انجزه في فرصة لاحقة .

Digitized by Birzeit University Library

ملف الشعر

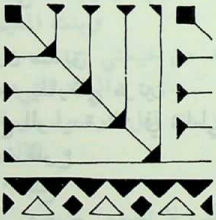

Digitized by Birzeit University Library

أبو محجن الثقفي

لا وعد .. ولا توبة

خالد ابو خالد

« بيسان .. في الرماد » .

عندما حط بي طائري .. ـ تلك حيفا ـ
وهذي الجزيرة منفى
يعود الشتاء
يعود من البحر دون صديق
معي من بلادي وجه يفارقني مرتين
اذ غادرتني الرياح الوحيدة .. في شاطيء المتوسط
تبقى المراكب دون قلوع
وتسكن في الماء .. ملح
وجرح
ونصل
وصرخة أطفال يافا ..
وعمان ..
قال لي صوتها ..
ـ كيف لو نلتقي ..؟
ـ لم أغلق جناحين

★من المجموعة التي ستصدر عن دار العودة ، بعنوان عند الرحيل

Digitized by Birzeit University Library

اني أحبك شيء .. وأن نلتقي ..
... ...
انني في الطريق المدمر بين العدوين ما شاءت الحرب
والحب
وجهل خلف النوافذ يبدو حزينا
شتاء

يساورني البحر أنك بعد النهايات
بعد المدينة
والموت
ـ أهو المساء الكثيف ..؟
ومملوءة رئتي بالدخان
وبالقصف
مزروعة بالشظايا سفوح الجنوب
وبنت المخيم
يأخذني الدم أبعد من خيمتي ..
والبلاد التي حشرتني
انني ضيق كالصواعق قبل الوصول الى الصفر
كالشعر
لا ..
واسع كالجراح التي لا تصور
ألهث
بوابة نحو عينيك تفضي .. ومغلقة
انني واقف بين عيني وبين النبيذ الذي حرموا
والعيون التي أزهرت في الشحوب
وأكره أن أستدير
هو البحر
ـ لا
قلت : لا
قلت : لا ..

Digitized by Birzeit University Library

والتراب
ويهزأ بي مقعد .. مترف
والمرافىء ميتة بين حلمي .. وبين الزجاج
المسافة تزداد طولا
أرى وجه عاشقة في الحصار
أرى غابة من خيول عرايا
انتفض أيها الفارس الثقفي
وكنت تناولت معصيتي في النهار
انثنوا عن مداخل عمان
أطفالها يذبحون .. وهم غادروها ..
وآن الأوان ـ صرخت ـ
اتهمت بأني ثملت
وفي السجن كان النبيون مثل الزناديق زرق الوجوه
ـ افتقدت رفاق السلاح ـ
صحوت على الجفر
والقبو
ـ يا أيها الفقراء افتحوا كل أعينكم
واعلموا
ان من بينهم يخرج القاتلون
ومن بينهم أخرجونا ...
كلما أوغلت تحت لحمي القيود
انتبهت على ضجة التابعين السكارى
الرصاص
الرصاص
الرصاص
ولا شيء ..
بيروت ملآنة باللصوص
الجواسيس
بيروت للراكعين على بابها
انني خالق قفلها في الصباح الأليم

Digitized by Birzeit University Library

يعودون حمر العيون عناوين في صحف اليوم
والقدس طفل قتيل
وآخر ينهض في « كفرشوبا »
ولكنهم في التكايا
وتحت بطون البغايا
ولا شيء يبريء جرح المقاتل
أو يعلق الطرقات اليك
واني لأشهد
اني لأشهد
ان الدماء ·· البطولات تسرق
والخبز يسرق
حتى الرصاص الذي يطلقون سدى في الفراغ ·· حرام
وتعلن أرملة تحت صوتي
ـ لنا برهة الصدق عند انفجار النهار على الليل
مري بشال من النار والكلمات
هي الحرب قائمة لم تزل مرة مثلما وطني بين فك الخيانة
والاحتلال
ان ما يقتل المثقفي المصفد بالزيف
والموعظة
انهم أحكموا حوله طوقهم

Digitized by Birzeit University Library

خيروا سيفه بين موت .. وموت
فهبت على صدره خفقة من جريح قديم
فكنت الخيار الذي بين موتين
ينشق درب الى كرمة في أعالي فلسطين
نجد وحيد الى القلب
عمـان

والنهر
والطلقة الصائبة
وها انني مقلع تحت بارودتي
والطريق البحار ..
والطريق الجبال
الطريق الصحارى
الطريق السماء
الفضاء
الجياع
المقابر
والشداء الطريق
الدفاتر
أنت

– السلام على البحر روضه الثقفي
– مرحبا
قبلي شفتي
ان فيها كثيرا عن الحب
والصبر
والسفر
السجن
أصمت حسبي أن يلتقي اليابس .. اليابسة
يقرأون الذي فوق سيفي ..
وبين العيون ..
الذي كنت خبأته تحت لحمي

Digitized by Birzeit University Library

النبيذ
الجراح ..
وصوتي ..
وأطرح في القيد والحرب قائمة وهي حربي
ويا امرأة كابدت زوجها في الحروب
ويا امرأة مات عنها وخلفها في الجنوب
ويا امرأة زوجها الآن ليس يحارب
يا امرأة في يديها المفاتيح ..
اني أكابد للحرب
أن تعطني فرسا قمت من ساعتي وقلبت الموازين
ـ صبرا
ـ الا انها في الخيول التي ما رمتني
تبادلني الود ..
بالود
اني أشاركها عشقها للمعادن
والضوء
ها انني كاسر فوقها محبسي
فوداعـا
وداعـا
هي الحرب مفتوحة العين ما أغمضت جوعها للبلاد التي
هادنتها .. البلاد التي حدها البحر
والفقر
والصبر
يا امرأة خدرتها المقالات دهرا
فظلت على وجهها نائمة
أنني موغل
حـارث
زارع في رؤوس العصاة تفاصيل الكروم التي أثمرت
من سفوح الجليل
وحتى جرش

Digitized by Birzeit University Library

سيدة العمر

غسان خليل زقطان

وخبأ أغنية في الكتاب
وأطلق عينيه تركض
يا سحب
من يركض الآن ... أنت
أم القلب
تفتح عيناك بوابة في المكان القصي
وتغلقها بعد أن تعبر الخيل
في لحظة تستوي الأرض بالأرض
والشجر الساحلي ...
بظل النوارس
من يسكن الصدر
أنت
أم القلب
أم نقطه الحي
تآمر هذا المكان علي
فقدمت في أول الأمر أمري اليه

Digitized by Birzeit University Library

وفي آخر الأمر أمري الي
وأصدرت أمرا رشيدا بصمتي
وأشرعت كل المخافر في
....
وسيدة العمر ترفل بالعز

هزي اليك بموتي
تجيء على طبق جثتي
فاشربي نخبنا ...
واشربي نخبهم
وارقصي بيننا
دورة للقتيل ...
ومن طبقي أنحني
معجبا بالأداء الجميل
وأسأل
من يسكن الصدر
أنت
أم القلب
أم أنني غيرتني المسافة ...
والحب
حتى اعتراني من الأمر خطب
.....
ويا وطنا مثقلا بالبكاء ...
ويا وطنا مثقلا بالدماء
ويا وطنا نازفا .... نازفا
.... نازفا

حين غادرتنا واقفا
لم نكن واقفين
ويا وطنا واقفا واقفا ...
... واقفا ....
حين غادرتنا نازفا

Digitized by Birzeit University Library

لم نكن نازفين
ويا وطنا حين غادرتنا
لم نكن في المكان
الذي ينبغي أن نكون ...

أتغفر ...
ما ضر يا سيدي لو غفرت
هي الحرب تغدر فرسانها ...
بين حين ... وحين ...
.....
.....
لم أكن يافعا ...
فارتجلت النشيد
ولكنني أستطيع التذكر ....
أعطته ماء وزادا
وقلبا من اللوز والعشب
نادت علي ...
فجئت أقلد ركض الحصان ...
تشب عن الطوق ... قال ...
فحمحمت أصهل ...
شد على ساعدي
فأعجبني اللون في ساعديه
ولكنني ....
لم أقبل يديه
ويا وطنا مثقلا بالبنفسج
والأنبياء
انثنى الجيد
وانثنت الأرض غامضه
صعت ....
ها .... انني أقفل الآن بوابتي
يا مساء

Digitized by Birzeit University Library

لم أكن يافعا ...
فارتجلت النشيد
تأكدت أنك
زهر الحدائق
ووهج الحرائق
هذا التصوف في الموت
لو أن كفا
توزع أشجارك الآن
بين الرجال ...
لأورق في كل غصن
شهيد ....
.....
.....

Digitized by Birzeit University Library

لم أكن يافعا
فارتجلت النشيد
ولكنني أستطيع التذكر
قالت لصاحبها حينما مرت السنبله
ـ أين لا يكثر الآخرون ...
ـ لماذا ...
ـ لأعطيك
أغمض عينيه واقتادها
لم أكن يافعا حين حدقت في
قبل الدخول الى المقصله
ركضت الى غابة اللوز

أحضن كتبي
وسيدة العمر ...

ترفل بالعز
والزهر أبيض ... أبيض ...
كالقلب
هزي اليك بموتي
تجيء على طبق جثتي
جثتي ...
لم أكن يافعا حينما حدقت في
وانكسر الجيد
ثم انثنى قبل أن ينتفض
غابة اللوز والزهر أحمر ... أحمر ...
والأقحوان ... الرماد ... الصغار ... العصافير ..
أغنيه من مكان سحيق ... رحيل
هو القلب ...

أم أنت ...
أم هذه الأرض من ينقبض
لم أكن يافعا ...

Digitized by Birzeit University Library

غير أن البكاء تكاثر في
انحبست مع الدمع في آخر العين
يا ليتني ما رأيت
أكانت تموت ؟...
ويا ليتني ما ركضت ....
انثنى الجيد
وانكسرت زهرة اللوز ...
سيدة العمر ترفل بالعز
وانتفضت وحدها في المكان القصي ...
تماسك في الأفق سرب السنونو
وهاجر للغرب
من يسكن الصدر
أنت ... أم القلب
أم نقشة الحزن في ساحل الثوب
أغفت على ضوئها نجمة
وارتدت ثوبها
واختفت في الفضاء البعيد
اهتدت غيمة ...
للسماء الصغيرة
بين التفاف الغضون
أطلت ... فغادرها الغيث
غنت لجارتها نبعة الحور ... أغنيه
لم أكن يافعا
فارتجلت النشيد
....

Digitized by Birzeit University Library

الجبل

أمجد ناصر

١

- سيدي ،

يا جميل المحيا -

لك الآن ان تغمض عينيك ،

بعض من الثلج ،

بعض من نبيذ القرى ..

يعيد لك اللون والهدأة الصافيه ..

لك الآن ان تشتهي منزلاً في جنوب الوطن

وتبدأه بالشجر ..

(وانت تحب من الشجر الارز ،

Digitized by Birzeit University Library

فخذ ارزة ، فرعها طيب ،

وامضي في الارض ، لا تلتفت للوراء ،

فما الارز إلا اصابع اطفالنا الميتين ...)

٢

لك الآن بعد ان ادركنا البحر ،

ادركتنا الطبقات العريضة ،

ان تلتفت للجبل ..

فالقصور مطعمة بالذهب

والقصور مطعمة بالرصاص

والقصور على غرة الثلج ،

عارية كالحجاره ...

٣

– سيدي

يا جميل المحيا –

لك الآن ان تشرب قهوتك الناضجة ..

وتذكر :

(كنت تغسل كفيك بالثلج

والبندقية في الكتف مائلة ،

Digitized by Birzeit University Library

والصباح صغير على « المتن »

حين استدرت الى الخلف ،

عانقتهـــا ،

كالعصافير زرقاء ،

وقبلتها في الفم المستدير

في الفم المشتهي ..

وثبت في مفرق الشعر ، قرنفلة من دماء الرفاق ..

تلك كانت تناولك الطلقات ..

تناولك « البيان الشيوعي »

تقرأ « ايلوار »

تترجمه لغة من تراث البنادق والشعر ..

ثم تفتح ثار المواقع واسعة ،

تخبؤها بين صدرك ،

والسترة العسكرية ..

تطارد خصلتها بعد ان يرفع القصف كفيه

عندها ...

تطبق كل الجهات ،

شجراً ترتديه العساكر ..

عندها ...

Digitized by Birzeit University Library

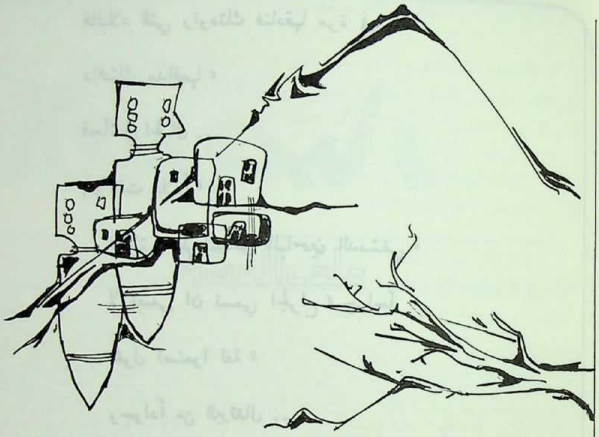

تبصر رتلاً من القبعات ..

تبصر نهراً من القبعات ..

تبصر الارض تحاصرها القبعات ...)

٤

فيا سيدي ،

يا جميل المحيا ..

لك الآن ان تستعيد السكينة والحلم ..

Digitized by Birzeit University Library

فالبلاد التي راودتك فنادقها مرة في المساء

داهمتك مدافعها ،

فجأة في الجبال ...

(وكانت بلاداً ،

تراشق حلم المسافر بالياسمين الدمشقي ،

لا تبتغي ان تسمي الجراح ، جراحاً

تقول اصنعوا لفة ،

وجواداً من البرتقال ..

ولكنها .....

.....

.....

قلنسوة فوق رأس المسافر

ترشح منها الطيور الذبيحة ..)

والبلاد مزيج من الحزن ،

والشجر المتسامق ،

والطبقات الفتية ...

Digitized by Birzeit University Library

ملف القصة

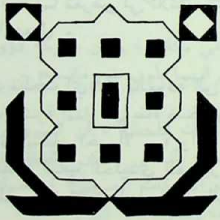

Digitized by Birzeit University Library

المصير

ياسين رفاعية

كنت متمددا على ظهري ، وقد اسندت راسي الى الجدار الخشن ، متأملا دائرة الضوء الصغيرة التي كانت تتسرب الى داخل الزنزانة كلما اضيء القنديل في الممر ، مستسلما الى مصير مجهول ، متسائلا باستمرار وانا استعرض ماضي حياتي بالتفصيل : ماذا فعلت ؟ ولم انا هنا ؟ وانحسر بألم على اسرتي التي لا تعرف اين انا مذ خطفت من امام منزلي ، عندما تعرض لي ثلاثة مسلحين وقادوني ، دون ابداء اي سبب ، الى هذا المصير المجهول .

وكنت بعد مرور ايام قد قطعت اي أمل بالعودة الى الحياة . فمنذ القي بي في هذه الزنزانة ، التي تقع تحت عشرة أمتار من بناء ضخم وحتى اليوم ، لم يطرق باب الزنزانة احد . ولم تلمس يدي انسان آخر الا مرة واحدة ، عندما ادخل السجان صحن الطعام البلاستيك من نافذة الباب الحديدي الصغير . وما ان لامست اصابعي اصابعه حتى ترك الصحن يذلق بما فيه من طعام داخل الزنزانة ، كمن مسه عقرب.

حاولت مرارا ان استعطف السجان كي يجلب لي ورقة وقلما ، دون جدوى . كنت افكر في كتابة استعطاف الى أي انسان يستطيع ان يخرجني من هذا المصير . لكن ، بعد مرور ايام ، لم اعد الح ، ولم اعد اطلب شيئا .. بل صرت اتناول الطعام في الاوقات التي يقدمونه لي فيها .. صامتا ، منصتا الى حواري الداخلي ، مستسلما الى شعور يائس .

ولم اكن حتى في الليل انام جيدا ، اذ كنت اتوقع ان يفرج عني في كل لحظة . فصرت أرهف السمع لكل حركة ، وكنت في كل مرة اسمع ضجيجا وصخبا ، وباب السجن الرئيسي يفتح ثم يغلق ، اتصور انهم جاؤوا لاطلاق سراحي ، فاذا باب جديد . يدخل صامتا محني الظهر ، أو متوعدا صارخا .. لكن ، في النهاية ، ثمة

Digitized by Birzeit University Library

باب زنزانة يفتح ثم يغلق . حتى ان احدهم ظل يبكي ، بصوت عال ، فترة طويلة . . بعد ذلك لم اعد اسمع صوته ، ابدا .

كانت دائرة الضوء المتسربة الآن هي رفيقتي وحدها ، كنت ، عبرها ، المح خيالات لرؤوس تعبر ، تذهب وتجيء . بل تلك الدائرة اوحت لي ان الحياة ما زالت تجري في الخارج ، وانه ما زال هناك أمل ما .

وفجأة لمحت صرصارا يقترب من دائرة الضوء . اخذت اراقبه كأن شيئا جديدا قد دخل حياتي .

ظل يلف حول الدائرة بانتظام ، دون ان يجتاز ، ولو قيد انملة ، خطها الدائري . ثم فجأة دخل وسط الدائرة ، وتوقف في المنتصف تماما . اقتربت من الدائرة ، ورحت أتأمله ، ينازعني شعور جديد تجاه الصراصير ، لم اكن احس به من ذي قبل ، انه ود حقيقي تجاه هذا الصرصار . كان لامعا ، جناحاه يحتكان ، فيصدر عنهما صرير خافت جدا . شارباه يتحركان باستمرار ، فيما توجهت عيناه نحو باب الزنزانة الحديدي ، بل نحو مصدر النور الضئيل الذي رسم تلك الدائرة . تأملت عينه الصغيرة ، فانتبهت الى ذلك البريق الحاد الذي يشع منها ، لم اشهد مثله قط ، حتى في عينيا نسان .

ظل الصرصار ثابتا في مكانه ، ولكن بحركة دؤوبة ، ما بين شاربيه وجناحيه الاسودين المؤطرين من اطرافهما بلون بني فاتح .

في الحق ، اكتشفت تلك اللحظة ، ان الصرصار حشرة جميلة ، بل ، للوهلة الاولى ، كدت الامس جناحيه بأناملي ، لكن خشيت عليه الفزع والهرب ، فظللت واقفا قربه . متأملا هاتيك الحركات الصغيرة ، الصادرة عنه . كأنه يعاني من قلق شديد ، ولا يعرف كيف يتصرف .

لا ادري ، بعد لحظات ، كيف استدار الصرصار نحوي مباشرة ، واخذ ينظر الي نظرة زائغة . كنت محاطا بالظلمة ، وخشيت انه لا يرى الاشياء في الظلام . حاولت ان اشعره ان ثمة انسانا يشاركه الزنزانة . فسعلت سعلة خفيفة . لم يضطرب ، وظل يحدق نحوي . . رفعت سبابتي ، وقربتها من خيط النور ، فانسكب ظلها داخل الدائرة ، وتحت فمه مباشرة . حام حول الظل قليلا ، ثم فرد قائمتيه الاماميتين وغمر بهما ظل راس سبابتي كأنه يحنو على ولده . شعرت بغبطة . وظللت رافعا يدي ليبقى الظل داخل الدائرة ، على هذا النحو المدهش من التجارب ، الى ان تعبت ، فأرخيتها . وامحى ظل اصبعي سريعا ، فاذا بالصرصار كمن مسته نار . اخذ يدور حول نفسه ، دورانا مضنيا . حتى خيل لي كأنه يصرخ . رفعت يدي

Digitized by Birzeit University Library

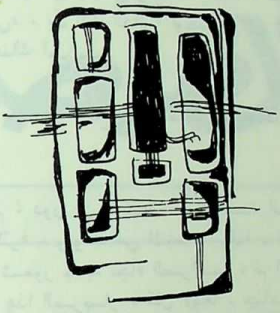

Digitized by Birzeit University Library

بسرعة ، ثم أعدت وضع سبابتي كما كانت ، فانتبهت اليه ، وقد عاد له هدوءه سريعا . هذه المرة ضغط بجسده الضئيل على قوائمه . وهي تحيط بظل سبابتي ، كأنه يتشبث به ، ولا يريد له الافلات . غالبني شعور بالمساواة ، بل ، في تلك اللحظة ، تمنيت ان لا يفارقني هذا الصرصار ، الا انني تأكدت انه سيغادرني لمجرد انطفاء الضوء .

عندما غابت دائرة الضوء ، وعم الظلام . تصورت انه سيخرج ، فلا بد ان يجد له منفذا خارج الزنزانة ، وانتبهت انني افكر فيه واغبطه . فهو وحده القادر على الهرب ، في اي اتجاه .

★ ★ ★

لم انس الصرصار ، بل ظللت ارجو الرب ان تعود دائرة الضوء ، كي اراه من جديد . وربما مرت ايام قبل ان تعود الدائرة الى الاشعاع ، وبالتالي الى تبديد ظلمات الزنزانة . اخذت ابحث عنه في زوايا الجدران الاربعة ، دون جدوى ، فادركت انه تخلى عني . بل اصبت بخيبة امل مريرة . تلك اللحظات . وفجأة رايته. كان يتقدم حثيثا من زاوية الجدار المواجهة لفراشي ، متجها نحو الدائرة بسرعة . اغتبطت ، بل كدت ارحب به بصوت عال ، لكن كتمت صيحتي ، فرحا مبتسما .

استقر الصرصار ، اخيرا ، في الدائرة من جديد ، وسرعان ما رفعت يدي داخل خيط النور ، ثم اخذت احرك سبابتي وابهامي حول شاربيه وفمه ، وفوجئت انه كان يتابع تلك الحركات بصورة تلقائية ، وقام بيننا حوار ، همست :

— انا حزين .

هو ايضا اجاب :

— وانا حزين .

تلك اللحظة ، احسست باختناق في حلقي ، وفجأة اجهشت ، ولم استطع ان اكتم صوتي ، وراحت دموعي تطفر من عيني كنبع ، وعلا صوتي ، فأرخيت يدي ، في محاولة جديدة لخنق حشرجتي . لم استطع ، كنت اجهش ، وكلما حاولت ان اكتم صوتي ، افقد سيطرتي على نفسي ، واجهش بصوت اعلى ، الا ان احدا لم يفتح باب الزنزانة ، وما من يد امتدت .

عاودني الهدوء بضع دقائق ، وتذكرت الصرصار ، تلفت نحوه . ما زال هادئا مستكينا . لا حركة . ملصقا فمه بالجدار حتى خشيت ان يكون قد مات .

Digitized by Birzeit University Library

وبحركة لاشعورية لامست ظهره بسبابتي . رفع رأسه بسرعة متطلعا صوبي، لم يهرب ، بل احسست كأنه يلتصق بسبابتي . وعندما رفعت يدي عنه . أخذ يحرك قوائمه مرات متعددة ، الى الامام ، والى الوراء ، كأنه يرقص .

قلت لـــه :

ــ لقد ارتحت .

هو ايضا توقف ينظر نحوي :

ــ وانـــا .

★ ★ ★

اشتدت علاقتي بالصرصار واصبحت حميمية، بل صرت، عندما ينقطع النور، احسه الى جانبي ، وكثيرا ما كنت اصحو من النوم وصرير جناحيه اسمعه قريبا من اذني ، فأحس بالفة ، كنت افتقدها من قبل .

ذات يوم ، غمر النور الزنزانة ، وفتح الباب ، وصاح رجل :

ــ تعال .. هات اشياءك واتبعني .

كانت لهجة الرجل قاسية ، فلم افهم ان كان سيفرج عني ام سأقاد الى منصة الاعدام . لكن ، تلكأت . اردت ان ارى الصرصار قبل ان اخرج ، وسرعان ما رأيته يزحف حثيثا على الجدار . رفعت يدي ملوحا . لم ينظر صوبي . ظل مسرعا الى ان خرج من باب الزنزانة .

كان الرجل قد عاد وصرخ بي :

ــ اتبعنـــي .

فاذا بالصرصار يقفز ، هكذا خيل لي ، ويسقط على كتف الرجل، وانتبه هذا ، فنفضه بيده بعيدا وباشمئزاز ، وعوض ان يهرب ، عاد يقترب من قدمه بسرعة ، توقف الرجل قليلا ، ثم رفع قدمه وداس عليه بكل ما فيه من قوة ، حتى انني سمعت صوت انسحاقه .

صرخـــت

لكن يد الرجل القوية امسكت بكتفي وقادتني الى الخارج .

ــ ١٩٧٧/٤/٢٦ ــ

Digitized by Birzeit University Library

وقائع الدقائق الأخيرة

(موقف مسرحي تجريدي)

احمد عمر شاهين

المنظر :

حجرة واسعة ، بسيطة الاثاث ، سرير في الركن بجانبه كرسي ، خارطة للوطن العربي معلقة على الجدار ، مكتب امامه كرسيان ، كنبة وحيدة يجلس عليها شخص في الاربعينات من العمر واضعا ساقيه على طاولة منخفضة امامه .

يقف ، يسير في الغرفة ذهابا وايابا بخطوات سريعة ، يضع يديه في جيبي بنطلونه ، يتنهد ، يتجه الى وسط الغرفة ، يتوجه بكلامه الى الجمهور بعصبية تسيطر عليه طوال الموقف المسرحي عامة .

ـ هذه الدقات ! هل تسمعونها ؟ هل تستطيعون احتمالها . نصف ساعة .. نصف ساعة لا اكثر ..

« يهز رأسه ويخفت صوته »

كل دقة منها تحطم عصبا من اعصابي .. تقربني الى حافة الموت او الجنون ... ليس غريبا ان اجن عما قريب ... واحقق كل ما يتمنونه ....

« لحظات صمت » ..

Digitized by Birzeit University Library

— قبل ان اسجن .. كنت اشعر اني سيد هذه الدقات .. وخيل الي في فترة من الفترات اني استطيع ايقافها .. حاولت كثيرا .. لكن الامر لم يعجبهم .. تداولوا امري .. عقدوا الاجتماعات .. اتخذوا القرارات .. اصدروا البيانات .. لم أيأس .. حاولت وحاولت .. لكني في النهاية وقعت .. هه .. اسوا ما في الامر اني وقعت بين ايديهم ...

لن احدثكم عما فعلوه بي .. لكن في النهاية عرضوني هنا .. امامكم .. في غرفة كأقفاص حديقة الحيوان .. واتهموني بالجنون .. وهي كلمة تمسح عشرات الصفات الاخرى .التي الصقوها بي .

كلمة .. اعتبرها البعض نعمة هبطت علي .. فهي انقذتني من الاعدام كما يقولون .. وعلقوا براءتي منها .. على مدى توافقي مع هذه الدقات .

(يدور في الغرفة .. ثم يتوجه الى الجمهور ثانية) .

— ارجو ان تحتملوني .. فأنا مريض .. مريض بهم مثلكم تماما .. الفرق بيني وبينكم انكم لا تشعرون بالمرض وهو ينخر عظامكم ويمتص حيويتكم .. فرق بسيط لكنه قاتل مدمر . اعذروني .. لن اطلب منكم اكثر من الفهم فانا متمثل فيكم .. اكفر هنا عن خطاياكم ... تعيشون بعمري وأحمل عنكم الاحساس بالعجز والمرض ... عينة منكم يأتي بين حين وآخر دجال أو جلاد .. بعتصرها يمتص دمها بحجة المصلحة ...

ورد علي منهم الكثيرون .. ولا فرق بينهم جميعا .. حتى في الحروف . لا يهم اللهجة التي يتكلم بها او الهيئة التي يكون عليها .

والغريب .. اني حاولت التوافق مع دقاتهم في فترة من الفترات لكنها ... لكني ... كلما حاولت ان امسك بخط سير لها افلتت مني وعجزت عن التوافق .. سهرت الليالي متحملا ضغط اعصابي وقلة نومي .. لكنها تخذلني في كل مرة ..

— لم يبق من اوجه اليه الحديث سواكم .. هل تستطيعون مساعدتي .. هل تتحركون ..؟ لكنكم .. كما كنتم دائما تحملقون .. تهزون رؤوسكم وانتم جالسون .. تموتون وانتم تحملقون .. وايديكم تصفق ..

— اقول لكم هناك تلف في مكان ما .. احدده .. اشير اليه .. لكنكم لا تتحركون ..

Digitized by Birzeit University Library

(يتنهد ، يعود للجلوس على الكرسي .. يحدث نفسه ويهز رأسه) سيأتي يوم تندمون ...

ستندمون

(نسمع دقات على الباب ويبرز وجه سيدة عجوز طيبة) .

هي : هل تريد طعاما ؟

ـ الف مرة قلت لك لا تدخلي دون ان آذن لك .. هل طلبتك ؟

هي : خيل الي انك طلبتني .

(يهز رأسه نفيا)

هي : الم تضرب الجرس ؟

ـ لا .

هي : سمعته يدق .

ـ انت حرة فيما تسمعين .. انا لا أحجر على خيالك .. يجب ان تذهبي الى الطبيب .

هي : حاضر . الا تحتاج شيئا آخر ؟

ـ (يشير بيده ويقول) اذهبي .

(يرفع الرسائل المكومة على المكتب ويتركها تسقط مرة ثانية) .

ـ كل هؤلاء يؤيدونني .. تأييد بالكلام فقط . لا احد يتحرك لعمل شيء .. كل واحد منهم يسدي لي عشرات النصائح والتوجيهات ...

يعتاد المرء على مثل هذه الاشياء ... كما يعتاد على كل شيء ... طبعا لقد قرأوا هذه الرسائل حرفا حرفا .. قبل ان تصلني .. بينما تؤكد لي هذه السيدة ان احدا لم يفتحها ...

على فكرة .. انها امي .. وهي الوحيدة المسموح بدخولها هنا .. حسب الطلب .. طلبي انا طبعا .. سيدة طيبة مطيعة .. محترمة .. لكن لا ادري ماذا ينتابها احيانا فتعكر دمي .. وصفو .. عكارة ايامي ... ربما جنون ورثته عن ابي او ابيها .. لست متأكدا .. فالعائلة كلها اقارب .

Digitized by Birzeit University Library

(يضغط على جرس .. يفتح الباب وتدخل السيدة) .

هي : هـل طلبتـــي ؟

ـ أود ان اسألك .. من في العائلة مات مجنونا .. ابي ام ابوك ؟

هي : لم يمت احد في العائلة مجنونا .

ـ اذكر انك خبرتني ان واحدا منهما مات مجنونا ؟

هي : مات مقتولا .. وليس مجنونا .

ـ مقتولا بسبب جنونه .. اليس كذلك .. مثلما سيحدث لي ..؟

هي : (صامتة .. حزينة .. عيونها تدمع ..

يتجه نحوها . يقف امامها ، يقبل راسها . ويتحدث بهدوء) .

ـ ماذا يحدث لو تصدقينني مرة واحدة .. انا وحدي الذي اعرف الطريق .. صدقينـي .. اخرجيني من هنا .. لن تندمي ..

هي : اوه .. سنعود الى هذا الموضوع ثانية ..

ـ وثالثة ورابعة .. فقط لو تصدقينني .. ساعديني على الخروج .. انـا اعرف طريـق شفائـي ..

هـي : لا استطيـــع .

ـ بســـببهم ..؟

ـ هـي : هـم علـى حـق .

ـ أتصدقينهم ؟ انهم يضحكون عليك .. سيسجنوننا كلنا مثلما يفعلون بي .. فقط سيكون سجنا اكبر قليلا .. سنجن او نموت حزنا .

Digitized by Birzeit University Library

ـ هـــي : سنستريـــح .

(بغضب) : مجنونة .. اعرف انك مجنونـــة .. لا يمكنك الفهم ..

(يتجه نحو المكتب ، يفتح الدرج ، يخرج مدفعا رشاشا ، يلقيه امامهـا على الارض) .

ـ هذا هو كل ما قدرت عليه .. سلاح بلا ذخيرة .. ماذا افعل به ؟ اجيبي ؟ انا لا اريـد ان اقتـل احـدا . فقـط اريـد ان اكـون قويـا .. مستقـلا .. بعيـدا عـن هـــذه الدقـــات .

هي : اذا كنت لا تريده آخـذه .

(تتجه نحو المدفـع ، يسبقها اليه ، يأخذه ويضعه ثانيـة فى الدرج) .

ـ لو تصدقيني .. سيحرمونك من كل شـــيء .. سيقطعـون أوصالك .. سيشوونك علـى النـار ..

هي : اعمالك هي التي ستقطع أوصالي .. متى تهدأ ويرضى الله عنـك .. لتستريـــح وتريحنـــي ؟

ـ (يكلم نفسه) : الناس اصبحوا مجانين .. لا أحد يفهمني .. حتى أمي .. كل هذه الرسائل تقول لي .. انت على حق ولكن .. وبعد لكن تأتي الاعاجيب ...

هي : (مستهزأة) : كل الناس على باطل وانت وحدك على حق .

(يسير في الغرفة يضع يده على رأسه ، يكاد يقع ، يشير لها ان تخرج) .

ـ اذهبي .. اذهبي . (تخرج) هذا الدوار اللعين .. انهم يقتلونني كل يوم بكم .. يأمي .. يأختي .. يا لهذا الدوار ..

(يجلس على الكنبة ساهما مغمض العينين ، تمر لحظات قبل ان يدق الباب وتدخل الام ، تقف لحظة صامتة حتى يكلمها قائلا) :

ـ مـــاذا تريديـــن ؟

هي : أرجوك يا بني .. لقد جاء اكثر من مرة ... ارجوك ان تقابله ..

ـ منذ متى يستأذنون حين يجيئون ..!

هـــي : انـــه ليـــس منـــهم .

ـ ليس منهم !! حيلة جديدة .. انا اعرف الاعيبهم اكثر منك .. يأتي المـرة تلو المرة ليستأذن للدخول .. حتى اطمئن اليه واثق به .. ثـم .. ينتـهي كـل شـيء علـــى يديـــه .

هـــي : ارجـــوك .. قابلـــه .

Digitized by Birzeit University Library

ـ هل هو محامي ؟

هي : لا .. انه يريد محادثتك لمصلحتك .. بضعة أسئلة واجابات ..

(يتطلع نحوها ، يضحك ، يتراجع بظهره الى الخلف ، تحاول ان تخرج ، يشير لها ان تبقى) .

ـ أشعر اني اليوم استطيع ان اتحدى العالم كله .. على كل حال لن اخسر شيئا .. ولو اني اعرف النتيجة .. كل يوم يرسلون لي محققا جديدا بهيئة مختلفة .. من اجلك انت سأقابله اليوم .. دعيه يدخل .

(تخرج مهرولة ، وبعد لحظات يدخل رجل يلبس نظارات طبية ويده بضعة اوراق)

الرجل : اهلا ... اهلا ...

يتطلع نحوه بلا مبالاة ، لا يقوم عن الكنبة ولا يرد عليه ، يتوقف الرجل ، عيناه تتحركان في المكان بسرعة ، لحظة صمت) .

هو : حديث ..؟

الرجل : (بتردد) : تقريبا .

هو ـ لقد ازعجتني .. لكن لا بأس .. أنا معجب بمثابرتك .. ولذلك اقابلك مهما كانت دوافعك .. تفضل بالجلوس (يتجه ليجلس على الكرسي قرب السرير) لا .. ليس هنا .. اجلس امام المكتب (ينظر الى الجمهور ويغمز بعينيه) من اي صحيفة أنت ؟

الرجل : لست تابعا لاي صحيفة .

هو : آه .. ذاك افضل فمعظم الصحف فاسدة .. رائحتها منتنة كالبيض الفاسد .. تعمل بالقطعة ... وهو كذاك .. تبحث عن المكان الاكثر ملاءمة .. الاكثر حرية ... او الاكبر ثمنا .. لا يهم .. قد نختلف في هذا .. على كل حال سأوجه اليك بعض الاسئلة اولا ..

الرجل : لكن ...

هو : لا احب كثرة الكلام .. ان كنت غير مستعد للاجابة فتفضل بالانصراف.

الرجل : (مستسلما) : اسأل .. لكن هل تعد بأن تجيب عن اسئلتي بعد ذلك ؟

هو : سيتقرر ذلك خلال الحديث .. الصدق والصراحة .. لا احب الكذب ولا النفاق ولا المجاملات .. ولا اللف او الدوران .. اتفهم ما اقول ؟ والا ...

Digitized by Birzeit University Library

(ينهض عن الكنبة ويتجه الى المكتب ، يفتح الدرج ويخرج المدفع الرشاش ، الرجل يرتبك يحاول النهوض ، يشير له بالمدفع ان يجلس)

هو : اجلس .. اجلس لا تتحرك .. ولا تكن احمق .

(يجلس هو الإخر ، يضع قدميه فوق المكتب والمدفع في حضنه)

هو : اسمع يا هذا .. انا في خدمة رجال الصحافة وحرية الصحافة .. هل لديك اسئلة مكتوبة ؟ اوه .. ليس لهذا اهمية .. فقط مجرد تساؤل خطر على ذهني .. فأنا لا يهمني ... وانت طبعا تحفظ اسئلتك .. قل لي ما اسمك ؟ او لا ضرورة لذلك ايضا .. فأنا اعرفه قبل ان تقوله (يغمز بعينه للجمهور) ولا ضرورة ايضا لتوضيح موقفك السياسي .. فالسماح لك بالمجيء الى هنا يعني اختيارا ... هذا واضح .. ماذا تعمل ؟ اوه لقد نسيت .. انت صحفي .. اليس كذلك ؟

الرجل : (متلعثما ، ينظر نحو الباب) : لا .. طبيب .. دكتور ..

هو آه .. هذه المرة طبيب .. عظيم .. لم اتشرف من قبل بأطباء يجرون الاحاديث الـ ... انت تعرف طبعا .. هناك تغيير اذن .. دكتور .. بيطري ، اطفال ، ولادة ..؟

الرجل : (مرتبكا اكثر) : طبيب نفسي .. اعصاب .

هو : اعصاب !.. آه .. اسمع ايها الطبيب.. هل لي ان اسالك بصراحة.. ما دمت طبيبا لماذا تستأذن في الدخول علي ؟..... لا ضرورة لان تجيب .. فأنا اعرف ... لماذا جئت تزورني واحدنا لا يعرف الاخر قبل الان ؟

الطبيب : جئت لاوجه لكم بعض الاسئلة .

هو : لكم ؟ هه .. فقط ؟.

الطبيب : فقط .

هو : وتريد اجابتها طبعا ..؟

الطبيب : طبعا

(فوهة المدفع تتجه نحو الطبيب)

الطبيب : (متلطفا) : من فضلك .. ابعد هذا المدفع عني ..

هو : لا تخف .. فلن اطلقه عليك .

الطبيب : ارجوك .. ابعده قليلا .

Digitized by Birzeit University Library

هـو : الم يقولوا لـك اني مسلـح ؟..

(الطبيب يهز راسه)

هـو : لو قالوا لك لما حضرت .. تعجبني امي في بعض الاحيان .

الطبيب : هل تسمح لـي بالوقـوف ؟..

هو : (ملوحا بالمدفع) : اجلس واجبني .. لماذا تريد سيادتك هذه الاجابـات ؟

الطبيب : من اجل .. انت تعرف طبعا .. كي تتوثق صلتنا اكثر ..

هـو : لسبـت أفـهم ..

الطبيب : بصراحة من طبيعة عملي ان اهتم بمثل هذه الامور .

هـو : مـع كل النـاس ..؟

الطبيب : ليـس بالضبـط .

هـو : آه.. لماذا اذن انا بالذات ؟ قلها بصراحة.. أم أقولها انا نيابة عنك.. لا يهم قالوا لك اني مجنون .. اليس كذلك ؟

الطبيب : لا .. لا .. ليس نفس اللفظ .

هـو : اضطراب في الاعصاب .. وسوسة عصبية .. خيانة .. اجرام .. (بهدوء) على كل حال الامر بالنسبة لي لا يعني شيئا (ينهض ويلوح بالمدفع)

الطبيب : تماما .. تماما يا سيدي .. لا يعنـي شيئا .. وبناء علـى طلبهم حضرت .. فأنا لا ذنب لـي .. لا ذنب لـي .

هـو : انـت ... تخـاف ..؟

الطبيب : طبعـا .. طبعـا .. (مشيرا الى المدفع)

هو : هل تأكل جيدا ؟ (يضحك ويغمز بعينه للجمهور)

الطبيب : (يهز راسه بالايجاب)

هـو : هـل تأخذ مرتبا معقـولا ..؟

الطبيب : (يهز راسه بالايجـاب)

هـو : هـل تفـهم فـي السياسـة ؟

الطبيـب : لا .. لا .. لا ..

هـو : اذن انت حمار مثلهم .

Digitized by Birzeit University Library

الطبيب : نعم .. ماذا قلت سيادتكم ؟

هو : (يضحك) : اقول .. انت تتهرب من الاجابة .

الطبيب : انهم في عملي فقط .

هو : طيب .. لماذا تعتبرني (مشيرا بيده الى راسه) مجنونا ؟

الطبيب : لا .. لا .. ليس تماما .

هو : (بعصبية) : ليس تماما .. اريد ان افهم هل تعتبرني مجنونا ام غير مجنون ؟

الطبيب : غير مجنون طبعا .

هو : اذن لماذا جئت ؟

الطبيب : لقد قالوا لي ..

هو : اضطراب في الاعصاب ..

الطبيب : بالضبط .. بالضبط .

هو : وهل تصدق كلامهم .. هل ترى الان ان اعصابي مضطربة ؟

(الطبيب يقف ، يخرج علبة سجائره من جيبه)

هو : اتعد .. الوقوف ممنوع .. التدخين (يلوح بالمدفع) هل ترى الان ان اعصابي مضطربة ؟

الطبيب : (يصمت قليلا ثم يقول) : اتريد الحق .. نعم .

هو : ماذا ؟

الطبيب : (بعصبية) : طبعا .. تحمل لي مدفعا رشاشا .. وتدور لي في الغرفة .. تبعث الرعب في جسمي .. لا تتحرك لا تقف لا تدخن ثم تسألني هل انا مضطرب الاعصاب ؟ طبعا عندك اضطراب في الاعصاب رجل عاقل لا يمكن ان يفعل ذلك .. اتفهم (تمر لحظة صمت ، يضيف الطبيب بعدها بهدوء) .. انا اسف .. لم اقصد يا سيدي انت تعرف لقد اصابني اضطراب في الاعصاب من منظر السلاح .. ارجو المعذرة .

هو : (بهدوء) : معك حق ... كان يمكنك ان لا تعتذر .

(يضع المدفع في درج المكتب .. ويجلس) .. لو كنت مجنونا لاطلقت عليك النار .. فعجبني ثورتك ... تفضل باسئلتك .. لكن باختصار .. فكثرة الكلام تصيبني بالصداع وانا فعلا مصاب به الان .. كما انني لا استطيع التركيز مدة

Digitized by Birzeit University Library

طويلة فقد انتقل لك الى موضوع آخر .. بسبب هذه الدقات .. انت تعرف ذلك طبعا ؟

الطبيب : كلا .. لا اعرف .

هو : اذن ها انت قد عرفت .

(يتنهد الطبيب ارتياح ، يفرك يديه ، يخرج قلما ، يمسك بأوراقه — يشير له الاخر بان يضع كل شيء على المكتب — يطعم) .

هو : لم تحضر جهاز تسجيل ... خفت ان اكسره .. لا تجب (يضحك) هناك اجهزة تسجيل كثيرة فلا حاجة بك الى الكتابة .. تستطيع ان تطلب الشريط منهم .. اتفضل اسال ..

الطبيب : منذ متى بدات تحس بانك على غير ما يرام ؟

هو : ماذا تقصد ؟

الطبيب : لنقل مثلا .. ما الذي يضايقك ؟ ومنذ متى ؟

هو : هذه الدقات .. المجنونة الجوفاء غير المنتظمة التي يدقونها في رأسي ليل نهار .. الا تسمعها ؟

الطبيب دقات ..؟ اي دقات هذه .. انا لا اسمع شيئا ..!

هو : طبيعي .. فهم ايضا لا يسمعونها .. او يسمعونها نغما حالما جديدا في كل مرة .

الطبيب : (متسائلا بخبث) : دقات الساعة ؟

هو : (يهز راسه بالايجاب) : دقات ساعتهم اللعينة .. لا توجد ساعة بمثل هذه الدقات .. عشرون دقة .. خمسون دقة .. دقة واحدة .. صمت كامل .. الم تسمعها ابدا ؟

الطبيب : (يوافقه) : سمعتها .. سمعتها .. سنحاول ان نزيلها باذن الله .. منذ متى بدات تسمعها بهذا الوضوح ؟

هو : طوال عمري .

الطبيب : منذ متى وعيتها ؟

هو : حينما وعيت الحياة .

الطبيب : كم كان عمرك ؟

هو : ربما عشر سنوات .. او اكثر قليلا .

Digitized by Birzeit University Library

الطبيب : وانـــت الان فـــي ..

هـــو : لا تحسب .. كـل الناس تعـرف منذ متـى .. كـل الناس .. لكنـــهم لا يتحركـــون لايقافهـــا .

الطبيب : وحاولـت انـت ان تقنعـــهم ؟

هـــو : هه .. لم يقتنعوا .. لا الناس ولا اصحاب الساعة .

الطبيـــب : احك لي عن ظروف الحادث المباشر للمشكلة ؟

هـــو : الحـادث ؟ حوادث كثيرة ...

الطبيب : آخرهـــم ..

هـــو : آخرهم مثل اولهم .. رفض هذه الدقات والثورة عليها .

الطبيب : كيـــف ؟

هو : (ينظر اليه دهشا) : الا تعـرف كيف يرفض المـرء الاستماع الى ما لا يعجبه ويثور عليه ويحاول تغـــييره ..

الطبيب : اقصد قص علي تفاصيل هذا الرفض ؟

هـــو : ابت تعرفها .. لا تلف او تـدور .

الطبيب : هـل انت مقتنـع بمـا فعلـت ؟

هـــو : مقتنع بالاسباب التي دفعتنـي لذلـك .

الطبيب : لو كل فرد اقتنع بنفس اسبابك لتغيرت الامور تماما ..!

هـــو : هـــذا صحيـــح .

الطبيب : ولكن الـى العكـس ..

هـــو : عظيم .. عظيم .. لا استطيع ان افلسف الامـور كما يرونها .. الامـــور واضحـــة .

الطبيب : هـل يمكنك ان توضحهـا لـي ؟

هـــو : (بعصبية) : هذه هي المصيبة .. اوضحهـا لك .. كل الناس هذه الايام تدعي عدم الفهم .. حتى اقرب الناس لي .. كلكم تؤثرون السلامة وتقولون اوضح .. اوضح .. وتصمـون آذانكـم عـن سمـاع اي شـيء .. وانتم تعرفـون انـه كـان لا بـد ان افعـل ذلـك .

الطبيب : لكن لماذا وهناك طرق كثيرة تؤدي الى نفس النتيجة ؟

Digitized by Birzeit University Library

هـــو : هه .. طرق كثيرة ... لو كنت تفهم في السياسة .. فـي الحق في القاريخ .. لو كنـت تفهم نفسـك .. لفهمتنـي .. لا فائـدة .. السؤال التالـي مـن فضـلك ؟

الطبيب : لكـن ..

هـــو : اسـأل او قـم فاخـرج ..

الطبيب : لا داعي لذلك .. (لحظة صمت) .. الا تشعر بالندم ؟

هـــو : لم افعـل ما انـدم عليـه .

الطبيب : هل تشـعر بالحـزن ؟

هـــو : لم اشعر طوال حياتي الا بشعـور واحـد .. اعتقـد انـه ما يسمونـه الحـزن .

الطبيب : هل عانيت حرمانا مـا .. فـي حياتـك ؟

هـــو : يبدو انك من عالم آخر يا سيدي الطبيـب .... عانيـت حرمانا يلسعني في الظهر كضرب السياط .. يحرقني في القلب ككي النار .. يلاحقني في كل مكان وأراه في كل وجه من أهل بلدي .. وعند كل منعطف .

الطبيب : وماذا فعلت لكي تتخلص منـه ؟

هـــو : سيدي الدكتور .. أنت تدور في نفس الدائرة ... انت تعرف انـي مكبل مسجون مسحوق وكلما حاولت شيئا علت اصواتهم منذرة مهددة متهمة ..

الطبيب : فتخـاف ؟ الا تخـاف ؟

هـــو : مـن الخـوف فقـط .

الطبيب : هـل تحـب النـاس ؟

هـــو : (سارح الفكر) احبـهم .. جـدا .

الطبيب : والذي عملته .. هل يتفق وحبك لـهم ؟

هـــو : (بضيق) : عملت الواجب .. وليس ذنبي انهم لا يفهمون .

الطبيب : لمـاذا ترتعـش ؟

هـــو : (بعصبية) أنت الطبيب ويجب ان تعـرف .

(يمسك راسه بيديه ، يشير الى الطبيب بالخروج)

هـــو : اخرج .. انتهـت الزيارة .. تفضل بالانصراف .

Digitized by Birzeit University Library

الطبيب : سؤال واحد فقط ..

هو : اخرج .. اخرج .. مللت اسئلتك .. مللت سخافاتك .. هناك الكثيرون يعرفون عني اشياء كثيرة .. اسال زملائي ان استطعت مقابلتهم .. خذ هذه الرسائل اقراها .. انظر ما يكتبون وما يقولون ..

(لحظة صمت ، الطبيب لا يتحرك)

اخرج .. مللت نظراتك .. نظراتكم .. انت ومن ارسلوك .. اتظنني لا اعرفك .. اخرج لم يستطع احد ان يفهمني وكلما حاولت انقاذ نفسي تعملون على اغراقي .. تريدون موتي (الطبيب لا يخرج ، وهو يسطقي على الكنبة ، تدخل الام مضطربة)

الام : كيف حاله يا سيدي ؟

الطبيب : اطمئني .. بخير بخير .. تفضلي بالخروج فانا لم انته بعد .

الام : لكنهم في الخارج .

الطبيب : سأنتهي بعد قليل .. انتظريني قليلا خارج الغرفة لو سمحت .

(تمر لحظة ، يتحرك هو عن الكنبة ، ينهض ، ينظر الى الطبيب)

هو : الم تخرج بعد ؟

الطبيب : أردت ان اطمئن عليك .

هو : هل ثعلم .... لقد وجدت الحل ؟

الطبيب : عظيم .. ما هو ؟

هو : أو تساعدني ؟

الطبيب طبعا .

(يتجه نحو المكتب ، يخرج المدفع الرشاش ودفعه الى الطبيب)

هو : اقتلني .

الطبيب : (بدهشة) : ماذا ؟

هو : الم تسمع .. اقتلني .. اقتلني .

الطبيب : اقتلك .. ولماذا ؟

هو : هذا هو الحل .. اما ان تقتلني او ان اقتلك .. احدنا يخلص الاخر .

الطبيب : لكني لا اشكو من شيء ..!

Digitized by Birzeit University Library

هـــو : لكني انا اشكو .. منك ومنهم اقتلني .. ستستريح آنذاك انت وهم.

الطبيب : الا ترى ان هذا الحل جزئي لا يمنع تفاقم المشكلة ؟

هـــو : آه .. تريدون قتلنا جميعا .. لا يكفيكم واحـــد او اثنـــان .. هيا اقتلنـــي ..

الطبيب : لا استطيـــع ..

هو : اذا سأقتلـــــك انـــا ..

(يوجه المدفع نحوه ، لكن الباب يفتح فجأة ويدخل ضابط وجنديـــين يطلقون عليه الرصاص فيقع على الارض ، تدخل الام صارخة وتلقي بنفسها عليه ، تبكي ، يسود الهدوء الا من نهنهات الام ، تتلاشى الدقات ، الطبيب يقـــف فاتحا فمـــه من الدهشـــــة) .

الضابط : (الى جندي) : انزع الخزنة الفارغة وضع بدلا منها خزنة محشوة.

(الجنـــدي يفعـــل ذلـــك)

الطبيب : اكان المدفع فارغـــا !

(الضابـــط يهـــز راســـه)

الطبيب : وكنـــت تعلـــم ذلـــك !

(يهز الضابط من كتفه ، لكن الضابط لا يرد)

الطبيب : لـــماذا قتلتـــه اذن لـــماذا ؟

الضابط : لانه حاول ان يقتلك .. اكتب تقريـــرا بذلك وانـــا في انتظـــارك ، (مشـــيرا الـــى الجنـــود) هيا .

Digitized by Birzeit University Library

النهر المقدس

محمود احمد شاهين

قالت « وردة العودة » لعمتها وهي تضم طفلها الى صدرها وصورة زوجها الذي داهمته الحرب وهو في عمان تمثل في مخيلتها : « هل سننزح اذا سقطت الضفة يا عمتي ام لا ؟ » اصلحت عايشة العلان من وضع جلستها فوق الدول الذي طوته واحضرته معها الى الكهف ريثما تنتهي الحرب « لا يا عمتي لن ننزح واليهود لنا ولهم الله » .

★ ★ ★

اعلن راديو العدو سقوط الضفة بكاملها ... لم يصدق الناس النبأ ..

خر المئات سجودا في كنيسة القيامة ... قال المطران ايليا متضرعا وهو يجثوا أمام تمثال الرب ، وعلامات الحزن والرعب ترتسم على وجهه : « ربنا انزل علينا رحمتك الطاهرة ، وانقذنا من شر الاعداء ، واحم ربنا ديارك الغالية » تردد الناس من خلفه (آمين) .. بسط الالاف اذرعهم داخل المسجد الاقصى وشخصوا الى السماء .. قال الشيخ عبد الحميد متوسلا : « ربنا اجعل من امامهم سدا ومن خلفهم سدا ، واجعل اللهم على اعينهم غشاوة علهم لا يبصرون » فارتفعت اصوات تستغيث وتتوسل بخشوع : (آمين) .

دوت طلقات الرشاشات في ساحة الاقصى ومرت بعض الطائرات المعادية على ارتفاع منخفض فالقت قنابلها وفتحت نيران رشاشاتها بشكل عشوائي ... تناثرت اشلاء من اجساد بشرية ... جمد طفل من الرعب لحظة ثم هرب تاركا عند قدميه بركة صغيرة ... خرج آلاف البشر من الملاجىء والمنازل واخذوا يعدون في

Digitized by Birzeit University Library

اتجاه الشرق ... ذلك حمل اخف الاشياء ، وذاك اضاع حماره ، وذاك فقد محفظة نقوده ... ارتفع الصراخ والضجيج ... ذاك يسأل عن ابنـــه ، وتـــلك تصرخ وتولول ، اوهذه تمزق وجهها بأظافرها ، وذاك رجل فقد صوابه وانهال على زوجته ضربا بعصاه ، لانها لم تحضر ما خف حمله كما أمرها ، لاعتقادهـــا ان الضفـــة لن تسقط ... وتلك امراة كانت قد رتبت كل حاجياتها ، فها هي تضع الدجاجات فـــي لفن العجين وتحمله على راسها ، بينما الطفل يصرخ في الحذل المتدلي على ظهرها، وزوجها يحزم بعض الامتعة ويحملها ويسوق الاطفال امامه ... وتلك امراة تنزلق قدمها فترسو بين صخرتين وتصرخ جاهدة لاخراج رجلها دون جدوى ..

تنبه الراعي « محمد عودة » الى الضجيج القادم من الغرب ... ترك القطيع وصعد سفح الجبل ليتبـــين الامر ...

« ذاك شاب يعدو ، وذاك راع يسوق قطيعه هاربا ، لكن من اين كل هـــذا الصراخ ؟ وما لبث محمد عودة ان تبين الامر اذ ظهر آلاف من البشر يركضون فـــي الاودية وعلى قمم الجبال ومع السفوح ... انثنى الى القطيع ... اخذ بيده صفيحة واخذ يضرب عليها فأجفل القطيع ... وما ان بلّغ قمـــة الجبل وأحكم النظر حتى نزع كوفيته عن راسه واخذ يلوح بها وينادي بصـــوت عـــال : « يا ناس يا هيه ، الضفة سقطت في ايدي البهود ، والناس هربوا ها هم يهرعون من الغرب، يا ناس يا هيه ... » وركض على قمة الجبل ، شرقا وغربا ، شمالا وجنوبا وكـــرر النداء وهو يلوح بكوفيته وعقاله ويقفز عاليا ، ثم يهـــوى علـــى الارض ويرفس بقدميـــه ويدحرج الحجارة الكبيرة من القمة ...

سمع الناس نداء « محمد عودة » فخرجوا من الكهوف التـــي أووا اليهـــا منذ اندلاع الحرب ، وقد ارتجفت قلوبهم من الرعب والهلع ، ودبت بينهم الفوضى شان القادمين من الغرب ... وقفت وردة العودة ترقب شقيقها الـــذي كـــان يقفز عاليا وشاهدته وهو يتوقف عن القفز والنداء وينحدر مع الجبل جريا . ويدحرج الصفيحة خلف القطيع فتخرج قرقعة هائلة فتهرب الاغنام امامه ...

ارتفعت اصوات تدعوا الى النزوح واصوات تدعو الى التريث لتبيان الامر . لكن محمد عودة بلغ الوادي فقطع الشك باليقين : « يا ناس اسمعوا » فانصتت الكل وقد تحلقوا من حوله وهو يعتلي صخرة عالية : « الدول العربية انهزمت ، واليهود احتلوا الضفة والقطاع وسيناء والجولان ، انا لا اقول لكم الا الصحيح ، شاهـــدت النازحين من القدس والطور والعيزرية وابو ديس بعيني هذه ها هم ياتـــون مـــن الغرب ، يحملون عفشهم واولادهم على ظهورهم ويهربـــون شرقـــا اذا لم تصدقوا اصعدوا الى الجبل وشاهدوا ها هم يهرعون من الغرب كأمواج النمل ... » .

Digitized by Birzeit University Library

زاد « محمد عودة » من الطين بله فعلا الصراخ ودب الضجيج : « هل سيفعلون بنا كما فعلوا عام (٤٨) ؟ هل يحدث كما حدث في دير ياسين وكفرقاسم ؟ سيحدث اكثر من ذلك .. النزوح يا ناس ... اكسبوا حياتكم وحياة اطفالكم .. انهم يبقرون بطون النساء الحوامل ، ويقطعون رؤوس الاطفال ... الا تذكرون دير ياسين ؟ آه ، لو لدينا سلاح ... » هرع الناس الى ملابسهم وحاجياتهم يحملونها ... تعثروا ببعض ... تلقت « الطرمزيه » صدمة قوية من راس احدهم فنزلت الدماء من انفها ... وافرغت « جميلة الحمدان » كمية من الطحين على قطعة قماش بالية وصرت عليها ... واخذت فاطمة زوجة المجنون الاخرس على الخطيب الذي انخرس وجن بعد ان احرق لسانه بنار البشمة ــ تضرب كفا بكف ونظرت الى عايشة العلان لتجدها جالسة في ذهول .. خطت نحوها :

ــ ما رايك يا حجة هل ننزح ام لا ؟

ــ لا والله يا بنتي ما دام في النزوح موت وفي الحياة هنا موت ، لا والله ، نموت في بلادنا احسن لنا .

ولم تجادل فاطمة في ذلك واعتبرت قول (عايشة العلان) القول الفصل .. وكان كل ما يقلق عايشة العلان ابنها محمد الذي قد لا يترك عمله في عمان ويبقى هناك ، وتبقى زوجته وطفله هنا ...

آلاف من البشر يتجهون الى الشرق ... قوى واهنة ، خطا ثقيلة ... السن جافة من الظمأ ، اطفال يصرخون ... كلاب تبحث عن نقطة ماء ... شمس حزيران تلقي بحرارتها على الرؤوس ... عرق يتصبب من الجباه ... شفاه تتقصف في ذبول ... عجوز يتدحرج من سفح جبل فيستقر على حصباء الوادي ، يشهق ويشهق وينام نومته الابدية ... ام تسأل عن طفلها المفقود فلا يجيبها احد .. طائرة تفتح نيران رشاشاتها ، تتهاوى جثث وتنهض اخرى متمايلة من الم الجراح!! غراب ينعب في السماء ... بيدر قمح تحرقه قنبلة معادية ... جندي يغير ملابسه بملابس مدنية ، وآخر يتخلى عن بندقيته ، وآخر يبادلها بمطرة ماء ...

تنزل دموع وردة العودة تنتحب بصمت ... تنبعث اللاجئة المجنونة فجاة قادمة من اسفل الوادي ومتجهة الى الغرب بعكس معظم البشر ، ترتدي كيس الخيش اياه !! وبشعرها الاشعث المنفوش ، تدق صدرها بحجرين ، وتغني بصوت مفجوع وقد نضبت الدموع من عينيها ... تقول عايشة العلان ومن قلب حزين : « آه ايتها الام البائسة الى اين تتجهين ، بينما الناس يولون الادبار ؟!! » تنظر الحاجة ذوابا الى زوجها الهرم عودة ، ثم الى ابنها محمد وهو يقف الى جانب القطيع ... يتجهم وجهها ومخيلتها تبحث عن مصير ابنتها بينما صراخ ينبعث من المغارة التي لجأت اليها عائلة « احمد ابو الجدايل » ...

Digitized by Birzeit University Library

خيوط بشرية مبعثرة تمتد ما بين الضفتين ... امراة تحمل طفلا بيديها وطفل على ظهرها ... شيخ يتضرع الى الله ... سرب حمام يفر مذعورا من احد السدود ... تنعق بومة معلنة عن ابدية الحزن !!! يرقص جنود الاعداء في حر الاقصى ... يغتصب آخرون عذراء على ضريح يسوع في كنيسة القيامة .. تتلون السماء بلون قاتم ... اطفال مدرسة الايتام ينظرون بعيون حزينة حائرة ... حبال تمتد بين ضفتي النهر ... تهاجر طيور القطا في اسراب عن ارض الوطن ... يعبر الناس النهر متشبثين بالحبال ... تصرخ امراة وقعت في حوام... جثة طفل تطفو فوق ماء النهر .. يمتطي راعي ظهر كبشه ويخترق به الماء خلف القطيع ... تسبح الاغنام ، تجاهد وتصعد الى الضفة الثانية ... رجل يردف اطفاله من خلف على ظهر بغل ويجتاز النهر ... حمار يكتشف انه يجيد السباحة ... قس يقف بعينين دامعتين ... دجاجات تسقط على راس امراة فتطفو فوق مياه النهر وهي تستغيث !! يتبادل عارف ابن الشيخ علي الانتخاب مع جنود الاحتلال... يقذف النهر الدجاجات الى البحر الميت ... يصعد كلب الى الضفة الاخرى ... يوزع جنود العدو البسكويت على الاطفال النازحين !! يسقط كيس الطحين عن راس امراة في الماء فيستقر في قاع النهر ...

★ ★ ★

يعزف محمد عودة على نايه لحن النزوح تتسلل النغمات عبر الجبال والشعاب ... ثن ... تدمع عينا عائشة العلان ، وتبكي وردة العودة زوجها في صمت ... ترفع « الحاجة صفية » راية الاستسلام فوق مدخل المغارة ... وتعلن الحاجة ذوابا عن الصمود حتى الموت ... ويذرف العجوز عودة من قلب حطمته عذابات الحياة ...

(٢)

تمر الايام قاسية مريرة ولا يسمع اي خبر عن محمد ، وتظهر تجارة تهريب الناس الى الضفة الشرقية ... كان الدليل يأخذ خمسة دنانير على الفرد في البداية ومع مرور الايام ، ارتفع السعر الى عشرة ثم الى خمسة عشر واخيرا الى ثلاثين ... من أين لعايشة العلان هذا المبلغ لتدفعه الى مهرب يصحب زوجة ابنها وطفلها الى الضفة الشرقية ؟ وينطلق لحن النزوح كئيبا مبكيا من ناي محمد عودة، فتحمله الريح ... تتكسر الحانة عبر التلال فيبلغ مسامع (عايشة العلان) ... تمر صور عشرات المآسي في مخيلتها ثم تستقر عند صورة (محمد) فتأخذ بالعفاء والبكاء وهي تنسج على الذول، فتخلط اغاني السفر باغاني الغياب واغاني المآجين باغاني النـدب :

Digitized by Birzeit University Library

يا ريتكم تروحوا واعيد حنايا
تروحوا سالمين واعيد انا منايا
يا ريتكم تروحوا واعيد ملبوسي
تروحوا سالمين تايقوى ناموسي
ونتو غاييين محرمة الغيه
لما تروحوا يا نور عينيه
ونتو غاييين محرم اللبس
لما تروحوا وتلفوا عالقدس

★ ★ ★

بعيدين عني ونافي العين ماريهم
وانا اشتاق قلبي تنى احاكيهم
طارت الطيارة والهوا يوحي
وتيجو بالسلامة يا بعد روحي

★ ★ ★

يتسرب صوت عايشة العلان الى مختلف البيوت ... تذرف النساء الدموع ووردة تنتحب بصمت كعادتها وتحضن طفلها وتضمه الى صدرها ... تنهض وتجلس صامتة بالقرب من عمتها ثم تأتي الحاجة ذوابا وتنضم اليها ... لقد بعثها غناء عايشة العلان ... تنهض وردة لتجلسها مكانها :

— ابق جالسة يا بنتي ، الله يجمعك بزوجك بالسلامة .
— الله يسلمك يا امي ...
وتجلس الحاجة ذوابا الى جوار ابنتها :
— كيف حالك يا عايشة ؟
— الله يسلمك يا حجة
— يا وليه الى متى الندب والنعي ، الغائب علمه معه ، انشاء الله ما يصير الا الخير ، لماذا تعمي عينيك من البكاء ؟

— انا عارف يا حجة ، الله يرضى عنه ويحن اليه ويسهل الصعاب في وجهه لو انه طمأنني بكلمتين عن حاله ، ولو امراته وابنه عنده ، والله يا حجة ، لخفت مصيبتي ... يا بني من يغسل له ملابسه ، من يطبخ له ، يا ترى كيف عيشته ؟ جوعان ، عريان ، حي ، ميت ؟! الله اعلم ..

Digitized by Birzeit University Library

ـ الموت لاعدائه .. طولي بالك الله مع الصابرين .

ـ الى متى نصبر يا حجة ؟ حرمنا من اولادنا واهلنا ، وتشتتنا ، وانهد حيلنا وحملنا ، قلت له لما جاء آخر مرة قبل الحرب بثلاثة اشهر يا بني خذ زوجتك وابنك معك ، قال لي ريثما استأجر بيتا مقبولا يا امي . ليرضى الله عنه ويحن اليه . كانت يده مجروحة من الازميل ...

وانحنت عايشة على حجر مصقول كان محمد قد صقله بأزميله وشاتوشه لتستعمله امه . فكانت تعمل منه مقعدا تارة ، وتارة تضع عليه كؤوس الشاي والابريق . انحنت عليه واخذت تقبله وهي تقول « لتسلم اليد التي دقته » .

فكرت الحاجة ذوابا قليلا وهي تحدق في وجه ابنتها ويبدو انها توصلت الى نتيجة اذ نظرت الى عايشة العلان :

ـ عايشة ؟

ـ نعم يا حجة ..

ـ معي عشر ليرات واجعلي محمد الله يسلمه يجلب عنزة الى السوق ويبيعها وحاولي ان تحصلي باقي المبلغ ، لنرسل البنت والولد الى عنده ، حتى اذا طال الاحتلال كل واحد يكون عند أهله .

ارتسمت علامات العرفان بالجميل على وجه عايشة العلان .

ـ الله يكثر خيركم يا حجة ، لكن لماذا هي الحياة اذا طالت أيام الاحتلال وظل اولادنا بعيدين ونحن هنا ، الله يرضى عنه انا قلت سيأتي وان يظل هناك ، وليحدث ما يحدث .

ـ اتريدين من الشباب ان ياتوا ليذبحوا ذبح الغنم يا عايشة . انسيتي ما عمل اليهود في الثمانية واربعين ؟ لماذا نزح الناس ؟ خوفا من المذابح، والا ما كانوا نزحوا

وجمت عايشة العلان قليلا وتوقفت عن التسبيح ...

ـ ومن المهرب الذي سنرسلها معه ؟

ـ سنرسلها مع عارف العلي ، منذ الحرب وهو يشتغل في التهريب ، لقد ارسل واحضر الكثير من الناس .

Digitized by Birzeit University Library

ـ الم تجدي غيره يا حجة ، انسيت الاعمال التي عملها عمه فينا ، ايام الانكليز ، صفيحة الماء كان يبيعنا اياها بخمسة قروش ؟

ـ ماذا سنفعل يا عايشة مع من سنرسلها اذن ؟

ـ ما اعرف ، الله يعيننا على الذين كانوا السبب !!

(٣)

ـ اتكلي علي يا حجة ، والله انني سأضعها في عيني حتى اقطعها نهر الشريعة .. هل انقطعت الدنيا ، باطل ، ما زال فيها خير يا حجة !!!

ـ كم تريد يا عارف ؟

ـ والله يا حجة اسمعي لاقول لك

ـ قول يا ابني ؟

ـ صلي على النبي

ـ عليك الف صلاة يا نبي

ـ والله فقط من اجلك يا حجة ، ومن اجل عايشة العلان

ـ الله يسلمك يا بني كم يلزمك ؟

ـ انا اقبض خمسين دينارا على النفر ، انما لكن اقدم عيني ، ويكفي ثلاثين للبنت وعشرة للولد ، اربعين دينارا ... والله هالمبلغ لا اقبله من احد غيركن ابدا ؟

اخرجت عايشة العلان ثلاثين دينارا من صرتها وقالت :

ـ والله وحياة ابني الذي لا يوجد اعز منه في الدنيا ، اننا لم نقدر ان نجمع هذا المبلغ الا بطلوع الروح ، ماذا اقول لك ، باع اهل الحجة ذوابا عنزة بعشر ليرات ، واخذت خمس ليرات سلفة من الحاج علي العطا ، لانسج له مفرشين واستدنا من هنا وهناك حتى جمعنا الثلاثين ليرة .

امتعض عارف العلي قائلا :

ـ والله لا يكفي يا حجة ، لما كان ناس كثير ، كان ذلك يكفي ، انما انت عارفه ، اليوم على الواحد ان يتحمل المخاطر ويمشي على دمه من اجل خمسة انفار على الاغلب وفي العودة لا يجد احدا يحضره .

Digitized by Birzeit University Library

نظرت عايشة العلان الى وجه الحاجة ذوابا ثم الى وجه كنتها :

ـ والله يا اخي ما معنا غيرها والطفل ستحمله امه هل ستحمله ؟

ـ الله يسامحك يا شيخه ، وهل احمل غير نفسي ، كل واحد يحمل نفسه والله يحمل الجميع ، انا احاسب على النفر ، على كل حال . اذا كان هذا غير مناسب عليكم ... قد يرخص السوق ، واعاهدك يا حجة انني سأصحبها معي يومها ، انما الآن والله لا يناسبني هذا السعر ...

واثنى عارف العلي سائرا : « الآن ستناديني الحجة وتقول ارجع يا عارف ، غير ان ايا من الحجتين لم تنده له .. » لكن كيف اترك هذا الغزال يفلت من بين يدي ، غزال يا عارف غزال ، لحم كالفستق المقشر ، ارداف ، آه ، كيف تتركها ! بشرفك الا تقبل ان تصحبها ، بلا اجر ، اخ سمكة يا عارف ما فيها جنس العظام وانت الصياد ، لا احد ينادي ، ارجع ، ارجع هذا يكفي ...

واستدار عارف العلي عائدا الى الحاجة ذوابا وعايشة العلان :

ـ لعنة الله على الشيطان ، والله يعز علي ان اذهب واترك البنت ، وهذا الطفل الذي حرم من مشاهدة والده ، وشأنكن عندي غير قليل يا حجة .

ـ الله يسلم شانك يا عارف ، متى السفر يا اخي ؟

ـ غدا صباحا بعونه تعالى .

« خذ يا اخي » ، واخذت عايشة العلان تعد النقود في يد عارف ...

اقبل عارف منفردا ، فارتابت عايشة العلان ان ترسل وردة معه لوحدها ...

ـ صباح الخير يا حجة .

ـ الله يسعد صباحك يا عارف شايفك وحدك ؟

ـ اي والله .

ـ لا احد معك ؟

ـ الله يسامحك امن المعقول ان اسافر مع بنت لوحدها ؟ لن تناسبني السفرة ابدا ، معي خمس نساء ، انما تركتهن على الطريق ريثما احضر وردة .

اطمأنت عايشة العلان لكلام عارف :

ـ متى تقطعون النهر بالسلامة ان شاء الله ؟

ـ الليلة ، وغدا في مثل هذا الوقت ستكون عند زوجها اذا سهل الله .

Digitized by Birzeit University Library

ـ ان شاء الله لن يأتي الا التسهيل ، وديعتك وردة يا عـارف ، يا بنـي انا اضعها امانة في رقبتك الى ان تقطعها النهر وتركبها في تكسي لا ترسلها لوحدها يا بني واذا وصلتها لزوجها تكون عند الله فاعل خير .

ـ الوديعة على الله يا حجة ، لا تهتمي للامر ، وردة اختي واعز من عيني ؟

ـ اذا كان في الدنيا خير يا بني ... الله يسلم عينيك ويسهل دربك .

وانثنت الى الخشة وقد تناست كل الماضي الاسـود لآل علـي ... وجاءت الحاجة ذوابا لتـودع ابنتهـا ...

صرت عايشة العلان بعض ملابس وردة وملابس الطفل وبعض ملابس محمد في شرشف كبير ، ربطته من طرفيه ، بحبل لفت عند منتصفه بعض الشرائط حتى لا يؤلم راس وردة .. ووضعت صرة صغيرة فيها ثليلا من الزيتون والبصل والخبز لتاكل وردة في الطريق ولتطعم « محمد » من زيتون البلاد وبصلها وخبزها الـذي خبزته بيديها .. كما وضعت بطرة ملأتها بالماء ... ونهضـت الى كنتـها تقبلـها مودعة ... الله يرضى عنك يا بنتي ، سلمي على محمد وخذي بالك منه اسهـري على راحته يا بنتي ولا تناكديه ، قبليه عني يا بنتي ، قولي له امك تقبلك . ولا تنسي الحرمة التي وضعتها له يا بنتي .. وضعت لك فيها ليرتين ، لتصرفي علـى نفسك اذا احتجت لشيء في الطريق ... قولي له ، هذه الحرمة من رائحة امك ، وضعتها لك في الملابس ... اعتنوا بأنفسكم يا بنتي ، الله يسهل طريقـك ويعمـي عيون العدا عنك ويجعل لك في كل طريق رفيق .. واخذت تضم الطفل وتقبله بدموعها... بينمـا وردة تـودع أمهـا ...

حملت وردة الصرة على ظهرها ،وحملت الطفل بيديها وضمته الـى صدرها وانصرفت خلف عارف العلي وعبرات ساخنة تنحدر من مقلتيها ... ولاحقتها كلمات والدتها وحماتها ... قالت الحماة : لا تنسي عنوان محمد يا بنتـي ، اللـه يرضى عليك وبحن اليك ويجعل الخير ما بين يديك ، سلمـي على كـل الاهـل والاحباب يا بنتي ، قولي لهم ان عقولنا سارحة معهم في الليل والنهار . وننتظر قدومهم ... وقالت الام : « الله يجعل طريقك سهل ما فيهـا وعـر يا بنتي ويوصلـك لزوجك بالسلامة » وكانت « وردة » قد ابتعدت فتوقفت المراتان عن الدعاء وظلتا ترقبانهـا حتـى اتقـت خلـف تلـة مرتفعـة ...

شاهد محمد عودة شقيقته تحمل طفلها وتسير خلف عارف العلي فترك القطيع « الصغير » وهرع اليها والدموع تترقرق في عينيه : « مع السلامـة يا اختـي — يعزف على ناية طول اليوم ، ويتذكرك مع كل طلوع شمس ... واليهود اللعنة... قولي له اننا لن نخاف منهم وبعد وصولك ارسلو لنا سلامكم بالاذاعة ... » .

وعاد الى القطيع بينما تابعت « وردة » سيرها خلف عارف العلي ...

Digitized by Birzeit University Library

يقصر عارف العلي من خطواته ... يسير الى جانب وردة يختلس النظرات اليها « عينان ، فم ، خدود ، عنق ، صدر ، وردة انها وردة فعلا ، من اسماها بهذا الاسم ؟ تنزلق عيناه الى اسفل ، ينظر بعينين شبقتيـن الـى ردفين مكتنزين ... تجتاحه موجة من الشبق العارم .. تطرق اسنانه .. ترتخي شفتاه « ما الذي يمنعك من رفع هذا الثوب عاليا ، لتلمس على هذين الردفين ، تغرس اصابعـك بهما .. تفرك لحمهما حتى يقطر الدم منه .. تضجعها هنا على حصباء الـوادي .. تقلبها بطنا وظهرا .. لا يوجد غير الشمس والجبال والاودية ، علها تصرخ ؟ قد لا تقبل ما الذي سيحدث بعد ذلك ؟ هل تهرب وتعود الى القرية ؟ ثم تفضحك بين الناس وتخسر كل تجارتك بعد ان تخسر ثقة الناس ؟.. أم تغتصبها وتقتلها اذا حاولت الهرب ؟! ويكبح عارف من جماح شبقه ويحاول ان يطـرد صـورة ردفيـها مـن مخيلته ... ينظر اليها ... انها تسير بصمت ، وادعة ، حزينة ، بماذا تفكر ؟!

الا تفكر برجل يسير معها على انفراد بين هذه الجبال ، ولم يشبع من النسـاء في حياته ؟ سيما وانها لم ترطب فخذيها منذ آخر مرة شاهدت فيها زوجها قبـل بـ يقـرب مـن سـتة اشـهـر ... » .

★ ★ ★

« يا حبيبي يا محمد ، هل ساشاهد طلعتك الجميلة ؟ هل ستضمني في الليلة القادمة بين ذراعيك ؟ لن اخجل منك .. سأقول لك انني عطشى ، عطشى يا محمد فاجعني حتى الصباح ، اروني دعني انتشي ... ستقول لي : « يا سافله هـذه يكفي » وساكتفي !! كيف ستستقبلني ؟ اعرف انك ستفرح كثيرا .. انظـر الـى « فارس » ما اجمله .. انه صورة طبق الاصل عنك ، نفس الانف ، نفس الذقن .. انظر الى الغمازة في ذقنه .. لماذا لم تعد الى الضفة بعد الحرب ؟ فضلت العمل في عمان ؟! اما زلت تدق هذه الحجارة ؟ هل تستطيع ان تقول لي كم حجر صفقت في حياتك ؟ انك تضحك .. طيب بلاش ، كم صخرة انهلت عليها بمهدتك لتقسمها من نصفها وتحولها الى حجارة مصقولة جميلة فيما بعد ؟ اما زلت تعمل مع « فتح » اطمئن لم اطلع احدا على هذا السر ، حتى امي وامك .. لكن لماذا لم تأت ؟ البـر الفصال من هنا افضل من الفصال من عمان ؟!! » .

★ ★ ★

تعبت يداها من حمل الطفل ، رفعته الى كتفـها ونظـرت الـى عارف علـ يساعدها في حمله .. تنبه عارف للامر ، مد يديه وتعمد ان يضع يده على كتف الـ

Digitized by Birzeit University Library

قبل ان يأخذ الطفل من يديها : « سأحمله عنك » كانت وردة منهكة فلم تمانع في ذلك .. ولم تتنبه لليد التي ملست على كتفها . ثم انزلقت لتمسك الطفل من ذراعه ...

صخور صوانية وسدود تمتد على جانبي الوادي .. حرارة الشمس مرتفعة ... تسير وردة الى محاذاة الوادي علها تنعم بشيء من ظل الصخور...

ـ تصوري يا وردة ان الانكليز قتلوا في هذا الوادي اكثر من مائة جندي تركي وعندما أمر منه في الليل . يا ساتر يا الله . شيء يجعل الراس يشيب ؛ يخرج مردة الجنود الاتراك ويأخذون بالرطن بالتركي بينما يردد مردة الانكليز عليهم بالانكليزي.

ماذا اقول لك ؛ اقرا آية الكرسي؛ واتعوذ من الشيطان واضع راسي وانام.. ليلة من الليالي صحوت على واحد منهم ؛ وجدته يجلس عند راسي ويأكل من صرة طعامي .. سميت بالله وتعوذت من الشيطان .. انشقت الارض وابتلعته .. لا تخافي طالما انا معك ؛ ولا تهتمي للامر . ونطقت وردة للمرة الاولى مع عارف وهي تجاهد لتبعد مردته من مخيلتها :

ـ اين النساء اللواتي تحدثت عنهن ؟

« ما اجمل هالصوت ؛ من زمان انطق يا غزال ؛ خليني اسمع صوتك » .

ـ بعد قليل سنصل الى مكان التجمع .. ستجلسين هناك وساغيب عنك قدر ساعتين ؛ واعود النساء موجودات قلت لهن ان ينتظرنني في مكان قريب ...

ضم الطفل الى صدره وضغط عليه وهو يتمثل والدته بين ذراعيه ؛ غير ان صورة الام لم تمثل في مخيلته جيدا . ثم ان الطفل لم يملأ حضنه .. صار يلتصقا الى جانب وردة .. اختلس نظرات جانبية الى ردفيها .. ترك فخذه تقترب شيئا فشيئا ... اصطدمت ركبته بفخذها ... تنبهت وردة واعتبرت ان ذلك قد تم دون قصد :

ـ انت تعبت يا عارف ارى انك تصطدم بي ؟

ـ لا اعوذ بالله انما نزل شعاع الشمس على عيني ولم ابصر امامي ..

ـ وهذه المردة التي تتحدث عنها ؟

ـ ماذا اقول لك يا وردة ، الواحد منهم « بسم الله الرحمن الرحيم » طول عمود التلفون ..

Digitized by Birzeit University Library

ـ الا يـؤذون النـــاس ؟

ـ لا يؤذون غير الذي يشتمهم او يبغضهم ـ لكنهم يخيفون ..

دوت محركات طائرة هليكوبتر قادمة من بعيد وكانت فرصة ثمينة لعارف : (اختفي يا وردة) ومد يده الى خصرها وضمها اليه ، وهو يلتصق الى جانب صخرة ناتئة على جانب الوادي ... ظهرت الطائرة على ارتفاع منخفض ، ولم تنتبه وردة لليد التي استقرت فوق اليتها ... مرت الطائرة وغابت خلف الجبال .. تنبهت وردة ليد عارف على ردفها صعودا ونزولا .. واقنعت نفسها ان ذلك ليس مقصودا !! واخذت الطفل من يدي عارف واندفعت سائرة مع الوادي ..

★ ★ ★

« لم تتكلم والله رضخت لك يا عارف .. اصبر يا رجل سنصل الـى مكـان التجمع .. ما اجمل التعري على رمل الوادي تحت ظل الصخور .. سأختبرها مرة اخرى اذا ظلت ساكتة انتهى الامر .. » .

★ ★ ★

«من احضرك يا وردة» ؟ «جئت مع عارف العلي» .. «مع عارف العلي؛ غير معقول ووصلتيني سالمة ؟ لا يمكنني ان اصدق ؟ لماذا اليست انا التي امامك ؟ دعيني ارى ، اي ارفع يدك يا سافل ، كيف حال والدتي ؟ تسلم عليك ... خذ تسيت.. ماذا ؟ ارسلت لك محرمة من رائحتها . يا سلام ، والزيتون الن تاكل منه ؟ سأكل والخبز ، لقد خبزته بيديها حتى يطيب لك ان تاكله .. يا سلام ما اروع خبزك يا امي لا تبكي ارجوك ، لانني بكيت طول الطريق ، الم تخافي ؟ اكثر ما اخافني المردة التي حدثني عنها عارف العلي ، وما عدا ذلك ما خفت ، مرده !! جان يعني ؟ هكذا يقول، اوه ، اتركينا من كل هذا الهراء ، حدثيني عن القرية ، عن ناي شقيقك محمد ، عن والدتك عن صبايا البلد ، عن اليهود ، عن الحرب ... » اسمع يا سيـدي ، انا سامع «...» لم تحدثيني عن صبايا البلد ؟ لن احدثك ، ايتها الغيورة : انت تغار اكثر مني ، صحيح ، ضمني اليك : حبيبتي ، حبيبي » ...

★ ★ ★

وصلا الى مكان على جانب الوادي حيث يوجد بئر ماء ... ويبدو ان اغنامها كانت تنام في ذلك المنام ، اذ ظهر بعض الزبل على مزبلة البئر وعلى « سدره » والى جانب الاحواض وعلى « الحمرة » ، وفي المصفاة وكانـت الصخـور العالية والسدود الصخرية تحيط بالمكان من كل جانب ، وتلقي عليه ظـلا رطبا ساحرا ..

Digitized by Birzeit University Library

قال عارف وهو يقف الى جانب الحائط الصخري : وصلنا سنرتاح قليلا وسأذهب لاحضر باقي النساء ، ان اتأخر عليك « وضعت وردة الطفل الى جانب حجر ، وطلبت من عارف أن يساعدها في انزال الحمل عن ظهرها .. وكانت فرصة اخرى غير متوقعة امام عارف ، فوقف خلفها ملتصقا .. امسك بالحمل عن ظهرها واخذ ينزله ... احسست وردة بشيء يجعلها تجزم ان « عارف » يتعمد التحرش بها !! ولم تتبس بمفضلة التريث على فتح المعركة معه ...

وضع عارف الحمل جانبا واستلقى على جنبه بينما جلست « وردة » خائرة القوى وكومت على حجر قريب منها.. كان الاجهاد ينهك قواها فأسبلت جفنيها...

« ما اجبنك يا عارف لم يبق الا ان تمد يدك وترفع هذا الثوب الى أعلى ، وبعدها ينتهي كل شيء .. ماذا تتوقع من امراة خائرة القوى ان تفعل معك ؟ وليست خائرة القوى فقط ، ولم تشاهد زوجها منذ ستة اشهر .. لماذا لا تمد يدك يا حيوان ، يا جبان ، لماذا ؟..

ومد عارف يدا مرتجفة .. استقرت على أعلى فخذ وردة المسبلة الجفنين ... فتحت وردة عينيها نظرت الى وجهه ، بدا الاحمرار وقد اندفع منه ، وظهر الرعب مسيطرا عليه .. وقالت بصوت لا يخلو من نفره :

— ماذا تريد يا عارف ؟

ارتعدت فرائصه ..

— انني ذاهب لاحضار النساء ، خذي بالك من مردة الاتراك قد تخرج اليك.. وقالت بشيء من الاحتداد ايضا :

— لماذا لا تذهب ، ومردة الا تراك لي ولهم الله ..

والحقيقة ان حكاية المردة قد اخذت كل تفكيرها ..

— انا ذاهب لا تصرخي ، اف ما هذه المراة ؟..

ايقن عارف ان لا فائدة ترجى من وردة ، وانها قد تكون على معرفة تامة بنواياه ، ومنذ ان لمس كتفها للمرة الاولى ، وانها كانت تكتم غيظها طوال الطريق .. ولم يفكر في امر اغتصابها خوفا على تجارته ان تبور وخوفا على سمعته بسببها وانه من (آل العلي) الذين حملوا المشيخة أبا عن جد ، ولهم مكانتهم بين الحمولة . كما انه ليس بهذه الشجاعة ؟؟ لكنه لم يقطع الامل ...

Digitized by Birzeit University Library

« سأخبرك يا محمد » ماذا ؟ « عارف وغد ابن وغد » ، اوه كنت أعتقد انك ستخبرينني عن صبايا البلد ، ماذا فعل بك هذا الحقير ؟ الن تغار ؟ اذا حدثتيني عن صبايا البلد اولا لن اغار .. طيب سأحدثك .. زواهي « ابنة حمدان ابو رطه خطفت ... » خطفت ؟ نعم .. خطفت من ؟ أعرف انك كنت تحبها قبل ان تتزوجني .. خطفت راعي حامد دخيل . كيف ؟ طاب يدها فلم يقبلوا ، فهربت الى منزل حامد دخيل واطنبت عليه ، ورجته ان يزوجها من راعيه ... تدخلت الحمائل والعشائر وزوجها له بالقوة !!

بالقوة ؟.. تقريبا لان اهلها رفضوا ان يزوجوها من الراعي .. وماذا ايضا ؟.. تلك زوجوها من رجل في السبعين ، وتلك زوجوها على ضرة ، وتلك انتحرت لانهم لم يزوجوها من الشاب الذي تحبه وتلك وتلك .. تسألني عن اخبار البلد وبناتها وكأنك غبت عنها عشرات السنين ... انها كما هي ولم يتغير فيها شيء (والرجال) اعتقل اليهود الذين وجدوا في بيوتهم سلاح ، والذين ينتمون الى الثورة ... (بربك من اعتقلوا ؟ اعتقلوا رزق ابو الجدايل !! ومحمود عايد ، وعلي عبد ربه) وعلي الخطيب ... والان خبريني عن عارف العلي ، هل مازحك ، اكثر من ذلك (وردة) تتولى اكثر من ذلك ؟ (اكثر ..) قولي لي ماذا فعل هذا الجبان بربك ؟ قلت له ان يساعدني في انزال الحمل عن ظهري و ...) الحقير ابن الحقير ابن الحقير اقسم بشرفي انني سأعلقه في المكان الذي شنق محمد فضه نفسه فيه بسد العقاب ، واتركه معلقا ابد الدهر ... اعتقدتها مجرد ممازحة في البداية او شيء من هذا القبيل .. الحقير ابن الحقير ، اخ ... الن تهدىء من روعك يا محمد ؟ كلا لن يهدأ غضبي قبل ان اعلقه بالحبل لن يهدأ ...

(٥)

صعد عارف الى التلال ، مر بموقع من جنود العدو ، تتمركز فيه كتيبة من حرس الحدود ... تناول الشاي وتحدث مع الكابتن « شلومو » ! قليلا وانصرف .. كانت خمس نساء ينتظرن عارف في مكان وضعهن فيه ... ثلاث منهن من قرية (ابو ديس) وواحدة من (الطور) والاخرى من العيزرية ، وجميعهن يرغبن في الالتحاق بازواجهن الذين يعملون في عمان والكويت والسعودية ... باستثناء فتاة النساء الديسيات ، تصحب طفلها الذي يعمل في الخليج .. وكانت احدى طفلة تقارب الاربعة اعوام واما « الطورية » فكانت تصحب طفلين ، احدهما في الثانية من عمره والآخر يقارب الخامسة .. اما الديسية الاخرى فكانت عاقرا ...

سار عارف والنساء من خلفه ، يحملن صررهن واطفالهن ، الى ان بلغ وردة ..وقال لهن ان يأخذن قسطا من الراحة ، قبل ان تغرب الشمس ، اذ يتحتم عليهن ان يسرن حتى بلوغ النهر .

Digitized by Birzeit University Library

اسبلت الفتاة العذراء جفنيها ، بينما استلقت المراة الطورية ، وتنهدت من قلب منجوع وهي تضم طفليها ... عرى عـارف في مخيلتـه النسـاء الخمس والفتاة واخـذ يقلبهـن بطنـا وظهـرا ...

★★★

جنحت الشمس الى الغرب ، فأخذت الظلال تغمر الوادي ... افاقـت طيور الحجل من قيلولتها فانتشرت بين الصخور ... وفرت اسراب الحمام من السـدود واخذت تحلق في السماء وتحط على المروج ...

قال عارف .. « انهضـن يا بنـات » ؛

فنهضت النساء ... نفضن التراب عن اثوابهن واخذن يطعمن الاطفـال .. قالت وردة : « كم يبعد النهر من هنا ؟ »

فقال عارف : «اذا شددتن الهمة سنصل خلال ثلاث ساعات ونهض واقفا ..»

حملت النسـاء صررهـن واطفـالهن وانطلقـن خـلف عارف بقـوى واهنـة ومئات الافكار القلقة والهواجس تطرق مخيلاتهن ...

★★★

« ما أوحش الجبال في الليل !! والله انني لا اعرف لماذا هـذا التعب والشقاء والتهريب ودفع النقود ... فلو قطعنا النهر في النهار امـام اعـين اليهـود ماذا سيفعلون بنا ؟ ماذا يريدون غير ان نرحل عن بلادنا ونتركها لهم ؟..

ونظرت المراة الطورية فيما حولها عل احـدى النسـاء تجيبـها ... فقالت العيـزراويـة :

— يا وليه الم تسمعي عن البنت العذراء التي اغتصبها حرس الحدود بعدمـا قتلوا شقيقها وتركوها ملقاة على جانب الوادي الى ان ماتت وهي تنزف ؟

فقالـت الديسـية العاقـر :

— الم تسمعن عن العائلة التي سلبوها نقودها ؟

واخذت كل واحدة تردد ما سمعته من قصص عن الناس الذيـن ينزحون امام اعين جنود العدو ولم تتفوه وردة بشيء اذ كانت منهكة والطفل يلتصق بصدرهـا منكمشا كالقط ، وعيناه تتلصصان فيما حوله وقد انهك ذراعيها .. وحسدت المراة الديسية التي كانت تضع طفلها في الحذل الذي يتدلى على ظهرها . وتحمـل صرة

Digitized by Birzeit University Library

الملابس بيديها ، لكنها تراجعت عن ذلك بعد ان جزمت ان طفلها كبير ولا يستثر في الحذل الا اذا نام ...

كان طفل المراة الطورية الكبير ، يدرج الى جانب امه ، بينما تضم شقيقه الصغير الى حضنها ، اما طفلة المراة العيزراوية فكانت تدرج هي الاخرى ، وتتعثر بين الفينة والاخرى وتقول لامها : « اين بابا يا ماما ؟ فتقول لها الام انه سينتظرهم على حافة النهر ، وتكثر اسئلة الطفلة وتتكرر : متى نصل النهر ؟ لماذا نسير في الليل ؟ اين سننام ؟ اذا صادفنا اليهود فهل يذبحوننا ؟ تعبنا لو نستريح ، او تحمليني ؟ عدا عشرات الاسئلة التي تدور حول اليهود والنساء اللواتي معها ... فتحملها الام وتطلب منها ان تسكت فتسكت !! تعبت وردة وهي تنقل الطفل من كتف الى كتف ومن يد الى يد وتمنت لو ان عارف يدعهن يسترحن بعض الوقت ، ونظرت الى السماء فشاهدت القمر يطل من بين صخرتين عاليتين ...

★★★

عرج عارف جانبا واخذ يسير مع سفح الجبل والتفت الى النساء قائلا :

— عندما نطل على السهل سنرتاح « وفر سرب من طيور الحجل من امامه فاحدث اصطفاق اجنحته صوتا مرعبا ... التصق الاطفال بامهاتهم ، ووقف شعر راس عارف واستنجدت « الطورية » بيسوع المسيح .. اخذوا يصعدون مع السفح باتجاه الشرق ، فانجلت لهم بعض التلال ، وتمنت « وردة » ان يقرب الله من نهاية هذا الصعود اذ خرت قواها وباتت تشعر ان الطفل سيسقط من يديها » ..

ما ان اشرف عارف على التلال المنبسطة حتى اشار الى النساء ان يلتقطن انفاسهن اذ ستبدا « المرحلة النهائية » كما قال ...

تنفست النساء الصعداء واستلقين الى جانب اطفالهن الذين هدهم النعاس... اجسام منهوكة ، عطشى الى الراحة ، لكن من اين يا حسره ، يا ليت هذا الدليل يدعهن ياخذن غفوة ، غفوة صغيرة يستردد ن انفاسهن خلالها ...

★★★

« خمس نساء وفتاة عذراء ، وانت والليل والسماء والارض ، ولا تستطيع ان تفعل شيئا ... تبا لك ، جبان ، جبان ، سيقتلك الظمأ ولن ترويه مدى حياتك .. قال لك شلومو : « ماذا لديك هذا اليوم ؟ فقلت له خمس نساء وفتاة عذراء » . فقال لك « ان هذا لصيد دسم !! » فرفضت حرصا على تجارتك وسمعة العائلة بينما صورة الفتاة العذراء التي ماتت من استمرار النزيف بعد ان قتل شلومو شقيقها

Digitized by Birzeit University Library

تمثل في مخيلتك ... والان ماذا تفعل ؟!! اقترب من هذه العذراء ، انظر كيف تضطجع على جنبها ، انها ممتلئة .. تمدد خلفها حاول ان تتحرش بها ، املس بيدك على فخذها... جبان لا تستطيع ان تفعل ذلك ، اذن عريهن في مخيلتك وضاجعهن في آن واحد ايها الجبان دعهن يستلقين على بطونهن تحت ضوء القمر !! هكذا ، يا سلام ، انها ليست المرة الاولى التي تعري فيها النساء على ضوء القمر !! انظر الى سحر الاجساد المستلقية امامك ... بمن تبدأ ؟ بالعذراء ؟ والاخريات ؟ فيما بعد، ليكن « ما اجملك ايها القمر !! وما اجمل الاجساد عندما تتعرى على ذورك !! » .

★★★

تهرب الصور من مخيلته يعود الى وعيه ... لا يشعر بانه اروى عطشه ... ينظر الى النساء ، يشعر بشبق كبير في داخله يدفعه الى الحقد على النساء ، ويندم لانه لم يوافق شلومو على اغتصابهن ... تنتابه موجة من الغضب ... يحتضن راسه بيديه ويصرخ بالنساء : « انهضن ، فنهضن النساء وقد اعتراهن الذعر ، ويصرخ الاطفال ... ينحدر الى التلال المنبسطة وتحمل النساء اطفالهن وصررهن وينطلقن في اثره وهن يتساءلن في سريرتهن عن السبب الذي جعله يصرخ بهذا الشكل ... غير ان أيا منهن لم تكتشف السبب في ذلك ، وان كانت وردة قد فكرت بان لذلك علاقة بما حدث مع عارف قبل ان تحضر النساء ...

تلال صغيرة وشعاب ، ثم ارض منبسطة السير هنا افضل من صعود الجبال ... القمر ، اخذ يجنح الى الغرب ، لقد قال عارف انهن لن يعبرن النهر الا بعد ان يغيب القمر ...

(٦)

يختفي القمر خلف الافق الغربي ، فتغمر الظلال المنطقة .. يخيم الظلام وتبدو اشباح اشجار الصفصاف والدفلى والعليق ، تتحرك من بعيد « يلتفت عارف ويهتف للنساء ان يتبعنه ببطء ... تتمنى كل واحدة منهن ان لا يصرخ ابنها في تلك اللحظات العصيبة ...

★★★

« انهم منا يا جماعة !! »

كانت مجموعة من المتسللين « العائدين » تتجه الى الغرب ، وعندما شعروا بقدوم عارف والنساء كمنوا بين الاشجار ... وما ان عرفوا انهم ليسوا من الجنود حتى قال احدهم « انهم منا يا جماعة » ونهض واقفا من خلف شجرة عليق ، فاهتز جسم عارف من هول الرعب ووقف رافعا يديه !!!

Digitized by Birzeit University Library

قال الرجل : « من ؟ »

فقال عارف « صاحب »

ـ أي صاحب في هذا الليل ؟

ـ من النازحين .

فقال الرجل : نحن من العائدين ..

اقترب عارف منه فشاهد خلف الشجرة مجموعة من النساء والاطفال والرجال .. قال عارف مؤكدا :

ـ اذن انتم من العائدين ..

ـ اي والله لكننا لا نعرف الطريق !!

ـ ليست مشكلة سأدلكم :

وحتى لا يضيع عارف فرصة ثمينة ، قد يقبض من ورائها مبلغا محترما ، اعلن للنساء ان مهمته قد انتهت ، وانثنى اليهن يهنئهن بسلامة الوصول ، وبكل بساطة ، اشار باتجاه النهر ، وقال انه ما عليهن الا ان يقطعن هذه المسافة القصيرة بين الاشجار ليصلن الى النهر ، ويعبرنه بكل هدوء ، اذ ان المياه قد لا تصل حتى ركبهن ... شعرت وردة ان حملا ثقيلا قد ارتفع عن كتفها ، غير ان الشرط كان ان يجتاز النهر مع النساء ، ويؤمنهن الى عمان او يدلهن الى اقرب طريق للمواصلات على الاقل .

ويبدو ان عارف قرأ ما يدور في رؤوس النساء ..

ـ الا تصدقن ؟ النهر على مرمى حجر وما ان تعبرنه حتى تجدن الفدائيين والجيش في طريقكن ، لا تخفن من ان تضعن ..

ارغمت وردة نفسها على الاطمئنان لكلام عارف كما ارغمت نفسها سابقا على التصديق ان تحرشاته عفوية بريئة !! واندفعت امام النساء فتبعنها .. وسمعت صوت احد « العائدين » يقول : انتبهن من الحوامات ... فانبرى عارف قائلا : « لا تخفن لا توجد حوامات في هذه المنطقة » وانثنى الى العائدين يتفاوض معهم حول ثمن العودة التي لن تتم بدون معرفته للطرق الجبلية والاودية المليئة بمردة الاتراك والانكليز ، ومختلف انواع الوحوش ، ومصيبة المصائب ، كمائن قوات العدو التي لا يحصى عددها !!! واكد على «الكمائن» حتى يجد تبريرا للكمين الذي « سيقع » فيه « العائدون » والذي سيعيدهم بدوره الى الضفة الشرقية او يفتك بهم ، وحتى لا يقال انه كمين مدبر بمعرفته .

★★★

Digitized by Birzeit University Library

صحيح ان النهر لم يكن بعيدا كما قال عارف ، لكنه ابعد بكثير من بيوت الحي اذ تطلعت النساء عشرات « المرامي » ولم يبلغنه بعد ... وانهالت وردة من السب مثقل بالآلام وشتمت في سرها اليوم الذي اوجد فيه « ال الحي ومخاتيرهم » ، شيخ يقول لشيخ ومختار يقول لمختار وجد يقول لجد حتى الالف !!! كما شتمت الظروف التي جعلتها راعية بنت راع ابن راع والجد الالف ايضا ...

★★★

كثرت اشجار الدفلى والصفصاف والعليق ... جزمت « وردة » النهر من النهر .. اخذت تزيل الاغصان المتشابكة من امامها بيد ، بينما اليد الاخرى تضم الطفل الى صدرها ... انه النهر يا بنات ! وجلست جانبا منفسحة المجال للبنات فمددن اطفالهن وجلسن يسترحن .. كانت المياه تندفع هادئة ، ولا يسمع الا حفيف ... قالت الديسية العاقر :

ـ لماذا صوت الماء خفيف ؟

فقالت « الطورية » :

ـ باركها المسيح عندما تعمد فيها ، قال لها : « اهدأي يا بركة » فهدأت ومنذ ذلك اليوم وصوتها خفيف !!

فاعجبت وردة لقدرة المسيح العظيمة ، وبدا لها انها كثيرة جدا وتعالى عندما قارنت بين المسيح وبين محمد « صلى الله عليه وسلم » ، فالمسيح للصخرة المشرفة وكانت قد صعدت الى السماء حينها : « اهدأي يا بركة » الصخرة منذ ذلك اليوم وحتى يومنا هذا ، ومللت معلقة بين السماء والارض واخذت تستغفر الله في سرها ..

قالت المرأة الطورية :

ـ لننهض يا بنات توكلن على الله ..

نهضن واخذن يتضرعن الى الله في السر وفي العلانية ، فالنهر كبيرا ، فقد تدرته « وردة » وهي تتأمله بما يقارب ثلاث ساعات ولم يقل عن ذلك ...

قالت « العيزراوية » : « او معنا حبل لنتمسك به ونعبر ... »

فقالت الديسية ام الطفل : « يا ولايا المياه خفيفة ... او هي الحبل من الجانب الثاني لنتمسك به ونعبر ... »

تغامز منا وتقطع لوحدها وترطبه ! »

Digitized by Birzeit University Library

فقالت وردة : « لربطناه على وسطها وامسكنا من طرفه وجعلناها تعبر ، واذا ما غرقت فسنسحبها » .

فقالت الديسية العاتر : « يا بنات قبل ان نغادر البلد فكرنا بالحبال نقل الناس ان المياه خفيفة » .

فقالت الطورية : « واذا وقعنا في حوام ؟ »

فردت الديسية العاتر : اذا ابقين جالسات عل اليهود يحضرون الينا ..

وبدت الفتاة العذراء وهي صامته صمت من في القبور !!

نظرن الى وجوه بعض ... رعب ، قلق ، حزن ، واسئلة كثيرة تدور في الاذهان ...

قالت وردة : « توكلن على الله يا بنات ، ولنقطع .. » وتقدمت باتجاه الماء وهي تشكل ثوبها وتلفه على وسطها .. ثم ضمت الطفل الى صدرها واصلحت الصرة على ظهرها .. وتشبثت بعرق صفصاف فوق النهر ، غير ان المراة العاتر ، اقترحت ان تمسك كل امراة بيد الاخرى .. وهكذا تركت « وردة » عرق الصفصاف ومدت يدها « العاتر » فامسكت بها .. ومدت المراة العاتر يدها الى ابنة قريتها « ام الطفل الصغير » فامسكت بها وتبعتها الفتاة العذراء ، فالمراة العيزراوية تحمل طفلتها .. واخيرا المراة الطورية ، وقد اجلست الطفل الكبير على كتفيها وضمت الآخر الى صدرها ، بعد ان رفضا باصرار ان تقوم المراة العاتر او الفتاة العذراء بحمل واحد منهما ...

تقدمت وردة وقد غاص قدماها في مياه النهر ... سارت ببطء تمايلت قليلا عندما انزلق قدمها عن حجر صغير ، غير انها استعادت توازنها وتقدمت ببطء ... خطت قليلا ... اخذت المياه ترتفع حتى بلغت ركبتيها ...

★★★

جلست عايشة العلان على قطعة كيس من الخيش ، واخذت تبرم الغزلة وهي تتنهد بالم وحسرة ..

★★★

شعرت وردة بالتيار يكاد ان يسحبها ...

★★★

Digitized by Birzeit University Library

نظر محمد عودة الى الناي بلهفة وشوق ... تقلبت الحاجة ذوابا في فراشها ارقة ... جلس الاب ايليا خاشعا امام ايقونة العذراء في كنيسة القيامة .. سارت اللاجئة المجنونة عبر ازقة القدس ، ترتدي كيس الخيش اياه !! وبشعرها الاشعث المنفوش .. جلس الشيخ عبد الحميد خاشعا متأملا في فراشه ...

★★★

ركزت وردة قدميها على ارض النهر وثبتتهما جيدا حتى تكبح جماح التيار... استغاثت الطورية بيسوع المسيح وتوسلت الديسية بكل الاولياء .. ودعت العيزراوية انبياء الله جميعهم ان يقفوا معهن ، وعرت الفتاة العذراء راسها ونظرت الى السماء متوسلة ... وعاق اسم الله بلسان وردة ومدت قدمها فشعرت باندفاع التيار ، فأعادتها الى الارض في ثبات ... حركتها ببطء والى الامام دون ان ترفعها نجحت في التقدم خطوة اخرى ...

ارتفع نحيب الاطفال ...

رفع الشيخ فايز العلي كأسه عاليا فارتفع كأس الكابتن شلومو وكأس المختار فالح العلي وكؤوس كثيرة ...

★★★

قطعت وردة ثلث المسافة ... ارتفع الماء الى ما فوق ركبتيها .. رددت اسم الله اكثر من الف مرة ... مدت قدمها الى الامام وببطء شعرت ان قدمها تدور في فراغ ، واحست بالتيار يدفعها ... اختل توازنها ... لم تتمكن من استعادة قدمها التي حركتها اولا او من تثبيت قدمها الاخرى ... وشعرت للحظة ان كل آمالها في لقاء زوجها قد تحطمت ... واحست بساقها تذهب مع الماء ... كادت ان تهوى ... هوت ... ندت عنها صرخة هائلة وهي تسحب يدها من يد المراة العاثر ، وتدفع الطفل باتجاهها ، وتتشبث بعود الصفصاف .. ودون وعي من الاخرى ، كانت تتشبث بالطفل وتشده اليها وتتراجع الى الوراء في اندفاع ، وهي تجاهد حتى لا يطرحها التيار ، بينما صراخ الطفل يعلو ، ويختلط بصراخ الاطفال الآخرين ...

هوت وردة الى قاع الحوامة بعد ان انتصف عرق الصفصاف في يدها.. وقفت النساء في رعب رهيب وهن يحدقن الى الماء ... وبعد قليل شاهدن الحوامة تقذف بجثة وردة فتسحبها مياه النهر ، امام عيونهن .. دون ان يتمكن من عمل شيء ... ومكن يرقبن الجثة الطافية فوق الماء في ذهول مخيف ، الى ان حد الظلام من مشاهدتها ... فتراجعن الى الشاطيء يلفهن الحزن والاسى ، بينما صراخ الاطفال يعلو في استغاثات مفجعة ، ولم يعد جنود الاحتلال يخيفون احدا !!! ضمت المراة

Digitized by Birzeit University Library

العاثر الطفل « فارس » الى صدرها وطوقته بذراعيها في حنان غامر بينما صراخه يعلو « ماما ، ماما ... » .

★★★

دقت اللاجئة المجنونة صدرها بالحجرين وهى تمر من أمام كنيسة العذراء ، وغنت اغنيتها بصوت حزين « يا حسرتي حملوا وشالوا ، وخلوني وحيدة .. » .

نزلت الدموع من عيني الاب ايليا وهو يجلس خاشعا أمام ايقونة العذراء في كنيسة القيامة : « الا ترين ما حل بابناء وطنك ايتها العذراء القديسة ؟ الى متى يا أم يسوع ؟ الى متى تحجبين عنا بركاتك ورحمتك ؟؟

وقال الشيخ عبد الحميد وهو يجلس خاشعا ايضا: « ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » ..

أصلحت عايشة العلان من وضع جلستها فوق كيس الخيش وهي تبرم الغزلة .. انحدرت دموع طفيفة من مقلتيها ، واخذت تندب بصوت بطيء حزين :

حمرا يا لهيبه وين رحتى بركابك
في باب السرايا علقوا لجامك
حمرا ومن دبيب النمل حظيتي
على فراقهم ليش انتي ذليتي ؟
مالك يا حمرا كبيتي في السهل
صايبك مسمار ولا على الاهل ؟
مالك يا حمرا كبيتي في المراح
صايبك مسمار ولا محمد راح ؟

اثارت « عايشة العلان » الحزن في نفس « الحاجة ذوابا » ومحمد عودة . وكان محمد متشوقا للبكاء منذ لحظات ... لامس نوحة الناي بشغفه، واخذ يمزج لحن النزوح .. انسابت الالحان بين ثنايا الليل ... تكسرت فوق الشعاب والتلال ... تسربت الى بيوت القرية ... فبكى كل من كان يقظا ...

محمود احمد شاهين
ايلول ١٩٧٦ حتى كانون ثاني ١٩٧٧

Digitized by Birzeit University Library

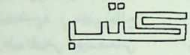

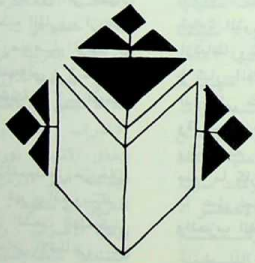

Digitized by Birzeit University Library

عبد القادر ياسين. شبهات حول الثورة الفلسطينية.
القاهرة، دار الثقافة الجديدة، ١٩٧٧

لاول وهلة يظن القارىء ان الكتاب يناقش شبهات ما حول الثورة الفلسطينية ، بعد عام ١٩٦٥ حتى الان · والحقيقة ان الكتاب ، على صغره ، يناقش مجمل الظروف والملابسات التي عاشتها الثورة الفلسطينية ، منذ تطلع الصهيونية الاول لاقامة وطن قومي لها في فلسطين ·

والمهم في الكتاب ان المؤلف يناقش من خلال نظرة علمية وموضوعية · فهو يدافع وينتقد ، ويعتمد على التاريخ ، وحقائقه بالارقام ، والوقائع المعروفة ، دون الانزلاق الى مطبات فكرية ، وتاريخية · ويستطيع القارىء ان يميز في الكتاب ثلاثة فصول رصدها المؤلف في **١ ـ مقاومة المشروع الصهيوني ٢ · ـ موقع الارض في القضية الفلسطينية ٣ · ـ الوحدة الوطنية ·**

والمهم في الكتاب ان المؤلف يناقش من خلال نظرة علمية وموضوعية · فهو يدافع وينتقد ، للبلاد العربية ، فيؤكد ان الشعب الفلسطيني قاوم كل اشكال القهر العثماني الاقطاعي ، عن طريق الانتفاضات الجماهيرية ، لا سيما تلك التي وقعت بين عامي ١٨٢٥ ـ ١٨٣٠ ، في نابلس وبيت لحم والقدس · ويوضح ايضا مدى تعاطف الشعب الفلسطيني مع **ثورة عرابي في مصر** ١٨٨٢ ، ومع **ثورة المهدي** السودانية · ومن خلال هذا التمهيد يدخل المؤلف حقيقة القضية ، ويستعرض بعض القضايا الهامة في فلسطين ، كتسامح الشعب الفلسطيني مع المستوطنين اليهود ، والشكوك التي اثيرت حول وجودهم في فلسطين من بعد · والمهم هنا ان الثورة الفلطسينية بدأت ، منذ ذلك الحين ، اي بابتداء تكوين المستوطنات اليهودية بالبروز ، وتجلت هذه الثورة ، واتسع نطاقها منذ ١٨٨٠ · وقد اتخذت اشكالا عدة للنضال ، كالهجوم على المستوطنات،عام ١٨٨٦ ـ ١٨٩٢ ، وتقديم مذكرات وعرائض الاحتجاج للسلطات التركية ، والتحذير من اخطار الاستيطان عن طريق المنشورات ومقالات الصحف والكتب ، الى التنديد بالاطماع الصهيونية في فلسطين ·

ويدخل الكفاح الفلسطيني مرحلة جديدة منذ صدور وعد بلفور · ومنذ تلك الفترة وحتى ١٩٢٩ ، تمكنت فئات معينة من الوصول الى قيادة الثورة · وقد ارتبطت بالاستعمار ارتباطا وثيقا ، بحكم تكوينها الاجتماعي (كبار الملاك الزراعيين والعقاريين) مما ادى الى طبع هذا الكفاح بالضعف والهزال · وقد لجمت هذه الفئات المد الثوري الجماهيري ونتج عنه ، ايضا ، تأسيس جمعيات سياسية منها ما كان يعمل لمصلحة الاستعمار ، ومنها ما عمل لمصلحة الجماهير ، **كجمعية الفدائية والحزب الشيوعي الفلسطيني ·**

ومما يفسر انضمام الجماهير لحركة الثورة في ذلك الوقت ، تعرض الفلاحين لاساليب القمع ، ونزع الاراضي ، ومنافسة الصهيونيين لهم عن طريق احتلال العمل والعمل العبري ·

ويؤكد الكاتب هنا ان الخلفية الطبقية كانت المحرك الاساسي لهذا الانضمام الى المقاومة المسلحة والمقاومة الشعبية ، فقد وجد التحالف بين الاستعمار والبرجوازية المحلية ، وتعاون في سبيل قمع حركة الجماهير · ولذا ، كان من مصلحة العامل والفلاح ، مجتمعين ، ان

Digitized by Birzeit University Library

يصطدما بالاستعمار والاقطاع والصهيونية ·
ومن هنا بدأ التحرك المقاوم ينشط في فلسطين ·
ففي عام ١٩٢٠ ـ ١٩٢٤ شن الفلسطينيون الهجوم بعد الهجوم على المستوطنات والمعسكرات ، وقتل الكثيرون نتيجة ذلك ·· الا ان الكاتب يصف هذا الصدام بالصدام الطائفي بين العرب واليهود ، بمعنى انه لم يأخذ بعده الوطني القومي ، ولم تتضح معالمه حيث ظلت صبغة الصدام تدور في فلك الطائفية ·· وقد حل الانتداب البريطاني ، بصورته الرسمية ، على فلسطين ، مما اذهل الحركة الوطنية ، وادى الى جمود ثوري مؤقت ·· ويعود ذلك الى فشل الحركة البرجوازية ، فشلا ذريعا ، في قيادة الثورة الوطنية ضد الانجليز والصهيونية · **وظلت حركة المقاومة سلبية لمدة خمس سنوات**، تعتمد في نضالها على المؤتمرات والمطالبة الكلامية فقط بوقف الهجرة وانهاء الانتداب ، الا ان الجماهير العربية الفلسطينية فجرت وبمعزل عن القيادات التقليدية معارك داميةضد اليهود والانجليز لا سيما في حادثة **هبة البراق** ، التي قتل فيها ١٣٣ ، وجرح ٣٣٩ من اليهود ، مقابل ١٦ قتيلا و ٢٣٢ جريحا من العرب · وقد افرزت الجماهير قياداتها بعيدا عن المتواطئين مع الانجليز ·· ولكن البرجوازية المحلية شكلت احزابا عدة ، وبالمقابل تشكلت حركات سرية مضادة كحركة **الكف الاخضر** ، ومن اهدافها اغتيال الخونة والعملاء· وساهمت الحركة الثورية الفلسطينية في انشاء المدارس الاهلية والنوادي والصحف الى جانب كفاحها المستمر على الصعيد السياسي والعسكري · وقد اشتد الصدام بين العرب واليهود والانجليز في حين لم يصطد جرحى وقتلى من اليهود · وهذا يدل على مدى حدة الحواجز الدامية بين الثورة والاستعمار والصهيونية · وبحلول عام ١٩٣٥ ، وبعد نضوج الظروف الموضوعية ، قاد القسام حركة الثورة ، واعتمد فيها على العمال والفلاحين · وتولت القيادة الجماهيرية النضال بعده ، وخاضت معارك عدة ، بدأت في ١٥ نيسان ١٩٣٦ ، في منطقة المثلث ، وكان من نتيجتها الاضراب الطويل المعروف ، والذي دام ستة اشهر · وفي هذه الاثناء تشكلت **في القرى والمدن لجان قومية** ، كما انشىء **الحرس الوطني** ، لحماية الاضراب · وقد اعترف المندوب السامي البريطاني ، في تقاريره السياسية الى حكومته ، بان الامر قد افلت من ايدي القيادة التقليدية للحركة الوطنية · وقد اتسعت الاعمال الثورية حيث اطلقت النار على المندوب السامي نفسه ، وحاول الثوار اغتيال مفتش الشرطة البريطاني في القدس · ومن خلال المعارك العسكرية الطاحنة التي خاضها الثوار ضد القوات البريطانية برز قادة اشداء من قلب الريف مثل **عبد الرحيم الحاج محمد ، وعارف عبد الرزاق ، ويوسف ابو دره** · وقد ووجهت الثورة بقوات بريطانية وصلت حتى ٢٠ الف جندي ، وخمسة الاف شرطي ، وخمسة عشر الف مقاتل صهيوني · وفي هذه الاثناء تتحرك الرجعية العربية من العراق ، ويحضر **نوري السعيد** ، وزير الخارجية العراقية ، انذاك ليتفق مع **اللجنة العربية العليا** لوقف الاضراب ، مقابل وقف الهجرة الصهيونية · وخذل الانجليز **نوري السعيد** ثم طلبوا من **عبدالله** امير الاردن والملك السعودي **عبد العزيز ال سعود** ، ان يقوما بالضغط لكي يوقف الاضراب ، ولقيت دعوة رفع الاضراب استجابة كاملة لدى الزعامات التقليدية ·· وحضرت **لجنة بيل ، لتقصي اسباب الثورة ، ولكنها فشلت بسبب انحيازها لليهود ، مما** ادى الى قيام الثوار باغتيال **موفات** ، حاكم لواء جنين ، **واندروز** حاكم الجليل ، وذلك في ٢٠ نيسان و ٢٦ ايلول ١٩٣٧ ، وبلغت قوات الانجليز حينها ٤٠ الف جندي ، وثمانية عشر الف مسلح من الصهاينة · واعلنت الاحكام العرفية ، ولكن وجود علائم الحرب العالمية الثانية ادى الى تعجيل الانجليز بعقد **مؤتمر لندن** ، بين جميع الاطراف من يهود وعرب ، وفشل المؤتمر ، فشدد الاستعمار البريطاني ، على الثوار مما اضعفهم لا

Digitized by Birzeit University Library

سيما وانهم (الانجليز) شكلوا لجانا سرية مؤلفة من رجال اشتهروا بالاجرام وساعدوا الحكومة البريطانية في اضعاف روح الثورة .. ومع انتهاء الثورة قبل نهاية عام ١٩٣٩ كان عدد الذين استشهدوا اكثر من خمسة الاف عربي ، مع ١١٢ اخرين نفذ فيهم حكم الاعدام ، وهدمت حكومة الانتداب خمسة الاف منزل يمتلكها عرب فلسطينيون . ويؤكد المؤلف هنا ان الثورة كانت وطنية ديمقراطية ويدل على ذلك الطبقات المشاركة فيها (الفلاحون ، البرجوازية الوطنية ، والمثقفون الثوريون والعمال) وكذا اهدافها : ايقاف **الهجرة ، ومنع انتقال الاراضي لليهود ، وانشاء حكومة نيابية .**

ويحاول المؤلف ان يلقي الضوء على اسباب وقوع النكبة ، فيرى ان ميزان القوى تحول لصالح الصهيونية ثم ان الاعلام العربي كان واقعا في سذاجة ، ما بعدها سذاجة ، ويرى لكاتب ان من الاسباب ، ايضا ، تفكك الجبهة الداخلية الفلسطينية وفقدانها الوضوح الفكري ، وانهيار اقتصادها ، ولم تكن الجيوش العربية اسعد حظا ، بل انها فقدت من الاراضي اكثر مما فقده الفلسطينيون انفسهم في قتالهم ضد العصابات الصهيونية ، وبالطبع فان الفشل يعود الى ميزان القوى العسكري ، تدريبا وتسليحا وعددا ، ضد العرب ، وجهل القوات العربية بالسبب الذي تقاتل من اجله ، وكان من اسباب النكبة ، ايضا ما واجهه الانسان العربي ، من قهر طبقي بشع في صفوف الجيش ، وتنافر الجيوش العربية عن بعضها ، وقيام خمس قيادات عسكرية ، مقابل جهاز عسكري صهيوني واحد . وعلى ذلك كان خروج الفلسطينيين ، بسبب توهمهم ان القتال الدائر مؤقت ، ولن يدوم النزوح فترة طويلة ، وبسبب الاستهانة بالعدو ، وفقدان الثقة بالزعماء التقليديين ، الى جانب المذابح التي روعت الناس دون وجود من يحميهم .

وبعد النكبة اخذ النضال اتجاها جديدا ، بسبب الظروف المحيطة المتغيرة ، والواقع السياسي والاجتماعي العربيين والذي طرأ عليه تغيير كبير . وبذا تغيرت ملامح الصراع ، فتأسست احزاب وحركات فلسطينية **كالحزب الشيوعي الفلسطيني** في غزة والضفة الغربية ، وتكونت فروع لحزب **البعث ، والقوميين العرب عام** ١٩٥٢ ، بالضفة و ١٩٥٧ في القطاع، وساهمت هذه الفروع والاحزاب في الكفاح الوطني . ونجح هذا الكفاح في اسقاط حلف بغداد في الاردن والغاء **المعاهدة البريطانية ـ الاردنية** عام ١٩٥٧ . وفي غزه قبر هذا الكفاح **مشروع سيناء** لتوطين اللاجئين . وقد اضطر النظام المصري ، في ذلك الوقت ، الى تشكيل وحدات فدائية ، بسبب رفض امريكا تسليح مصر . واعتبر ذلك امرا هاما بالنسبة للقضية الفلسطينية . وقد كان تشكيل هذه الوحدات الحجر الاساسي في العمل الفدائي الفلسطيني الحالي . وقامت هذه التشكيلات باعمال بطولية اقلقت اسرائيل ، حتى ان غولدا مائير ، رئيسة وزراء اسرائيل السابقة ، اعترفت بان اسرائيل لم تعرف السلام على الحدود العربية كلها ، باستثناء لبنان !.. ومنذ عام ١٩٤٩ حتى ١٩٥٦ وقعت اكثر من ١١٦٥٠ حادثة مسلحة من فلسطينيين دخلوا اسرائيل عبر خطوط المواجهة . وتحولت الاعمال الى اعمال عسكرية منظمة ، تعرض فيها الاسرائيليون للقتل بالرشاشات والقنابل اليدوية . وقد تأكد ان الذين يقومون بهذه الاعمال هم فلسطينيون قادمون عن طريق سوريا .. وواجه الفلسطينيون ، منذ ذلك الوقت ، اشد اساليب القهر والبطش ، مما جعل عشر سنوات من الركود تسيطر على الناس ، الى ان برز العنصر الفلسطيني منذ ١٩٥٨ ، حيث لم يحرك التناقض الاجتماعي الحياة الفكرية الا بعد ان اخذت النشاطات الاقتصادية تشد المجتمع الفلسطيني في المخيمات الى الامام من جديد . وظلت الرغبة في استعادة الوطن المغتصب الرابط القوى بين مخيمات اللاجئين الفلسطينيين

Digitized by Birzeit University Library

المتناثرة في انحاء متفرقة من مناطق واقطار المواجهة ..

واخيرا ، ساعد التطور الفكري ، ومن خلال التجارب العربية ، على بروز فكرة الكفاح المسلح بشكل منظم عام ١٩٦٥ حيث اطلق العمل الفدائي اول رصاصة .

والى هذا الحد ينتهي الكاتب من الفصل الاول الذي استغرق ٦٤ صفحة مستعرضا فيه جميع الظروف المحيطة بالثورة ، منذ ١٩١٧ حتى بروزها بشكلها المنظم .

ويشير الكاتب الى موقع الارض في القضية الفلسطينية ، في الفصل الثاني . ويبين ان قضية فلسطين هي قضية الارض . فاولا : ان اهم ما سعت اليه الصهيونية هو انتزاع الارض من أهلها ، واقامة الدولة الاسرائيلية عليها ، موهمة العالم بأن فلسطين أرض بلا شعب استوطنها شعب بلا أرض (اليهود) . وثانيا . كان كفاح الشعب الفلسطيني طوال القرن الحالي يهدف الى منع ضياع الارض . وثالثا ، فان نحو ثلثي شعب فلسطين هم من الفلاحين . والمقاومة الباسلة المستمرة هي التي تدحض المزاعم الصهيونية تلك . ثم يتساءل الكاتب هل باع الفلسطينيون أرضهم ؟ . ويرد بأنه منذ عام ١٨٨٢ ، وبسبب تصاعد المذابح التي نظمتها روسيا القيصرية ضد اليهود لجأ بعضهم الى فلسطين . وبسبب تفسخ الدولة العثمانية ركزوا وجودهم على اقامة مستوطنتين . ثم مهد وعد بلفور لدخول عشرات الالوف من اليهود الى فلسطين وبأساليب القهر استطاع البعض شراء الارض وامتلاكها عن طرق عدة . أولها : شراء في العهد العثماني حوالي ١٦٩٫٥٠٠ فدان . ثانيا : منحة من الحكومة البريطانية ٩٨٫٢٥٠ فدان . ثالثا : شراء بسعر رمزي من حكومة الانتداب ٧١٫٥٠٠ . رابعا : من ملاك غير فلسطينيين ١٦٩٫٥٠٠ . ومن ملاك فلسطينيين ١٧٫٠٠٠ . ويؤكد ذلك ان ثلاثة ارباع الاراضي بيعت عن غير طريق الشعب الفلسطيني ، والربع الباقي بيع عن طريق الاقطاعيين والعائلات الكبيرة المالكة وعن طريق فلاحين اجبروا على البيع بالقهر ، ومنع بيع محاصيلهم . وقد قاومت الثورة بيع الاراضي ، واغتالت العديد ممن سولت لهم أنفسهم بيع الاراضي . أما بالنسبة لامتلاك عناصر غير فلسطينية لاكبر قدر من الارض ، فقد جاء عن طريق العثمانيين والاقطاعيات المعروفة ، وعن طريق الضغط على الفلاح ، وعدم شراء محاصيله ، وعدم مساعدته على الاطلاق . وبسبب ثمن البدو غاراتهم ضد كل من لم يستطع حماية نفسه وأرضه .

وقد قاوم الفلاح هذه الاساليب ، بأشكال عدة ، منها الاضراب عن بيع المحاصيل ، ومنها حمل السلاح ، والمشاركة في الثورة وترك الارض دون اعتناء . مما يؤكد انخراط الفلاح في الثورة انخراطا كاملا . وقد اشتري السلاح مقابل رهن الارض . أما النساء القرويات فقد حملن الذخيرة والطعام الى رجالهن .

ويقول الكاتب : « ... فاجمعت لجان التحقيق العديدة التي بعثتها الحكومة البريطانية أن انتقال الاراضي للصهاينة كان على رأس أسباب الثورة السلحة لعرب فلسطين » . وقد كان عدم انتقال الارض أهم اهداف الحركة الوطنية الفلسطينية ، وبعد النكبة وضعت اسرائيل يدها على كل الاراضي التي احتلتها ، بموجب قانون املاك الغائبين ، وحصرت بقية الشعب في اماكن معزولة ، مما اتاح الفرصة لها لامتلاك معظم الارض العربية . ومنذ قيام اسرائيل صادرت سلطاتها نحو ٣١٢٫٠٠٠ فدان من اخصب اراضي فلسطين باساليب عدة وتشريعات كثيرة ، مثل قانون الاراضي البور ، قانون الحاضر غائب ، الاموال المتروكة ، وقانون استملاك الاراضي ، او استملاك لمنافع عامة ، ثم استعملت اسلوب الضرائب ، مما ادى الى املاك الفلاح . وبعد

Digitized by Birzeit University Library

نكسة حزيران صادرت اسرائيل اراض جديدة في الجليل والضفة ، على ان مقاومة الشعب لم تنقطع · فقد عقدت المؤتمرات للاحتجاج على مصادرة الارض في الناصرة عام ١٩٥٣ ولعب حزب **راكاح** دورا بارزا في عقد بعض المؤتمرات ، وتمخض عنها بروز **حركة الارض** ، ومن ثم اضطهاد الصهيونيين لافرادها ، ومنعهم من اي نشاط · ثم دخل العرب الكنيست الصهيوني ، وناضلوا من خلاله ، واخيرا **جاء المؤتمر الشعبي** ، الذي دعا الى عقده الوطنيون في الناصرة (شباط عام ١٩٧٥) ·وانبثقت عنه **هيئة الدفاع عن الارض العربية** · ويقول الكاتب ان الاستعمار الاميركي والصهيونية روجوا مقولة بيع الفلسطينيين لاراضيهم ، ليؤكدوا للعالم عدم احقية الشعب الفلسطيني في ارضه ، ويخلقون قناعة لدى الشعوب العربية بعدم جدارة الشعب الفلسطيني بالتضحية من اجله او نجدته ، ويؤدي الى ضغط هذه الشعوب من اجل عدم مشاركة جيوشها في تحرير فلسطين ·

وينتقل بنا الكاتب الى الفصل الثالث والاخير ، فيبحث قضية الوحدة الوطنية فيقول : معرفا اياها « **ليست الجبهة الوطنية الموحدة تكتيكا سياسيا عارضا ، كما انها ليست مناورة للمزايدة على الخصوم السياسيين · انها اسلوب استراتيجي ، وسلاح فعال لمواجهة اعداء الشعب ، بكل ما يتمتعون به من امكانات واسباب القوة · ومع تشكيل هذه الجبهة فان قوة ثورية هائلة تخرج الى الوجود ، بما يجعل النصر اقرب** مثالا » · ويرى الكاتب ان كافة فصائل المقاومة الفلسطينية تؤمن بالوحدة الوطنية ، ويستطرد في بحثه ، حيث يدرس تطورها في فلسطين ، ويفصل في تاريخها مبتدئا من عام ١٩١٧ ،اي منذ نهاية الحكم العثماني· وقد جاءت هذه الوحدة الوطنية بشكل **جمعيات اسلامية ومسيحية** ، وعبرت عن مصالحها السياسية والاقتصادية ، حيث وضعت حدا لعزلة العرب المسيحيين عن الحركة السياسية·

ولكن الانكليز تدخلوا في انشائها ، لامتصاص النقمة واثبات حق **اليهود** الاشتراك فيها · ثم ان الجمعيات نفسها قامت على الانتماء وحق المعايير العشائرية التي تخضع مباشرة للاستعمار البريطاني وقد اضعفها هذا التركيب وجعلها عاجزة تماما ، واكتفت فقط بالمطالبة بالغاء **وعد بلفور** ، وتعاملت مع الاستعمار البريطاني على انه « الحكم » بين العرب واليهود ، واعتمدت اساليب كفاح سلبية · وعندما اعلن الانتداب ، اسميا عام ١٩٢٢ ، حدث انشقاق في صفوف الجمعيات بين الثوريين والتقليديين · وقد برزت من خلال ذلك اتجاهات تناهض الاستعمار وتحاربه ·

بعد ذلك تشكلت احزاب سياسية كثيرة نتيجة تفتح الوعي والاحتكاك الحضاري · ولكن هذه الاحزاب كالاستقلال ١٩٣٢ والدفاع ١٩٣٤ والمكتلة الوطنية ١٩٣٥ وغيرها ، لم تكن تنهج نهجا واحدا ، مما ادى الى تباعدها فتمايزت الى قسمين ، قسم ثوري يناهض الاستعمار وقسم اخر تعاون معه ضد الحركة الوطنية · وقد تميزت هذه الاحزاب بالصفة العشائرية ، التي لا ترتكز الى مقومات فكرية معينة ·وعندما قامت ثورة عام ١٩٣٦ عقدت تلك الاحزاب مؤتمرا نتج عنه الانضمام الى حركة الاضراب العام ، وشكلت بذلك **اللجنة العربية العليا** بزعامة **الحاج امين الحسيني** ولكن هذه الزعامة اصبحت ، فيما بعد ، قيادة واجهة ، اما القيادة الثورية فكانت تحت اشراف قياديين من الفلاحين ، خارج نطاق الاحزاب · وظل الامر على هذه الحالة الى ان حلت النكبة ، وبعدها تشكلت احزاب سياسية كثيرة في الضفة الغربية وغزه ، **كحزب البعث والحزب الشيوعي وحركة القوميين العرب** · وواجهت صراعا مستمرا لتحقيق مطالب الفلسطينيين وقد تجلت الوحدة الوطنية فيما بينهم عام ١٩٥٧ عندما استلم **النابلسي** الوزارة الاردنية ويستمر نضال هذه الاحزاب حتى عام ١٩٥٦ حيث احتل قطاع غزه · وهنا اقيمت جبهتان

Digitized by Birzeit University Library

ولبنانيتان كبيرتان ، تشكلت الاولى واسمها **الجبهة الوطنية** من الشيوعيين وانصارهم ، وتشكلت الثانية من البعثيين والاخوان المسلمين وحملت اسم **جبهة المقاومة الشعبية** · ولكن الفارق الفكري والصراع الدائم بين البعثيين والاخوان المسلمين سرعان ما شق **جبهة المقاومة الشعبية** عام ١٩٥٧ ·

وفي اواخر عام ١٩٦٠ اقيمت تجربة **الاتحاد القومي** في مصر وسوريا والقطاع ، الا انها لم تكن اسعد حظا من تجربة الوحدة بين سوريا ومصر · وحين قامت **منظمة التحرير** كان من اهدافها الوحدة الوطنية ، ولكن هذا الهدف لم يتحقق ، وظلت تدور خارجة معظم الاحزاب والتنظيمات الفلسطينية ، حتى نكسة حزيران ، وتشكلت على اثر ذلك في غزه **الجبهة الوطنية المتحدة** ، من بقايا **جيش التحرير والشيوعيين والبعثيين وجبهة تحرير فلسطين** (ج·ت·ف·) ، وتشكلت في الضفة **جبهة القوى الوطنية** ، وضمت اقصى اليمين واليسار ، ثم ظهرت **جبهة المقاومة الشعبية** ، ثم اعلن عن تشكيل **الجبهة الوطنية الفلسطينية** التي ضمت كافة الاحزاب والقوى ، بالاضافة لفروع **فتح والجبهة الشعبية والديمقراطية** · وقد تبنت هذه الجبهة مقاومة الاحتلال ، وتامين الحقوق المشروعة للفلسطينيين ، ورفض جميع المشاريع الاستسلامية ، والدفاع عن الاراضي وحماية الاقتصاد العربي ، والتراث ، والعناية بالمناضلين المسجونين في اسرائيل ·

وهكذا ، حتى برزت الاشكال الجديدة للوحدة الوطنية منذ عام ١٩٦٧ حتى ما بعد ١٩٧٠ · ويدرس الكاتب بعض الملابسات التي وقعت في هذه المرحلة ، ودور التنظيمات المتعددة في حركة المقاومة من اجل ترسيخ الوحدة الوطنية ، وتحقيقها على ارضية واقعية ·

حسن الباش

فيصل دراج. الماركسية والدين. بيروت ، دار ابن خلدون· ١٩٧٧

« ليست معركة الماركسية دينية ، معركة بين المؤمنين والملحدين ، لكنها معركة طبقية بين من يملك ومن لا يملك ، معركة بين البروليتاريا والرأسمالية ، لا بين الانا والاله، أو الفيلسوف ورجل الدين ٠٠٠٠ »

« لا تبحث الماركسية عن أصول الدين في السماء ، بل في الارض ، في الشرط الاجتماعي الذي انتجه ، ولا تفتح نارها على الدين الا بقدر ما هو اداة تضليل وتعتيم تخدم الطبقة المسيطرة ، اي انها تقمع الانسان وتبرر استغلاله ، معنى ذلك أن موقف الماركسية من الدين يهدف الى الغاء القمع ، وتحرير الانسان واستئصال الاستغلال ٠٠ »

« فالمعركة الطبقية لا تدور بين مؤمنين وملاحدة ، بل بين اغنياء وفقراء ، بين مستغلين ومستغلين ، اي انها معركة اقتصادية في جوهرها » ·

بهذه المفاهيم الفلسفية ، يقدم د · فيصل دراج ، لكتابه « الماركسية والدين » الصادر مؤخرا عن دار ابن خلدون ضمن سلسلة دليل المناضل التي تابعت الدار اصدارها منذ فترة · والكتاب الذي يقع في مائة صفحة من القطع الصغيرة يتجاوز لغة الارقام بزخم مادته واهميتها في تشكيل

Digitized by Birzeit University Library

نظرة علمية للمسألة الدينية استنادا الى ما كتبه ماركس وانجلز ومن بعدهما لينين بصدد الدين ، واهمية استخلاصات المؤلف والنتائج التي يتوصل اليها في اطار تتبعه تحديدا لتطور نظرة ماركس للدين .

يستهل الدكتور فيصل كتابه ، بنقد كارل ماركس للدين وتطوره ، متخذا من موقف فلاسفة عصر التنوير نقطة انطلاق لتطور موقف ماركس باعتبارها - اي فلسفة عصر التنوير ، « حقلا نظريا لا مباشرا ، استند اليه ماركس الى جانب الفلسفة الكلاسيكية الالمانية ، كحقل مباشر » . وفي هذا السياق يميز الكاتب ثلاث « لحظات » لتطور رؤيا ماركس للدين :

اولا - اللحظة الفلسفية .

ثانيا - اللحظة الانتربولوجية .

ثالثا - وترتبط هذه بالمادية التاريخية والمادية الديالكتيكية .

وفي رصده للحظة الفلسفية يعالج المؤلف نقد ماركس لكل من هيغل وفيورباخ وبالمقابل اثرهما عليه في مرحلة الشباب ذلك ان « كتابات ماركس الشاب بشأن الدين ، لم تكن ماركسية ، بقدر ما كانت فيورباخية حيث ظل فيورباخ منارة لماركس الى ان وصل الى ضفاف الماركسية العلمية ، فأدار ظهره الى تلك المنارة ، وسلك طريقا جديدا وكان هذا التخلي عن فيورباخ ، تخليا في الوقت نفسه عن كتاباته الفيورباخية ، ليبدأ نقد فيورباخ في « الايديولوجيا الالمانية » . .

اما بصدد اللحظة الانتربولوجية التي تشكل رؤيا ماركس الثانية فيذكر المؤلف (أن ماركس في تحليله لدور ووظيفة الدين من حيث هو معوض ومهدىء على مستوى الشعور ، ونزوع عاجز نحو سعادة مفقودة يجب تملكها ، يركز على ان « الغاء الدين من حيث هو سعادة زائفة للشعب ، مطالبا بسعادته الحقيقية) ويضيف قوله - دراج - « فالسعادة يجب ان تعاش لا ان تتخيل ، لكن الانسان لا يتخلى عن سعادته الواهمة ، الا عندما يدخل في سعادة حقيقية .. اي عندما يغير واقعه » .

وتبدأ الرحلة الحقيقية مع ماركس الماركسي عندما يعطي مفهوم الدين اساسه النظري المادي أي عندما اصبح الدين « يفهم ويحلل من خلال نظرية ماركس في الايديولوجيا » ، من خلال الاستيعاب الخلاق للعلاقة الجدلية بين البنيان الاقتصادي التحتي والبنيان القومي في المجتمع .

ويورد المؤلف قول ماركس :

« في الانتاج الاجتماعي لوجودهم ، يدخل البشر في علاقات محددة ، ضرورية ، ومستقلة عن ارادتهم علاقات انتاج تتطابق مع درجة تطور محددة لقواهم المنتجة المادية ، وتشكل مجموع علاقات الانتاج هذه البنيان الاقتصادي للمجتمع ، اي الاساس الشخص الذي يقوم عليه البنيان الفوقي الحقوقي والسياسي والذي توافقه اشكال وعي اجتماعي محددة » .

أما الايديولوجية الدينية - في اطار البنيان الفوقي - فيحاكمها المؤلف من كونها « لا ترى المجتمع كطبقات ، بل تراه كافراد يتمايزون فيما بينهم ، ليس بالموقع الطبقي ، بل بدرجة ايمان كل منهم او عدم ايمانه ، وبذلك فهي لا ترى حركة المجتمع كحركة صراع طبقية ، بل تعزوها الى الصراع بين الخير والشر ، بين المؤمنين والكفرة ... » وينتهي الى القول ، ان الايديولوجيا الدينية تتعامل مع الواقع على اساس كون الصراع الطبقي ، ليس طبقيا بل « دينيا واخلاقيا » وبالتالي تحل الايمان محل الثورة ... » وهي لا تتوقف عند ذلك بل تتجاوزه الى تبرير الاضطهاد والاستغلال ويستند المؤلف في ذلك الى قول ماركس :

« بررت المبادىء الاجتماعية للمسيحية العبودية القديمة ، ومجدت قناعة العصور الوسطى ، وقبلت بواقع اضطهاد البروليتاريا ... وتبشر المبادىء الاجتماعية للمسيحية بضرورة طبقة مسيطرة ، واخرى مضطهدة ، يفتح الهاء - ولم تقدم للطبقة الاخيرة الا دعاء ورعا بأن تكون الاولى محسنة لها ...

Digitized by Birzeit University Library

وتبشر بالجبن ، واحتقار الذات ، والهوان ، والضعة .. اي باختصار بكل مزايا الرعاع » .

هل تطورت الايديولوجيا الدينية رغم التاريخ ؟

ينفي المؤلف ذلك ويؤكد قوله « ان الايديولوجية الدينية لم تكبر وتتطور رغم التاريخ ، بل برضاه ، فقد مثلت ضرورة املاها الواقع الاجتماعي ومسار المعرفة وهذه الايديولوجيا التي جاءت من سديم المجتمع البشري السحيق ، لن تنقشع الا عندما يعي التاريخ نفسه في مملكة الحرية : المجتمع الشيوعي ، فالشيوعية ، تهدم القوانين الابدية وتمحي الدين ولا تجدد شكله ، وبذلك تعاكس كل التطور التاريخي السابق .

على أهمية ذلك كله يبرز الجهد والقيمة الحقيقيين للكتاب ، عندما يعلن المؤلف الدعوة « لنظرية ماركسية في الدين » بل جملة مقالات واشارات وجمل ، فبعد مرحلة الشباب لم يعط ماركس الا جملا عرضية حول الدين ، لا تشرح الدين بل تشرح أمورا أخرى ـ مفهوم الصنمية في كتاب رأس المال مثلا ـ » .

ومن هذا ينطلق لمعالجة القضايا التالية :

الوهم الديني في التاريخ ، الدين والصراع الطبقي ، انجلز وتطور المسيحية ، المادية الديالكتيكية والوعي الديني ، واخيرا الاغتراب الديني ، محددا اوجه الاغتراب كما يلي :

ـ الوجه الاول : ويتمحور حول قيام الدين بمصالحة الانسان مع « جوهره » بصورة وهمية ، باعتبار الدين « صلة وهم لا حقيقة » .

ـ الوجه الثاني : اقامة الدين العالم على الاله بدلا من ان يقيمه على الانسان .

ـ الثالث : « ربط الطبيعة بالالهة » واحالة كل ما في العالم الى وجود روحي وجود بدون مادة » .

ـ الوجه الرابع : رؤيا الدين للانسان ككائن مجرد ، خارج علاقات الانتاج ذلك ان الناس « متساوون لدى الاله » ، وحيث يرى الدين الناس لا من خلال علاقاتهم الطبقية ، بل من ممارساتهم الروحية ، كفرة ومؤمنون .

وهكذا « يفرض الدين على الانسان مجموعة من القيم المطلقة الثابتة ... تقفز فوق واقع الحياة وتناقضاتها .

ويخلص الكاتب الى القول « ان كل الاشكال الدينية ، من الايمان الى الطقوس التي ينتجها واقع بائس ، لا تتوارى عن طريق غسل وتنظيف الوعي ، بل تتوارى وتتراجع بالممارسة ، عندما يبدأ الانسان مسيرته النضالية ، لتغيير واقعه ، معتمدا على النظرية العلمية ، والنضال الجماهيري المنظم ، عندما يهجر ذاته اليائسة المتوحدة ، وينضم الى صفوف المقاتلين من أجل الحرية والخبز والثورة » .

ر.م

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

مجلة الكاتب الفلسطيني

وجميع الكتب الصادرة عن الاتحاد العام
للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

تطلب من موزعها في لبنان :

دار الكاتب – بيروت

بيروت – خندق الغميق – شارع الشدياق
ملك عسيران – تلفون ٢٩٢٨٧١

Digitized by Birzeit University Library

تقارير

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

بيان من الامانة العامة للاتحاد العام
للكتـــاب والصحفيين الفلسطينيين

ما زالت السلطات البحرانية تعتقل العديد من الشعراء والادباء والنقابيين ، ومن مؤلاء احمد الذوادي ويوسف عجاجي والنقابي عباس عواجي رئيس نقابة عمال البناء والمهن الانشائية ، والشاعران قاسم حداد وعلي الشرقاوي ، والقاص عبدالله علي خليفة .. وغيرهم من المناضلين .

ان الاتحـاد العـام للكتـاب والصحفيين الفلسطينيين اذ يستنكر بشـدة استمرار اعتقال مؤلاء الادباء والمناضلين ، يطالب كل الاتحادات الادبية والصحفية العربية وكل المثقفين العرب ان يرفعوا صوتهم عاليا مطالبين بالافراج عنهم كما يطالب الاتحادات الادبية والصحفية والاحزاب السياسية الوطنية والديمقراطية ان تنظم حملات جادة لاطلاق سراح كل المساجين السياسيين وتوقف الاعتقال التعسفي ومصادرة الحريات الديمقراطية .

ويرى الاتحاد ان التصدي لكل اشكال القمع من المهمات الاساسية لكل المنظمات الشعبية والاحزاب والقوى السياسية الديمقراطية .

ان مواجهة القوى بفعالية اصبحت مهمة ملحة بعد استشراء الفاشية ، وانتشار القمـع والاضطهـــاد .

بيروت في ١٠ ـ ٦ ـ ١٩٧٨

الامانة العامة للاتحاد العام
للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

بيان من الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين حول موقف الجامعة العربية من اليمن الديمقراطية

اخذ مجلس الجامعة العربية قرارا بفرض عقوبات على جمهورية اليمن الديمقراطية بتهم ملفقة وبذرائع وحجج مفضوحة ومكشوفة ٠

ان هذه السابقة الخطيرة تأتي لتشير الى عدة قضايا :

اولا : لقد قررت القوى الرجعية العربية الحاكمة بزعامة السعودية تصعيد حملتها ضد القوى الوطنية والديمقراطية في الوطن العربي ٠

ان فرض الحصار على اليمن الديمقراطية ، تمهيدا للاعتداء عليها ، هو جزء من المخطط الاميركي ـ الصهيوني ـ الرجعي العربي ، الهادف الى ضرب كل قوى الثورة في الوطن العربي ، ولا يمكن فصله عن المجازر التي اقترفت بحق الشعب الفلسطيني وثورته ، ولا يمكـــن فصله عن ضرب الحريات الديمقراطية وزج الاحرار في السجون في انحاء متعددة من وطننا العربي ٠

ثانيا : ان الانظمة التي لم تقطع علاقاتها بالسادات بعد ارتكابه الخيانة العظمى بحق الامة العربية وقضيتها سمحت لنفسها ان تتحول الى قاض لمحاكمة القـــوى الوطنية والديمقراطية العربية ٠ واذا كان ذلك مؤشرا على شراسة الهجمة الرجعية ، فهو ايضا تحد للقوى الثورية العربية لتعرف الارض التي تقف عليها ، وتعمل على مواجهة التحدي ٠

ثالثا : ان مؤامرة فرض التسوية على المنطقة العربية والخضـــوع للمخططات الاميركية تستدعي ضرب كل القوى الرافضة للاستسلام ٠ ومـــن هنا تأتي الهجمة الشرسة على اليمن الديمقراطية وعلى كل القوى الثورية ٠

ان الامانة العامة للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين وهي تدين قرار الجامعـــة العربية وتنبه القوى الوطنية والديمقراطية العربية لخطورته ، تتوجه بتحية التقدير للرفاق المناضلين في اليمن الديمقراطية الذين يخوضون الان صراعا باسلا من اجل الابقاء على اليمن الديمقراطية احدى مشاعل الحرية والتقدم رغم الصعوبات والاشكالات الداخلية في وطن يحاول الرجعيون ان يحولوه الى مرتع للامبريالية والعملاء ٠

ان الكتاب والصحفيين الفلسطينيين يوجهون التحية ايضـــا للكتاب والصحفيين في اليمن الديمقراطية ، ويدعون كل الكتاب والصحفيين التقدميين في الوطن العربي والعالم ، وكل القوى الديمقراطية الى مساندة الكفاح العادل للشعب اليمني البطل ٠

ان انتصار الثورة في اليمن على المؤامرة الرجعية هو انتصار لكل القوى التقدمية العـربية والعالمية ٠ وعلينا ان نعمل لتحقيق هذا الانتصار ٠

وعاشت فلسطين عربية حـــرة

الامانة العامة للاتحاد العام
الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

بيروت في ٤-٧-١٩٧٨

Digitized by Birzeit University Library

محاولة اغتيال امين سر اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

جرت في الساعة الثامنة وعشر دقائق من صباح الثلاثاء الموافق ٢٥ـ٧ـ١٩٧٨ محاولة اجرامية لاغتيال الزميل **حنا مقبل** (ابو ثائر) ، امين سر الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، عندما اطلقت عليه سيارة كانت قابعة قرب مكتبه الكائن في بناية الجزيرة بكورنيش المزرعة ببيروت ، نحو خمسين رصاصة ، من اسلحة رشاشة ، وقد اصيب بجراح طفيفة ٠

وعقدت الامانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين اجتماعا ، صدر عنه بيانا ادان الجريمة ٠

وسرعان ما وصل مقر الامانة العامة للاتحاد برقيات الاستنكار ٠ من الاخ **الدكتو صابر فلحوط** ، رئيس اتحاد الصحفيين في سوريا نائب رئيس اتحاد الصحفيين العرب ، والاخ **سعد قاسم حمودي** ، نقيب الصحفيين في العراق ، رئيس اتحاد الصحفيين العرب والاخ **ملحم كرم** ، نقيب المحررين اللبنانيين ، نائب رئيس اتحاد الصحفيين العرب ، والاخ **حميد سعيد** ، سكرتير عام اتحاد الادباء في العراق ، والاخ **رياض طه** ، نقيب الصحافة في لبنان ، والاخ **احمد ابو سعد** ، رئيس اتحاد الكتاب في لبنان ٠

كما اصدرت **جبهة القوى الفلسطينية الرافضة للحلول الاستسلامية** ، بيانا ضد اسلوب الاغتيال عموما ، ومحاولة اغتيال الاخ **مقبل** بوجه خاص ٠ وكذلك صدر بيان مماثل عن **الجبهة الديمقراطية الشعبية** لتحرير فلسطين ٠

وفي اليوم التالي ، استنكر فرع **اتحاد عمال فلسطين في لبنان** ، في رسالة الى **اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين** ، « محاولة الاغتيال الجبانة » ٠

وفي مساء اليوم نفسه ، بدأ العديد من الكتاب والصحفيين الفلسطينيين يتوافدون الى مقر الامانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ٠ وفي تمام الساعة الخامسة مساء كان قد اجتمع نحو مئة منهم ، حيث قرروا الاعتصام لمدة ساعتين احتجاجا على المحاولة الاثمة ، ووقعوا على مذكرة في هذا الصدد ٠

ومساء الخميس (٢٧ـ٧) اجتمع ممثلون عن الاتحادات الشعبية الفلسطينية ، واصدروا بيانا ادانوا فيه محاولة الاغتيال ، ودعوا الى التشبث بالحوار الديمقراطي ، وطالبوا الثورة الفلسطينية بمتابعة التحقيق ، للكشف عن الفاعلين ، ومحاسبتهم ٠

كما اصدرت ـ في ٢٨/٧ ـ **لجنة العمل النقابي الجماهيري المركزية لجبهة القوى الرافضة للحلول الاستسلامية** بيانا ، ندد فيه بمحاولة الاغتيال ومنفذيها ٠

Digitized by Birzeit University Library

بيـان صحفي

تعرض صباح اليوم (الخميس) الكاتب الصحفي الفلسطيني حنا مقبل امين سر الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين لمحاولة اغتيال اثمة ، حيث اطلق عليه كمين امام مكتبه زهاء خمسين طلقة باسلحة رشاشة أصابته ثلاثة منها بجراح طفيفة ·

ان جبهـة القوى الفلسطينية الرافضة للحلول الاستسلامية تدين وتستنكر هذه العملية الجبانة والحاقدة وهي لا تفصلها عن مجمل سياسة اليمين في الساحة الفلسطينية · هذه السياسة المخربة والحمقاء ، الداعية الى حل الخلافات بالرصاص بدلا من اللجوء الى الحوار الديمقراطي

ان محاولة الاعتداء على حياة حنا مقبـل يأتي ضمن السياق التفجيري الذي لجأ لـه اليمين ، والذي ابتدأ بمهاجمة مواقع جبهة التحرير الفلسطينية يوم ١٤ـ٧ـ١٩٧٨ تـم اغتيال ثلاثة مناضلين من الجبهة الديمقراطية مرورا باحداث الشمال ·

ان اسلوب اللجوء الى الرصاص والارهاب خطير للغـاية ، وهـو المؤامرة بعينهـا ، فالثورة الفلسطينية لا يمكن تهديدها من الخارج مهما كان حجم المتامرين انما يكمن الخطر في انفجار الالغام الداخلية ·

لندين جميعا هـذا الاسلوب الخبيس ··

ولنواصل النضال من اجل حل كافة الخلافات عن طريق الحوار الديمقراطي ·

بيروت في ٢٨ـ٧ـ١٩٧٨

جبهة القوى الفلسطينية الرافضة
للحلول الاستسلامية

بيان من الامانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين حـــول محاولة اغتيال امينـ سـر الاتحـاد الرفيق حنا مقبل

في تمام الساعة الثامنة وعشر دقائق مـن صباح يوم الثلاثاء الموافق ٢٥ـ٧ـ١٩٧٨ جرت محاولة اجرامية لاغتيال امين سر اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين حنا مقبـل ، وذلك امام مكتبه في بناية الجزيرة بكورنيش المزرعة ·

وقد اطلقت عليه نحو خمسين رصاصة من اسلحة رشاشة · وقد اصيب الرفيق حنا مقبل بجراح

Digitized by Birzeit University Library

طفيفة ·

هذا وقد جاءت هذه العملية الاجرامية في اعقاب سلسلة من عمليات التهديد والملاحقة ضد الرفيق مقبل ، بشكل خاص ، وضد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين بشكل عام ·

وهذه العملية الخطيرة والاجرامية تأتي ضمن الهجمة التي تستهدف القوى الوطنية والتقدمية في الثورة الفلسطينية ·

ان الكتاب والصحفيين الفلسطينيين الذين كتبوا بالدم لفلسطين ، والذين قدموا خيرة كتابهم وصحفييهم وفنانيهم على ساحات النضال لن يتراجعوا عن مواصلة دورهم ولن ترهبهم محاولات الارهاب والابتزاز مهما كانت الاطراف التي تقف وراءها ·

اننا نحن الكتاب والصحفيين الفلسطينيين نناشد الكتاب والصحفيين العرب والكتاب والصحفيين التقدميين في العالم ان يرفعوا اصواتهم ضد جو الارهاب · ان الكتاب والصحفيين الفلسطينيين يناشدون جماهير شعبنا البطل · ومقاتلينا البواسل أن يوحدوا صفوفهم ، ويقفوا سدا منيعا في وجه الارهاب ، ومحاولة تخريب الثورة الفلسطينية وزجها في صراعات داخلية لن تخدم الا اعداء شعبنا الفلسطيني ·

المجد للكلمة المقاتلة ·

المجد لثورتنا الباسلة ·

لنناضل من اجل استمرار الحوار الديمقراطي ومن اجل تحقيق الوحدة الوطنية ·

العار للذين يطلقون النار على ابناء شعبنا أو يعملون على تفجير ثورتنا ·

بيروت في ٢٥ـ٧ـ١٩٧٨

الامانة العامة
لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

تصريح من ناجي علوش
الامين العام للاتحاد العام
للكتاب والصحفيين الفلسطينيين
حول محاولة اغتيال الزميل حنا مقبل

قامت صباح اليوم (الخميس) الساعة الثامنة وعشر دقائق مجموعة مسلحة بنصب كمين للزميل حنا مقبل (ابو ثائر) امين سر اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين واطلقت عليه حوالي

Digitized by Birzeit University Library

خمسين طلقة اصيب بنتيجتها بجراح • وانني لاود ان اوكد الحقائق التالية :

١ ـ ان هذه الجريمة جزء من مخطط التصفية الذي تنفذه قوى رجعية من داخل الثورة الفلسطينية ضمن اطار المخطط الصهيوني الاميركي الرجعي الذي بدأ تنفيذه ، وما زال ينفذ حتى الان •

٢ ـ ان الحادثة التي وقعت جزء من قرارات اتخذت في اجتماع رسمي قبل حوالي اسبوعين وهي تستهدف عددا من المناضلين والمنظمات السياسية الفلسطينية واذا كنا قد شهدنا بعض فصول هذا المخطط فاننا سنشهد في الاسابيع المقبلة فصولا جديدة منه •

٣ ـ ان الزميل حنا مقبل (ابو ثائر) مناضل وصحفي بارز وهو من ابرز الصحفيين الذين عملوا داخل الارض المحتلة وخارجها ولقد كان موقفه معارضا للتسوية والاستسلام دائما حريصا على استمرار الثورة • ولذلك ابعدته الفئات الرجعية من موقعه في الاعلام الموحد واتخذت فيما بعد قرارا غير قانوني بفصله من عضوية حركة (فتح) •

انني من موقع المسؤولية ادين السياسة الاجرامية الرامية الى تصفية المناضلين وبالتالي تصفية الثورة واعلن لكل جماهيرنا ان رصاص الغدر والتامر لا يخيفنا ولا يمكن ان يثنينا عن مواصلة النضال لتحرير ارضنا وشعبنا • كما أعلن ان مناورات القوى اليمينية في الثورة الفلسطينية لتغطية التنازلات التي تقدمها في اتصالاتها مع العدو الصهيوني والامبريالية الاميركية والافلاس الذي منيت به نتيجة سياستها الاستسلامية ستبوء كلها بالفشل ولن تستطيع ان تنقذ الذين تآمروا على شعبهم وقضيتهم • ان القوى اليمينية الاستسلامية تكشف بهذه الاعمال الاجرامية عن وجهها القبيح وطبيعتها المعادية للشعب وللثورة • وهي باقدامها على هذه الاعمال الاجرامية تنهي نفسها بنفسها •

اننا سنبقى ضد القتل وسنظل مع الحوار الديمقراطي مهما كانت الصعوبات التي نواجهها لاننا حريصون على قضيتنا وثورتنا • وسنبقى حريصين على الثورة واستقلاليتها واستمرارها معادين للنهج الاستسلامي ولسياسة الارتباط بالمخطط الرجعي الامبريالي الصهيوني • وسنواجه رصاص الغدر والتامر بصدورنا ولن نخشاف المتامرين دعاة الاستسلام والتسوية ولصوصهم ومرتزقتهم وقتلتهم • ونحن واثقون ان شعبنا الفلسطيني سيحاسبهم على جرائمهم •

بيروت في ٢٥ـ٧ـ١٩٧٨

ناجي علوش

الامين العام للاتحاد العام
للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

المذكرة
التي وقع عليها اعضاء الاتحاد
العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

الكتاب والصحفيون الفلسطينيون الموقعون ادناه يدينون ويستنكرون ، بشدة ، المحاولة الاجرامية التي استهدفت اغتيال امين سر الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، الزميل

Digitized by Birzeit University Library

حنـا مقبل ، ويعتبرون هذه المحاولة اعتداء صارخا على حرية الفكر والثقافة واتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين والكتاب والصحفيين والمفكرين عامة ·

ولذا ، هم يهيبون بالاتحادات والنقابات التي تمثل الكتاب والادباء والصحفيين العربية والعالمية ، وكافة المثقفين والكتاب ، الى التحرك الفوري والاعلان عن موقفهم وشجبهم لمحاولات الارهـاب الفكري والسياسي ·

ويعلن الكتاب والصحفيون الفلسطينيون رفضهم القاطع لاسلوب الاقتتال بالسلاح في الساحة الفلسطينية ومخاطر تفجير الثورة والدعوة الى الاقتتال الداخلي ، لما يشكله ذلك من خطر عـلى الوحدة الوطنية الفلسطينية ، لا يخدم الا الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية والرجعية الفلسطينية ·

ويعلن الكتاب والصحفيون الفلسطينيون ، في الوقت نفسه ، تمسكهم بالحوار الديمقراطي ، كاسلوب وحيد لحل كافة الخلافات في الساحة الفلسطينية ، ويدينون الاطراف التي تسعى الى الاقتتـال الداخلي ·

ويناشد الكتاب والصحفيون الموقعون ادناه كافة المنظمات والقيادات الفلسطينية للتنبه الى خطورة الاساليب الارهابية ومحاولات الاقتتـال والتفجير الداخلي ، ويدعونهم الى تحمل مسؤولياتهم التاريخية والسياسية ، لمعالجة هذه الاوضاع ، واتخـاذ المواقف الحازمة البديلة والعملية التي من شأنها ان تقطع الطريق على كافة المحاولات الاجرامية والارهابية ، وضرورة اعتماد اسلوب الحوار الديمقراطي ، وتعزيز الوحدة الوطنية الفلسطينية ، واستنكار المحاولة الاجرامية التي استهدفت حياة الزميل حنا مقبل ·

بيروت في ٢٥ـ٧ـ١٩٧٨

محاولة اغتيال حنا مقبل هي جزء من مخطط تفجير الساحة الفلسطينية

قامت صباح اليوم (الخميس) مجموعة مسلحة بنصب كمين للكاتب والصحفي الفلسطيني حنا مقبل ، امين سر الاتحاد العـام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، وهو متوجها الى عمله واطلقت عليه النار واصابته بجراح طفيفة ·

ان الجبهة الديمقراطية اذ تستنكر وتدين هذا العمل الجبان ، فانها تحذر من مخاطر تفجير الثورة واعتماد الاقتتال الداخلي كبديل عن الحوار الديمقراطي بين رفاق السلاح والمصير الواحـد ·

ان هذا الاسلوب الذي يتنافى مع التقاليد الكفاحية لشعبنا الفلسطيني العظيم ، والذي

Digitized by Birzeit University Library

اجمعت على ادانته كافة فصائل الثورة والمنظمات الجماهيرية والهيئات الشعبية ، يقدم خدمة مجانية لاعداء شعبنا وثورتنا ، ويعرض جميع المكاسب التي حصل عليها شعبنا بالعرق والدم الى خطر التصفية والاحتواء • ونحن نثق ان شعبنا الذي تمرس في الكفاح ، سيحبط جميع المحاولات الهادفة الى ربط الثورة بعجلة التسوية الاميركية ـ الاسرائيلية ـ الساداتية • وسينتصر خط الوحدة الوطنية على قاعدة العلاقات المتكافئة والاحترام المتبادل •

عاش الحوار الديمقراطي من أجل تحقيق الوحدة الوطنية •

العار للذين يطلقون النار على ابناء شعبنا ويعملون على تفجير ثورتنا •

الاعلام المركزي

للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين

٢٥ـ٧ـ١٩٧٨

بيان من المنظمات الشعبية الفلسطينية

تمر الثورة الفلسطينية ، اليوم ، بمرحلة بالغة الخطورة ، حيث تتوالى ضدها مؤامرات الامبريالية والصهيونية وعملائها في المنطقة ، من القوى الرجعية العربية ، بهدف تصفيتها • وعندما عجزت هذه القوى عن تحقيق اهدافها بالاساليب التقليدية ، بدات تنهج اسلوبا جديدا ، هو محاولة ضرب الثورة الفلسطينية من الداخل ، واللجوء الى اسلوب الارهاب والاغتيال السياسي •

ومؤخرا شهدت الثورة الفلسطينية حدثا جديدا ، حيث تعرض الزميل حنا مقبل ، امين سر اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، الى محاولة اغتيال آثمة •

لقد مثلت هذه المحاولة استمرارا لاسلوب الارهاب والاغتيال ، الذي ذهب ضحيته كوادر اساسية في الثورة الفلسطينية ، كالشهداء : محمود صالح ، سعيد حمامي ، وعلي ناصر ياسين •

ان الاتحادات الشعبية الفلسطينية ، وهي تستنكر المحاولة الاخيرة ، تحذر من هذا الاسلوب الضار بالقضية الوطنية ، والذي يهدد بتسفها وتدمير الثورة الفلسطينية من الداخل ، ولا يخدم الا اعداء الثورة والقضية الوطنية الفلسطينية •

وتطالب اتحاداتنا الثورة الفلسطينية بمتابعة التحقيق للكشف عن الفاعلين

Digitized by Birzeit University Library

ومحاسبتهم ·

ان تكريس الحوار الديمقراطي هو الضمان الاول لتقرير الوحدة الوطنية الفلسطينية في وجه اعداء شعبنا وثورتنا ·

واسلوب الاغتيال هو سلاح الثورة المضادة · وهو دائما ضد الثورة والشعب ·

بيروت في ٢٥ـ٧ـ١٩٧٨

الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية
الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين
الاتحاد العام لطلبة فلسطين
الاتحاد العام للمهندسين الفلسطينيين
الاتحاد العام للاطباء الفلسطينيين
الاتحاد العام للحقوقيين الفلسطينيين

بيان صادر عن لجنة العمل النقابي والجماهيري المركزية لجبهة القوى الفلسطينية الرافضة للحلول الاستسلامية ·· استنكار لمحاولة تصفية المناضل الفلسطيني حنا مقبل ، امين سر اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

لقد دأب اليمين الفلسطيني ، في الاونة الاخيرة ، على اعتماد اسلوب الاغتيال والتصفية الجسدية للقوى الديمقراطية والتقدمية الفلسطينية ، وذلك من اجل ضرب وتصفية القوى التي تشكل عقبة في طريق اليمين ، تمهيدا لتنفيذ مخططه الهادف الى ان يكون اليمين الفلسطيني طرفا في التسوية المطروحة ، لان اليمين الفلسطيني بدأ بمد الجسور مع نظام السادات الخائن ، في سبيل ان يكون طرفا من اطراف التسوية · فاننا ، كلجنة عمل نقابي للرفض ، ندين الاسلوب الفاشي الذي بدأ اليمين الفلسطيني اتباعه ، بدءا من محاولة تصفية القوى الديمقراطية داخل الثورة ، مرورا باحداث الشمال والجنوب ، وانتهاء بالمحاولة الاثمة والمجرمة التي استهدفت حياة المناضل حنا مقبل ·

فان شعبنا الفلسطيني الذي يدين ويشجب مثل هذه الاساليب سيكون أقوى من كل

Digitized by Birzeit University Library

محاولات اليمين الفاشية والفاشلة في النهاية ، وسيكون النصر حليف القوى الديمقراطية والتقدمية ، والهزيمة لليمين الفلسطيني ، واننا سوف نتابع نضالنا من اجل ان يكون الحوار الديمقراطي الاسلوب الوحيد لحل التناقضات .

عاشت الوحدة الوطنية الفلسطينية .
المجد والخلود لشهدائنا الابرار .
وانها لثورة حتى تحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني .

بيروت في ٢٨-٧-١٩٧٨

لجنة العمل النقابي
والجماهيري المركزية لجبهة
القوى الرافضة للحلول
الاستسلامية

بيان من الامانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين — فرع سورية

بأسف بالغ تلقت امانة فرع الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين في القطر العربي السوري نبأ محاولة الاغتيال التي تعرض لها الزميل حنا مقبل امين سر الاتحاد في بيروت يوم امس الثلاثاء ٢٥-٧-١٩٧٨ ..

ان امانة الفرع اذ تدين بشدة هذه الجريمة وكل جرائم الارهاب والاغتيال السياسي بما في ذلك جريمتي اغتيال المناضلين سعيد حمامي وعلي ناصر ياسين والتي تستهدف اغراق الساحة الفلسطينية في دوامة التصفيات الجسدية ، وتعتبر محاولة الاغتيال التي تعرض لها الزميل حنا مقبل محاولة فاشية قذرة لطعن حرية الفكر والكلمة وارهاب الكتاب والصحفيين الفلسطينيين وضرب روح الحوار الديمقراطي في الثورة واعتداء على الاتحاد كمؤسسة نقابية تمثل الكتاب والصحفيين الفلسطينيين في كل مكان .

من هنا فان امانة فرع الاتحاد تطالب بتعقب الفاعلين ومحاسبتهم وانزال اقصى العقوبات بهم ، وتدعو الكتاب والصحفيين الفلسطينيين وزملاءهم العرب وفي العالم في كافة مواقعهم الى ادانة هذه المحاولة واتخاذ الموقف المسؤول تجاه هذه الظاهرة الاجرامية .

وتؤكد امانة فرع الاتحاد انه بحوار العقل الديمقراطي وحده تحل الخلافات السياسية وتتصلب الساحة الفلسطينية التي باتت تتعرض هذه الايام لخطر جسيم فشلت كل محاولات التصفية والتآمر الخارجية عن تحقيقها في الاعوام الثلاثة عشر الماضية .

عاشت وحدة الساحة الفلسطينية
عاشت وحدة كل المناضلين من اجل فلسطين حرة مستقلة عربية

امانة الفـــرع
في القطر العربي السوري

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

بيان سياسي صادر عن فصائل الثورة الفلسطينية
وحركات التحرر العربية / بغداد
حول الممارسات الارهابية لليمين الفلسطيني في الساحة الفلسطينية

يا جماهير امتنا العربية المناضلة :

منذ انطلاقة الثورة الفلسطينية المسلحة وهي تتعرض لمؤامرات امبريالية صهيونية رجعية استهدفت تحجيمها واجهاضها ومن ثم تصفيتها ولهذا خاضت ضد القوى المعادية مؤامرة تصفية الثورة في الاردن وفي لبنان وفي غيرها من مواقع الثورة الا ان هذه المحاولات التآمرية باءت بالفشل ولا زالت الثورة باقية مستمرة ومع فشل القوى المعادية ممثلـــة بالامبريالية الاميركية والعدو الصهيوني والرجعية العربية وعجزها عن تصفية الثورة بالصـــدام المباشر معها نجدها تحاول استنزاف الثورة من الداخل ودفعها الى الصدام الداخلي ومن ثم الاقتتال الداخلي وهدفها من الاقتتال تصفية الثورة والقضية • وهذا المخطط ليس معزولا عما يجري من ملاحقة وتصفية القوى الوطنيه والديمقراطية على امتداد الوطن العربي رافقه تغلغل الامبريالية الاميركية في العديد من الاقطار العربية وقد مثلت الرجعية العربية مخلب قط في المخطط ••• الامبريالي الصهيوني وفي هذا الظرف بالذات بدأت بعض الاطراف اليمينية المعروفة في الساحة الفلسطينية بممارسة اساليب تصفوية تتنافى مع مبادىء الحوار الديمقراطي في حل الخلافات السياسية مجددة نهجا خطيرا يؤدي الى الاقتتال الداخلي وتفجير الساحة الفلسطينية في وقت تواجه فيه قوى الثورة اخطر المعارك واشرسها في الساحة اللبنانية دفاعا عن وجودها واستمرار نضالها فبدلا من تعزيز الوحدة الفلسطينية وفق برنامج سياسي واضح ومواجهة المؤامرات التي تحاك ضد الثورة نجد ان هذا اليمين يعمل على تفتيت الساحة وبعثرت قواها كتعبير عن المأزق الذي وصل اليه نتيجة سياسته الخاطئة التي ادت به الى الطريق المسدود فلجأ الى اساليب التصفية والاغتيال ضد المناضلين في محاولة منه للخروج من مأزقه وكتعبير عن افلاس برامجه في مواجهة العدو •

يا جماهير شعبنا العربي المناضل :

ان اخطر ما يمكن ان تواجهه الثورة الفلسطينية هو دفعها الى الاقتتال الداخلي هذا الهدف التي عملت كل الدوائر المعادية على تنفيذه وما زالت ادراكا منها بأن اية قوى لن تستطيع القضاء على الثورة بعد الصمود البطولي الذي سجلته عبر نضالها الطويل وعلى هذا الاساس فان حركات التحرر العربية في بغداد تحذر من نتائج هذا الاسلوب وما يمكن ان يجره من دمار على الساحة الفلسطينية والعربية ••• ونستنكر وبشدة الاجراءات التصفوية الاخيرة التي لجأت اليها بعض اطراف اليمين الفلسطيني في لبنان وليبيا وتدعو الى سيطرة روح الحوار في معالجة الخلافات والاحتكام الى الجماهير التي هي الحكم النهائي في كل شيء •

ان الاجراءات الفاشية القمعية التي تمارسها الانظمة العربية الرجعية ضد حركة الجماهير والقضاء على الحركات الديمقراطية يجب ان لا ينتقل في اي شكل من الاشكال الى الســـاحـــة الفلسطينية نظرا لما تحمله من ويلات ونتائج مدمرة على مجمل النضال الفلسطيني والعربي •

من هنا فاننا ندعو كافة فصائل حركة المقاومة الفلسطينية الى مزيد من التلاحم والتكاتف في مواجهة المؤامرات وقطع الطريق على القوى المعادية لتدمير الثورة من داخلها •

نعم للحوار الديمقراطي في الساحة الفلسطينية

لا للاقتتال الداخلـــي

لا للتصفيات الجسدية ضد الثورة والمناضلين

نعم لاستمرار الثـــورة

الخزي والعار لاعداء حركة الجماهير

التوقيع
فصائل الثورة الفلسطينية
وحركات التحرر العربية
بغداد ٢٧-٧-١٩٧٨

Digitized by Birzeit University Library

مذكرة من فروع الاتحاد العام
للكتاب والصحفيين الفلسطينيين
في المغرب العربي وسوريا ومصر
الى القيادات الفلسطينيـــــه

الاخ القائد العام للثورة الفلسطينية – رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية

الاخوة الامناء العامون لمنظمات المقاومة الفلسطينية

الاخ رئيس المجلس الوطني الفلسطيني

الاخوة اعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية

تحية الثورة · وبعد ،

دفعت الثورة الفلسطينية ، في الاشهر الاخيرة ، الى حالة من فقدان التوازن ، مما دفع البعض الى هجر اسلوب الحوار الديمقراطي واللجوء الى اسلوب الاقتتال ، بين فصائل الثورة الفلسطينية · كما ذر اسلوب الاغتيال السياسي قرنه ، فسقط العديد من المناضلين شهداء هذا الاسلوب الغادر : محمود صالح ، سعيد حمامي ، علي ناصر ياسين ، ومحاولة اغتيال حنا مقبل ، واخيرا عز الدين القلق ·

والاقتتال والاغتيال يفتحان الباب على مصراعيه لمزيد من الاطراف الغريبة بالتدخل واذكاء نار الفتنة ، مما يعجل في نهاية الثورة ·

اننا نناشدكم التحرك السريع لوقف نزيف الدماء ، ووضع حد لاقتتال رفاق السلاح ، واليقظة في وجه محاولات الزج بالثورة في منزلق النهاية ، منزلق الاغتيال والاقتتال ·

وتقبلوا تحياتنا الثـــورية ،

رئيس فرع اتحاد الكتاب والصحفيين
الفلسطينيين في المغرب العربي
(اسماعيل شتات – ابن الشاطىء)

امين سر فرع سوريا
(شريف جيوسي)

نائب رئيس فرع مصر
(عبد القادر ياسين)

بيروت في ٢–٨–١٩٧٨

Digitized by Birzeit University Library

بيان من الامانة العامة للاتحاد العام للكتـاب والصحفيين الفلسطينيين حول اغتيال عز الدين القلق

تنعي الامانة العامة للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين الى شعبنا الفلسطيني ، وجماهير امتنا العربية ، والى كل الكتاب والصحفيين في الوطن العربي والعالم ، الكاتب والصحفي الفلسطيني عز الدين القلق ، عضو اتحادنا ، وممثل منظمة التحرير الفلسطينية في باريس ، الذي استشهد ، اليوم ، برصاص جبان وغادر .

ان الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، الذين كتبوا دائما بالدم الفلسطيني ، وقدموا قوافل من الشهداء على طريق تحرير فلسطين ، يقفون اليوم ضد هذه الجريمة ، التي تاتي جزءا من مسلسل الحرب القذرة التي تشهدها الساحة الفلسطينية ، منذ فترة ، والتي لن تقود الا الى تدمير الثورة ، والقضاء على كل منجزات شعبنا .

ان اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين يشجب هذه الجريمة الجبانة ، ويدين الايدي القذرة التي امتدت لتغتال المناضلين الوطنيين الفلسطينيين .

ويرى اتحادنا ان اسلوب الاغتيال لا يخدم الا اعداء قضيتنا الوطنية ، من الامبرياليين والصهيونيين والرجعيين العرب .

ان اغتيال عز الدين القلق حلقة اخرى من الحرب التي ارادت الامبريالية والصهيونية وعملائهما اغراق الثورة الفلسطينية فيها ، تمهيدا لانهائها والاجهاز عليها .

ان اتحادنا يكرر موقفه المتشبث بالوحدة الوطنية ، وبالحوار الديمقراطي بين كافة الفصائل الوطنية الفلسطينية ، حتى نقطع الطريق على الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية ، ونحول دون نسف قضيتنا الوطنية واغتيال ثورتنا .

- لنقف صفا واحدا ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية ،
- ولنرفع صوتنا عاليا ضد الاغتيال والاقتتال ،
- عاش كفاح شعبنا الفلسطيني ،
- عاش كفاح امتنا العربية .

بيروت في ١٩٧٨/٨/٣

الامانة العامة
لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

تصريح
للامين العام للاتحاد العام للكتاب
والصحفيين الفلسطينيين بصدد
اغتيال عز الدين القلق

ادلى الاخ ناجي علوش ، الامين العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، بالتصريح التالي :

ان اغتيال الاخ عز الدين القلق ، ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في باريس، خطوة اخرى في مسلسل الحرب القذرة التي تشهدها الساحة الفلسطينية ، بل هي ادخلت هذه الحرب في منعطف جديد بالغ الخطورة ٠

اننا ، ونحن نشعر ان الثورة الفلسطينية تعيش مرحلة الخطر الاكبر على مصيرها ، نستنكر هذه الجريمة الجبانة ، كما استنكرنا من قبل جرائم اغتيال سعيد حمامي وعلي ناصر ياسين ومحاولة اغتيال امين سر اتحادنا حنا مقبل ، وكل اشكال الاقتتال الداخلي في صور وصيدا والبداوي ، والتي تستهدف الهاء شعبنا عن قضاياه الاساسية واستنزاف طاقاته تمهيدا لتصفية الثورة ٠

اننا نتوجه الى كل الوطنيين الفلسطينيين للعمل السريع لوقف هذه الحرب القذرة وادانة اي طرف يقوم بها ٠

ان مصير ثورتنا في خطر ٠٠
ان مصير قضيتنا كله في خطر ٠٠
وعلينا جميعا ان نقف في وجه كل الذين يحاولون التلاعب بهذا المصير ٠

بيروت في ١٩٧٨/٨/٣

مذكرة من امانة فرع
الاتحاد في سورية الى
المسؤولين الفلسطينيين

الى امانة سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية
وامانة سر المجلس المركزي الفلسطيني

Digitized by Birzeit University Library

وامانـــــة ســـــر المجـــلس الوطني الفلسطيني
بواسطة مدير مكتب المنظمة ـ بدمشق
تحية الثورة والنضال وبعد ،

لاحظت امانة فرع الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين في سوريا بمزيد من القلق والالم ، وتصاعد موجة الاغتيال السياسي في الساحة الفلسطينية مؤخرا

ان امانة الفرع تدين بشدة كـل جرائم الارهاب والاغتيال السياسي التي تستهدف اغراق الساحة الفلسطينية في دوامة التصفيات الجسدية • وتطالب بالتحقيق في ظروف هذه الحوادث ، وتعقب الفاعلين ، ومحاسبتهم ، وانزال اقصى العقوبات بهم ، قطعـا للطريق على كـل القوى الامبريالية والصهيونية والرجعية التي تسعى الى تفجير الثورة الفلسطينية والمؤسسات الفلسطينية من داخلها عن طريق استثارة الاقتتال الداخلي ، بعد ان فشلت كل محاولات التامر والغزو الخارجي في تصفية الحركة الوطنية الفلسطينية واطفاء جذوة الكفاح الوطني الفلسطيني •

كما ان امانة فرع الاتحاد في سورية ترى ان توفير الظروف الموضوعية امام المنظمات الشعبية الفلسطينية لممارسة دورها داخل المؤسسة الفلسطينية ، هي الطريق الصحيح لتجاوز كل اشكال التناقضات الثانوية داخـل الساحة الفلسطينية ، وتصليب هذه الساحة في مواجهة محاولات قمع الحركة الوطنية الفلسطينية ، التي تشكل احـد المرتكزات الرئيسية في التصدي لمشاريع التسوية الاستسلامية في المنطقة •

وتؤكد امانة فرع الاتحاد على ضرورة الاهتمام بمناقشة بروز ظاهرة الاغتيال السياسي ، في هذه المرحلة الدقيقة التي يجتازها النضـال الوطني الفلسطيني ، داخـل المؤسسات الوطنية المسؤولة ، ووضع الضوابط الكفيلة على هذه الظاهرة الخطيرة ، لان السماح بتكريس هذا النهج الاجرامي داخل الساحة الفلسطينية سوف يتيح الفرصة امام عشرات القوى التي تتربص بالثورة الفلسطينية لتعميق هذا النهج ، وتشجيعه ليشمل كل المناضلين الفلسطينيين تحت مختلف الشعارات والتسميات •

ان الاتحاد العام للكتاب والصحفيين هو الاطار الشامل الذي يضم كل الكتاب والصحفيين والادباء والمثقفين الفلسطينيين ، وهو قاعدة من قواعد منظمة التحرير الفلسطينية ، المثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، وكل محاولة للاعتداء على احد اعضائه انمـا هي محاولة سافرة للاعتداء على الاتحاد ، كمؤسسة شعبية نقابية ، ولطعن حرية الفكر والكلمة •

ولذلك ، فان امانة فرع الاتحاد في سورية •• وهي تهيب بالمؤسسات الفلسطينية المسؤولة لتحمـل مسؤولياتهـا كاملة فـي مكافحة هـذه الظواهر الفاشية ، لتدعو الكتـاب والصحفيين الفلسطينيين ، وزملاءهم العرب ، وفي العالم كله ، الى ادانة هذه المحاولة ، وتوسيع حملة التضامن مع المناضلين الفلسطينيين ، دفاعا عن حرية الفكر والرأي •

عـاشت وحـــدة الساحـة الفلسطينيـــة
عاشت وحدة كل المقاتلين من اجل فلسطين حرة مستقلة عربية
والمجـد والخلود لشهـداء الثورة الفلسطينية
دمشق في ١٩٧٨/٨/١

امانة الفرع

Digitized by Birzeit University Library

رسالة الامين العام للاتحاد الى رئيس محكمة الشعب العربي

السيد رئيس محكمة الشعب العربي - بغداد

ان انعقاد محكمتكم في هذا الوقت ، لمحاكمة انور السادات ، حدث خطير له دلالاته · انه يؤكـد :

اولا : ان الجماهير العربية وقواها الوطنية والديمقراطية ، مصرة على ان تقوم بواجبها في المعركة القومية ، وانها ستناضل بمختلف السبل والوسائل ، للدفاع عن ارضها وحقوقها ·

ثانيا : ان الجماهير العربية وقواها الوطنية والديمقراطية ، لن تسمح بمرور مخطط السادات اذ انها ستقاومه بما تملك ، لانها ترى فيه خطرا اكيدا على المستقبل القومي للامة العربية جمعاء ·

ثالثا - ان المواجهات السياسية بيـن القوى الوطنية والديمقراطية مـن جهة ، والقوى الرجعية والعميلة من جهة اخرى ، باتت لا تقتصر على اشكال العمل السياسي التقليدية ، وانها تاخذ ، لاول مرة ، شكلا سياسيا جديدا ، تمثل في هذه المحكمة ··· التي تضم نخبة من رجال القانون والفكر والسياسة في الوطن العربي ·

ولذلك ، فانني ، باسم الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، اود ان اضم صوتي الى صوت الادعاء عـلى السادات ، لان مبادرته جرت ، وستجر عـلى الشعب الفلسطيني والامة العربية ، مخاطر لا حدود لهـا ·

ان هذه المبادرة ، التي كانت نتيجة نهج التسوية الاستسلامي ، قادت الى ما يلي :

١ - اعلان التنازل عن قضية الارض الفلسطينية المحتلة قبل سنة ١٩٦٧ ، وضمان الامن والاستقرار للعدو الصهيوني · وجسدت ذلك كله بالبيانات التي اعلنها السادات ، وبزيارة قدسنا المحتلة ، وباللقاءات التي تمت مـع قادة دولة العدو ، في القدس والقاهرة والاسكندرية وامكنة اخرى ·

٢ - اعلان الاستعداد للمساومة على سيناء والجولان والضفة الغربية وغزه ·

٣ - اعلان الاستعداد لاقامة سلام مع العدو الصهيوني ، والتعايش معه ·

٤ - مواصلة سياسة ضرب المقاومة الفلسطينية ، وجر فئات منها الى معسكر التسوية ·

٥ - الارتباط بالسياسة الاميركية المعادية للامة العربية ·

٦ -القيام بضرب ارادة الشعب العربي في مصر ، ومحاربة قواه الوطنية والديمقراطية ، والمشاركة في المعركة المعادية لقوى الثورة في الوطن العربي وافريقيا ، وكل مكان من العالم ·

ولقد انعكس هذا كله على الساحة الفلسطينية ، بالنهج الـذي انتهجته بعض الاوساط ،

Digitized by Birzeit University Library

والذي تمثل بالتالي :

أ ـ اعلان الاستعداد لقبول التسوية والمشاركة فيها ·

ب ـ اجراء اتصالات مع اطراف صهيونية ومع الدوائر الاميركية ·

ج ـ الاتجاه نحو قمع القوى الوطنية والديمقراطية في الساحة الفلسطينية وانتهاج سياسة قتل المناضلين ، والاقتتال بين قوى الثورة المسلحة ·

ولذلك فانني اطالب بما يلي :

١ ـ ادانة خطوة السادات ، ومجمل سياسته التصفوية الاستسلامية القمعية المعادية للشعب العربي في مصر، ولكل الجماهير العربية ·

٢ ـ محاكمة نهج التسوية والاستسلام ، وفضح طبيعته المعادية لشعبنا العربي ، ولقضية تحررنا وتقدمنا وادانة كل الاشخاص والسياسات الممثلة لهذا الخط ، او المرتبطة به ·

٣ ـ اعتبار محكمة الشعب العربي محكمة دائمة ، واستمرار عملها لمحاكمة كل الخونة العرب الذين يقومون باعمال معادية للشعب ، ضارة بالقضية القومية ·

السيد رئيس المحكمة ...

ان الكتاب والصحفيين الفلسطينيين الذين يكتبون بالدم لفلسطين ، يكتبون بالدم لكل جزء من هذا الوطن · انهم يعرفون جيدا ان فلسطين ارض عربية ، وان تحريرها مهمة قومية ، وان تحرير هذا الوطن ووحدته شرطان ضروريان لتحرير فلسطين ·

وهم لذلك يضعون انفسهم في خدمة القضايا القومية العربية ، ويناضلون جنبا الى جنب مع كل القوى القومية ، في سبيل اهداف امتنا ، وعلى رأسها تحرير فلسطين وكل الاراضي العربية المحتلة ، وتحقيق الوحدة العربية ، واقامة سلطة الشعب الديمقراطية ·

وهم اذ يحيون محكمتكم ومؤتمر الشعب العربي الذي انبثقت عنه ، يطالبونها باتخاذ اشد العقوبات ضد السادات ونهجه التصفوي الاستسلامي ·

بيروت في ٣١ـ٧ـ١٩٧٨

ناجي علوش
الامين العام ـ لاتحاد
الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

Digitized by Birzeit University Library

تقرير
حول نشاط فرع الاتحاد في سورية

بدأت اللجنة الاقليمية لفرع اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين في سورية منذ اواخر عام ٧٧ ولغاية ٧٨/٦/٦ باقامة امسية ادبية او ندوة فكرية او سياسية مساء كل يوم ثلاثاء بمقر الاتحاد في دمشق ·

ويلاحظ في برنامج الموسم الثقافي الذي اقامته امانة الفرع ، وطرأت عليه بعض التعديلات اثناء التنفيذ ، وكان الاول من نوعه في تاريخ الفرع الذي اسس في بدايات عام ١٩٧٤ ـ يلاحظ ما يلي :

١ ـ ان امانة الفرع استطاعت بامكانات متواضعة جدا الاستمرار في تقديم امسية او ندوة على مدى ستة اشهر بدون انقطاع ، في الوقت الذي ربما عجزت فيه مؤسسات مماثلة عن تحقيق تلك الاستمرارية رغم ما يتوفر لديها من امكانات مختلفة ·

٢ ـ ان البرنامج حافظ على نسبة لا بأس بها من التوازن بين الامسيات والندوات ، بحيث لم يقتصر البرنامج على تقديم شعراء وقصاصين ، بل تعداهم الى تقديم ندوات سياسية وتربوية ونقدية وفكرية ·

٣ ـ واروع ما في البرنامج ، تحول اغلب الامسيات والندوات ، بعد ان يقدم الشاعر او القاص او المحاضر ما لديه ، الى حلقات بحث ونقاش منظم ، جاد وموضوعي ·

٤ ـ لم تقتصر الامسيات والندوات على تقديم اعضاء الاتحاد ، فقد اقيمت ندوات عديدة شارك فيها ادباء وكتاب من القطر العربي السوري ·

٥ ـ وقد احتلت معظم الامسيات والندوات حيزا واسعا على صعيد الصفحات الثقافية في الصحافة اليومية والاسبوعية السورية، كذلك على صعيد الصحافة الفلسطينية الصادرة في دمشق ·

٦ ـ في اواخر البرنامج خاضت امانه الفرعتجربة ناجحة جدا باقامة نشاط ثقافي خارج المقر ، فقد اقيمت عدة ندوات في المراكز الثقافية في محافظة الحسكة ، وفي مخيم اليرموك بدمشق ·كما اقيم اسبوع ثقافي شامل (٣ـ١٣ ايار ٧٨) بالتعاون مع المركز الثقافي السوفييتي وفي مقر المركز ·

واذا كان من غير الممكن القاء الضوء على جميع الامسيات والندوات التي اقيمت ، الا ان من المفيد الاشارة الى بعض تلك النشاطات التي استقطبت اهتماما خاصا ·

Digitized by Birzeit University Library

فامسية الشاعر الفلسطيني الكبير هرون هاشم رشيد الذي كان أنذاك قد ابعد عن القاهرة استقطبت جمهورا كبيرا ومتميزا ، الا ان هرون هاشم رشيد فاجأ الحضور بقصائده القديمة دون اي جديد ، ولم يحدث نقاش مفتوح، وربما لان بعض الحضور تحرج من مناقشة الشاعر ، بصفته الخاصة وفي ظروف حرجة .

عدنان عبد الرحيم، قدم ندوة موضوعها « فلسفة التربية الفلسطينية » حضرها عدد من المهتمين بقضايا التربية في الجامعة والاتحاد الوطني لطلبة سورية الى جانب جمهور الاتحاد التقليدي ، وكان اهتمام الصحافة المحلية بتغطية الندوة كبيرا ، والتي اقيمت على ضوء الشموع بسبب انقطاع التيار الكهربائي .

ويذكر ان موضوع هذه الندوة ، وموضوع ندوته الاخرى – التي اقيمت في نطاق الاسبوع الثقافي الفلسطيني بالمركز الثقافي السوفيتي – هما موضوع كتابه الاول الذي صدر عن لجنة الدراسات الفلسطينية مؤخرا .. بعنوان / المنطلقات النظرية في العمل التربوي والشخصية الفلسطينية / .

ويؤكد عبد الرحيم / ان الحديث عن فلسفة تربية فلسطينية او حتى عربية تكتفي بتراثنا وخبرات مربينا ، هو أمرغير مقبول ... على النظرية التربوية التي نبحث عنها ان تتفاعل مع الخبرات التربوية التي تقدمها التجارب التعليمية في الدول الاشتراكية... وكذلك علينا أن ندرس بامعان التجارب التربوية لما اصطلح على تسميته بالدول المتخلفة أو السائرة في طريق التنمية ، ذلك اننا نواجه مهمات مشتركة مع تلك الدول ../

واكد ايضا أنه لا حياد في العملالتربوي ، ولاحظ النشاط الذي بذلته منظمات المقاومة على صعيد ندوته الثانية منذ اواسط الستينات في بلورة الشخصية الوطنية للشعب الفلسطيني ، وبعث وجوده السياسي والاجتماعي .

وكان توجه المشتركين في المناقشة مطابقا لوجهة نظر عبد الرحيم من ان الاسس الفكرية للتربية الفلسطينية بشكل عام ، هي نفس المنطلقات الفكرية التي تحكم العمل التربوي العربي .

وفيما يتعلق بالشخصية الوطنية لاحظ عبد الرحيم أن ثمة فهمين متناقضين للشخصية الوطنية الفلسطينية ، أولهما يرى تجسيد الشخصية الوطنية من خلال اقامة كيان سياسي مستقل للفلسطينيين ، ويتسم فكر هذا المفهوم بالنزعة القطرية ، وثانيهما يرى ان الثورة الفلسطينية طليعة من طلائع حركة التحررالعربية والاكثر قدرة بالممارسة المسلحة واستقطاب الجماهير ، على القضاء على التبعية للقوى الامبريالية وتخلفها . وبالتالي فان النضال الفلسطيني لا يرتبط فقط بتحرير الارض وانما بالقضاء على النفوذ الامبريالي في المنطقة .

في ٣١ ت ٢ – ٧٨ اشترك الشاعر الفلسطيني احمد مفلح الفائز في الجائزة الثانية للشعر التي نظمتها الجامعة العربية – دائرة الثقافة والتربية للأدب الفلسطيني .. والشاعر العربي السوري علي الجندي ، وبالرغم من ان الشاعرين كانا من جيلين مختلفين .. فقد قدم الشاعر

Digitized by Birzeit University Library

الجندي وبالقائه الرائع الذي شد الحضور ، قصائد وطنية رائعة ، من وحي الاحداث اللبنانية في الاعوام الاخيرة.

وقدم نصر الدين البحره وصالح هواري في ٢١ شباط ٧٨ ، امسية ادبية ، قرأ فيها البحره قصتين قصيرتين احداهما بعنوان عربيين في نيويورك بينما القى الشاعر هواري بعضا من قصائده اذكر منها : بطاقتان ، للسلطان بلاغته وبطيئا يمر الدخان ، لقد كانت امسية غنية برغم النقاش الحاد الذي اثير ، فقد انتقد البحره في اسقاطه التاريخي في قصته الاولى وكان ثمة رأي يقول بان القصة الثانية قد اساءت للمرأة العربية .. بالنسبة للشاعر هواري ، هوجم هو الاخر ، لكن د. حسام الخطيب الكاتب النقدي الكبير انصفه ، وكانت ملاحظاته محل تفهم اغلب الحضور .

وفي ٧ اذار ـ ٧٨ ، أقيمت امسية شعرية لعدنان عمامة وميخائيل عيد ، كان الحضور متميزا ، والقى عدنان فيها قصائد ذاتية ووطنية تفوق فيها على ذاته ، كانت المع قصائده هما عربان .. ويفترقان ، اما ميخائيل عيد فقد القى قصائد طبقية ووطنية ، شعرا وزجلا منها : نجوى في زمن صعب ، مزنة ومن الزجليات : غزاوية .انتقد الحضور الزجل لعاميته ، اعتقادا منهم بان ذلك يسيء لقضية اللغة وسلامتها .

اما ندوة ميشيل كيلو حول حركة التحرر الوطني العربية والثورة الفلسطينية (٢١ اذار) والتي شاركه فيها الاخ عدنان عبد الرحيم ، فقد كانت من اهم فقرات الموسم الثقافي مادة وحضورا ومناقشة ، وقد لاحظ الاستاذ كيلو مسار حركة التحرر الوطني العربية منذ مطلع هذا القرن تقريبا وحتى الان وعلاقة كل ذلك بقضية فلسطين . وتطرق لمفهوم الدولة القطرية ومهمات حركة التحرر والعلاقة الجدلية بين انجاز المهمات القطرية (وطنيا) وانجاز مهمة تحرير فلسطين ، وليس العكس ، والخطأ في الفصل (كما حدث في الاغلب) وانعكاس ذلك سلبيا على مسألة تحرير فلسطين وتطور الدولة القطرية اقتصاديا وسياسيا ووقوعها ثانية في مخالب الردة والانتكاس .

وفي ٢٨ اذار اشترك القاص المقاتل موسى الشيخ والشاعر حسن الباش والقاص زهير غزاوي في امسية ادبية ، وبرزت في المناقشة التي جرت للنصوص التي قرئت ، وجهتا نظر حول النقد الادبي ، وجهة نظر تهتم بالشكل لا بالمضمون ، تأخذ بعين الاعتبار البعد العامودي دون الافقي ، ووجهة نظر اخرى تهتم بالمضمون والشكل معا ، عامودبا وافقيا ، وفي ذلك انصاف للقاص المقاتل موسى الشيخ ، وقصة زهير غزاوي ، وهي العمل الوحيد الذي قرأه في الندوة « عند الجسر » شدت الحضور تماما واجمع على تقنيتها المتقدمة .

ندوة عبد الرحمن غنيم السياسية حول مهمات الثورة الفلسطينية في المرحلة الراهنة ، (٤ نيسان ٧٨) ، جرى فيها نقاش طويل وبرزت في الندوة وجهتا نظر حول الوحدة الوطنية الفلسطينية والموقف من القيادة ، وقد نشرت مجلة (صوت فلسطين) الصادرة في دمشق معظم ما دار في الندوة ، الا ان الفقرات الاخيرة منها نشرت مجتزئة .

الامسية التالية لشوقي بغدادي وخالد ابو خالد ، لكن بغدادي اعتذر في اخر لحظة

Digitized by Birzeit University Library

لانشغاله في رئاسة لجنة مسابقة ادبية جرت في جامعة تشرين ·· وكما كتب دحبور ، عن ابو خالد ، فقد ارخ الاخير للقضية من خلال قصائده العديدة التي قرأها من فترات زمنية متباعدة ، والنقاش تناول بخاصة مسألة الاسقاط التاريخي (عنترة) ولم يكن ممكنا التوصل الى استنتاج موحد ·

امسية ادبية اخرى (٢٥ نيسان) اشترك فيها القاص الفلسطيني محمود موعد والشاعر العربي السوري علي كنعان . من جيلين مختلفين ·· موعد قرأ بعضا من قصصه ، تضمن بعضها مجموعته (رباعية الموت والجنون) التي صدرت قبل اسابيع ، اما الشاعر علي كنعان ، فقد القى اكثر من قصيدة متفاوتة في الزمن ، لكنها جميعها تؤكد على قضية الوطن والمواطنة والانتماء للقضية الوطنية والتقدمية ·

ندوة ٩ ايار حول (التسوية السياسية وافاقها)تحدث فيها شريف جيوسي ، حول وهم التسوية السياسية بمعناها العادل او الدائم ، او حتى بما هو ادنى من ذلك بكثير ، وعدد الاطراف التي ليست لها مصلحة في التسوية ·· واساليب التعامل وادارة الصراع العربي ـ الاسرائيلي الثلاثة ·· وميز بين اشكال التسوية (من وجهة نظريه) التسوية المتوازنة ، التسوية (العادلة) والتسوية ـ الاخضاع ، وهي اي التسوية ـ الاخضاع التي يجري تنفيذها من طرف واحد ، لا تحتاج لمواثيق يوقعها فريقان ، انها التسوية التي يجري تنفيذها منذ سنوات ، بتقديم التنازلات وباستمرار من قبل الانظمة لكل من اسرائيل والامبريالية الامريكية ·

امسية حسيب كيالي وجان الكسان القصصية (١٦ ايار ٧٨) قرأ فيها جان الكسان قصة قصيرة واحدة ، بينما قرأ حسيب كيالي قصة قصيرة ، طويلة نسبيا ، لم تجر مناقشة لما قرئ من قصص ، وفي نهاية الامسية ، اسمعنا الشاعر العذب محمد الحريري بعضا من قصائده المحببة ·

الشاعران ممدوح عدوان وفؤاد كحل كانت امسيتهما الشعرية في ٢٣ ايار ٧٨ ، الاخ كحل استمع اليه جمهور الاتحاد لاول مرة · الاخ عدوان اسمعنا اكثر من قصيدة ، تتناول بعضا من قصائده الوطنية وزعترياته · وكان الجمهور مشدودا للامسية ·

امسية يوسف جاد الحق وابراهيم الشهابي القصصية (٣٠ـ٥)استمع اليها الحضور باهتمام ، لكن معظم وجهات نظر الحضور كانت انتقادية ازاء القاصين ، وبخاصة ضد اسلوب الشهابي القصصي ، الذي اعتمد على القديم ، وهو الامر الذي لم يتذوقه الحضور ·

الندوة الاخيرة في الموسم الثقافي ، كانت للاخ حسين عمر حماده حول التربية اليهودية في اصولها التوراتية والتلمودية ·

■■ وكانت امانة الفرع قد اقامت في الفترة من ٣ـ١٣ ايار ٧٨ ، اسبوعا ثقافيا بالتعاون مع المركز الثقافي السوفييتي وبمقر المركز ، وكان برنامج الاسبوع كالتالي : ٣ ايار امسية ادبية للاخ الشاعر احمد دحبور ، والاخ الشاعر عدنان عمامة · لقد الهب دحبور حماس جمهور المركز وبخاصة تلك القصيدة التي اهداها لشقيقه الشهيد كامل دحبور · اما عمامة ، فقد فاجأ الحضور هذه المرة قاصا بتقديم نماذج من قصصه « الخز عندار » التي كانت بمثابة تقنية جديدة في القصة ·

١٥ ايار فيلم روائي طويل (الابطال يولدون مرتين) اخراج صلاح دهني · وتلا عرض الفيلم مناقشة ، حضرها السيد المخرج ·

Digitized by Birzeit University Library

١٦ ايار مسرحية « حديقة الحيوان » انتاج فرقة المختبر المسرحي ، اخراج وليد قوتلي ، تمثيل وبطولة ريناتي قدسية وعبد الرحمن ابو القاسم • ديكور يوسف عبدلكي ، مساعد مخرج مفيد ابو حمده •

وقد قابل الجمهور المسرحية بارتياح كبير ، والتي تصور ازمة المجتمع الاستهلاكي الراسمالي ومتاعب الخلاص الفردي في ذلك المجتمع •

١٨ ايار قدم عدنان عبد الرحيم ندوة فكرية موضوعها : السمات الاساسية للشخصية الوطنية الفلسطينية ، وقد دار نقاش جدي في نهاية الندوة ، شارك فيه الحضور •

١٣ ايار ، ندوة ادبية تحدث فيها د• حسام الخطيب عن الادب المقارن بين المنهجية والانسانية • وقد قدم د• الخطيب للندوة بقوله ، ان اقامة هذه الندوة دليل اكيد على ان الشعب الفلسطيني واتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ليسا اقليميين او متقوقعين ، فالاهتمام بالامور الانسانية والحضارية يقارب الاهتمام بالامور الوطنية والنضالية الخاصة •

وقد رافق الاسبوع معرضا للرسوم التشكيلية ، شاركت فيه الاخت الفنانة سمية صبح والاخوة عبد المعطي ابو زيد ، شفيق رضوان وعلي الكفري • وقدم اتحاد المراة الفلسطينية بشكل اساسي ، نماذج من الفولكلور الفلسطيني ، ازياء شعبية ، مطرزات وصدفيات الخ •• وشاركت دائرة الاعلام والثقافة بتقديم معرض كامل من اللوحات لتاريخ فلسطين والقضية ، منذ اقدم العصور وحتى الان وببعض الكراسات الصادرة عن الدائرة •

لقد كان الاسبوع الثقافي الفلسطيني ، ذروة نشاط الفرع في الموسم الثقافي المنتهي ، وكان له صدى واسعا ، وتوسعت الصحافة المحلية وبعض اللبنانية في تغطيته •

ويذكر ان ثمة اتفاقا مبدئيا باقامة اسبوع ثقافي ثان بالتعاون مع المركز الثقافي السوفييتي في شهر كانون اول القادم ، على ان يتضمن الاسبوع القادم معرضا للكتاب الفلسطيني ولوحات فنية وشعبية راقصة •

واقيمت ندوات خارج المركز في محافظة الحسكة شارك فيها الاخوة : صالح هواري ، شريف جيوسي واحمد دحبور ، وفي مفوضية الكشافة بمخيم اليرموك شارك فيها الاخوة : حسن الباش ، احمد مفلح وصالح هواري •

وتتجه النية الان لاقامة نشاط ثقافي واسع في كل من : الحسكة ، بالاتفاق مع المركز الثقافي هناك ، وفي الطبقة وحلب والسويداء ، واقامة نشاطات ثقافية مشتركة بالاتفاق مع كل من الاتحاد الوطني لطلبة سورية ومع النادي السينمائي بدمشق ومع مفوضية الكشافة بمخيم اليرموك •• ذلك الى جانب الاسبوع الثقافي الفلسطيني بالمركز الثقافي السوفييتي ، والندوات الاسبوعية التي ستقام بمقر الفرع والتي ستستانف في اواخر شهر ايلول القادم وعرض افلام روائية صينية •

لقد اثبتت تجربة الفرع ، في الموسم الثقافي المنتهي ، والتي اشرنا اليها بشكل مكثف جدا ، ان بالامكان وبامكانات متواضعة جدا ، اقامة نشاط ثقافي واسع ، يفرض نفسه في (سوق الثقافة) ويلفت الانظار ، ويجذب اليه المهتمين بالشؤون الثقافية ، ومن ثم تحقيق احترام ودعم كل المعنيين في الساحة •

Digitized by Birzeit University Library

تقرير عام عن مجمل نشاطات وممارسات فرع الاتحاد في الجزائر

بعد انتخاب الهيئـــة الادارية للفرع ، ورغم الصعوبات التي واجهت الفرع لعدم توفر الميزانية ، وعدم وجود مقر للاتحاد حتى الان ، عملت الهيئة الادارية على بعث نشطات متعددة : ١) ادبية ٢) ثقافية ٣) سياسية ٤) اعلامية ٥) اجتماعية ٠

في المجال الادبي ، (أ) قـام فرع الاتحاد باعداد لقـاء مـع اتحـاد الكتـاب الجزائريين بتاريخ ٢٣ / ٤ / ١٩٧٨ ، وقد تم التعارف فـي هذا القاء ، والقاء قصائد متعددة لشعراء مـن فلسطين والجزائر : ابـــن الشاطىء ، عمر رشراش ، حسيب القاضي ، مصطفى ابو وردة ، عبد العالي رزاقي ، مصطفى الغماري : تقديم مقال : للدكتور محمد زايد ٠

ب ـ اقام الفرع مهرجانا شعريا عربيا ، بتاريخ ٦/ ٦/ ١٩٧٨ ، ساهم فيه كل من الشعراء :

الشاعر : دكتور حسن فتح الباب (مصر) ٠

الشاعر : سليمان السلمان (سوريا) ٠

الشاعر : محمد البوسطجي (العراق) ٠

الشاعر : محمد الاخضر السائحي ، سليمان جوادي ، عبد القادر السائحي (الجزائر)

الشاعر : عمر رشراش ، مصطفى ابو وردة ٠ ابن الشاطىء ٠ حسيب القاضي (فلسطين ٠

ج ـ اقام الفرع ، وبدعوة من المحافظة الوطنية لحزب جبهة التحرير الوطني ، امسية شعرية فـي (ولاية الجلفة) ، أحياها الشاعر : ابن الشاطىء بتاريخ ١٩٧٨/٦/٤ ٠

في المجال الثقافي ، قام الفرع بدعوة الاستاذ سعد زهران (مصر) ، لاقامة ندوة ثقافية حول « ازمة الادب والاديب العربي » وشاركه امين السر ، عمر رشراش ، والاخ علاء الدين مكي ، عن مجلة « المجاهد » الاسبوعي ٠

في المجال السياسي :

قام الفرع باحياء ذكرى ١٥ ايار ، في كل من (ولاية الجزائر) ، و (ولاية المدية) ، و (ولاية قصر البخاري) ٠ شارك فيها ، عمر رشراش ، مع اتحاد المهندسين الفلسطينيين ٠ كما اشترك ابن الشاطىء مع الاخوة محمد زهير ملوحي (سوريا) ، جمال الطاهري ، وحسن رمضان (الجزائر) في (المدية) ٠ وفي قصر البخاري شارك ابن الشاطىء ، الاخ محمد زيدان في احياء الندوة الادبية السياسية (شعر ٠٠ و ٠٠ محاضرة : بعنوان : الصهيونية وفلسطين) ٠

ب ـ اصدر الفرع بيانا سياسيا ، بالاشتراك مع المنظمات الشعبية الفلسطينية فـي الجزائر حول

Digitized by Birzeit University Library

الهجوم الاسرائيلي الامبريالي الرجعي ·

ج ـ بعد اجتماع اللجنة الاقليمية للفرع ، مساء٢٦ / ٣/ ١٩٧٨ ، كلف الاخ نائب الرئيس حسيب القاضي ، باصدار بيان حول اعتقال الاخوين الصحفيين الفلسطينيين (ناصر ـ والاسمر) ـ لم ينفذ نائب الرئيس ما كلف به ·

د ـ وضعت اللجنة الاقليمية ، في اجتماعها المنعقد بتاريخ ٢٦ / ٣ / ١٩٧٨ .تقييما للوضع في جنوب لبنان ، كما قيمت الوضع العربي من خلال فلسطين ·

هـ ـ ارسلنا برقية تأييد لقيادة الثورة الفلسطينية ، واضعين أنفسنا تحت تصرفها ، في المعركة الشرسة التي يخوضها شعبنا ضد الغزاة الصهاينة والقوى الامبريالية والرجعية ·

و ـ ساهم الفرع في جمع التبرعات وارسال الادوية والمتطوعين الى لبنان ·

في المجـال الاعلامي :

١ ـ متابعة المقابلة الصحفية التي كان اجراها عضو الامانة العامة ، الاخ يحيى يخلف اثنـاء الاخ يحي يخلف أثناء تواجده في الجزائر ، لتخرج في اطارها اللائق ·

٢ ـ متابعة عرض مواضيع « الكاتب الفلسطيني » في « المجاهد الاسبوعي » ·

٣ ـ الاعلان عن كافة النشاطات التي قام بها الفرع ، وتقييمها في الصحافة الجزائرية ·

٤ ـ نشر قصائد ومقالات في الصحف الوطنية ، والمجلات ، لكثير من اعضاء الاتحاد ·

٥ ـ القيام باتصالات مع القوى الوطنية العربية ، بهدف تعزيز الروابط النضالية ، وفتح الحوار الديمقراطي ، ومحاولة صياغة وجهة نظر مشتركة حول القضايا المصيرية ·

٦ ـ متابعة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، بخصوص مجلة « الكاتب الفلسطيني » ، لتظهر في الاسواق بأسرع وقت ·

في المجـال الاجتماعي :

١ ـ قـام الفرع بجولات ، هدفهـا مساعدة اسر المتطوعيـن الـى لبنـان · لرعاية أطفالهم المرضى ، وتقديم المساعدات الممكنة لهم · وقد رافقنا فـي هذه الجولات: الطبيب الفلسطيني ، المتطوع لفرع اتحادنا ، عزمي ابو سمرة · وأشرف علـى معالجـة الاطفال · كـما اشرف على معالجة بعض الجرحى من الذين عادوا للجزائر ·

في المجـال الاداري :

١ ـ لم يستلم الفرع ملفات اعضاء فرعنا وعناوينهم ، ممـا ادى الى صعوبة الاتصال بهم · وسنقوم بذلك لتنفيذ البرنامج التالي :

ـ تشكيل لجان من كافة اعضاء الفرع على امتداد التراب الوطني الجزائري والمغرب العربي بكامله · بكامله ·

Digitized by Birzeit University Library

ـ لجنة خاصة بالادب والانتاج الفلسطيني في هذه المناطق .

ـ لجنة خاصة بالانتاج العربي المغربي حول فلسطين شعرا ونثرا وغير ذلك .

ـ لجنة خاصة بنشاط دوري منتظم على شتى المستويات : طلابية ـ نقابية ـ شعبية ... الخ

ـ لجنة خاصة بنشاط دوري منتظم على شتى المستويات : طلابية ـ نقابية ـ شعبية .. الخ . في العالم .

---

(١) الكشف الكامل بالامسيات والندوات التي اقامتها امـانة الفرع بمقـر الاتحاد في سورية في موسمها الثقافي لعام ٧٧ ـ ٧٨ :

٢٠ـ١٢ـ٧٧ : امسية شعرية للاخ صالح هواري .
٢٧ـ١٢ـ٧٧ : امسية شعرية للاخوة محمد جوهر شهابي ، سهام عيطور وعدنان عمامة .
٣ـ١ـ٧٨ : امسية شعرية للاخ مروان هاشم رشيد .
١٠ـ١ـ٧٨ : ندوة فكرية موضوعها (فلسفة التربية الفلسطينية) تحدث فيها الاخ عدنان عبـد الرحيم .

١٧ـ١ـ٧٨ : ندوة ادبية (الادب الفلسطيني المقاوم) للاخ حسن الباش .
٢٤ـ١ـ٧٨ : ندوة نقدية موضوعها (النقد العربي بين الاصالة والحداثة) تحدث فيها د. حسـام الخطيب .

٣١ـ١ـ٧٨ : امسية شعرية للاخوة احمد مفلح وعلي الجندي .
٧ـ٢ـ٧٨ : امسية شعرية للاخوة غازي الناصر ، عصام ترشحاني وعبد الكريم عبد الرحيم ، لم يشترك فيها عصام .

١٤ـ٢ـ٧٨ : ندوة فكرية حول (دور الاعلام في التربية والتوعية والحرب النفسية) تحدث فيهـا خالد الخطيب وكمال تفاحة .
٢١ـ٢ـ٧٨ :امسية ادبية للاخوة نصر الدين البحره وصالح هواري .
٢٨ـ٢ـ٧٨: امسية شعرية للاخوة نظيم ابو حسان ، محمود علي السعيد ، عادل ادبي اغا وعاصم ترشحاني .. لم يحضر الاخير .

Digitized by Birzeit University Library

٧-٣-٧٨ : امسية شعرية للاخوة عدنان عمامة وميخائيل عيد ·
٢١-٣-٧٨ : ندوة سياسية حول (الثورة الفلسطينية وحركة التحرر الوطني العربية)
٢٤-٣-٧٨ : امسية شعرية للاخوة سليمان السلمان ، سمير الخطيب وسامي ابو النور · تحدث فيها الاخوة ميشيل كيلو وعدنان عبد الرحيم ·

٢٨-٣-٧٨ : امسية ادبية للاخوة موسى الشيخ ، حسن الباش وزهير غزاوي ·
٤-٤-٧٨ : ندوة سياسية حول (مهمات الثورة الفلسطينية في المرحلة الراهنة) تحدث فيها عبد الرحيم غنيم ·
١١-٤-٧٨ : امسية شعرية للاخوة شوقي بدادي وخالد ابو خالد اعتذر شوقي في اخر لحظة لظرف موضوعي طارئ ·

١٨-٤-٧٨ : امسية شعرية للاخ حسن البحيري ·
٢٥-٤-٧٨ : امسية ادبية للاخوة علي كنعان ومحمود موعد ·
٢-٥-٧٨ : امسية ادبية للاخوة وجيه جبر ، خيري عبد ربه وراسم المدهون ·· لـــم يحضرها وجيه جبر ، وشارك فيها فايز خضور ·
٩-٥-٧٨ : ندوة سياسية حول (التسوية السياسية وافاقهـا) تحدث فيهـا شريف جيوسي ·
١٦-٥-٧٨ : امسية قصصية للاخوة حسيب كيالي وجان الكسان ·
٢٣-٥-٧٨ : امسية شعرية للاخوة ممدوح عدوان وفؤاد كحل ·
٣٠-٥-٧٨ : امسية قصصية للاخوة يوسف جاد الحق وابراهيم الشهابي ·
٦-٦-٧٨ : ندوة فكرية موضوعها (نظرة من الداخل على التربية اليهودية ـ التربيـة اليهودية في اصولها التوراتية والتلمودية) للاخ حسين عمر حماده ·

Digitized by Birzeit University Library

بيروت لبنان ـ ص . ب : ٣٠٧٥ تلفون ٣١٦٠٢١

Digitized by Birzeit University Library